ـ اني مررت على ادارة جريدة « الجورنال » وقرأت الفصل الذي كتبته وهو حسين لكنه غير وافٍ

ـ وهل من جديد

ـ ربما كان ذلك فانهض سريعاً

وكان مارتين نوما هذا صديقاً قديماً لي فرفع عني الغطاء واجبرني على النهوض قائلاً : انا قد اشتركنا مراراً في محاربتنا المذنبين . انت في فرقة مخبري الجرائد وانا في فرقة البوليس السري . . . وطالما اجازتني جريدة الجورنال على خدماتي لها فجئتك الآن ملبياً داعي الشكران لصاحب الجريدة المذكورة وداعي صداقتنا القديمة لاقول لك انهض سريعاً . . اني مولع بمهنتي البوليسية يا كورفيل مثلما انت هائم بحرفتك نقل الاخبار الى الجرائد . نعم ان ما يطلب منا متعب شاق لكن ما ينتج منه من السرور واللذة عند كشف الستر عن سرّ ما او القاء القبض على مجرم اثيم ينسينا كل تعب ومشقة . . . انت مستاء لانك لم تنم ملياً كما تشتهي هذه الليلة فاعلم اذاً اني لم ارقد قط وربما لا يتيسر لي النوم في الليلة القادمة . . .

ـ اذاً من المرجح ان لا انام انا ايضاً غداً

ـ ربما كان الامر كما تقول يا كورفيل لان المسألة مهمة خطرة سيخلد ذكرها في بطون التواريخ

ـ هل اكتشفت شيء جديد

ـ كلا وانما قد كلفتني المحكمة ان اكشف سرّ هذه المسألة مما اشعرني ان القضاة لم يتوصلوا بعد الى فهم شيءٍ منها

ـ حسناً فعلوا بتكليفك ذلك اذ لا يطول الوقت الا ويصبح السرّ الغامض ظاهراً صريحاً بفضل همتك وذكائك الباهر

ـ لا تفرح سلفاً فربما كان الامر اكثر إشكالاً مما تظن

ولما انتهيت من لبس ثيابي خرجت انا وصديقي وركبنا عربة وامر رفيقي الحوذي ان يذهب بنا الى ساحة الشاتيليه وقال لي انه امر السائق بالسير الى هناك لا الى المحل الذي نقصده لكي يخفي عمله على كل انسان . ولما وصلنا الساحة ترجلنا وعبرنا على جسر فوصلنا الى دار المحافظة ودخل نوما غرفة المسيو راماره رئيس الضبط الذي كان بانتظاره واما انا فوقفت خارجاً منتظراً رجوعه اتحدث مع بعض انفار البوليس السري

وبعد مضي ساعة على انتظاري خرج مارتين نوما يصحبه رئيس الضابطة ولما رآني هذا مدّ يده مسلماً عليّ قائلاً : انك دائماً في مقدمة مخبري الجرائد يا كورفيل كأنك تتنبأ بوقوع الحوادث

فاجبته : هل تسمح يا سيدي ان اسير برفقتكم

ـ تعال فانه يلوح لي ان مارتين نوما لا يمكنه القبض على المجرمين الاّ اذا كنت برفقته . . .

وركب رئيس الضابطة وسكرتيره عربة اما انا فركبت مع مارتين نوما . ولم ينبس صديقي ببنت شفة طول مدة المسير بل كان ينظر خارجاً من خلال نافذة العربة ولما كنت اعرف اخلاقه لم اكلمه لعلمي انه اذا كان هناك ما يدعو الى الكلام يقوله لي من غير ان اسأله

ثم وقفت بنا العربة في شارع ليلتيه امام منزل جان كاستنيه الصيرفي المثري الشهير فنزل رئيس الضابطة ودخل مع سكرتيره ودخلت في أثرهما

مع مارتين نوما ونفرين من البوليس . وكان السكوت والسكون سائدين في ذلك البيت العظيم فسار بنا خادمٌ الى غرفةٍ وجدنا فيها قاضي التحقيق وسكرتيره واربعة من أهل القضاء وهذه الغرفة واقعة بين المكتب العمومي ومكتب صاحب البيت الخاص . وكان جميع من هنالك بانتظار رئيس البوليس فبعد ان تعارفنا جميعاً كما شي المادة قال المسيو راماره ان الحادث الذي نهتم بهِ الآن بسيط في الظاهر يكثر حدوث مثله . . . ولكني ارى ان في الامر سرًّا غامضاً واظنهُ من اغرب ما اطلع عليه أهل القضاء حتى الآن وهذه خلاصة ما عرفناه :

« نهار أمس عند موعد اقفال المكتب وُجد المسيو جان كاستنيه ميتاً على كرسيه في مكتبه الخاص به وأمامه على مقعدٍ ابنته الآنسة ايرما ميتة ايضاً . . . اما الرجل فلم يوجد في جسمه أثر جرح لكنه وُجد في عنق الفتاة علامات تدلّ على انها خنقت خنقاً . . . ولم يُرَ في المكتب ما يدل على حصول عراك او مقاومة فان كل شيء كان في موضعه المعتاد . . . وصندوق الخزينة لم يُكسَر ولم يُفتح بحيلة ما على ما يظهر بل هو مقفل الى الآن ولا يمكننا ان نحكم حكماً باتاً بسرقة شيءٍ منهُ قبل فتحه . ومما يُزيد في تأثير هذه الفاجعة هو ان الآنسة ايرما التعسة كانت مخطوبة الى المركيز بريمو دى كرمين سنتوشي وهو من أشهر عائلات صقلية وكان ميعاد قرانهما قريباً . هذا هو ايها السادة الجرم الذي القى الرعب في قلوب الباريسيين فصلته لكم كما عرفته »

فسكت الجميع ورأيت مارتين نوما ينظر الى الارض كانما لا علاقة له بالحاضرين وسأل القاضي رئيس البوليس عن الذي اكتشف الامر

فقال انها الآنسة حنة كاستنيه ابنة الفقيد وهي اصغر من شقيقتها ايرما سناً . فطلب القاضي أن يوضّح له عن سبب مجيء حنة الى مكتب والدها فاجابه المسيو رامارو ان الفتاة افتقدت شقيقتها ايرما فلم تجدها ففتشت في البيت لعلمها انها لم تخرج منه ولما لم ترَها سارت الى مكتب والدها اذ ان لهذا المكتب باباً يؤدّي الى البيت الذي يسكنه الفقيد وعائلته فوجدت حنة والدها وشقيقتها في الحالة التي وصفتها لكم . . . واستغاثت

فقال القاضي : سنستنطق الجميع فيما بعد اما الآن فسيروا بنا الى مكتب المسيو كاستنيه اولا . واذ ذاك نهض مارتين نوما قاصداً المكتب الذي اشار اليه القاضي فقال له هذا : ما رأيك يا مارتين نوما . . . اتظن ان هذا الجرم يستحق اهتمامك ودهاءك

ـ يجب ان ارى قبل . . .

ـ اني اسرّ بان تكون انت المساعد لي في كل قضية أكلّف تحقيقها لاني آمن بوجودك الوقوع في الغلط والحكم على البريء بدل المذنب

ـ ان الخطأ في الاحكام لم يعد مقبولاً عقلياً في ايامنا هذه . . . ولا يمكن حدوثه فأهل القضاء اذكى من ان يقعوا فيه ورجال البوليس دهاة لا تغرّهم الظواهر . . . نعم ان القتلة ذوو مكر ودهاء ولكن مكرهم لا يخفى علينا

ولما دخل الجميع مكتب الميت شرح رئيس البوليس كيف كانت حالة الجثتين قبل ان تُنقلا ونظر الجميع الى مارتين نوما يطلبون منه حلّ ذلك اللغز ظانين ان بامكانه كشف المخبأ سريعاً اما هو فوقف هنيهة صامتاً ثم أبرقت عيناه ونظر الى اطراف الغرفة ورأى امام الموقد قطعاً من الاوراق فأخذها ووضعها في جيبه قائلاً : هذه قطعٌ من بطاقات الزيارة عليها

بعض الاشياء ربما تفيدنا في بحثنا ثم تناول مصباحاً كهربائياً كان في الغرفة وأناره واقترب من الصندوق الحديدي وفحصه بامعان وقال: ان الصندوق لم يكسر ولم يعالج بآلة ما غير ان هذا الامر لا ينفي السرقة . . . لان خارج الصندوق لا يدل على شيء واما الداخل فسنعلم ما يتعلق به فيما بعد

وابتعد نوما قليلاً عن طاولة الكتابة ونظر اليها كما ينظر المصور الى الشخص الذي يريد تصويره ولبث ساكتا ثم قال : ان الطاولة منحرفة عن مركزها الاعتيادي

وعاد فانحنى متأملاً في قوائم الطاولة ولما انتهى قال : الطاولة ثقيلة جداً وانحرافها عن مركزها حديث العهد فان أحدى القوائم الأربع لم تحرك من مركزها اما الثلاث الاخر فقد حركت وهذا أثر تحريكها ظاهر على ارض الغرفة . . . اذاً دفعت الطاولة بعنف من اليمين الى الشمال

فقال القاضي ربما دُفعت حينما نقلت جثة الآنسة ايرما

— ان تحقيق هذا الامر سهل فارجو من رئيسنا ان يُجلس أحد الانفار بالهيئة والمركز الذين كانت فيهما الآنسة ايرما حين حضوره

فأخذ رئيس البوليس أحد الانفار واجلسه في المكان الذي وُجدت فيه الجثة فتقدم مارتين نوما وحمله الى طرف الغرفة ثم اجلسه وطلب ان يساعده على حمله شخص آخر ثم ثلاثة اشخاص ولما انتهى قال للقاضي انا اربعة الآن يمكننا ان نجول بسهولة ما بين الطاولة والمقعد فمن المستحيل ان تكون الطاولة قد حركت حين رُفعت جثة الآنسة ايرما

وعاد صديقي فأمر الرجل ان يعود الى مكانه اي ان يجلس في المكان الذي وجدت فيه الفتاة المقتولة ثم دنا منه وقبض على عنقه كمن

يحاول ان يخنقه فاضطر لعمل ذلك ان ينحني فامتدت احدى رجليه ولطمت قائمة الطاولة فقال : هذا تمثيل ما حدث ايها السادة فان القاتل قد امتدت رجله وقت ارتكابه الجرم ونظراً لما كان عليه من الرغبة في الاسراع أو نظراً لمقاومة الفتاة زلّت رجله على البساط ولطمت الطاولة . . . والمسافة بين المقعد والطاولة هي متر وعشرون سنتيمتراً تقريباً وعليه فان طول قامة القاتل هو متر وستون أو متر وخمسة وسبعون سنتيمتراً . . . اذ لو كان اقصر قامة لما وصلت رجله الى الطاولة ويداه مشغولتان على المقعد . . . . .

وانحنى نوما ثانية و بيده نظارة مكبرة لا تفارقه واخذ يفحص قوائم الطاولة ثم نهض وصاح : انظروا . . . اني لم اخطىء وهذه هي القائمة التي لطمها الرجل بحذائه

وأخذ ورقة بيضاء فادناها من قائمة الطاولة وحكّ القائمة ثم وضعها امام الحاضرين قائلاً : ان القاتل كان يلبس حذاءً من الجلد اللماع وهذه بقايا من ذلك الجلد لصقت بقائمة الطاولة عند احتكاكها بها والمرجح عندي ان جلد الحذاء من الجنس الجيد الذي لا يتفتت كالجلد الرخيص الثمن بل ينطوي بسهولة وهذه الخاصة في الجلد ابقت هذه القطع على الخشب . . فالقاتل كان يلبس حذاءً غالي الثمن ولعله من الاحذية التي يلبسها الاغنياء في الليالي الراقصة

فأعلن رئيس البوليس ان هذا الاكتشاف ذو اهمية كبرى وطلب من الحاضرين ان لا يذكروا عنه شيئاً . اما نوما فجلس على كرسي المسيو كاستنيه وأخذ يفحص ما على الطاولة من الادوات كالاقلام والدواة والاوراق ورأيته يبتسم في اثناء عمله فتيقنت انه قد اكتشف شيئاً جديداً ولم يخطىء ظني

فانه وقف وقال : ايها السادة ان المسيو كاستنيه قد بكى . . .

فنظر الجميع اليه باستغراب اما هو فتابع الكلام قائلاً : انه بكى كثيراً وهاكم أثر دموعه على هذا الورق النشاف . . . . بكى طويلاً ورأسه بين يديه ثم مسح عينيه بيده الشمال ووضعها على هذا الورق . . . . انظروا امامكم أثر اصابعه المبلولة

وبينما كان الحضور ينظرون الى الورقة استأنف نوما كلامه بقوله : وفي حال بكائه حاول الكتابة والارجح انه لم يقوَ على ذلك فبقي الكتاب الذي كان يخطهُ غير كامل . . . فقال القاضي ؟ كيف عرفت ذلك :

فاجابه : انظر الى الاقلام ترَ ان اثنين منها مكسوران مما يدل ان المسيو كاستنيه كان متأثراً جداً . . . اما بقية الاقلام التي على المكتب فلم تغمس في الحبر وعليه فالكتاب لم تتم كتابته واظن اني سأجده في السلة التي ترمى فيها الاوراق التي لا حاجة بها . . .

ثم تناول السلة واخذ ورقة متجعدة كانت فيها ووضعها على الطاولة امامه وبسطها وقال هذا هو الكتاب . . . وهاكم اوّل موضع انكسر فيه القلم . . . وهذا الموضع الثاني . . . ويظهر ان المسيو كاستنيه استاء من انكسار القلمين فرمى الورقة على ان يعود الى كتابة كتابهِ فيما بعد ولكن الموت لم يمهله . . . انظروا فان اثر الدموع على هذه الورقة ايضاً . . .

وطلب القاضي من مارتين نوما ان يقرأ الكتاب فاذا فيه ما يأتي :

« سيدي

« قد جئتني وذكرتني بالماضي المحزن وكنت اظنهُ قد تنوسي . . . انك تريد ان تفشي سرّ الجريمة التي تدعي اني ارتكبتها... فانا اعارض...»

وهنا قال نوما : انظر يا حضرة القاضي فان الورقة مخروقة في هـذا الموضع مما يدلنا ان القلم انكسر هنا ثم أتم قراءة الكتاب :

« اني أعارض . . ولكني حفظاً لكرامتي وسمعة اولادي . . . أرضى »

ــ وهنا انكسر القلم الثاني ورمى الكاتب الورقة بعد ان دعكها في يده ثم بكى وفاجأه الموت وهو يبكي . . . . .

فسأل القاضي : وما جرى بعد ذلك يا نوما . . . وكيف قتلت الآنسة ايرما هنا . . . من قتلها . . . . ولاي سبب ؟ . . . . هذا ما تهمنا معرفته وهو غامض جدًّا على ما أرى

وبينما كان القاضي يتكلم عاد نوما الى فحص ما على المكتب ولما انتهى القاضي من كلامه اجابه .

انظر يا حضرة القاضي ان رجل الرجل افشت لنا قسماً من السرّ وها يدهُ الآن تساعدنا على معرفة ما بقي مجهولاً . . . . انظروا هذه المذكرة تروا عليها أثر ابهام القاتل مرّتين . . . . فانه لما زلق على البساط اتكأ بيده على الطاولة فانطبعت اصبعه على هذه المذكرة فكأنما هو قد وضع توقيعه عليها . . . فقال احد الحضور : ربما كان هذا اثر اصبع الموسيو كاستنيه

فأجابه نوما : ان اعتراضك في محله لكن الاثر يدلّ على ان صاحب هذه الاصبع رجل من العمّال قاسي البشرة . . . . والاصبع كبير خشن فلا شك عندي ان اصبع الميت ليس في هذا الحجم ولا في هذه الخشونة على ان هذا الدليل ذو اهمية كبرى فيجب علينا البحث والتدقيق اذ لو ثبت ان هذا اثر اصبع الموسيو كاستنيه لعرفنا انه هو قاتل ابنته

واظهر الحضور اشمئزازهم وعدم تصديقهم لما قاله نوما اما هو فتابع

قائلاً : اني اؤكد ان هذا اثر اصبع القاتل وهو مطبوع بالدم في المرة الاولى .. وفي الثانية ترون في اطراف الطبعة اثراً لمادة دهنية

— وكيف اتفق وجود الدم والمادة الدهنية

— اظن ان القاتل خدش عنق الفتاة فخرج منه بعض نقط من الدم ... اما المادة الدهنية فتفسير وجودها هو ان الآنسه كاستنيه كانت داهنة وجهها ببعض المراهم او غيرها من السوائل التي تستعملها النساء للزينه .... فقال القاضي سنتحقق كل هذا

فقال نوما : اذا وجدنا على يد الموسيو كاستنيه اثر الدم او المادة الدهنية انتهى عملنا .... ولكننا ان نرَ على يده الاّ اثر الحبر الناشيء عن انكسار القلمين ... وارى ان كاستنيه قتل وهو جالس على كرسيه وان ابنته وافت الى هنا بعد مقتله فقتلت هي أيضاً

ثم أخذ أهل القضاء يتناقشون فيما بينهم وعاد صديقي الى البحث والتنقيب فجلس على الكرسي الذي أمام الطاولة واخذ ورقة المفكرة التي عليها أثر الاصبع ووضعها امام المصباح الكهربائي وأخذ يفحصها بإمعان ثم صاح : اني اقول لكم ليس لدينا فقط أثر رجل ويد القاتل بل اسمه ايضاً ....

فصاح الجميع مستفهرين قوله وانحنوا فوقه ليقرأوا ذلك الاسم ....

اما هو فابتسم ساخراً بهم وقال : قد اثبت المسيو برتيليون انه لا يوجد في العالم اصبعين متشابهين تمام المشابهة كما ان تلك المشابهة لن توجد في ورقتين من اوراق الشجر ولو كانتا من شجرة وغصن واحد ... ان كل اصبع وخصوصاً الابهام له حجم مخصوص وشيئة مميزة وثنايا في الجلد مختصة

به دون غيره لا تماثلها ثنايا اصبع ما . . . وبعض هذه الثنايا تشبه بعض الاحرف الابجدية وفي المجموعة التي عندي رسم ابهام تكاد تنطق باسم صاحبها . . .

ولو قال غير مارتين نوما هذا القول لسخر منه الجميع اما هو فصدقوا كلامه لعلمهم انه لا يمزح قط وانه شديد التضلع من حرفته ونادر الذكاء فقال له القاضي هل قرأت بعض الاحرف في الأثر الذي بين يديك الآن

فاجاب نوما : نعم . . . يخيل لي اني أرى احرفاً . . . ولكن يلزمني ان اتأمل هذا الامر بامعان

– وهل يمكنك ان تعرف اسم القاتل بواسطة هذه العلامات والاحرف

– اني ضامن معرفة الاسم الذي على ابهامه . . . اي الاسم الذي سماهُ به الله . . . الاسم الذي يختصّ به اكثر مما يختصّ به الاسم الذي اطلقه عليه والداه . .

– صدقت

– قد يسهل على القاتل ايها السادة ان ينتحل اسماً ويغش الحكومة اما هذا الاسم الذي ذكرته فلا يمكنه تغييره لانه قسم من جسده ولا يمكن سلخه عنه الاَّ اذا قُطع ابهامه . . . .

ثم وضع مرتين نوما ورقة المنكّرة في محفظته وجاء خادم فاعلم أهل القضاء بحضور الاطباء فساروا اليهم ووجدوهم في الغرفة التي وضع فيها الموسيو كاستنيه وكان ملقىً على سريره بثيابه التي كان فيها حين قُتل فدنا مارتين نوما من الميت وفحص ثيابه ثم سأل الحضور ان ينظروا أثر الدموع على قميصه . . . ثم رفع يد كاستنيه واراهم انه لا شبه بين أصبعه الذي كان

تبدو على وجوهه علامات الاهتمام بالتخص الشاهد وصرف القاضي الشهود غير انه امر الخادم المختص بادخال الزائرين على الفقيد ان يبقى ليسأل عمن جاؤا لزيارة سيده يوم الحادثة

ولم يحضر صراف البنك الموسيو موريسون فدعا القاضي رئيس الحسابات وسأله هل يعرف محل وجوده فاجابه انه يجهل ذلك ويستغرب غيابه في مثل ذلك الوقت وانه كان يحضر دائماً الى المكتب في وقت معين لم يخل قط بميعاد حضوره . وسأل القاضي اذا كان الموسيو موريسون عاملاً اميناً فقيل له انه مثال الامانة وقد اشترك مع الموسيو كاستنيه في تأسيس المحل وانه كان صديقاً مخلصاً للفقيد . نادر المثال في اجتهاده وغيرته على مصلحة المحل وان حركة الاشتغال كانت بيده وسأل القاضي هل كان الموسيو كاستنيه وموريسون على وفاق دائماً

ــ كلا يا سيدي فاننا كنا نسمعهما في بعض الاوقات يتجادلان بحدة فيما يتعلق ببعض اعمال البورصة

ــ ربما كان ذلك لان الفقيد كان يجازف بماله

ــ كلا بل كان الجدال يسود كلما أفلح الموسيو كاستنيه في عمل وعاد عليه بربح عظيم

ــ هل الموسيو موريسون صاحب ثروة ؟

ــ كلا فانه ما كان يكسب سوى ما عين له من المعاش هنا

ــ ألم يشركه صديقه في بعض مضارباته في البورصة

ــ كلا فان المرحوم كان منصفاً في معاملاته لمستخدميه لكنه كان بعيداً عن الكرم فلا يعطي احداً الا استحقاقاته واوكد لحضرتكم اذ ليس للموسيو

موريسون اقل ثروة وان ابنته كانت تعلّم الموسيقى في بعض البيوت لتزيد دخل والدها .

ـ ألا تظن ان للمسيو موريسون شأناً في موت المسيو كاستنيه

ـ حاشا لله . . . ان موريسون مثال الاخلاص والامانة . . . ولعل الحزن أثر به فمنعه عن الحضور اليوم

ـ انا ارسلنا في طلبه وسنتأكد سبب غيابه

ودعي الخادم المختصّ بادخال زائري الفقيد وكان رجلاً فاضلاً على صدره وسام العسكرية وقد قضى عدة سنين في خدمة سيده فامره القاضي بالجلوس على كرسي امامهُ وسأله :

ـ هل كان في الذين جاؤوا لزيارة سيدك البارحة من تنبهت اليه افكارك بنوع خاصّ

ـ كلاَّ يا سيدي . . . ويمكن ان نعرف اسماء الزائرين لاني كنت اطلب من كلٍّ بطاقته او اكتب اسمه على ورقة واقدمها للمسيو كاستنيه وكان سيدي يمزّق الاوراق والبطاقات عند انتهاء الزيارات ويرميها في السل او في الموقد فاذا كان الموقد لم يشعل البارحة سهل وجود الاوراق وقراءة اسماء من حضروا البارحة الى هنا

ـ الا تذكر من كان آخر الداخلين على سيدك

فارتعش الخادم عند هذا الكلام وقال : حسناً فعلتَ يا سيدي بطرحك هذا السؤَال عليَّ . فاني اذكر ان آخر الزائرين كان رجلاً حسن الهندام طويل القامة رقيق الجسم غير ان دلائل القوة كانت بادية عليه والمذكور جميل الطلعة وله عينان لامعتان ويظهر من مجمل هيئتهِ انه عسكري

في لباس ملكي . واظن انه كان يحمل على صدره شريطة حمراء وكان اسمر اللون ولكنها سمرة سببها حرارة الشمس وليست خلقة فيه ... ولما سألته ان يكتب اسمه على ورقة اجابني لا حاجة الى ذلك لانه كان يلبس قفازاً في يديه ودفع اليّ بطاقته

— اقرأت الاسم الذي على البطاقة

— كلاّ

— وهل اعطيت سيدك البطاقة

— نعم قدمتها له على صينية كما هي العادة ثم انتظرت جوابه لان موعد الزيارات كان قد انتهى وكان الموسيو كاستنيه يحادث زائراً ولما قرأ البطاقة قال فرحاً « أهو هنا ... قل له ان يتكرم بالانتظار دقيقة واحدة »

— وبعد ذلك

— ولما سمع الزائر الذي كان مع سيدي ما قاله لي نهض وسمعت الموسيو كاستنيه يقول له « القادم هو ابن احد اصدقائي الاعزاء وهو آتٍ من بلاد بعيدة ولم أرهُ منذ عهد بعيد فاعذرني . . . وعُد غداً »

— وما جرى بعد ذلك

— نقلت الى الزائر جواب سيدي فقال لي اشكرك وها انا بالانتظار فخرجت وعدت الى الاهتمام بما يتعلق بي من وزن الرسائل قبل سفر البوسطة

— اذاً لم تُدخل الزائر بنفسك كما هي العادة

— كلاّ لان سيدي لم يقرع الجرس لطلبي بل نهض وفتح الباب بنفسه وادخل الرجل الى مكتبه

— ألم تسمع شيئاً بعد دخول الرجل

ـ كلاّ فانه خرج بعد مضي ربع ساعة تقريباً ولكني استغربت عدم خروجه من باب المكتب الذي يؤدّي الى السلالم مباشرةً كما يفعل جميع الزائرون الذين يشيعهم سيدي

ـ اذاً من اين خرج

ـ خرج من غرفة الانتظار كأن سيدي لم يشيعهُ وكأنه لا يعرف غير هذا المخرج

ـ ألم تلاحظ فيه شيئاً غير اعتيادي

ـ كلاّ فانه مرَّ من امامي فوقفت اكراماً له فوضع يده على طرف قبعته كما يفعل الضباط في ردّهم السلام على الجندي

ـ وهل كان القفاز باقياً في يديه

ـ نعم

ـ هل انتبهت الى نوع حذائهِ

ـ نعم فانه كان من الجلد اللماع

ـ انصرف ومتى جاءَ المسيو موريسون اعلمنا بحضوره

ولما خرج الخادم قال مارتين نوما : ان بين يدينا اسم القاتل لاني حفظت معي ثلاث قطع من بطاقات الزيارة واربع قطع ايضاً من الاوراق التي عليها اسماء الزائرين فلم يبقَ علينا سوى ان نجد بين هذه الاسماء اسم الشاب الاسمر

فقال القاضي هذا لغزٌ ...

فاجاب نوما ـ نعم ولكن يجب حلَّه

الفصل الثاني

أسرقة أم انتقام ؟

دخل الخادم واعلم اهل القضاء بحضور صراف البنك الموسيو موريسون فأمر القاضي بأن يدخل ولما مثل امام الحاضرين رأوه شيخاً كلله الشعر الابيض محني الظهر وعلى وجهه من الحزن والكآبة ما يفطر القلوب وعلى جانبيهِ اثنان من أنفار البوليس السري وكان يستند الى ذراع احدهما وجلس على الكرسي امام القاضي فقال له هذا : نرجو منك المعذرة اذا طلبنا حضورك وانت على هذه الحالة غير اننا في حاجة ماسة الى سؤالك

— انا رهن امركم واعتذر لعدم حضوري باكراً فان هناك سبب اخرني وهو ان مصيبة حلت عندي بعد ان زار الموت هذا البيت

— هل حدثت جريمة في بيتك ايضاً يا مسيو موريسون . . .

— كلاَّ يا سيدي ليس من جرم هناك . . . بل كان لي ابنة وحيدة اسمها بلانش وهي كنزي الوحيد وعزائي في شيخوختي ففقدتها . . . فاني بعد ان وجدنا جثة المسيو كاستنيه اسرعت الى البيت لتهدئة بال امرأتي فوجدتها قلقة لان ابنتنا التي هي مثال الفضيلة والادب لم تكن قد عادت مع ان ميعاد حضورها كان قد فات فقلقتُ ايضاً وظننت ان مصاباً جديداً سيحل بي وتبادر الى ذهني ما يحيط من الخطر بالفتاة الجميلة في باريس فاسرعت الى بيوت جميع اصدقائي اسألهم عن ابنتي فلم اقف لها على خبر في ذلك اليوم حتى ولا من تلاميذها الذين تلقنهم فن الموسيقى فاعلمت القسم بذلك وعدت الى بيتي فوجدت امرأتي وبيدها رسالة

دفعتها اليّ قائلة : اقرأ هذا فتعلم سبب تغيُّب بلانش فسررت لوصول الرسالة اذ تأكدت ان ابنتي حيّة ولكن حزني وألمي ازدادا لما قرأت انها كاتبة تعلمني انها حامل وقد سافرت مع حبيبها . . . وانهما ابتعدا عنا لكي لا نخجلّ مما فعلا . فأغمي على امرأتي ولما ارسلتم في طلبي كنت اعتني بها

— انّا نشاركك في حزنك المزدوج يا مسيو موريسون ونعلم انه ليس من كلام يخفف ألم هذا الجرح . . . غير انا في حاجة الى مساعدتك ولا يسعنا اهمالها وانت رجل حرّ فاضل . . .

— سمعاً وطاعة ولكني ارجو المعذرة اذا بكيت فيما لو غلب عليّ حزني فمنعني من الجواب حالاً

— ان وجودك هنا لا يطول وما نطلبه منك هو افادتنا هل تلقي الشبهة على شخص ما فانك كنت عالماً كل العلم باحوال الميت خصوصية كانت ام عمومية مطلعاً على اسراره وعلاقاته عارفاً اصدقاءه من مبغضيه وحساده وعليه أفلا يمكنك ان تقدّر من يكون القاتل . . . اما من شيء يدلك ولو دلالة بسيطة . . .

— لا شكّ ان من يصل الى غنى المسيو كاستنيه يكون له حساد ومبغضون عديدون غير اني لا ارى فيهم من يبلغ به بغضه الى حدّ يرتكب معه هذا الجرم الفظيع

— تذكر جيداً لعلك تهتدي

— لا فائدة من تذكري

— ولكن إذا نظرت الى ماضي المسيو كاستنيه . . . الى ايام شبابه . . . ألا ترى هناك ما ينبه افكارك . . .

ولما سمع المسيو موريسون هذا السؤال رفع راسه وقال للقاضي :

ـ وما الذي تعنيه

ـ انا اسألك سؤالاً بسيطاً لم أعني به شيئاً مخصوصاً ... ألم يحدث في ابتداء تأسيس المحل ان كاستنيه ربح في المضاربات أو حصر صنفاً ما الخ .. مما أضر بشخص ما فعدّ عمل الفقيد ذنباً وجاء دامس يناقشه الحساب

فنظر المسيو موريسون الى القاضي ثم الى رئيس البوليس مؤملاً ان يفهم معنى هذا السؤال وما الذي دعا الى التنقيب في الماضي وتردّد ثم قال : لا علم لي بمثل هذا الامر منذ وجودي هنا اي منذ تأسيس المحل ... فعليكم بالدفاتر الخصوصية فترون صدق كلامي ... اني عارف كل الذين لهم علاقة بالمسيو كاستنيه ولا اشك في احد منهم

ـ اذا كنا لا ننسب القتل الى داعي البغض بناء على شهادتك فلا بد من اسناده الى عامل السرقة

ـ اني اجهل سبب قتل الموسيو كاستنيه

ـ ان التثبت من السرقة امر سهل وانت عالم بما في صندوق الفقيد

ـ كل العلم لاننا نضع فيه كل ما لا يمكننا ارساله الى البنك كما ان فيه السندات . وكان الموسيو كاستنيه يحمل مفتاحه ومعي انا ايضاً مفتاح آخر ولي اطلاع على مجموع الاحرف التي يفتح بها

ـ تكرم اذاً بالذهاب معنا الى مكتب الميت لنرى هل ناقص من الصندوق شيء

فساروا الى المكتب الخاص وهناك قال الموسيو موريسون اني اذكر تماماً ما كان في هذا الصندوق وهو اربع مائة الف فرنك واخذ

المفتاح من جيبهِ ليفتح به فتقدّم مارتين نوما وقال : يسمح لي حضرة القاضي ان اسأل الموسيو موريسون هل لاحد غيره والفقيد معرفة بكلمة فتح الصندوق فأجاب موريسون : كلاَّ

— اذاً انظر وقل لنا اذا كانت الكلمة موجودة في محلها

فأدخل موريسون المفتاح وقال للحال : ان الكلمة غير موضوعة كالمادة وباب الخزينة مردود رداً بسيطاً

فقال القاضي : اقفل الباب بواسطة الاحرف بدون ان نرى عملك

فرتب موريسون الاحرف وقال : قد اقفلت الباب

وكان مارتين نوما قد ولّى الصندوق ظهره كي لا يرى عمل موريسون فلما اعلن هذا انه قد اقفل الباب تقدم صديقي ونظر الى احرف القفل ثم قال : ان الكلمة السرية المصطلح عليها للقفل هي :

ي . م . ا . ر . ٩٠ .

فصاح امين الصندوق صدقت . ولكن كيف عرفت هذا

— ان سرّ الاحرف لا يعتقده الاّ الصغار . . . انظر فان في رأس الصندوق مربعاً فيه عشرة اعداد من واحد الى صفر ومربع آخر فيه عشرة احرف خمس صوتية وخمس غير صوتية . . ثم اني أؤكد ان المسيو كاستنيه كان يغير كلمة القفل في كل شهر

— نعم

— ونحن الآن في شهر سبتمبر اي التاسع من السنة وعليه نرى العدد ٩ وما كان الميت يستعمل كل الاحرف بل اربعة منها فقط والاحرف الاربعة التي اصطلح على استعمالها منذ زمن طويل هي . ر . ا . م . ي

ــ صدقت

ــ وهذه الاحرف قد صقلت صفيحة النحاس بتكرار مرورها عليها فاصبحت لامعة ومن الاحرف يركب اسم ابنته المحبوبة ايرما . . . هذا كل ما لاحظته . . . اما الآن فيمكنك يا مسيو موريسون ان تفتح الباب تماماً فتتأكد ان اوراق البنك التي كانت فيه غير موجودة لاني اعتقد انها قد سرقت

ففتح المسيو موريسون الخزنة فلم يجد شيئاً داخلها فاصابته الدهشة وقال الحاضرون : لاشك ان السرقة هي سبب القتل

اما مارتين نوما فلبث صامتاً . . وأقفل الصندوق . . فانصرف موريسون بعد الاستئذان ليعزّي امرأة الميت وابنتها وبقي أهل القضاء يتباحثون في ما يتعلق بالتحقيق الذي أجروه فقال كابستين القاضي : ان مجمل التحقيق يدلّ على ان القاتل هو ذلك الشاب الاسمر اللون الذي كان آخر زائري الميت وآخر الخارجين من عنده

فاجابه مارتين نوما : احذر يا حضرة القاضي مما قلت فهو تسرُّع شديد يوقعك في خطأ الحكم

ــ قلت يظهر ان الرجل مجرم ولم اجزم بذلك

ــ ولكن فاتنا امر ذو اهميه عظيمة وهو وجود باب ثالث لهذا المكتب يؤدي الى مسكن المسيو كاستنيه . . ألا يمكن ان يكون القاتل قد دخل ثم خرج من هذا الباب

فتبادل القاضي والمسيو راماره رئيس البوليس النظرات وكان فحواها ان قول مارتين نوما صحيح غير ان ما قاله يغير مجرى الامور ويجعل للشكوى أهمية عظيمة جداً اذ لا يمكن لاحد ما الدخول من ذلك الباب بدون ان

يمرّ في غرف أهل الفقيد وعليه فيكون القاتل قريباً اوصديقاً او من الخدم لا من زبائن المحل فقال القاضي لنتابع تحقيقنا . . .

ثم ارسل يقول لامرأة الميت وابنتها حنة هل تمكنها الاجابة على بعض الاسئلة فاجابتا بالإيجاب فصعد الجميع الى الطابق الاعلى حيث كانت تسكن عائلة كاستنيه ودخلوا غرفة كانت حنة والمركيز ينتظرانهم فيها ومعهما المسيو موريسون الذي اشتهر بمحبته لحنة محبة الوالد للولد

الفصل الثاني

« الشكوى »

ولما دخل أهل القضاء قالت حنة ان والدتي تسألكم المعذرة فان ألمها وحزنها يمنعانها عن الحضور فضلاً عن انه لا فائدة لشهادتها وانا انوب عنها في تأدية الشهادة لانها لا علم لها بما حدث قبل ان بلغها خبر موت والدي وشقيقتي وانا وحدي بامكاني افادتكم عما تطلبون معرفته لاني لم افارق البيت بعد الظهر وكنت طول ذلك الوقت مع شقيقتي ولم نفترق الاّ حينما نزلت الى مكتب والدي . . . وانا اول شخص دخل المكتب ورأى ذلك المنظر الذي يقطع كبدي وناديت مستنجدة

واستغرقت الفتاة في البكاء فقال القاضي : سأجتهد ايتها الآنسة بان اوفق بين واجباتي واحساساتي نحوك فاعفيك من وصف ما جرى وما رأيتِ حين دخلتِ مكتب والدك وانما ارجو منك ان توضحي لنا بتدقيق كل ما حدث في بيتكم بعد ظهر البارح . . . فتكرمي بافادتي عما فعلتِه بعد غداء الظهر

— شربنا القهوة في اوضة التدخين كما هي العادة ثم ذهب والدي الى مكتبه ودخلت والدتي غرفتها اما شقيقتي وانا فلهونا باللعب على البيانو ثم صعدنا الى غرفنا فاصلحنا هندامنا استعداداً للذهاب الى الاوبرا مساءً مع والدتي . . وكان في عزم المسيو دي سنتوشي خطيب شقيقتي المنكودة الحظ ان يصحبنا الى الاوبرا

فقال المركيز نعم يا حضرة القاضي ان ما قالته الآنسة حنة حقيقي فاني جئت الى هنا كما كنا قد اتفقنا فوجدت الجميع ينوحون ويبكون

وبكى المركيز دي سنتوشي وكان حزنه عظيماً مؤثراً

وعادت الآنسة حنة الى الكلام فقالت: وجاءت الساعة التي كنا ننتظر فيها حضور المركيز ولم يحضر وقلقت شقيقتي لتأخره لانها كانت تحبه شديداً

— وأسفي عليها . . . غير ان حب ايرما لي جعلها ترى الوقت طويلاً فظنت اني تأخرت عن الموعد مع اني جئت في الساعة المعينة بدون ادنى تأخر . . .فوجدتكم في تلك الحالة المحزنة

— ربما كان ذلك فانه لا يمكنني تحقق شيء اذ نسيت في تلك الاحوال كل تقدير . . ولكن شقيقتي احبت ان ترى خطيبها في اقرب وقت ممكن واذ كانت تظن امكان تعريجه على مكتب والدي . . .

فصاح المركيز ولاي سبب تراني اعرج عليه

— قد سبق لك ذلك مرات عديدة

— صدقتِ فاني صادفت مرتين او ثلاثاً المسيو كاستنيه في اثناء صعودي الى هنا فاخذني الى مكتبه حيث كنا نتحدث بامر زواجي والمستقبل

السعيد الذي كان ينتظرني انا وحبيبتي ايرما غير ان ذلك الاتفاق كان نادراً . . . وهو لم يحدث امس لسؤ الحظ

وسكت الجميع حتى لم بعد يسمع سوى صوت بكاء المركيز ثم عاد القاضي فقال للآنسة حنة : وما حدث بعد ذلك

ـ بعد ذلك . . اني ذكرت لكم كل شيء . . . فان شقيقتي نزلت الى مكتب والدي ولما تأخرت هناك نزلت لأرى سبب ذلك التأخر ودخلت مقطبة حاجبيَّ لاظهر اني غضبى من تأخرها فرأيت والدي مكباً على مكتبه وشقيقتي ميتة على المقعد ولم ادرك شيئاً في بادئ الامر فناديت : والدي ! . . ايرما ! . . . فلم يجيباني ولا ادري كيف لم امت انا ايضاً حينما تجلّت لي الحقيقة المذعرة . . .

وأثر الحزن بحنة فمالت الى الارض فأخذها الموسيو موريسون بين ذراعيه يعزّيها ويشاركها في البكاء

ثم سأل القاضي حنة قائلاً : ألم يأتِ احد قط الى هنا غير المركيز دي سنتوشي

ـ كلاّ

ـ اما زار احد والدتك

ـ لم يكن أمس يوم استقبال والدتي فلم يأتِها احد

ـ ألم ترينَ أنتِ أو أمك أو شقيقتك احداً

ـ بلى رأينا شخصاً

ـ لماذا لم تقولي لنا ذلك

ـ لان ذلك الشخص جاء الى بيته

ـ ومن هو

ـ هو أخي ...

فصاح القاضي مبغوتاً : اخوك ...

ـ نعم شارل أخي

فارتعش الموسيو موريسون وقال : أجاء شارل امس الى هنا ... الى والدك

ـ نعم جاء الى هنا ولا ادري هل زار والدي في مكتبه أم لا وانما جاء ليراني انا وشقيقتي ايرما

ـ تذكري جيداً يا ولديّ هل جاء شارل الى هنا البارحة حقيقةً أم انتِ واهمة ؟

ـ بل جاء امس حقيقة ولا يمكني ان أغلط بيوم مجيئه لانه قد اثنى على اتقان هندامنا وتناول الشاي معنا

فقال موريسون بالحاح : هذا مستحيل ... واني اؤكد انكِ مخطئة ... وانك لم تري اخاكِ امس ... لم تريه امس

فقطع القاضي عليه الكلام قائلاً : ارجو منك يا موسيو موريسون ان تدع الآنسة حنة تتكلم بحرّية ... ثم التفت الى الفتاة قائلاً : ان استغراب المسيو موريسون من حضور اخيك ايتها الآنسة يدلنا على انه ما كان يأتي الى هنا الاّ نادراً . . . ولعله لم يكن يسكن معكم

ـ كلاّ يا سيدي فانه يسكن وحده منذ سنوات

ـ ولكن لم يكن جفاء بينه وبين والدك على ما اظن

فترددت حنة عن الجواب فقال موريسون نعم لم يكن بين شارل

ووالديه جفاء . ومع ان الشاب ذكي ذو حمية فهو بالوقت نفسه نزق مستبد بافكاره يحب الحرية لذلك لم يكن بامكانه ان يذعن دائماً لاوامر المسيو كاستنيه لانه كان قاسياً في معاملته . . . وشارل يحب والدته وشقيقتيه ويجلّ ويحترم والده كثيراً ويأسف لعدم تمكنه من الاذعان لمطالبه

ـ اذاً لم يحدث قط بينهُ وبين والده أمر مهم ونزاع شديد

ـ بل حدث ذلك وهذه الامور يكثر وقوعها اذا كان الاب غنياً ممسكاً كالمسيو كاستنيه والولد مسرفاً كشارل . . .

وساد السكوت فسمع صرير اقلام الكتاب الذين كانوا يدونون الاسئلة واجوبتها وادرك الجميع ان لما قيل خطارة عظيمة ولبث القاضي يفكر ثم قال لموريسون : اني اشكرك على افادتك . . . اما مجيء اخيك امس ايتها الانسة فليس الاّ من قبيل الصدف أوَلم تلاحظي في هيأته وملابسه وكلامه شيئاً غير اعتيادي

ـ كلاّ فان شارل زار والدتي قبل ان يأتي الى حيث كنت وشقيقتي وكان على وجهه علامة الكآبه وهذا الحزن كان مستولياً عليه منذ مدة بعيدة وقد سمعنا والدي يقول لوالدتي ان شارل في حاجة الى النقود

فصاح موريسون يا حنة ... ياحنة

فأشار اليه القاضي ان يصمت ولا يقطع على الفتاة حديثها فتابعت حنة كلامها قائلة : وقد قال لنا أخي شارل انه في حالة اليأس لانه حدث لهُ امر يجعله في غاية الضيق والعوَز وانه محتاج الى تدارك الامر والاّ حل به مصاب عظيم ... ولما سمعنا انا واختي حديثه قالت له ايرما انها ستفاتح والدنا في امره وانها تؤمل انه يوم قرانها يجيب طلبها ويعطيه ما يطلبه

فقال المركيز : آه ما كان اطيب قلب ايرما ... وقد نويت انا ايضاً ان اتوسط لشارل عند والده . فسأل القاضي : ألم يبدأ بل اخيك من وراء كلام شقيقته

ـ كلاً بل اجاب ان ليس بامكانه الانتظار لان شرفه مهدد بسبب فراغ يده من المال

وكان موريسون يرتعد مما تقوله حنة وهي لم تلاحظ اشارته اليها بأن تسكت بل غلبت عليها سذاجتها وقلة اختبارها في امور الدنيا فتابعت حديثها بقولها : وتشكر شارل لشقيقتي رقة عواطفها غير انه اظهر احتياجه الى الحصول على ما يطلبه سريعاً وقال لنا انه ذاهب الى والدنا فان لم يلب طلبه حصل ما لا تحمد عقباه

ولما سمع موريسون هذه الكلمات الاخيرة صاح : حنة ايتها الفتاة التعسة اصمتي فانك بكلامك هذا تتهمين اخاكِ

فاجابته وبمَ اتهمه يا سيدي

ـ انكِ تلقي عليه الشبهة في قتل والدك وشقيقتك . . .

ـ أاشكو شارل واتهمه بهذا العمل الفظيع . . أهذا هو الفكر الذي طرأ عليك . . . كيف يمكن شارل اخي ان يكون قاتلاً . . . لا لا ان هذا غير معقول

ـ ان كل كلمة من حديثك برهان على اتهامه . . . فقد عرف الجميع ان خزينة والدك قد سرقت وكان ينقصهم معرفة اسم السارق وقد ذكرته لهم الآن نعم ذكرت اسم السارق والقاتل

ـ كيف ذلك

ـ ألم تدركي ان نتيجة حديثك هي ان شارل هو القاتل . . . هذه هي خلاصة كلامك . . . افهمتِ كيف اتهمتِ اخاك بدون ان تقصدي اتهامه

فاصفرّ وجه الفتاة وأخذت ترتعد ثم نهضت بسرعة وتقدمت الى امام القاضي وقالت : سيدي ان كل ما قلته كذب وبهتان فان اخي اخي شارل لم يجيء الى هنا امس بل كان ذلك وهماً . . . لا لا ان شارل بعيد عن ارتكاب مثل هذا الجرم . . . ان شارل لم يقتل شقيقتي ايرما . . لم يقتل والدي . . . ليس شارل باصٍ ولا قاتل . . . وغاب التأثير والانفعال على حنة فاغمي عليها ومالت الى الارض فحملها مارتين نوما بين ذراعيه

الفصل الرابع

« ماضي شارل كاستنيه »

وحمل مارتين نوما الفتاة وسأل المركيز ان يدله على الطريق المؤدي الى غرفتها فسار المركيز امامه واراد المسيو موريسون ان يلحق بهم فامره القاضي بالبقاء وبعد ان ساد السكوت مدة طويلة وكلٌّ يتأمل بما حدث لحنة قال موريسون : اعلم يا حضرة القاضي ان شارل كاستنيه مع ما يخيل من حديث حنه ابعد الناس عن ارتكاب الجرائم ولا عيب فيه الا ما هو من ضروريات من كان مثله غنياً لا شغل يشغله فهو مغرم باللعب وركوب الخيل وغير ذلك مما يميل اليه الشبان . . . لكنه كريم النفس طيب السريرة وأنا اعرفه منذ ولادته واوكد لكم انه بعيد عن كل عمل شائن وهو وان كان مديوناً وفي حاجة كلية الى الدراهم اجلُّ من ان يسعى الى الحصول عليها بواسطة السرقة . . . ثم . . .

هنا دخل مارتين نوما فقال قاطعاً حديث موريسون : عفواً فاني اود ان اعرف منك هذا الامر... ألم يحدث امر مكدر كان لشارل دخل فيه وهو في التاسعة عشرة من عمره

فاجاب موريسون : اي حادث تعني فاني لا افهم ما تقصد

- اسمح لي اذاً ان اذكرك يا سيدي... ان صداقتك وولاءك لآل كاستنيه انساك الامر الذي اعنيه... اما انا فاذكر انه في احد الايام افتقدت عقيلة كاستنيه قطعة ثمينة من حليها فلم تجدها فشكا زوجها الامر الى ادارة البوليس ولاشك في ان المسيو راماره يذكر ذلك اذ انه كلفني بالتفتيش عن تلك الحلية الثمينة فوجدتها عند رجل كان ينوي ارسالها الى انكلترا وبيعها هناك... واعترف الرجل انه اشتراها من المسيو شارل فشارل سارق الحلية هو الذي تحاول اليوم نفي تهمة السرقة الجديدة عنه يا موسيو موريسون

- ان ما ذكرته كان في سورة الصبي ليس فيه ما يثبت ان شارل ارتكب الجرم الفظيع الذي نحن في صدده

فقال المركيز دي سنوشي : اني من رأي الموسيو موريسون ويجب التفتيش عن القاتل في غير هذا البيت

فانحنى مارتين نوما امام المركيز ثم تقدم الى رئيس البوليس واسرّ اليه بعض كلمات فقال راماره للمركيز : يا حضرة المركيز ليس من حاجة الى بقائك هنا والاولى بك ان تذهب وتعزي عقيلة كاستنيه وابنته فانهما في حاجة الى العزاء

- لكنني ارى ان في بقائي فائدة عظيمة اذ اني الوحيد الذي يمكنه ان

يجيبكم على ما تحبون الاستفهام عنه

ـ سندعوك متى احتجنا اليك يا سيدي ... ولا نرغب الآن في ان نقيدك معنا

ـ ان كل عسير يهون عندي في السعي وراء معرفة القاتل

ـ لا شك عندنا في ذلك ... وسنطلب آراءك كلما احتجنا اليها .. اما الآن فوجودك بالقرب من السيدات الحزينات افضل

نخرج المركيز مضطرًا وتكلم راماره رئيس البوليس بصوت منخفض مع القاضي فقال هذا :

ـ ان ما قالته الآنسة حنة كاستنيه يضطرنا الى معاودة الحديث عن الخزينة يا موسيو موريسون ... ولعلنا نعثر على ما يبرهن لنا براءة شارل كاستنيه ... وقد اهملنا في تحقيقنا الاول بعض امور ارى الآن من الضرورة ان نعيرها جانب الالتفات فاصغ اليَّ بانتباه .. قلت لنا ان الموسيو كاستنيه كان يعلمك كلما أخذ شيئاً من الدراهم التي في الخزينة لتقيده في الدفاتر أو يكتب به مفكرةً يدفعها لك عند انتهاء عمله

ـ نعم كان ذلك

ـ لربما اعطى الوالد ابنه ما كان يطلبه من المال وعليه فيكون قد كتب مقداره على ورقة أو مفكرة ليطلعك عليها

ـ ربما كان ذلك ... فان الفقيد كان جارياً على هذه الخطة دائماً

ـ يجب اذن ان ننزل الى المكتب فان وجدنا ما ذكرته زال قسم كبير من التهمة الواقعة على الموسيو شارل وانت عالم بحركات الميت وسكناته فلعلك تجد المفكرة

فنزل الجميع الى مكتب الموسيو كاستنيه واخذ موريسون يفتش بين الاوراق والدفاتر اما مارتين نوما فعاد الى السلّ الذي كان يرمي فيه القتيل اوراقه الغير محتاج اليها وفحصها واحدة واحدة

ولم يجد موريسون اثراً لما كان يفتش عنه فقال : اني لم افلح

فقال القاضي : ان التهمة باقية على ما هي اذاً

فوقع موريسون على كرسي وقال باكياً

ـ اني اقسم لكم . . . آه ما انكد حظه . . .

فتقدم اليه مارتين نوما وسأله قائلاً : يا موسيو موريسون اتظن ان المسيو كاستنيه لاسباب تعلمها او تخمنها . اضطر البارحة الى حل رباط احدى رزم الاوراق المالية للتصرُّف ببعضها . . هل دفع مبلغاً ما لاحد .

ـ كلاَّ يا سيدي لا علم لي بشيء مما ذكرت فان المال الذي كان في الخزينة لم يُمس وكل النفقات دفعت من الصندوق الذي في عهدتي ـ

فاخذ مارتين نوما قطعة من المطاط بشكل الخيط وقال لموريسون وهل تعلم ما هذه

ـ نعم هي سوار من المطاط نستعملة لضم لفات الاوراق المالية بعضها الى بعض وعلى قدر ما يمكني الحكم به الآن اقرّ بانها تشبه الاسورة التي ربطت بها الاوراق المسروقة امس

فقال مارتين نوما : وعليه فانا أؤكد ان المسيو كاستنيه قد احتاج الى بعض تلك الاوراق وانهُ حلها بجدَّة فقطع السوار ورماه في سل الاوراق حيث وجدته الآن مع بعض قطع بطاقات الزائرين الذين جاؤوا الى هنا امس . . . وقد وجدت هذا السوار المقطوع تحت الاوراق التجارية واوراق

اسمار البورصة التي لا تمزّق وترمى الآ بعد اقفال البورصة واستنتج من ذلك ان الموسيو كاستنيه قد قابل بعض الناس واشتغل بالكتابة بعد ان رمى السوار في السلّ ولم يرمه فيه احد غيره لان الغريب أو السارق يضطر لاجل رميه في السل الى الانحناء تحت الطاولة ورفع الاوراق ليضع تحتها هذا المطاط ولا يخفى على احد انه ليس لذلك من داع عند السارق فلا يضيع وقته بمثل هذا التأني التافه وخلاصة تحقيقي هي أن كاستنيه نفسه قطع هذا السوار في ساعة من الحنق . . . ويثبت حنقه كون السوار جديداً متيناً لا يقطع بسهولة . . . . وانه تابع الشغل فرمى فوقه الاوراق التجارية وتلغرافات البورصة . . . .

فسأل القاضي : وما الذي تستنتجه نهائياً

— اني استنتج ان الموسيو كاستنيه استعمل الاوراق المالية مع انه كان في غنى عنها لان كل شيء كان يصرف من الصندوق كما قال الموسيو موريسون. فيكون عمله لامرٍ خصوصي خارج عن اعمال المحل . . عمل طارئ غير منتظر يتعلق بعائلته . . . . وارى ان الميت دفع بسرعة بعض الاوراق المالية الى رجل لم يكن بانتظاره . . . الى رجل معرفته به تامة الى حد انه لم يطلب منه وصلاً بالقيمة .... الى رجل لا يمكنه ان ينساه بدليل انه لم ياخذ مفكرة بتلك القيمة ليسلمها فيما بعد الى الموسيو موريسون . ورأيي النهائي هو أن الموسيو كاستنيه اخذ بعض الاوراق المالية من صندوقه الخاص وان الرجل الذي استلم الاوراق بهذه الطريقة الغير المعتادة والمنافية لاصول التجارة انما هو ابنه شارل . . .

فهتف موريسون : اذاً هذا برهان على براءة شارل

— لاشك في ذلك اذا تمكن من ان يبرهن لنا ويقنعنا ان والده دفع له هذه الاوراق المالية

فسأل القاضي موريسون : ألك علم بان شارل كاستنيه كان في حاجة الى المال في المدة الاخيرة

— نعم فانه كان قد خسر مبلغاً عظيماً ورفض والده ان يدفعه عنه وانا اقول لكم الآن الحقيقة بكاملها بدون ان اخفي شيئاً ما اذ ثبتت براءة شارل . . . وقد جاء بعض مداينيه الى والده

— كيف كان استقبال الموسيو كاستنيه لهم

— انه غضب واظهر النزق معلناً انه لا يدفع شيئاً من ديون ابنه وامرني بعدم الدفع أيضاً

— اذاً ربما يكون قد عدل عن فكره هذا فيما بعد

— لاشك في ذلك فانه كان طيب القلب واظن ان امرأته وابنتيه سألنه ان لا يرفض طلب شارل فرضي بذلك ولما جاء ابنه امس اعطاه طلبه . . . هذا الذي يجب ان يكون قد حدث . . . اني اؤكد لكم ذلك

— ان تأكد ذلك سهل

— وكيف يكون ؟

— بسؤال شارل

فصاح موريسون مرتعداً : اتنوون سؤاله

— هذا من اهم الامور ولا مندوحة لنا عنه . . . واني لاستغرب غيابه في مثل هذه الساعة مع ان اهم واجباته هو أن يكون بالقرب من والدته وشقيقته امام جثتي والده وشقيقته الثانية التعسة . . . ولو كان هنا لما خطر

لاحد ان يشك فيه

— ليس بامكانه أن يكون هنا

— ولماذا

— لانه سافر البارحة

فصاح الحضور : سافر ... سافر ...

وقال القاضي : كيف عرفت ذلك

— ذكرت لي ذلك ابنتي بلانش ... في كتابها الاخير

— ولكن كيف ولاي سبب علمت ابنتك بسفر الموسيو شارل

— آه يا سيدى ... ان ابنتي تهوى شارل منذ زمن مديد ...وقد سافرت معه ...

الفصل الخامس

« الساعة المحزنة »

لما قال موريسون ما تقدم وقع منتحبا على كرسي يندب سوء حظه فشفق الجميع عليه وعزّوه على مصابه ثم ساروا به الى حيث كانت عقيلة كاستنيه

وعاد اهل القضاء الى التحقيق فسألوا مستخدمي البنك ثم خدم البيت فلم يكن في اجوبتهم ما هو جري بالاهتمام سوى جواب الخادم المختص بغرفة الميت فانه دلّ على ما دلت عليه شهادة حنة كاستنيه واثبت للقاضي ان القتل وقع ما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء فان الخادم فتح لشارل في الساعة الخامسة الباب المؤدي من منزل الموسيو كاستنيه الى

مكتبه . اقر الخادم بذلك وهو يجهل ما قالته حنة وما للكلامه من الاهمية والخطارة وهذا الذي قال : فتحت الباب للموسيو شارل في الساعة الخامسة ورأيته مضطرباً وكان يمشي بخطى متسعة ورأسه منكس خلافاً لعادته ولما امسكت رداءه ليلبسه ادخل يده بعنفٍ فملق زرّ ردائه بالبطانة فغضب وشتمَ وكان من عادته ان يشكرني كلما قدمت له خدمة لاني اخدمه منذ خمس عشرة سنة وكثيراً ما كان يحدثني بما يتعلق بالخيل والسباق اما في تلك الليلة فلم ينطق بسوى الشتم وكان مسرعاً في الذهاب الى حدّ انه لم يتناول من يدي عصاه التي قدمتها له

فقال القاضي : ألم يأخذ عصاه

— كلاّ بل نزل السلم بسرعة شديدة وساءني ما كان عليه لشدة تعلقي به . . .

— ألم تتبعه حين خرج

— لا وانما ناديته وكان قد وصل الى منتصف السلم : خذ عصاك يا سيدي فقد نسيتها فاجابني « ابقها عندك فلا حاجة لي بها » فعدت الى شغلي بعد ان وضعت العصا في المحل المختص بها

— أهذا كل ما حدث

— نعم غير انه بعد مضي بضع دقائق سألتني الانسة هل ذهب اخوها الى والده فاجبتها بالايجاب

— ألم تقل شيئاً آخر

— بلى فانها قالت : مسكين شارل انه في عسر وغمّ . . . وها انا لاحقة به . . . عساي ان اتمكن من نفعه . . . ثم نزلت واقفلت الباب

وراءها وبينما انا اشتغل سمعت صياحاً . . . خارجاً من المكتب فبادرت الى المكان ومعي جميع الخدم ورأينا ذلك المنظر المخيف

— أهذا كل ما تعرفه

— نعم

فقال مارتين نوما للقاضي : ارجو منك التكرم بسؤاله هل كان شارل لابساً قفازه حين سار الى مكتب والده

فاجاب الخادم : كلاّ يا سيدي

وانصرف الخادم وقال القاضي : ان شهادة هذا الرجل تلقي الشبهة على شارل . اليس هذا رأيك يا نوما

— الله اعلم . . .

— ولكن ما قيل عن وجوده في حالة الغضب وخروجه بسرعة يدل على سوء النية

— ربما كان ذلك ... ولكننا نحتاج الى التروي في الامر

— ان رفضه اخذ العصا دليل عظيم عندي

— لماذا يا حضرة القاضي

— لان شارل فضل ان يبقى مطلق اليدين لا عائق يعوقهما وان لا يبقى بعد عمله ما ينمّ عليه نخشي ان يأخذ العصا وينساها هناك

— انه كان من الممكن ان تقع قبعته وقت العراك وينساها كما حدث لكثير من القتلة لكنهم الآن يأتون اعمالهم وهم عارو الرؤوس خوفاً من ان لا يمكنهم الوقت من لبس القبعات اذا وقعت ... واهم ما في شهادة الخادم هي الساعة التي خرج فيها شارل من البيت الى مكتب والده اي

الساعه خامسة ونصف ... وبموجب الشهادة التي تفيد انه سار مسرعاً يكون قد قطع المسافة في بضع دقائق ولا بد من ان يكون البواب قد رآه لانه لم يمرّ بالبنك كما ثبت من شهادة الكتاب والعمال وعليه فقد خرج من الباب الخصوصي الذي يؤدي الى هذا المكتب وهذا الباب مقفلٌ دائماً فلا بد من ان يكون الحاجب قد فتحه له ليخرج منه ...

ـ طبعاً

ـ اذاً يجب سؤال الحاجب في اي ساعة فتح الباب لشارل كاستنيه فاذا عرفنا الساعة تأكدنا دخول شارل مكتب والده الذي هو في منتصف السلم او عدم دخوله فان المكتب كما رأيتم واقع على مسافتين متعادلتين من البيت والباب الخارجي الخصوصي

فامر القاضي باحضار الحاجب فسأله هل رأيت الموسيو شارل ساعة خروجه

ـ نعم فاني فتحت له الباب بنفسي

ـ هل يمكنك تحديد الساعة التي خرج فيها

ـ نعم ذلك سهل فقد خرج في الساعة الخامسة ونصف ...

فتغامز الحضور غمزات معنوية مستغربين ما عدا مارتين نوما فانه لم يحول نظره عن النافذة كأنه لا علاقة له بما يجري

فعاد القاضي الى سؤال الحاجب : هل كان خروج الموسيو شارل قبلما سمعت الصياح بمدة طويلة

ـ ان المدة بين ساعة خروجه ووقت الصياح نصف ساعة

ـ وفي خلال نصف الساعة هذه ألم تفتح الباب لاحد

— بلى قد فتحته ...

— ولمن

— لحضرة المركيز دي سنتوشي

فصاح القاضي بدهشة : للموسيو دي سانتوتي

— نعم نعم للمركيز خطيب الانسة ايرما المنكودة الحظ

— أواثق انت بما تقول

— تمام الثقة يا سيدي

— اني اطلب منك التأكيد ثانية لان المركيز قال لنا انه لم يأتِ الى هنا الاَّ بعد الساعة السادسة اي بعد ان علم الجميع بما حدث

— لقد صدق المركيز فاني فتحت له الباب بينما كان جميع اهل البيت يعولون ويبكون و بعد ان علمنا جميعنا بقتل سيدي وابنته وكانت الساعة السابعة تقريباً

— كيف كيف ... هل فتحت الباب مرتين للمركيز

— نعم مرتين

— انبهك الى التدقيق والامعان في جوابك على سؤالي هذا : هل انت متأكد متيقن كل التأكد واليقين من انك فتحت الباب للمركيز دي سانتوشي مرتين

— اني اقسم بذلك ... وقد كنت موضع ثقة الموسيو كاستنيه فما كان يدخل عليه احد ايًّا كان بدون ان أراه

— اذاً يجب ان يكون المركيز قدخرج بعد دخوله اول مرة حتى فتحت له في المرة الثانية

ـ هذا ما أجهله

ـ هذا غير ممكن ... ولا بد من انك فتحت له الباب ليخرج

ـ اني لم افتح الباب ولم يخرج المركيز

ان ما تقوله مستحيل الحدوث اذ يلزم لمن يدخل مرتين من باب واحد ان يكون قد خرج منه مرّة

ـ قد قلت لكم ما فعلته واني اشهد امام القضاء فلا ازيد ولا انقص حرفاً على ما اعلمه ... وازيدكم علماً باني لما سمعت الصياح « يا للنجدة ... يا للقاتل » بادرت كما هو الواجب الى مساعدة الصائح ... ولحقت بي امرأتي

ـ اذاً بقي الباب في تلك الفترة بدون حارس

ـ بقي كذلك بضع ثوانٍ .. فضلاً عن انه كان مقفلاً ولا يمكن احداً دخول البيت

ـ ألم يكن الخروج بالامكان

ـ كلاً الاَّ اذا قام الذي ينوي الخروج مقامي وفتح الباب بيده

ـ اني اشكرك فانصرف

ولما خرج الحاجب لبث الجميع سكوتاً وبقي مارتين نوما ناظراً الى النافذة غير انه كان يبتسم ابتساماً خفيفاً وكان لشهادة الحاجب وقع شديد عقد الالسنة وحير العقول ولم يشأ احد ان يبدي في تلك الشهادة رأياً اخذ ينظر الى رفيقه طالباً منه ابداء رأيه وبعد قليل قال موسيو كابستين القاضي :

ـ يا عزيزي نوما ما رأيك فيما قاله البواب

السؤال الاول

اذكراً تلك بلانش موريسون أم أنثى

فاجاب مارتين نوما بحكره المعتاد : أانا من رأيت يا حضرة القاضي

— ليس لي رأي ثابت حتى الآن

— وانا كذلك . . .

— انك سمعت كل ما قيل

— وانت ايضاً . . . وانما سألت لتبت رأياً فانت السائق أقدر مني على استخلاص الحقائق وكشف المخبآت

— بربك يا نوما اني والموسيو راماوه في حيرة لم تخف عليك . . . فساعدنا في حل هذا المعمى

— فلنستخلص اذاً . . . ان شارل كاستنيه خرج من المنزل غاضباً وبدون ان يأخذ عصاه ولا قفازه وكان ذلك في الساعة الخامسة ونصف وفتح له الحاجب الباب بعد الساعة المذكورة بدقائق قليلة . . . فيجب علينا التأمل لنعلم هل كان هذا الوقت القليل الذي لايمكن تحديده يكفي ليدخل شارل كاستنيه مكتب والده فيسرقه ويقتله ثم ينتظر حضور شقيقته ايرما ليقتلها ايضاً

— نعم الرأي رأيك يا نوما

— ونرى من وجهة ثانية ان البواب يدعي انه فتح الباب اول مرة للمركيز دي سنتوشي في الساعة السادسة ثم مرة ثانية في الساعة السابعة فيجب أن نتحقق انه جاء مرةً . . . ثم خرج وانه عاد ثانية في الساعة السابعة اي بعد ان كان قد عرف جميع اهل المنزل بموت الموسيو كاستنيه وابنته . . .

فقال رئيس البوليس : لقد صدق فليذهب احدكم ويطلب من المركيز

الحضور الى هنا

ولما جاء المركيز قال له القاضي : نرجو منك ان تفيدنا بتدقيق عن الساعة التي عدت فيها الى هذا البيت

فارتعد المركيز قليلاً لكنه اجاب للحال : عفواً يا حضرة القاضي ... انك على ما فهمته تسألني في اي ساعة عدت الى هنا

ـ نعم

ـ يستدل من معنى العودة اني جئت البيت في مرة اولى

ـ بالطبع

ـ اذاً انت تظن اني جئت مرتين الى بيت الموسيو كاستنيه في يوم واحد ولذلك تفترض ايضاً اني جئت مرتين في الليل ... فانا اقول لك اني جئت في الساعة السابعة تقريباً وكان ذلك للمرة الوحيدة

ـ للمرة الوحيدة

ـ نعم فاني كنت قد اتفقت مع خطيبتي ان احضر الساعة الخامسة ونصف لتناول الشاي معها غير انه حصل لي ما اخّرني ولما وصلت وجدت الجميع في حالة تفتت الكبد وكان مصابي عظيماً بفقد حبيبتي ايرما ...

واخذ المركيز في البكاء والنحيب فقال القاضي : اذاً انت لم تحضر الى هنا الا الساعة السابعة

ـ نعم جئت في تلك الساعة لتناول العشاء قبل الذهاب الى الاوبرا

ـ لكن البواب يدعي انه فتح لك الباب مرة اولى الساعة السادسة

ـ لي أنا ... فتح الباب لي اول مرة ... الساعة السادسة ...

ـ نعم

ـ ان الرجل مخطئ واهم يا سيدي فانه لم يفتح لي الباب الساعة السادسة قط لاني ما جئت الا الساعة السابعة وما قاله مستحيل ... مستحيل تماماً

ـ ها انا احضره ليعيد كلامه امامك ... احضروا البواب

فتقدم مارتين نوما وقال : لا حاجة الى ذلك يا حضرة القاضي ... لا حاجة البتة

ـ بل أرى انه لا بدّ من حضوره لخطارة الامر

ـ الامر خطير كما تقول غير انه لا يسعنا الشك بكلام حضرة المركيز واعتقاد كلام البواب

فالتفت المركيز الى نوما وكان صديقي موجهاً نظره الى القاضي متظاهراً بعدم الاهتمام بشخص المركيز فقال هذا : ان البواب لم يفترِ قصداً وتعمداً بل هو واهم

فقال مارتين نوما : ان الغلط قريب الوقوع خصوصاً في مثل الظروف المحزنة المخيفة التي حدثت ...

ـ صدقت فانه اعتاد ان يراني قادماً في كل يوم الساعة الخامسة ونصف

ـ فلا شك انه ظن انك حضرت حسب المعتاد ... هذا ما اراه

ـ وعلى افتراض اني جئت الساعة السادسة فاين قضيت الساعة التي تفصلني عن السابعة لم يكن بامكاني الا الحضور الى مدام كاستنيه حيث كنت منتظراً ... لا ان اقضي ساعة من الوقت على السلم

ـ هذا شيء اكيد

ـ ثم لاي سبب تراني اخرج ... ولكي أخرج يجب ان يفتح لي البواب فيراني حين خروجي

ـ صدقت ...

ـ وبما انه لم يرني احد في بيت الموسيو كاستنيه في الساعة السادسة ولم اقض ساعة على السلم ولم يرني البواب حين خرجت فمن الواضح الجلي اني لم اجئ الا الساعة السابعة ... والبواب رجل فاضل امين غير انه مخطىء

فقال القاضي : انا نعتقد خطأه ولم نسألك الا قياماً بواجب التحرّي

ـ هذا من واجباتكم وانا رهين امركم متى احتجتم الى الاستفهام عن اي امر كان

وهمّ المركيز بالانصراف لكنه عاد فقال : بما ان امر حضوري في الساعة السادسة وعدمه ذو بال ارجوك ان تطلب صديقي البرنس رومالينو الذي كنت معه في الساعة السادسة والذي حملني في عربته الى هنا الساعة السابعة ... اسألوه فتعلمون الحقيقة

ـ انّا نكتفي بكلامك يا حضرة المركيز فهو اعظم حجة عندنا واني اشكرك

وخرج المركيز وهو يمسح دموعه فقال القاضي : لا استحي أن اقول اني لا افهم شيئاً من هذه القضية ... فمن جهة أرى ان الشبهة واقعة على شارل كاستنيه ومن جهة أخرى اراها قريبة الالتصاق بالمركيز

فقال مارتين نوما : يفهم من كلامك يا حضرة القاضي انك تظن ان شارل قتل والده واخته وان المركيز قتلها مرة ثانية ... او ان الرجلين

اشتركا في القتل

— لست ادري ما اظن ولا ما اعتقد لانه اذا كان القتل يعود بالفائدة على شارل نظراً لحاجته الى المال فما هي فائدة المركيز يا ترى وهو غنيّ وموعود زواجه بابنة كاستنيه قريباً . . . والله اني حائر في أمري

— لا تعتقد شيئاً الآن ولا تشتبه باحد . . . وتابع التحقيق كما لو كان امامك جملة متهمين وسنعلم من هو المجرم الحقيقي

ودخل اذ ذاك احد انفار البوليس واعلم القاضي ان رجلاً في الخارج يسأله سماع شهادته فامر القاضي باحضاره ولما مثل امامه قال: سلام يا اهل المحكمة . . . سلام . . . انا بيستّ . . . ما بالكم تنظرون اليَّ باستغراب انا الصديق بيستّ من بَذ يه

— أنعم بك يا موسيو بيستّ . . . هل لديك ما تطلعنا عليه

— لديَّ من المعلومات جبال واحمال .

— هل تلقي الشبهة على احد . . . هل تعرف القاتل

— كلاّ والف كلاّ . . . بل انا جئت اسألكم عن اسم الشقي الذي ارتكب هذا الجرم الفظيع

— نحن نبحث عنه وبما ان وقتنا ثمين جداً فاني ارجوك اذا لم يكن لديك ما تفيدنا به مما يتعلق بهذه الحادثة . . .

— عفواً يا حضرة القاضي فان لديَّ اشياء كثيرة . . .

— تفضل اذاً واجلس

— انا اجلس طاعة لامرك وان كنت غير تعب فقد جئت بالتراموي . . . وعلمت بمقتل الموسيو كاستنيه في هذا الصباح

ولما انهيت شغلي بل قبل ان ينتهي اسرعت الى هنا . . . فان لي بالفقيد معرفة قديمة العهد وكان صديقاً عزيزاً لوالدي ومثله العم موريسون . . . ونحن من بلد واحد تقريباً لشدة جوار بلدينا ... فهما من تولوز ... ونحن من بَذيه ..

وادرك القاضي ان الرجل الذي امامه مهذار يحب كثرة الكلام فهمّ بصرفه لكن مارتين نوما اشار اليه ان يسمع حديثه ويصغي اليه تماماً

الفصل السادس

« الصديق بيسّت »

وتابع بيسّت كلامه قائلاً : اني اعرف كاستنيه منذ حداثتي . . . وهو كما قلت لكم سابقاً صديق لوالدي . . . وانا عارف بحكايته وحاله منذ الابتداء . وهكذا طفق يتكلّم بما لا فائدة منه للقضاة وهم سكوت يصغون متجلدين آملين ان يعثروا في حديثه على ما فيه بعض الفائدة لكن مارتين نوما مع ما هو عليه من الصبر والجلد لم يمكنه السكوت

فسأل الرجل : هل تعرف اصل الموسيو كاستنيه

ـ تمام المعرفة

ـ تكرم بافادتنا عنه بما يمكنك من الاختصار . ومتى وجدنا وقتاً كافياً تعلق شرحاً مسهباً

ـ لا بأس . . . ان المسيو كاستنيه مثلي ومثل والدي وكثيرين غيرنا كان يتعاطى تجارة الخمر . . . وفي أحد الايام ترك هذه التجارة وفتح مصرفاً

فقال القاضي .. ربما تقصد بقولك ان المسيو كاستنيه دخل بوظيفة

مستخدم عند أحد الصيارفة

ـ كلاَّ بل انه انشأ بنكاً باسمه

ـ انه يلزم لتأسيس البنك كثير من المال فهل ربح المسيو كاستنيه في تجارة الخمر ما يساعده على ذلك

ـ لم يربح كثيراً مع ان طلب الخمركان متواصلاً . . .

ـ ان لم يربح مالاً كثيراً فلا بد من ان يكون تزوج بفتاة ذات ثروة

ـ كلاَّ فانه كان عازباً يوم اسَّس البنك

ـ لعل أحد المعجبين بذكائهِ الواثقين بأمانته قدَّم له المال اللازم

ـ لا لا فان المال كان ماله

ـ هل ربحه في المضاربة ام من ورقة نصيب

ـ لا من هذا ولا من ذاك

ـ إذن من اين جاءه ذلك المال

ـ هذا سرٌّ

ـ ولكنك تعرفه على ما أرى فيجب ان تطلعنا عليه

ـ كثر القيل والقال يومئذٍ عن أصل ثروة كاستنيه لكن كتمان السرّ هو من مبدأي

ـ نعم المبدأ غير انه يجب عليك ان تسهل للحكومة عملها باطلاعها على ما تعرفه

ـ نعم ولكن . . .

ـ اعلم اننا نظن ان لقتل المسيو كاستنيه علاقة بماضيه ولعلها علاقة بهذه الثروة التي لم يعرف أحد اصلها

فتردد بيست قليلاً وحك رأسه ثم قال : لا لوم علي فاني اتكلم أمام أهل القضاء أليس كذلك

— نعم نعم

— قيل يومئذ ان كاستنيه وجد محفظة فيها اوراق مالية في الطريق وقيل في عربة الى غير ذلك من الخزعبلات غير ان والدي و بعض العقلاء ظنوا غير هذا ... فان كاستنيه كان محباً للمال حتى الهوس ... وبعد مضي بضعة اشهر على اثراء الفقيد رُفعت عليه قضية كان لها صدى عظيم في باريس و بلادنا

— ذكّرنا بتلك القضية

— انا اتكلم امام أهل القضاء ...

— امام أهل القضاء نعم امام أهل القضاء فقل بربك

— لا بأس من ذكر القضية فانها نشرت في جريدة المحاكمة وفي الجرائد اليومية فانا بكلامي لا اخون صديقي كاستنيه . . . فاعلموا ان رجلاً لا اذكر اسمه . . .

— لا بأس من ذلك . . . تابع حديثك

— ان رجلاً باريسياً رفع قضية على كاستنيه مدعياً انه اودع عنده امانة قدرها ثلاثمائة الف فرنك ولم يأخذ وصلاً بها لما بينهما من الصداقة فانكر المتهم وطلب من خصمه شهوده ودليلاً على ما يقولهُ فلم يمكن الرجل ذلك لانه لم يسلم اليه المال امام احد ما ولا اخذ به وصلاً فخسر القضية وسب كاستنيه وحاول ان يقتله فحكم عليه بالسجن فانقسم اهل مقاطعتنا الى حزبين حزب يؤيد دعوى الرجل وآخر يدافع عن كاستنيه

اما والدي فلم يخرط في حزب ما لان كاستنيه كان رفيق صباه ولانه لا يعرف الخصم ففضل الاقتناع بما حكمت به المحكمة قائلاً ربما كان كاستنيه صادقاً ...

وضحك الجميع من استنتاج الرجل غير انهم ادركوا ما لكلامه من الاهمية وقدروا انهُ ربما كان لما يقوله علاقة بالكتاب الذي بلله كاستنيه بدموعه ومات قبل ان يأتي على آخره

وتابع بيست: وهكذا اشتدت رابطة الولاء بيننا و بين الفقيد وصرت كلما جئت الى باريس اي كل سنتين تقريباً ازوره فيقابلني بكل اكرام وكنت قادماً اليوم لزيارته ولأهنيه حين يتم زواج ابنته المنتظر قريباً بالمركيز دي سنتوشي ... وانا اعرف عائلة المركيز .

— هل تعرفها جيداً

— نعم فاني كنت اشتري الخمر الذي يصنع من كروم المركيز اي والد خطيب ايرما الذي توفاه الله في السنة الماضية

فقال مارتين نوما: لا شك ان لك معرفة بالمركيز بريمو

— انا قد ذهبنا مراراً الى الصيد ... والنزهة ... قه قه ... يسألونني هل اعرف المركيز بريمو ... قه قه قه

— وهل يعرفك هو

— المركيز بريمو ... ايه لو كنت ما بين البشر كلهم وهم مجتمعون لعرفني المركيز لاول نظرة

— انه لم يعرفك

— متى

— منذ هنيهة اي قبل دخولك الى هنا فانه مر من امامك

— ان كان لم يعرفني فلانه لم ينظرني

— اظن ذلك فانه كان يبكي ومنديله على عينه

— نعم رأيت رجلاً خارجاً من هنا باكياً

— ان الذي رأيته هو المركيز بريمو بعينه

فصاح بيسّت باستغراب : ذلك الرجل هو المركيز

ثم نهض عن كرسيه وانتصبت قامته وقال : ايها السادة اني لا اعلم اين كان عقلي حين مرّ المركيز من امامي لاني لم اعرفه

وارتعد الحضور لان ما قاله بيسّت فتح في وجوهم ابواباً واسعة للظنون ورأوا انهم كلما تقدموا في التحقيق زادت المسألة اعضالاً وانه لم يعد يهمهم معرفة اسماء المذنبين وعددهم فقط بل اصبحوا في حاجة ايضاً الى حل لغزٍ جديد يتعلق بحقيقة شخص له اكبر علاقة بالقضية . وهو ابعد الناس عن التهمة لا بل عن اقل شبهة

وبينما كان الجميع في حيرة قال بيسّت : نعم رأيت المركيز حين خرج ولكني لم اعرفه مع ان معرفتي له تامة

فقال مارتين نوما : لا غرابة في ذلك يا موسيو بيسّت فانما الرجل يعرف من وجهه وبما ان وجه المركيز كان مغطى بمنديله لم تعرفه

— صدقت

— فضلاً عن انك رأيته في صقلية بثياب الصيد ولا يخفى عليك ان اللباس يغير من هيئة الاشخاص ونظراً لتأثرك من مصاب كاستنيه لم تنتبه جيداً الى المركيز حين خرج من هنا لان همك الوحيد كان ولا شك

هو ان تحضر امام القاضي لتساعده بما لديك من المعلومات على معرفة قاتل صديقك

— نعم نعم ان ما قلته هو عين الحقيقة . . . وارجو منكم ان لا تظنوا باني ادعيت معرفة المركيز بقصد المباهاة والافتخار

— لقد صدّقنا قولك

— انا اطلب ان تحققوا صحة ما قلته

— لا حاجة الى ذلك

— لست اطلب منكم الانتقال الى صقلية لاجراء التحقيق بل يمكنكم اجراؤه هنا . . . الآن

— وكيف ذلك

— سأدخل لأقدم واجبات التعزية لمدام كاستنيه وابنتها وللمركيز فليصحبني احدكم فيرى ماهية علاقاتي معه

ثم التفت الى مارتين نوما وقال : تعال انت معي يا سيدي

فاجابه نوما : ليس ذلك بالامكان لما فيه من سوء التصرف والاخلال بالاداب فلا يليق ان يصحبك احد وخصوصاً انا لاني هنا بمهمة رسمية

— ولكني اريد ان تحققوا

— اذا لم يكن بدٌّ من ذلك فان لديَّ طريقة يمكن استعمالها بدون ان نمس احساسات احد . . . فيا حضرة القاضي اننا قد نسينا ان نطلب من المركيز دي سنتوشي ان يضع توقيعه على القرار الذي اعطاه فهل تسمح بطلبه ليفعل ذلك

فامر القاضي احد الانفار بالذهاب الى المركيز وان يسأله الحضور

اما مارتين نوما فأخذ بيسّت وقاده الى طرف الغرفة وامره ان ينتظر هناك بدون ان يبدي اقل حركة الاَّ متى اشار له ووقف نوما بجانبه لزيادة التحفظ

ولما جاء المركيز قال له القاضي : عفواً يا سيدي اذا ازعجناك وانما قد نسينا شيئاً ضرورياً وهو توقيعك على تقريرك هذا

وقدم له الورق فوقع المركبز عليه وقال له مارتين نوما : ان الموسيو بيسّت يود ان يقدم لحضرتك واجبات التعزية

فقال المركيز بدهشة : بيسّت . . . من هو بيسّت . . .

— هو احد اصدقاء آل كاستنيه

— اني اشكره

— وصديق لعائلتك ايضاً

— لعائلتي أنا . . . بيسّت . . .

ولما اظهر المركيز الاستغراب دفع مارتين نوما صاحبنا بيسّت فتقدم من المركيز قائلاً :

— نعم صديق لعائلتك يا عزيزي المركيز . . . انا بيست . . . الصاحب بيسّت

فنظر المركيز بدهشة الى ذلك الرجل الذي كان مادًّا اليه كلتا يديه للمصافحة وبدت على وجهه دلائل الوجل لكنه تغلّب على نفسه فمد يده للرجل قائلاً : هل انت هو بيسّت . . لقد سمعت اسمك مراراً في بيت فقيدنا التعس

— ولا بد ان تكون قد سمعت اسمي في بيت حضرة والدك ايضاً

ـ ربما كان ذلك

ـ لا بل هذا اكيد ثابت لان والدك كان يحبني كثيراً وقد ضافني في بيته ... هل نسيت انا ذهبنا سوية الى الصيد كيف نسيتني ...

ـ ارجو منك المعذرة يا عزيزي بيست فان ضيوف والدي كانوا كثيرين فلا عجب اذا كنت قد نسيتك خصوصاً وانه قد مضى زمن طويل لم تحضر فيه الى صقلية

ـ نعم اني لم ازُرها منذ خمس سنين

ـ وانا قضيت ما ينيف على اربع سنوات في اميركا

ـ اذكر انك اعلمتني يوم كنا معاً انك تقصد السفر ولا شك بانك نسيتني لكثرة ما رأيت من الناس وما مرَّ بك من الحوادث ... فلا غرابة في ذلك

ـ غير اني مسرور بلقياك فاذا كنت تنوي تعزية مدام كاستنيه فهلمَّ بنا اليها

فقال بيستّ لمارتين نوما بصوت منخفض ارأيت كيف عرفني

ولما خرج المركيز ورفيقه نظر بعض الحاضرين الى بعض نظر الاستفهام لانهم لم يفهموا ما حصل ولم يمكنهم تفسيره وقال القاضي لنوما : ما رأيك يا مارتين ببيستّ الذي لم يعرف صديقه وبالصديق الذي لم يعرفه الا بعد التفصيل

ـ ارى ان سفر المركيز الى اميركا يفسّر لنا ما كنا نجهله

ـ اتعني انه قصد بقوله إشعارنا بانه كان غائباً يوم حدوث الاثم القديم

ـ ربما ... وعلى كل حال اذا كان بيستّ عرف المركيز بعد طول

الفحص فانا اؤكد ان المركيز لم يرَ قط يستّ قبل هذه الساعة

قال نوما هذا وقد اصفر وجهه واثر كلامه بالحاضرين ثم طلب الاذن بالانصراف وخرجت معه فركبنا عربة وقال لي : انا سائرون الى بيت شارل كاستنيه ... لا تستغرب فعلي فان القضاة سيحضرون الى هنا للتفتيش فيقلبون ما في البيت رأساً على عقب ولا يعود بامكاني العثور على ما اريده وقد سبقتهم لأجد ذلك الدليل اي ابهام شارل كاستنيه

الفصل السابع

« فضيحة قديمة »

قالت اماه اماه ... اين انتِ يا أماه

كان هذا نداء فتاة لوالدتها فاجابت الوالدة

ــ انا هنا يا بنيّة في غرفة الاكل ... فما تطلبين

دخلت الفتاة الى حيث كانت والدتها وبيدها جريدة الجورنال وقالت : آه يا أماه ما هذا الحادث ...

ــ ما بالك ترتعدين يا انطوانِت ما هو الحادث الذي يخيفك

ــ جريمة فظيعة تذكرها جريدة الجورنال هذه

ــ جريمة ...

وكانت والدة الفتاة لابسة ثياب الحزن وشعرها ابيض غير ان ملامحها تدل على انها كانت جميلة وفي عينيها اثر واضح للبكاء والسهاد اما انطوانِت فكانت في العشرين من عمرها جميلة الوجه لطيفة المبسم معتدلة القوام ولما دخلت على والدتها وضعت الجريدة على الطاولة امامها واشارت

باصبعها الى الاسطر التي فيها تفصيل الحادث الذي اضطربت له قائلة

– قد قتل امس الموسيو كاستنيه

ولما سمعت الام هذا الكلام انتفضت شديداً وصاحت : الموسيو كاستنيه ... الموسيو كاستنيه قُتِل ...

– نعم يا اماه وقتلت معه ابنته ايرما

– ايرما ...

– نعم وجدت مخنوقة

– آه ما افظع هذا الاثم ... اظن ان اخاك لا علم له

– انه يجهله لانه لم يخرج امس مساءً وجرائد هذا الصباح قد استلمتها الآن

فنهضت الفتاة ومشت بالجهد الى احدى الغرف فقرعت بابها قائلة : تعال يا روبرت فان والدتي ترغب في محادثتك

فاجاب من داخل الغرفة صاحب صوت جهوري : هاءنذا يا عزيزتي انطوانيت

ثم خرج شاب طويل القامة قوي البنية اسمر اللون اسود الشاربين مرفوعهما على وجهه امارات الشجاعة وفي صدره نيشان الشرف الفرنساوي اما عمره فيبلغ الثانية والثلاثين ولما رأى شقيقته ركض وحملها بين ذراعيه قائلاً : اسعد الله صباحك يا عزيزتي ... انك جئتِ لتعلميني ان الاكل قد جهز فشكراً لك لاني جائع

ودخل الغرفة يحمل شقيقته ثم تركها وتقدم الى والدته وقبّلها بحنوٍّ قائلاً :

السؤال الثاني

أي الحذائين مقشور الأيمن أم الأيسر

— كيف بتِّ ليلتك فمسى انك لم تأرقي

— كلاَّ يا ولدي اني بتها بكل راحة ... ولكني ما كنت انتظر هذا الخبر المشوم في الصباح

— اي خبر تعنين

— قد قتل الموسيو كاستنيه يا روبرت

ولما سمع الشاب هذا الخبر تراجع الى الوراء مجفلاً كأنه ضُرب في صدره وصاح بربكِ ما الذي قلتِه ... ما الذي قلتِه يا امي

— قلت ان الموسيو كاستنيه قد قتل

— هذا غير ممكن ... متى قتل

— امس في الساعة الخامسة ونصف مساءً

— مستحيل ... في نفس هذه الساعة قد ... مستحيل ان يكون قد قتل

— اني أؤكد لك انه قتل وخنقت ابنته ايرما في مكتبه بالقرب منه

فعُقد لسان الشاب واراد الكلام فخانه ولم يستطع غير تحريك شفتيه واصفر وجهه الاسمر وكلله العرق البارد وحدّق برعب في والدته وشقيقته اما هما فنظرتا اليه وقد استغربتا تغيره الفجائي ولما هدأ روعه قال بصوت أجش: ان الامر مخيف اكثر مما تظنان ... انه مرعب ... أجريدة الجورنال هي التي ذكرت هذا الخبر

— نعم يا ولدي وانطوانتِ هي التي قرأته

فأخذ روبرت الجريدة وجلس على كرسي يقرأ تلك المقالة الممضاة باسم كورفيل المخبر وفيها تفصيل تلك الحادثة التي القت الرعب في قلوب

الباريسين يوم اطلعوا عليها وكان يقطع قراءته من وقت الى آخر متمتماً : هذا مخيف . . . مرعب . . . ثم يعود الى القراءة ولما اتى على آخر الخبر صاح : الويل . . . الويل لنا . . .

ثم ارتجفت يداه وافلت الجريدة وشخصت عيناه وفيهما ما يدل على منتهى الرعب . . . فركضت اليه والدته واخته صائحتين : روبرت روبرت . . . ما اصابك

فلما سمع صوتهما تجلّد ومسح جبينه بيده المرتجفة ثم قال : لم يصبني ضرّ فسامحاني على اقلاقكما انما عند قراءة هذا الحادث مرّ بخاطري كثير من الامور المحزنة وقابلت موت والدي بموت هذا الرجل . . . فتأكدت ان في السماء الهاً عادلاً . . . قد يصدر حكمه متأخراً ولكن لا يمكن المجرم ان يهرب منه

فقالت الوالدة : سكن روعك يا بنيّ . . . ان كل بغض يزول ازاء الموت

ـ كلاّ فان للبغض اسباباً وحقوقاً تبقى حتى داخل القبر

ـ ارحم الميت يا روبرت

ـ لا رحمة . . . ابداً . . . هل رحم هو سواه

ـ لا تنسَ ان ايرما بريئة

ـ وهنا بريئتان لا بل ثلاثة أبرياء . . . الست بريئة يا اماه أوليست انطوانيت مثلك . . . وأنا ما الذي فعلته . . . لن انسى ان قتيل اليوم هو قاتل ابي بالامس

ـ اسكت يا روبرت فان شقيقتك تسمعك

— اذاً فلتعرف ما اخفيناه عنها . . . ان انطوانت لم تعد فتاة صغيرة فلتشاركنا في حزننا ولتعلم ما نغّص حياتك وحياتي . . . لتتعذب انطوانت وتتألم مثلنا . . . ثم ان اطلاعها على ما حدث واجب لانها وريثة البغض مثلي . . . ان السنين مرت عليك ثقالاً يا اماه . . . وربما أودى بك حزنك الشديد . . . قد ذهبت وابتعت بدمي الشرف فغطى العار الذي لحق باسمنا وبما أني جندي تريني في كل آن معرّضاً لخطر الموت وعليه فاذا بقيت انطوانت حية يجب ان تكون مطّلعة على امرنا عالمة به كل العلم لكي تورث زوجها واولادها بغض القاتل . . . فاسمعي يا انطوانت اسمعي ولا تنسي ابداً ما انا قائل . « كان والدنا أفضل الناس واشرفهم واشدهم « اخلاصاً لاخوانه بعيداً عن الغش والخداع وكان له صديق يثق به ثقته « بنفسه فمنذ انتهاء الحرب السبعينية اي بعد ان قام والدنا بما يجب عليه « من الخدمة العسكرية اقترن بفتاة تليق به وهي والدتنا فولد لهما صبي « ومات في صغره وبعد ذلك بثلاث سنين ولدت انا وبعدي بمدة طويلة « جئت انت وورث والدنا ثروة غير قليلة ثم اضطرّ الى السفر الى اميركا « ولم يشأ ان يستصحب والدتنا خوفاً على صحتها فسار وحيداً بعد ان اودع « كل ثروته عند صديق له ووعده هذا ان يستثمر المال جيد بمقدرته « ودرايته . . . فلما عاد والدنا من سفره الذي دام ثلاث سنين جاء الى « صديقه يطلب منه ماله فاعلمه انه خسر كل ما كانت تملكه يداه وفي « جملته مال والدنا فاحس الوالد بعظم المصاب لكنه لم يحنق على صديقه « بل رثى لحاله ولما كان يعهده فيه من الذكاء النادر والاجتهاد امل انه « يدفع المال متى حسنت حاله وبذلك وعده الصديق بل اكد له انه يدفع

« له الفائدة القانونية ايضاً

« وعاد والدنا الى السفر بقصد الربح فبلغه وهو في غربته ان
« صديقه اسسَ مصرفاً وان اعماله ناجحة فعاد مريضاً فقيراً آملاً ان
« يقوم صديقه بوعده ... فلما زاره قابله بتكبر وتجاهل الدين الذي له
« عليه ولما ألحَّ والدي طرده من حضرته ... قالت يا للدناءة
« — اسمعي فاني لم اقل لك كل ما اعرفه ... ولما رأى والدنا معاملة
« صديقه ادرك انه لص فشكاه الى المحكمة ولكن أي فائدة من القانون
« اذا سار القضاة عليه حرفاً بحرف غير ناظرين الى باطن الامور ... لم
« يتمكن والدنا من اثبات دعواه بموجب كمبيالة او وصل ... واقسم صديقه
« انه لم يصله منه درهمٌ قط فبرأته المحكمة بعد قسمهِ فاستأنف والدنا الحكم
« فايدته محكمة الاستئناف لان نص القانون على والدي لا له ولم يجرِ القضاء
« بمقتضى روح القانون بل بمقتضى احرفه .. واقسم والدي انه صادق
« ولكن قَسَم صاحب الملايين السارق كان له تأثير اكبر من قسم
« المسروق منه الفاضل

وقالت الوالدة : كفى يا روبرت فان ما قلته يفي بالمطلوب ولا حاجة الى
ان تعرف انطوانيت اكثر من هذا ... بل يجب ان تعلم تفصيل كل شيء
يا والدتي المحبوبة .. يجب ان تتجرع كأس المرارة حتى الثمالة ... التي هي
مصدر عوامل البغض وحب الانتقام

« ولما رفضت دعوى والدي ورأى نفسهُ فقيراً ذليلاً ليس له من
« القوى ما يساعده على العمل وان الحاجة والعوز سيلمان بنا اخذته
« سورة الغضب فذهب الى البورصة ووقف على سلمها ينتظر مجيء سارقه

فلما سيء اطلق عليه غدارته ...

— وهل قتله يا اخي

« — كلا بل جرحه جرحاً طفيفاً وألقي القبض على والدنا وضُرب
« وأهين وسجن ولا حاجة الى الاسهاب في الكلام عما صاب والدتنا
« المسكينة من جراء ذلك فانها ذاقت مرّ الآلام مدة سجن زوجها اي
« ثلاثة اشهر ... ويوم محاكمة وجد القضاة والدنا ... ولعلهم ادركوا انه
« سائر الى القبر فقضوا باخراجه من السجن على بقائه فيه ... فبرأوه ...
« وبعد مضي ايام قليلة لبست والدتنا الحداد ... واصبحنا يتيمين

— ووالدك

« — اصغي الى ما يأتي من الحديث واحذري نسيانه ... ان والدي
« دعاني قبل ان تفيض روحه بقليل وقال لي : اني مائت يا ولدي ...
« فكلامي هذا مقدس ... اعلم اني عشت شريفاً فاضلاً فافتخر بالاسم
« الذي تسمى به ولا تعبأ بما يشينه بدعوى ما حكم عليَّ به من السجن ...
« اني اتركك فقيراً يا روبرت ولكن ليس الذنب ذنبي فان احد الاشقياء
« اخذ مالي ... ولكني اورثك شيئاً لا يورثه من كان مثلي الا ولداً
« مثلك ... اني مورثك واجباً خطيراً وهذا واجب مزدوج اما احد
« طرفيه فهو ان تسعى الى مجد حتى تنال منه ما يمحو عار والدك لان بال
« ما يحمل الناس على تمجيد اسمه واسم ابنه ... فهو الانتقام ... الانتقام
« والاقتصاص ... بلا شفقة ولا رحمة ... ولا تستعمل السلاح وسطة
« الانتقام لئلا يصيبك ما اصابني بل اصبر الى ان يبلغ عدوي منتهى
« مجده ورفعته وترقب ذلك اليوم الذي يكون منتظراً فيه تمام امنيته او

« اقبال سعد وحينئذ قف امامه وقل له « انت لص ... انت سفاك « الدماء... وقد لعنك والدي الذي خنته وجئت الآن أردّد لعنته عليك « وانها لعنة ابدية لن تزول عنك ... »

فارتعدت انطوانِت وصاحت : اماه بربك هل ما فهمته صحيح ... هل السارق الشقي هو ...

ـ ان الرجل الذي لعنه والدنا يا انطوانِت هو الذي كان يستعد فرحاً لزواج ابنته برجل من اعظم الاشراف ... هو الرجل الذي قتل امس... هوكاستنيه... ثم رفع الشاب يديه الى السماء وصاح : سرّ وافرح يا والدي فقد تمّت مشيئتك ... وقتل الذي قتلك ...

ثم سكن هياج روبرت فحنى رأسه وبكى... فقالت الوالدة لابنتها دعيني واخاك يا ابنتي

فخرجت انطوانت ولم تلفظ والدتها كلمة ريثما يشفي ابنها غليله من البكاء ... ووضعت يدها بلطف على كتفه وقالت : يا حبيبي روبرت لمَ قلت لشقيقتك ما قلته

ـ لانه كان من الضروري ان اطلعها على كل شيء

ـ ولمَ هذه الضرورة وما سببها

ـ لان ... لا لا بربك لاتسأليني عن السبب ... وستعرفينه يا أمّاه

ـ يا ولدي التعس ... قد فهمت ...

ـ اماه ... اماه

ـ آه ... انك قابلت كاستنيه

« ـ نعم . . . ولما ذكرت له اسمي ارتعد وتغير لونه وفهمت اذ ذاك
« ماهو عليه صاحب الحق من السلطة والقوة . . . لكن كاستنيه عاد في الحال
« الى رباطة جأشه واراد ان يدعو خدمه ليرموني خارجاً كما فعل قبلاً
« بوالدي . . . ولكن كل شيء قد تغير في ايامنا هذه . . . فاني قلت له
« انه لن يجسر على مناداة خدمه فنكس رأسهُ وسكت ثم سألني قائلاً :
« ما الذي تطلبه الآن فاجبته : اريد ان اعرفك انك غني ووالدتي
« وشقيقتي تشتغلان لتعيشا وان ما لديك من المال هو ملكنا وانك لص
« سارق . . فنهض كاستنيه وهجم عليَّ بغضب فتابعت حديثي معه قائلاً
« جئت ايضاً لاقول لك انك خنت الرجل البار الذي اخطأ اذ عدك
« صديقاً له . . . لاقول لك انك قتلت والدي . . فصاح بي ألا تصمت
« فاجبت كلاّ . . . واعلم انه ليس بامكان احد اليوم ان يقهر الضعيف لان
« الضعيف اصبح قوياً وبينما ترى اسرة كاستنيه ثابتة لا يمكنها ان ترتفع
« انظر فترى اسرة ألاري تصعد الى ذروة المجد بفضل ما قدمته من
« الخدمات للوطن وما فيها من الشرف والشجاعة . . وليس خصمك
« اليوم والدي الفقير المريض بل انا ابنه القبطان ألاري وأنا اقوى منك
« وليس لمالك قوة إزاء سيفي . . . وهذه الشرائط التي نلتها ببذل دمي
« لوطني لن تتغلب عليها حيلك وما لك من العلاقات . . . واذا شكوت الى
« القضاة فانهم سيكونون من حزبي انا الجندي الفقير . . . جئت لاعلمك
« ان الناس اصبحوا سواءً . . ظننت يا هذا انك ألحقت بنا العار
« واخزيتنا . . فاعلم اني شرّفت اسم والدي اما ابنك فهو مزوّر سارق ابيها
« القاتل . . فالعار عليك وعلى اهلك . . ما احلى هذا الانتقام . . فنكس

« الرجل رأسهُ يا اماه فقلت : قد جئت لاعلمك ايضاً ان والدي كلفني
« مهمة قبل موته وها انا قائم بها الآن فاعلم انه كلما كان في بيتك داعٍ الى
« الفرح والسرور سأجيئك واحدثك عن والدي واذكرك بجريمتك
« ان كل الرسائل والتلغرافات التي كانت تأتيك مذكرة اياك بفعلتك
« الشنعاء انا ارسلتها . . . وبما انه اليوم سيدخل الفرح الى بيتك بمصاهرة
« اعظم بيوتات صقلية فقد رأيت ان ارسال تلغراف أو رسالة لا يفي بغرضي
« فجئتك بنفسي . جئتك لاقول لك بالنيابة عن والدي الميت : يا موسيو
« كاستنيه ان الشريف الذي سيقترن بابنتك يجهل من انت فمن
« الواجب ان اعرفه ما هو اصل ثروتك ليعلم اي لص هو والد زوجته . . .
« ولما قلت له هذا الكلام صاح بربك ما الذي نويت ان تفعله . . . فاجبته :
« اني سأفعل ما تخشاه اي ادفع الى المركيز بريو دي كارمين سنتوشي
« أعداد جريدة المحاكم التي فيها تفصيل القضية المرفوعة من والدي ضدك
« وارجوه انا ابن المحكوم عليه ان يقرأ حيثيات الحكم الذي برّأك فصاح :
« انها لقساوة وحشية واهانة لي فدار بيننا الحديث الآتي اذ قلت له :
« انك مهان . . .

« — اترغب في موتي

« — قد قتلت والدي

« — ولكنك تنزل بي العار

« لحق العار بوالدي وقد كان بريئاً

« — لا غرابة اذا نويت الانتقام مني فانك كنت حديث السن يوم
« تلك القضية فلم تفهمها تماماً وانت تحسن الظن بوالدك وهذا أمر طبيعي

« ولكني اقسم لك ان والدك كان قد جنّ حينما كلمك قبل موته فظن انه
« سلم اليّ ماله . . . وانا لم استلم منهُ الا وتربة والدي وسامحني اذا قلت لك
« مؤكداً ان والدك كان قد جنّ

« — ان والدي لم يجن وعلى افتراض انه جن فوالدتي سليمة العقل
« لم يصبها مسّ وقد قالت لي ما قاله والدي . . . وبما ان القضاة حكموا
« لك على والدي فما الذي يهمك لو اطلعت بعض الناس على صورة
« ذلك الحكم . . .

« وكان كلمتنيه امامي منكسراً ذليلاً . . . وكفّ عما تهددني به من
« ان يدعو خدمه فيرموني خارجاً واخذ بكلامي بلطف ويتوسل اليّ فقال :
« تصور يا سيدي عظم المصاب الذي تجلبه على بيتي ان قمت بما قلت

« — انا عالم به ولكنه لا يؤخرني ولا يضعف عزمي كما ان علمك
« بما كان يتهددنا من المصاب لم يؤخرك دقيقة واحدة فذنبك مضاعف
« لان والدي كان صديقك . . . اما انا فعذري واضح لاني لست صديقك
« بل انا عدوّك

« — ولكن ابني بريئة يا سيدي وانما عليها يحل المصاب

« — لقد حطمت قلب والدتي وشقيقتي وكانتا بريئتين

« فتلعثم الرجل ولم يمكنه الكلام وطفق يبكي وكنت واقفاً امامه
« ويدي على صدري احدق به ولا يمكنك ان تتصوري يا اماه ما احلى
« تلك الساعة التي رأيت فيها الرجل الذي طالما سبب بكاءك يبكي امامي
« كالطفل الصغير . . . وبعد بردة قال لي : ألا ترحم فاجبته : كلا . . . كما
« انك لم ترحم انت . . . انا المنتقم لا بل انا الديّان ادينك الآن

« ـ بربك ما الذي تود ان اعمله لمرضاتك ... ظننت ان الماضي قد
« تنوسي فاذا به قد عاد اكثر آلاماً واحزاناً من ذي قبل ... ان لي
« اولاداً يا سيدي واود ان يبقى اسمهم طاهراً وان تبقى محبتهم واعتبارهم
لوالدهم كما هي ... فاذا قاومتك بمالي من الحقوق الثابتة وانت مغرور واهم
كما كان المرحوم والدك عدنا الى نشر ما طيه افضل ويلحق العار بكلينا
وانا لم يعد لي قوة على المشاحنات والقضايا بل ارغب في السكون والراحة
فاستحلفك بشرفك ان تشفق عليّ وترحم اولادي فلا تكن قاسي القلب
وقل لي ما تطلبه من المال لقاء سكوتك

فصاحت مدام ألاري : يا له من نذل ... هل طلب ان يشتري
سكوتك بماله

ـ انعم يا اماه تجاسر على ذلك فاجبته انا جندي لا يمكن مشتراي
بمال ... اني اقوم بواجب مقدس ولن يحوّلني عنه أمر

ـ واذا تنازلت عن حقوقي التي حكمت لي بها المحاكم... اذا كفّرت
عن الماضي ودفعت الى الابن ما كان يطالبني به الوالد وعدنا الى تلك
الايام التي كان فيها والدك صديقي الحبيب ...

ـ ان والدي قد مات اما انا فعليّ القيام بما كلّفني اياه ... فالرجوع
الى الماضي محال ... استودعك الله . وسرت الى الباب اقصد الخروج
فشمخ كاستنيه برأسه وصاح : انك تريد القتال فانا راضٍ به ...
والويل لك

فاجبته : ربما حل الويل بك لا بي ... وانا ذاهب لارسل للمركيز
دي سانتوشي اعداد جريدة المحاكم

وهم بالمجوم عليّ ولكن خانته قواه فوقع على كرسي واخذ يبكي . . .

هذا يا اماه ما جرى بين الصراف كاستنيه واليوزباشي روبرت ألاري »

وساد السكوت بعد ان انتهى روبرت من حديثه ولاحظ ان والدته تود ان تسأله سوالاً ولا تجسر فقال . انك تودين ان تعرفي ما جرى في مكتب كاستنيه بعد انصرافي . . . فانا اجهل ذلك ولا سبيل لي الى معرفته وكل ما اعلمه هو ما ذكرته جريدة الجورنال من ان الرجل وابنته وجدا مقتولين في المكتب وان الخادم لم يرَ احداً دخل على سيده سوى رجل اسمر اللون اسود الشارب مشيته عسكرية وفي صدره علامة جوقة الشرف والخلاصة ان هذه العلامات تدل البوليس على اني انا هو ذلك الرجل . . .

— وما الذي تخشاه يا ولدي

— آه يا اماه . . . لو تعلمين . . . ان لأسمنا ولرتبتي وشرفي علاقة بهذا الحادث الفظيع . . . ولربما خسرت مستقبلي

— ومن تراه يلقي عليك اقل شبهة

— ان والدي كان فاضلاً شريفاً عفيفاً مثلي ومع كل هذا حكم عليه . . . ثم يجب ان اعلمك امراً وهو اني خشيت ان يرفض كاستنيه مقابلتي فعملت ما ليس لي حق بعمله وما استحق عليه شديد اللوم

— ما الذي فعلته يا ولدي

— سميت نفسي باسم احد اصدقائي الذي له علاقة بعائلة كاستنيه واستعملت بطاقته واسطة للدخول . . فاذا وجدت بطاقته ولا بد من ان توجد اصبح صديقي عرضة للشبهة . . . رباه ان هذا فظيع

— آه يا ولدي ... لماذا فعلت هذا ...

— قصدت بعملي القيام بما امرني به والدي فخيل لي ان كل شيء جائز لي ... فاخطأت هذا الخطأ لا بل ارتكبت هذا الذنب الفظيع ... ويحق لصديقي ان يهينني ويحتقرني لان ما فعلته يعد تزويراً ... وبامكان صديقي ايضاً ان يفضح امري فيلحق بي العار ويضطرني الى ترك الجندية

— ايها الولد التمس ان الذنب عظيم ... ولكن لم يفقد بعد كل أمل ...

— بلى بلى قد اذنبت واذا وُجِدت بطاقة صديقي قضي عليَّ

وادركت الوالدة عظم خطأ ولدها لكنها حاولت ان تسكن روعه بالكلام فقالت اذا عثر علي بطاقة صديقك تتقدم الى القضاة وتطلعهم على الحقيقة

— نعم افعل ذلك ولكن عمليّ لا ينفي كوني اخللت بالشرف

— من يلومك متى علم الداعي الذي حملك على عملك

— انك تكلمينني كما يوحي اليك قلبك الوالدي ولكني انا مذنب واشعر بثقل ذنبي

— ربما لم توجد بطاقة صديقك... ولعله يعرف القاتل فتطلع صديقك على ما فعلته فيغفر لك تشجع يا حبيبي ولا تقنط



الفصل الثامن

« بيت عازب »

لما وصلنا الى البيت الذي كنا نقصده دخلت وصديقي مارتين نوما فلما وصلنا الى السلم صاحت بنا امرأة تسألنا الى اين نذهب فلم نجبها فكررت السؤال قائلة من تقصدان فاجبناها انا نقصد مسكن الموسيو كاستنيه فقالت لنا هو غائب فافهمناها اننا ما جئنا الا لانه غير موجود في بيته فنظرت اذ ذاك الينا بدهشة ولعلها ظنت اننا لصوص فاخذ مارتين نوما بطاقة من جيبه واراها اياها فارتعدت حين رأتها وقالت :

لا بأس تفضلوا واصعدوا . . . ولكن تعوزكما مفاتيح لتدخلا مسكن الموسيو كاستنيه

فاجاب نوما ـ لا بد لنا من ذلك

ــ وهل معكما مفاتيح

ــ كلا . . . ولا حاجة لي بها

ــ اذاً ما تفعله . . . هل تكسر الباب

ــ كلا والف كلاّ . . . بل افتحه كما جرت العادة في فتحه

ــ لكن للباب قفلاً من طراز خاص .

ــ هل عندك اناس في غرفتك

ــ نعم

ــ ولا شك انكم كنتم في الحديث عن مقتل كاستنيه الصيرفي . . . فعودي الى من عندك وتكلموا بما كنتم في صدده واياك ان تذكري لاحد اني هنا ولا من انا . . . ولكن متى ذهبت يمكنك ان تقولي

مَا تشائين . . . ولست اتأخر اكثر من نصف ساعة

ثم صعدنا السلم فقال لي نوما : انّا لما مررنا امام كشك البواب رأيت فيه جماعة من النساء فسرت بك مسرعاً كانا نقصد الدخول بدون ان يرانا احد وما فمات ذلك الاخراج حارسة الباب لاوصيها بما اوصيتها به بعيداً عن أذان الحاضرات عندها من النساء وقد نجحنا ولكن ليس لي ثقة بحفظ المرأة لسانها فلنبادر حالاً الى العمل

وصعد نوما السلم مسرعاً فتبعته ولم ادرِ قط كيف علم بمحل سكنى شارل كاستنيه بل لم اهتم بذلك وانما كان جل اهتمامي معرفة الطريقة التي استعملها مارتين نوما ليدخل البيت بدون ان يكسر الباب او ان يلحظ السكان ولم اجسر على سؤاله لعلمي باطباعه وادرك ما في نفسي فقال لي : اني جئت بيت كاستنيه هذا يوم سرقة الجواهر واعلم ان في خدمته امرأة عجوز فقط تأتيه في الصباح ثم تذهب في المساء وقد جاءت اليوم وذهبت وهي جاهلة ما فعله سيدها وكاستنيه الشاب يسكن هنا في شارع امستردام لان محلات اللعب والمقامرة قريبة منه ولان عشيقته بلانش موريسون تمر من هنا في عودتها الى بيتها ولان المحطة التي تؤدي الى محل سباق الخيل قريبة ايضاً . . . كل هذه الاسباب حملت كاستنيه الشاب على سكنى هذا الشارع وانا عالم بكل هذا منذ عهد بعيد واؤمل ان حضورنا الى هنا سيعود علينا ببعض الفائدة . . . وانت تتساءل كيف ندخل بيت كاستنيه فاعلم انه من واجبات البوليس السري ان يكون له المام بفتح الابواب كأمهر اللصوص ولن اطلعك على الطريقة التي سأستعملها لعلمي انك ستذكرها وتشرحها لقراء الجريدة التي انت مخبر فيها ولعل بين

قرائك من له ميل الى السرقة فاكون قد علمته بواسطتي طريقة تساعده على تعاطيها فضلاً عن ان شرح طريقتي فتح الابواب يسبب لبعض قرائك الخوف من اللصوص فيظلون دائماً في رعب وانهماك...

ولما وصلنا الى الباب دفعه نوما بيده ليعلم مقدار مناعته ثم قال: ان الباب مقفل بقفل اعتيادي وآخر من نوع جديد... ولكن لا بأس من ذلك

واخرج نوما حقيبة من جيبه فيها صفائح وقضبان رفيعة من البولاد جمع بعضها الى بعض ثم ضمها بواسطة حلقة وادخل الكل في القفل ولطمها بيده فسمعت القفل يفتح

وقال نوما: ها قد فتح القفل المهم الذي كان يعول عليه كاستنيه لرد اللصوص خائبين فيما لو جاؤا بيته... اما القفل الثاني العادي فامره بسيط سهل حتى على لاولاد الصغار فانظر كيف يفتح ومدّ آلة بين درفتي الباب ودفعهما ففتح الباب بدون ان يسمع له صوت ودخلنا فاذا البيت مؤلف من مدخل وغرفتين احداهما للنوم والثانية للتدخين ولما دخلنا شممت رائحة لطيفة وقال نوما: ان هذه الرائحة تدل على ان امرأة واحدة كانت تسكن هنا... اذ لو كانت النساء كثيرات لكانت الرائحة اقوى ومتنوعة ودونك ما يؤكد لك ذلك... انظر الى هذه الازهار النحيفة الجميلة وهذه الدنتلات وهذه الشرائط الحريرية الخ أليست كلها ادلة واضحة على ان امرأة كانت تسكن هنا... وانا أؤكد ان المرأة طويلة القامة نحيفة القوام شقراء اللون

فاجبته: لا تبالغ يا نوما... اذا سلمت بانك عرفت من الرائحة

السؤال الثالث

أمنخفض صوت يبست أم جهوري؟

وغيرها ان امرأة سكنت هذا البيت فكيف اعتقد بمجرد كلامك انك عرفت لونها وطولها ...

— يا لسذاجتك ... اسمع برهاني على ما تنكره عليَّ ... قلت ان المرأة طويلة القامة انظر الى ستائر الابواب ترى انها مرفوعة جداً الى فوق بحيث يمكن للرجل ان يمر بسهولة وهو لابس قبعة طويلة ولا حاجة لرفع الستائر الى هذا الحدّ خصوصاً وان شارل كاستنيه يخلع قبعته في المدخل كما هي العادة ... اما المرأة فتدخل بقبعتها داخل البيت ... وبما ان النساء الطويلات القامة يلبسنَ عادة قبعات عريضة عليها ريش طويل لتحصل النسبة بين طولهنَّ ولبسهنَّ فلهذا رفعت رفيقة شارل كاستنيه السجف ليسهل عليها المرور ... انظر هذا الكرسي الكبير الذي كانت تجلس عليه في اغلب اوقاتها فتجد عليه حشية صغيرة يستدل منها ان المرأة طويلة نحيفة لانها كانت نظراً لطولها وتقعير المشد لظهرها تضطر الى وضع الحشية لاسناد ظهرها الى الكرسي وترى ايضاً انه ليس امام الكرسي حشية للأرجل مما يدلك على ان المرأة كانت تسند رجليها الى البساط لطولها ولولا ذلك لاحتاجت الى وضع مخدة تحت رجليها لتستريح ... وهاك قفازاً قد نسيته هنا انظر اليه فترى ان اصابع المرأة طويلة وعليه فالقامة طويلة ايضاً ... ولو شئت معرفة اكثر من هذا فاقيس الطول ما بين محل اثر رجليها على البساط وتقعير الفوتيل ثم طول ارتفاع السجف التي على الباب وطول الاصابع فاعرف طول قامتها تماماً

— صدقت ولكن كيف عرفت انها شقراء

— ألا ترى الوان الستائر والنقاب والشرائط انها لا تصلح الا للابس

من كانت شقراء ... واذا كان هذا لا يقنعك انظر في هذا الكأس الفضي الذي امام المرآة تجد فيه شعراً اشقر وهو ما كان يعلَق بالمشط من شعر المرأة ... ولكن ما لنا ولهذا فانا جئنا لنفتش عن ابهام شارل كاستنيه ليس الاَّ

فاخذنا في التنقيب فلم نعثر على ما كنا نطلبه لان الخادمة كانت قد جاءت ونظفت البيت وما فيهِ ومسحت الكاسات والاقداح فلم يبقَ عليها اثر ما ... ولكن مارتين نوما عاد الى التفتيش فعثر على قفاز وتحرير في جيب احد اثواب شارل كاستنيه وكان الكتاب باللغة الانكليزية وارد من مدينة ديتروا باميركا وفحواه ان الكاتب يفيد شارل انه مستعد ليخابره في ما عرضه عليه اما من جهة الموسيقى فلا يمكن الاتفاق عليها الا بوجوده في ديتروا ... فادرك نوما ان شارل كان ينوي منذ زمن السفر الى اميركا واصطحاب بلانش موريسون معه وان ماجاء في الرسالة من ذكر الموسيقى كان بشأن تلك الفتاة

ثم أقفل نوما باب المسكن باسهل مما كان فتحه ونزلنا السلم ولما وصلنا الى الرصيف رأيت نوما قد ارتعش فقلت له : ما بالك يا مارتين فقبض على ذراعي منحنياً نحوي وكلمني بصوت منخفض فقال : يا عزيزي كورفيل يجب عليك الآن ان تؤدي وظيفة بوليس سري فتخدمني خدمةً جزيلة

— وكيف ذلك

— لا تلتفت الى وراءك ... اذ لا حاجة الى ذلك ... اصغَ جيداً ... هل تسمع ما اقوله لك

— نعم ... وان التفت الى الوراء

— وحسناً تفعل ... لان هناك على الرصيف الثاني رجلاً يتأثرنا ويتجسس اعمالنا

— لا تمزَح يا نوما ...

— لست بمازح فلا تلتفت بربك لئلا يفهم الرجل وينصرف فنضيع فائدة عظيمة

— ما الذي يجب ان اعمله

— انتبه الى كلامي ... على الرصيف الثاني رجل اسمر اللون قصير القامة حسن الهندام

— أهو الذي يتأثرنا

— نعم هو

— وكيف عرفت ذلك

— ان الخادم المكلَّف بادخال الزائرين على كاستنيه اقر انه رأى رجلاً اسمر اللون خارجاً من مكتب سيده وقال ايضاً ان شاباً تدل مشيته على انه جندي جاء الى سيده ايضاً . . . واني اظن انه جاء لزيارة كاستنيه رجلان اسمران ولعل هذا الذي يتأثرنا هو آخر الزائرين . . . اي القاتل

— ما الذي يحملك على هذا الظن

— لما خرجنا من بيت كاستنيه كان هذا الرجل مترقباً راصداً امام البيت ثم رأيناه هنا فاذاً هو قد تتبعنا ليطلع على اعمالنا . . . فعليك الآن ان تصافحني كأَنك تقصد الانصراف فاتبع انا طريقي وتذهب انت في الجهة المعاكسة ولكنك لا تبعد كثيراً بل تعود وتسير في نفس الجهة التي

سأسير فيها فيصبح الرجل بيني وبينك فتتبعه ما دام يتبعني واذا رأيتني اركب عربة اركب واحدةً ايضاً . . . وموعد ملتقانا في ادارة البوليس واياك ان يختفي عنك الرجل بل انظر اليه دائماً الى ان يركب عربة لاني متأكد انه متى رآنا ركبنا يركب هو ايضاً وجل ما اقصده هو ان اتأكد كل التأكيد بانه يتأثرنا .

والحق يقال ان نوما كان يرى الرجل مع انه وراءه وقد اراني اياه في مرآة حلاق مررنا امام دكانه فلحظت ان الرجل ينظر الينا بكل امعان ثم ادخلني نوما دكان بائع لفافات التبغ (سيجارات) واشترى شيئاً منها وقدم لي احداها ولما خرجنا وقف واشعل ثقاباً وقدمه لي قائلاً انحن لتشعل لفافتك وانظر خلسة ترى الرجل واقفاً امامنا على الرصيف الثاني يرصدنا ففعلت كما امرني وتحققت ما قاله فقال : هل رأيته فلا تخفى عليك معرفته من بين الذين يمشون على الرصيف فاجبته بالايجاب فامرني ان اصافحه وأنصرف ومتى ابتعدَ وتبعه الرجل اعود فاتأثره ومرت عربتان فنادى الحوذيين بعض المارّة فاجابا ان خيلهما تعبة فلا يؤجران العربتين . فحييته وسار ورأيت الرجل يمشي قباله على الرصيف الثاني فابتعدت ودخلت باباً مفتوحاً ثم خرجت بعد قليل وتأثرت الرجل مسروراً بهذه المهمة الجديدة وبعد ان مشينا مدة خمس دقائق رأيت نوما قد وقف ونظر الى ساعته ثم نادى حوذياً فاقترب منه بعربته فحادثه كأنه يجادله في امر الاجرة ثم ركب وللحال اشار الرجل الذي كنت اتأثره الى الحوذي الثاني وهو نفس الذي كان قد رفض تأجير عربته فتقدم مسرعاً الى الرجل فسمعته يقول له سأعطيك عشرين فرنكاً اذا لحقت هذه العربة ثم ركب ورأيت

رأسه مطلاً من باب العربة ينظر الى التي فيها صديقي نوما لئلا يختفي عنه ... بما انا فوقفت حائراً لا اعلم ما افعله وقد انتهت مهمتي لان نوما قال لي ان اتأثر الرجل حتى أراد ركب عربة وتأثره وبينما انا واقف اذا بحوذي يناديني باسمي قائلاً اركب واسرع يا موسيو كورفيل فركبت وسار الحوذي من تلقاء ذاته وراء عربة الرجل فمررنا بشارع هوسمان ولما وصلنا الى شارع ريفولي وقفت عربتي فاطللت من الباب فرأيت شرطياً رافعاً عصاه كما هي العادة لايقاف العربات السائرة متى كثر الازدحام فقال الحوذي : دعني امرّ فاني اشتغل لخدمة البوليس السري .

فلم يجب فاراد الحوذي ان يمر بعربته مكرراً انه من البوليس فامسك الشرطي بعنان الخيل ليمنعها عن السير قائلاً : القانون قد سُنّ لجميع الناس ان كانوا من البوليس أو من غيره

فصاح الحوذي : يا لك من غبي

فاجابه : اذا عدت الى الشتيمة سقتك الى المخفر

فضحك الحوذي قائلاً : ان هذا غاية القصد

فادركت حينئذٍ ان الحوذي الذي ركبت عربته من انفار البوليس السري ... ولما سمح لنا الشرطي بالمسير لم اعد ارى العربتين اللتين كانتا امامي فقال الحوذي : ان غباوة هذا الشرطي اخفت عن بصرنا عربة نوما والذي يتبعه فقلت له : لا بأس من ذلك فقد اقتربنا من المكان الذي نقصده فسر مسرعاً

وبعد قليل وصلت الى رحبة ادارة البوليس ودخلناها عند دخول العربتين اللتين كانتا امامنا قبلاً ورأيت نوما قد قفز الى الارض فبادر اليه

اثنان من انفار البوليس

فقال لهما بعض كلمات فتقدما الى المركبة الثانية ووقف كل منهما على باب من بابيها فقال نوما للحوذي : افتح الباب فضغط الحوذي بيده على قنديل المركبة الذي في الجهة اليمنى حتى فتح باب المركبة الأيمن ومد البوليس الذي كان واقفاً امامه يديه قائلاً : انزل

ولكنه لم ينزل احد من المركبة فرفس نوما الارض برجله وصاح غاضباً : لقد افلت الرجل

فقال الحوذي : اني اقفلت الباب جيداً يا حضرة الرئيس فكيف يمكنه الهرب

فقال لي نوما : هل لم تنظره حين خرج

فقصصت عليه ما جرى لنا مع الشرطي فقال ان الرجل قد هرب لما وقفت بك المركبة ثم تقدم نوما وفحص المركبة التي كان بها الرجل فوجد انها تقوم بوظيفتها

فلا يمكن فتح الباب الا اذا ضغط الحوذي على القنديل فقال نوما : لا يمكن الهرب الا بكسر زجاج الباب والقفز منه وفي هذا العمل خطر غير قليل فضلاً عن انه يستحيل على رجل المرور من الباب وهو مقفل لضيقه فلننظر الى وراء المركبة ... فنظرنا واذا الجلد مقطوع فقال نوما ان الرجل لما رأى ان المركبة تسير به الى هنا حاول فتح الباب ولم يفلح فأدرك انها لنا وانه اصبح اسيرنا فقطع الجلد بسكين وهرب ... تالله ان المجرمين عندهم بوليس مثلنا فمهمتنا اذاً كثيرة العقبات عظيمة الصعوبة ... واني مسرور بذلك ...

الفصل التاسع

« البيت السري »

لم يقفل بنك كاستنيه يوم موته لان محلاً عظيماً كهذا لا يمكن فيه الانقطاع عن الشغل لئلا يضر بمصلحة زبائنه . وجاء رجل حسن الهندام يدعى اونيسيم جرافار طالبا مقابلة عاملاً ما من عمال البنك فسار به البواب الى الموسيو بورتيز رئيس الحسابات .

وكان اونيسيم ذا ثروة صغيرة تعود عليه بفائدة عظيمة اذ يقرض ماله بربا فاحش وكان بورتيز عالماً بحاله فلما رآه بادره سائلا : ما الذي تطلبه

فقال اونيسيم ان لديه كمبيالات على الموسيو جان كاستنيه ممضاة بخط يده وانه جاء ليتأكد هل تسدد هذه الكمبيالات في مواعيدها فانكر بورتيز عليه دعواه قائلاً : ان جان كاستنيه لم يوقع قط على كمبيالة لان المال متوفر عنده فيدفع نقداً فاجاب جرافار انه لا يهمه معرفة ما عند كاستنيه من المال وانما جاء ليعلم هل تسدد الكمبيالات الموقعة باسم الميت في مواعيدها . فسأله بورتيز ان ينتظر قليلاً ريثما يخبر الموسيو موريسون بالامر ثم انصرف وعاد يصحبه موريسون فسأل اونيسيم ان يطلعه على الكمبيالات فدفع اليه اثنتين منها

ونظر اليهما ملياً ثم دفعهما الى بورتيز ليراهما فتفحصهما هذا بامعان شديد فقال اونيسيم ان التوقيع واضح ولا يمكن انكاره

فاجاب موريسون : ليس في نية احدنا انكار هذه الكمبيالات قط ... ولكن اسمح لي ان اسألك عن اسم الذي سلمها اليك .

— هو الموسيو شارل كاستنيه

خني موريسون رأسه بانكسار وظهرت الدهشة على وجه بورتيز اما اونيسيم فشمخ برأسه لانه تأكد ان الاوراق مزوّرة بيد شارل كاستنيه فيمكنهُ اذاً ان يفضح امره ويلحق العار بهِ وبأسرته واملَ ان تلك الكمبيالات ستعود عليهِ بتضاعف الربح الذي كان يرجوه

ورفع موريسون رأسهُ وقال : ان هذه الكمبيالات صادقة ناطقة ولا تستغرب دهشة بورتيز حينما اطلعته عليها فانهُ يجهل وجودها اما انا فعالم بها لان الموسيو جان كاستنيه قد اطلعني على الاسباب التي حملته على دفع كمبيالات لابنه عوضاً عن ان يسلم اليه نقوداً فتى حل ميعاد استحقاق هذه الاوراق تكرم بالحضور الى هنا فادفع لك قيمتها للحال . . .

وانصرف اونيسيم وهو يتساءل ألا يمكنه ان يضيف الى تلك الكمبيالات اخرى غيرها يقلد فيها امضاء جان كاستنيه . . .

وما كاد يخرج اونيسيم من البنك حتى ظهر نوما كانما هو قد خرج من الحائط فسمع موريسون يقول يا لك من شقي يا شارل . . . اي مصيبة كانت تحل بوالدك لو علم بما فعلت

فقال نوما : ان هذه المصيبة لم تدرك الرجل لانه مات بدون ان يعلم بان ابنه مزوّر

فصاح موريسون : هل سمعت ما قيل هنا

— كلا انما رأيت اونيسيم جرافار خارجاً فادركت سر المسألة . . . فهو جاء يعلمكم ان لديه أوراقاً ممضاة باسم جان كاستنيه دفعها اليه شارل ولا غرابة في ذلك فان شارل مقامر وفي احتياج دائم الى المال ولا شك ان أونيسيم قرضه مبلغاً ليس بزهيد . . . ولكنه يوجد سبيل لعدم دفع

هذه الكمبيالات

— انا اعلم ذلك ولكني لن استعمل هذه الطريقة حفظاً لكرامة اسم جان كاستنيه وسأدفع قيمة الاوراق مهما بلغت

— ان هذه الاوراق دليل جديد على جرم شارل

— وكيف ذلك

— لان موعد استحقاقها هو قريب من يوم مقتل الموسيو كاستنيه

فارتعد موريسون لانه كان قد ابتدأ يعتقد ان شارل مجرم وكان هذا رأي كل من علم بذلك الحادث

فقال بورتيز : ان كل الجرائد ما خلا جريدة الجورنال تتهم شارل بقتل والده وشقيقته

نعم كل الجرائد وقد اذاع المخبرون اموراً لم يعلم بها سوى اهل القضاء فقط

فاجاب نوما : ان هذا امر غريب ولكن ليس له تأثير على القضية

— اني اعلم ذلك ولم اقل ما قلتهُ الا لاخاص انا والموسيو موريسون مما عساه ان ينسب الينا فانا رفضنا مقابلة كل مخبري الجرائد

— انا عالم بذلك

فقال موريسون : ان هذه الامور قد اذاعها غيرنا

— كن مطمئناً يا موسيو موريسون فما من احد يتهمك بافشاء السر واعلم ان سكان باريس يعلمون منذ امس مقتل جان كاستنيه وابنته كما انهم عارفون ان شارل كان قاطعاً كل علاقة مع والده وانهُ سرق سرقة فيما مضى وان في ايدي المرابين كمبيالات لو رآها الميت لدهش شديداً منها

لوجود توقيعه عليها

— ومن تراه اذاع كل هذا

ـ قد اذاعه من مصلحته الحاق العار بشارل

ـ أو من يرى كل الفائدة بقلب الحقيقة وتضليل الرأي العام فقال نوما انه ذاهب ليسلم على المركيز وخرج فتبعته ودخلنا فاذا قاعة الاستقبال غاصة بالحضور والمركيز واقف يتلقى كلمات العزاء ويصافح كلاً من المعزين . وتقدم نوما الى المركيز ولكنه عاد للحال فانسحب من جمهور الناس الذين كانوا مصطفين للمرور امام المركيز بعد ان نظر اليهِ خلسة وجاء وانزوى في احد اطراف الغرفة فتبعته وقال لي : كدت اخل باللياقة فاني لم البس قفازاً الا في يدي الشمال مع اني سأمدّ اليمين للسلام على المركيز ولحسن حظي ادركت غلطي وها انا اتلافاه

ثم اخرج نوما من جيبه علبة صغيرة وفتحها واذا فيها قفاز مثل الذي في يده اليسرى فلبسه في اليمنى باعتناء وتمهل ولما انتهى اصطف مع المعزين ولحظت انه كان مخبئاً يده اليمنى داخل قبعته كأنه يخشى ان تمس احداً ما فلما انتهى الى المركيز وضع قبعته تحت ابطه الايسر وانحنى وقال ما يستلزمه المقام فاجابه المركيز شاكراً له رقة احساساته وانه يؤمل ان يلقى القبض على القاتل بهمته فاكد له نوما انه سيبذل ما في وسعه للوصول الى ذلك فمد المركيز يده الى نوما فرأيت انها عارية وهذا ما قصد نوما معرفته حينما خرج من صف المعزين عند دخولنا وقبض نوما على يد المركيز بيده اليمنى ولم يكتف بهزّها بل وضع يده اليسرى فوق يد المركيز خلافاً للمعتاد وضغط بشدة كأنه يقصد بذلك اظهار لهفته او ليجعل لكلامه تأثيراً اشد

وقال سأجد القاتل... سأجده...

اما المركيز فلم ينطق بكلمة و رأيته قد علا وجهه الاصفرار ونظر بحدّة الى يد صديقي نوما وبعد ما افلت هذا يده خيل لي ان نظره قد لمع شديداً ولما عزّيته انا اجابني مبتسماً ابتساماً غريباً... ثم لحقت بنوما فرأيتهُ ينزل السلم ويده داخل قبعته ولما وصلنا الى الخارج دخل عربة كانت امام الباب وتبعته اليها فسارت بنا وكان زجاج بابي العربة مقلماً من الداخل فاذا نظر من الخارج لم ير فيه الناظر اليه شيئاً غير اعتيادي لانه املس مصقول كزجاج باقي العربات والحقيقة ان الاقلام المسطرة عليهِ من الداخل تمنع من في الخارج ان يرى ما ضمن العربة ولاحظت ان الزجاج املس مصقول من الداخل في نقطة صغيرة يرى منها من كان في العربة كل ما في الخارج وهذه العربة مختصة بنوما وفيها ما لا يوصف من الغرائب منها انها من تحت الجلد مصفحة بالفولاذ لاتقاء رصاص مسدّسات من يكرهون نوما وفيها الى الامام صندوق يحتوي على كل المدد التي يستعملها اللصوص لفتح الابواب والى الوراء ثياب للتنكر حسب الظروف و بعض المأكول والمشروب اذا اضطر نوما الى ان يبقى فيها طويلاً... وكثير من الادوية الخ...

ولما سارت العربة خلع نوما القفاز ونظر اليه فقال: قد نجحت فلندخّن لان يومي لم يمضِ بغير فائدة وعن قريب نصل الى حيث نقصد... ها قد وصلنا فلننزل

وكان قد خف سير العربة ومد نوما يده لفتح الباب فرأيتهُ يرفع القبضة عوضاً عن أن يخفضها ولما رفعها سمعت صفيراً داخل العربة فتركت نوما

قبضة الباب وانصت واذا بدائرة بيضاء ظهرت في العربة وراء ظهر الحوذي فقال نوما : لم يعد بامكاننا النزول يا كورفيل بل يجب ان نداوم السير

وعادت العربة الى سيرها الاول فظهرت دائرة صفراء بالقرب من الدائرة البيضاء فقال نوما : ان على يمين الطريق شخصاً يجب ان نحذره

ثم نظر من وراء الزجاج وقال : ها هو ... رجل اسمر اللون اسود الشارب واقف على الرصيف يفتش عن نمرة بيت يقصده وهو لابس فرواً مما يدلنا أن البرد يؤثر فيه كثيراً او انه من اهل الجنوب (قبلي) المعتادين الدفء فقلت : ربما كان الرجل هنا اتفاقاً

— لا محل للاتفاق هنا ... اننا خارجون من بيت المقتول حيث رأينا مركيزاً ايطالياً كان قد تقرر زواجه بابنة المقتول ... ثم رأينا مرتين في شارع امستردام رجلاً يستدل انه ايطالي والآن نجد نفس الرجل مترصداً يتجسس امام بيت البوليس الذي كلف القاء القبض على القاتل ... وتقول لي ان هذا من الصدف ... يا لغباوتك يا كورفيل ان الحوذي الذي يقود عربتي قد ادرك ان في الامر ما يدعو الى الحذر فنبّهني بضغطه على زرّ احدث الصفير الذي سمعته ثم مس ازراراً كهربائية فظهرت الاشارة التي رأيتها والتي اعلمتني نوع الخطر ... فالدائرة البيضاء على اليمين تفيد ان الخطر هو من تلك الجهة والصفراء تشعر ان الخطر غير جسيم ولو كان جسيماً لكانت الدائرة خضراء اما الحمراء فدليل الهلاك ... وهكذا انا اعلم كل ما في الخارج ومن غير ان يتحرك الحوذي عن كرسيه يمكنني محادثته وسماع جوابه اما الآن فعلينا بالبقاء حيث نحن والحوذي يعمل حسب ذكائه

ثم سكت صديقي وتابعت العربة سيرها بضع دقائق ثم وقفت وسمعنا الصفير داخل العربة واختفت الدائرات ففتح نوما الباب للحال بدون تردد ونزلنا فاذا بنا امام بيت جميل فدخل نوما وسأل البواب هل لديهِ شيء باسمه فاجاب البواب قائلاً : كلا يا موسيو دوران

ومشى نوما الى الدور الارضي ففتح الباب وللحال قُرِع جرس فبادر خادم ضخم الجثة عريض الاكتاف يدل جسمه على قوة غريبة وهو من فرقة البوليس التي تحت ادارة نوما والتي اختار انفارها وهذبهم حسب مباديه فسأل نوما : هل من جديد

— كلا يا حضرة الرئيس ...

— لا بأس من ان تتكلم امام صديقي كورفيل الذي عرفته قبلا

— نعم ليس من جديد

— اذاً لنذهب الى المعمل

— قد جهزت كل شيء

وكان نوما قد استأجر هذا البيت باسم دوران المصوِر لينقطع فيهِ الى الراحة ومزاولة بعض الاشغال المهمة التي ما كان يمكنه القيام بها في بيته المعروف باسمه الحقيقي نظراً لكثرة من يتردد عليه فيه وكان يخبي في البيت الذي يسكنه باسم دوران كل ما لديهِ من الاوراق ذات الاهمية وأعدّ فيهِ محلاً للاشتغال بامور تتعلق بوظيفته وغرفة للتصوير الشمسي سقفها من زجاج

ولما دخلنا معمل نوما او المصور دوران قال هذا : انا سنبدأ حالاً في الشغل فعليك بمساعدتي في عملي فاخلع رداءك والبس هذه الدُرّاعة

واخذ في جيبه العلبة التي وضع فيها القفاز فنفخ فيهِ فتضخم كأنه ملبوس في يدٍ فربطه وعلقه بمسمار ثم جاء بمسحوق ابيض فغمس فيه قطعة من القطن ودهن القفاز بالمسحوق متأنياً وقال : لم يكن بامكاني ان اسأل المركيز ان يطبع ابهامهُ على ورقة فدهنت القفاز بالشمع السيال ولبسته فلما سلّم عليّ ضغطت بيدي اليسرى على إبهامهِ فانطبع على القفاز والآن ينبغي لي تصوير اثر الابهام

وجاء بآلة للتصوير الشمسي وصور القفاز مرتين ثم دخل الغرفة المظلمة المخصصة لاشغال المصورين وقال لي من الداخل ان الاثر ظاهر واضح ثم خرج وطلب مني ان اساعده على جرّ الستائر المعلقة في سقف المعمل لكي يمنع دخول النور ففعلت وعاد الى الزجاجات الفوتوغرافية فثبتها وجاء بها فسألته هل يشك بالمركيز فاجابني ان الشك لايجوز وانهُ يعمل ما يجب عليهِ عمله ليهتدي القضاة الى القاتل من تلقاء انفسهم وبدون ان يبدي هو رأياً .

وقلت له ان ليس من مصلحة المركيز دي سانتوشي قتل كاستنيه وخطيبته لانهُ ذو ثروة وفي غنى عن المال فضلاً عن انه بقتل ايرما قد خسر دوطة الفتاة فاجابني نوما انهُ من المعقول ان لايكون المركيز هو القاتل لان هذا العمل يعود عليه بالضرر ولكن شارل كاستنيه يستفيد من موت والده لانه معدم قليل المال كثير الديون وقد سبق له ان سرق حليّ والدتهِ ثم جاء بيت والده يوم الحادثة وتهدّد وانذر شقيقتهُ بمصاب عظيم اذا لم يتسنّ له الحصول على دراهم

فقلت لنوما : وهل لديك ادلة على تذنيب شارل كاستنيه

فاجابني : انك كنت حينما دخلت بيت شارل ولم اجد فيه سوى قفاز سرني وجوده فجئت بهِ الى هنا ونفخته حتى اصبح كأن صاحبه يلبسه ووضعته في هذا القالب وصببت عليهِ الجبس وهكذا ترى لدي طبعة يد شارل واضحة كأني صببت الجبس على نفس يده ... وسيدهشك قالب اليد

— وهل ظهرت لك فيه الملامات التي تفتش عنها

— كلا لان جلد القفاز لم يكن مطبوعاً عليهِ اثر الاصابع ولكني توصلت الى شيء مفيد لا اكتفي بهِ ... فانظر

واخذ صديقي ورقة بيضاء من حقيبة رأيت فيها صورة ابهام باللون الازرق فقال لي : ان هذه هي الصورة الفوتوغرافية للابهام الذي وجدنا اثره على مفكرة الموسيو جان كاستنيه والد شارل

ثم اخذ بركاراً وفتحه وقاس بهِ الابهام المصور بكل ضبط ودقة ثم قاس بهِ صورة اليد المطبوعة على الجبس فاذا القياس واحد فصحت مرتعداً قائلاً : يا للهول فقال نوما : نعم يا للهول فان قياس ابهام القاتل الذي وجدنا اثره على مكتب القتيل هو نفس قياس ابهام شارل كاستنيه ...

الفصل العاشر

« ما يمكن قراءتهُ في يد »

وكان نوما ينظر اليَّ باسماً فقال : نعم يا عزيزي كورفيل ان حجم ابهام القاتل وابهام شارل كاستنيه واحد ٠

— اذاً شارل هو قاتل والده وشقيقته

ـ هذا ما يُستنتج لاول وهلة غير انهُ يقتضي أدلة أخرى لاجسر على المجاهرة بفكري . ينقصني معرفة ثنيات الابهام وهيئتها لا تأكد . . . فكيف العمل . . . لندع هذا الان فانا جئنا لنفحص طبعة ابهام المركيز وليس لنقيس ابهام شارل كاستنيه ولا شك ان الصور التي وضعتها في المحلول قد تم اثباتها فيمكنها احتمال حرارة الآلة التي سأستعمل اشعتها فتعكس الصور مكبرة على هذه الدائرة البيضاء

واخذ نوما الصورتين ووضعهما امام آلة كهربائية فلما اندفعت اشعتها رأيت صورتي الابهامين مكبرة على الدائرة البيضاء التي امامها وكانتا واضحتين ترى فيهما خطوط الجلد بيضاء وتقدم نوما من الصور المعكوسة وفحصها بامعان شديد ثم قال : ان الفرق بين الصورتين واضح كما ترى فخطوط الابهام التي كانت مطبوعة على مفكرة القتيل مستطيلة تكاد تحيط بالابهام مما يدلنا ان اليد التي طبعت ذلك الاثر هي ما نسميه في علم التحقيق الشخصي يد شريف لان صاحبها لا يأتي عملاً يدوياً بل يعيش مرفهاً مستريحاً . . . اما خطوط ابهام المركيز فمتقطعة غير مستطيلة كأنما الرجل غير شريف تماماً . . . ولا تستغرب قولي فان لديَّ صوراً عديدة من ايدي من هم نصف اشراف اي من كان والدهم شريفاً ووالدتهم من عامة الشعب او العكس فترى في جميعها ان الخطوط تبتدي بالاستطالة ثم تنقطع بغتة وما ذلك الا لتأثير أحد الوالدين . . . ألا ترى ان الخيل الاصيلة ذات قوام رقيق وقوائم دقيقة وبعكسها الخيل الغير الاصيلة وهو ما يحدث تماماً للآدميين . . . ولكني اجد نسبة بين الابهامين كان قرابة تصل صاحبيهما . . . وليس لدينا من شارل سوى يد مصبوبة اصطناعية . وجزء من حذاء

القاتل مع صورة ابهامه واقصد بجزء الحذاء المسحوق الدقيق اللماع الذي وجدته قد علق بقائمة بمكتب القتيل حين احتكت به رجل القاتل ونحن لم نجد في بيت شارل كاستنيه حذاء من الجلد اللمّاع مقشوراً هذا ومن كان كشارل من الاغنياء المترددين الى المراسح ومحلات الرقص لا بد من ان يكون له عدّة أحذية من الجلد اللمّاع

ربما رأى ان حذاءه قد انقشر فادرك ان ذلك ينم عليه فاخفى الحذاء ولكن يوجد غير شارل من يلبس حذاء لماعاً . . . فيجب عليَّ ان أجد صاحب الحذاء المقشور الجلد ...

واطرق نوما ثم قال : هلمَّ بنا الآن للاهتمام بامور أخرى... يا للانسان ما احقره ... تصور ان اكتشاف هذا السر الغامض وقصاص المذنب لا بل حياة رجل مرهونة على قطع صغيرة من حذاء لمّاع ...

الفصل الحادي عشر

« علامة على الحائط »

ولما هممت بالخروج امسكني نوما وافهمني أن من الغباوة ان نخرج بنفس الهيئة التي دخلنا فيها لان في الشارع جاسوساً يترصدنا وقد رأيناه في شارع امستردام واسرناه داخل العربة لكنه افلت منها ثم عاد الى مراقبة بيتي هذا ويسؤني ان يعرف الناس اني اسكن هنا وكنت اظن انهُ ليس لاحد علم بذلك ويلوح لي ان الرجل الذي رأيناه كان يفتش عن شيء فهو اذن غير متأكد ما يسعى اليه فيجب ان نحذره ولا نريه وجهنا ثانية وفتح نوما باباً في المعمل ودخل منه ثم عاد يحمل ثياباً فامرني ان البس

احدها فاخذتها واذا هي رداء طويل مما يلبسه العمال ورأيت مكتوباً على القبعة « قومبانية الغاز » ولبس نوما مثل لبسي ثم اعطاني صندوقاً من الصفيح كالذي يحمله عمال قومبانيات الغاز وحمل هو منفخاً ضخماً وقال لي ضاحكاً : يظهر ان القومبانية بلغها ان الماء دخلت انابيب الغاز فيلزم نفخها ليجري الغاز بسهولة فعلينا اذاً بالخروج الى الشارع لننفخ ونراقب من يقصد مراقبتنا . . . ولكننا لن نخرج من حيث دخلنا يا عزيزي كورفيل فاجبته : ما هذا التحوط والحذر ... لِمَ لا تلقي القبض على الرجل الذي يتجسس اعمالك فتعلم منه ما يقصده

— كان من حقوقي القاء القبض على الرجل يوم تبعني الى ادارة البوليس ولكنه افلت من يدي اما الآن وهو في شارع عمومي يحق لكل انسان المرور فيهِ فلا يمكنني ذلك لئلا يلتجئ الى قنصله فيقيم عليَّ الدعوى وليس عندي برهان على انه يتجسسني ثم هنالك مانع آخر فاني لو قبضت على الرجل علم رفاقه الذين كلفوه مراقبتي اني اسكن هنا واني اخشى مراقبتهم لي ... والحكمة تقضي عليَّ بان اتركه ورفاقه احراراً لأطّلع على مقاصدهم ونيتهم فاتبعني اذاً فترى الصيد يطارد الصياد . . .

فسرت الى الباب الذي كنا قد دخلنا منه فقال نوما: الى اين تذهب . . . كيف يبدو لك الخروج من هنا . . . ألم يخطر ببالك ان من الغريب ان ندخل الى هنا بشكل مصورين ثم نخرج بهيئة عمال الغاز أوفاتك ان عملنا هذا ينبه الافكار الينا فاتبعني .

وكان في زاوية من الغرفة سلم خشبي وراءة غرفة من قماش فدخلناها فرأيت معلقاً على جدرانها سيوف ورماح وصور واشخاص من المرمر

وكثير من العاديات (لآثار القديمة) وفي احدى زواياها سرير من خشب فوقه ثلاث صور محاطة بسيوف وبنادق ورماح قصيرة فاقترب نوما ومد يده تحت احدى الصور وضغط فرأيت الصور والسيوف والرماح قد مالت الى الداخل ثم الباب قد فتح وامرني نوما ان اصعد الى السرير وامر ففعلت وتبعني واقفل الباب السري فاصبحنا في مكان ضيق فقال لي نوما ان انحني جهدي وانظر الى ما فوقي فاطعت ونظرت فرأيت ثلاثة سيوف ممتدة من ثلاث زوايا متقاربة الى حد لا يمكن احداً المرور من بينها فقال لي نوما : ان من يدخل الى هنا يقع في فخ لا مناص له منه وبمجرد دخوله تظهر هذه السيوف ويدق جرس كهربائي لتنبيه خادمي فيرمين فيأتي ويقبض على من هنا . . . وكذلك اذا دخل احد الحديقة فلا يخرج منها الا اذا شئت

ثم مس نوما زراً في الحائط فدخلت السيوف في الحائط وتابعنا سيرنا فنزلنا سلماً درجاته مؤلفة من صناديق خشبية فسألت صديقي في اي مكان نحن فاجاب اننا لم نزل في بيته فنظرت حولي فرأيت امامي باباً ضخماً وراءه قضبان حديدية قوية ففتحه نوما بسهولة غريبة ونصت قليلاً ثم امرني بالنزول وكان وراء الباب سلم بيت عظيم فنزلناه واتينا الى ممر فاجتزناه ووصلنا الى غرفة البواب وكان هذا واقفاً على الباب يدخن ولحظت انه تبادل اشارة مع صديقي فادركت انهُ من البوليس وقال البواب : هل اصلحتم الانابيب

فاجاب نوما : اصلحنا شيئاً منها ولكن يلزم ان ننفخ في الانابيب التي على الطريق

فاشار البواب الى جهة من الطريق قائلاً : حسناً تفعل فانه يوجد ماء في الانابيب وجميع سكان الشارع يشكون خصوصاً الذين في تلك الجهة . . . فلاشك ان العلّة هناك . . .

فخرجنا الى الشارع ولكني لم اعرفه فاجتزناه ودخلنا شارع ثانياً على يمين الاول فعرفته انهُ نفس الشارع الذي دخلنا منه الى بيت صديقي دوران المصور . . . او بالحري نوما فاجتزنا الطريق الى الرصيف الثاني حيث كان يوجد عدّاد عمومي للغاز ففتحه نوما واخذ من الصندوق الذي كنت احمله انبوباً من الكاوتشوك وضع احد طرفيه في العداد والطرف الآخر في رأس المنفاخ وقال لي : انفخ باعتناء وانظر خلسة الى شمالك في الطريق

— اني ارى رجلاً فهل هو الذي كان يترصدنا

— نعم هو بعينه ويظهر من هيئته انه ضجران متكدر لانه لم يجد ما يفتش عنه . . . او لم يحضر من ينتظره . . . وانما هو ينتظر خروجي من بيتي . . . وانا مستاء من هذا التجسس . . . وبامكاني ان اخفي عن هذا الرجل كل اثر مني لكني قلق لان محل عزلتي الذي كنت اظنه مجهولاً قد اصبح معروفاً ترى كيف توصل خصومي الى معرفتهُ . . . اني لاأشك بامانة انفار البوليس الذين تحت رئاستي والارجح اني قد تغافلت يوماً ما فجئت غير محترسٍ الى هنا فعرف محل سكني في هذا الشارع . . . فانا نمت على نفسي . . . يا لغباوتي . . . وجلس نُوما على الارض مسنداً ظهره الى الحائط واشتمل لفافة فكان من يمر ويرانا يعتقد كل الاعتقاد اننا من عمال قومبانية الغاز وبينما انا انفخ رأيت نوما قد ارتعش فنظرت الى حيث كان موجهاً

نظره فرأيت رجلاً اسمر واقفاً امام الرجل الذي كان يترصدنا على الرصيف الثاني فقلت : اهذا الرجل الجديد هو الذي رأيناه في شارع امستردام

— نعم هو ... وقد وقف امام الثاني وطلب منه ان يسمح له باشعال لفافته خلافاً لعادة ذوي الادب وهذه حيلة لاتخفى عليّ فانهما تبادلا الحديث فاعلم المتجسس رفيقه اني دخلت البيت واختفيت عن بصره ولا شك ان صاحبنا الجديد امره بالاهتمام بامر آخر قبل أن ينصرف عنه

وفي اثناء حديث نوما معي كان الرجل يتمشى على الرصيف كانه واقف لانتظار احد ثم نظر يميناً وشمالاً ومد يده الى جيبه وتقدم الى الحائط الذي تجاه باب نوما وحكّ عليهِ ثقاباً مراتٍ متوالية واشعل لفافةً فقال نوما : ان الرجل محتال نبيه لكني اكثر منه حيلاً ... فانه اراد ان يعرف بيتي او يسهّل معرفته لمن ينوب عنه في تجسس اعمالي فتظاهر بحك الثقاب على الحائط ولكنه رسم علامة يهتدي اليها بسهولة وعمله واضح لانه لو قصد اشعال اللفافة فقط لامكنه اشعالها من التي رماها بعد ان قدمها لصديقه الذي ابتعد عنه ... وسترى العلامة على الحائط

ونهض نوما وناب عني في النفخ ثم قفل العداد قائلاً : ان مشتركي قومبانية الغاز لايجوز لهم الشكوى لان القومبانية تابي طلبهم للحال وتبادر الى الاصلاح ...

ثم حملنا ادواتنا ومشينا الى الجهة التي فيها الرجل فقال نوما : امشي ببطء لاريك العلامة التي على الحائط

ولما وصلنا اليها قال : لاتلتفت يا كورفيل اني ارى العلامة مرسومة بطباشير وهي صليب في جانبيه نقطتان ... انظر الان

فرأيت على الحائط علامة هذا رسمها .×. وقال نوما : قد سبق لي ان رأيت هذه العلامة ولا شك ان عندي في سجلي الخاص وصفاً يتعلق بها ... ولكني حائر في امري فهل ابقي هذه العلامة واكلف احد انفاري ملاحظتها لمعرفة من يأتي وينظر اليها ... لا فربما انتبه خصومي الى انهم مراقبون فيشتد حذرهم والاوفق هو ان أمحو هذه العلامة الآن فانظر يا كورفيل كيف امحوها بدون ان امسّها بيدي او يلحظ احد عملي

واشار نوما بيده الى البيت الذي امامنا كأنه يريني فيه شيئاً وانحنى وهو يشير فحك كتفه وذراعه بالحائط فمحا العلامة وقال : قضي الامر فلنذهب الآن الى الحانة التي امامنا كما هي عادة العمال عند انتهاء عملهم ... فان النفخ سبب لنا عطشاً شديداً ...

الفصل الثاني عشر

« رسالة بامضاء .×. »

كان نوما متقشفاً بعيداً عن شرب الخمرة فلما سألني ان نذهب الى الحانة ادركت انهُ يقصد امراً ما هناك ولما وصلنا طلب زجاجة من الخمر وقدحين فشربنا وبعد قليل خرج الشاربون فاصبحنا وحدنا فنظر نوما الى صاحب الحانة فحنى هذا رأسه واشار اشارة بيده فقال لي نوما اتبعني

ثم نهض فصعدنا السلم الذي في آخر الحانة ولما انتهينا الى الطابق الاول فتح باباً فدخلنا وغيرنا ثيابنا وكنت مدهوشاً فقال لي نوما : لا تستغرب يا عزيزي كورفيل. هذا المكان يخص ادارة البوليس لان مهارة الاشقياء واللصوص وتعاضدهم يضطرانا الى استخدام كثير من الطرق

والا ما كن ليسهل علينا القيام بوظيفتنا ... ان المشكل الذي اسعى اليوم الى حله لاشد اشكالاً من كل ما عرض لي في حياتي

— اذاً يكون فضلك اعظم متى توصلت الى حله

— نعم ... اذا نجحت ... ولنذهب الآن الى بيتي المعروف باسمي في شارع لبّاك

وكان لنوما في بيته الشرعي خادم قوي شجاع امين كالذي في بيته السري اي الذي يسكنه تحت اسم دوران المصور فلما وصلنا قال لسيده انه قد وردت عدة رسائل باسمه فاخذ نوما في قراءتها ولما انتهى الى احداها صرخ مستغرباً فعلمت ان في الرسالة امراً هاماً اذ لولا ذلك لما صاح صديقي مع انه اعتاد ان يرى كل غريب بدون ان يتأثر فسأله عن سبب دهشته فقال ان التحرير الذي في يده غريب وله علاقة في ما يفتش عنه ومد اليّ ذلك الكتاب فنظرت الى التوقيع الذي فيهِ ودهشت انا ايضاً لاني رأيت فيهِ هذه العلامة .×. اي نفس العلامة التي محاها نوما عن الحائط امام بيته وقرأ صديقي ما يأتي:

« انك لم تجب على رسالتي الاولى اعتقاداً منك ان كل كتاب غفلٍ لا يستحق الاهتمام ولعلك عددت من المزاح التوقيع الذي كان فيه والذي تراه في هذا الكتاب ايضاً ... ولكني أؤكد لك ان الامر خطير خصوصاً اليوم ... ولم اوقع باسمي لئلا يعرف وانا لي تمام الثقة بك غير اني احاذر من عمال البوسطة ... فكثيراً ما فقدت رسائل مهمة فارجو منك ان تجاوب للحال على طلبي هذا . اود ان احادثك سراً بعيداً عن باريس في بيت اوافيك اليه وحدي ولك الخيار ان تنشر انفار البوليس

حول البيت لتكون مطمئناً ... طي رسالتي هذه خارطة تدلك على البيت... اذا كنت تفضل مكاناً آخر عرّفني فأحضر بدون تأخر وانما اشترط ان يكون خارجاً عن باريس . ولا تستغرب اشتراطي عليك فاني مهدّد بما تجهله . تكرم واجبني في اعلانات جريدة الجورنال هكذا : م . ر . ن . « رضيت » أو « غير ممكن » وعين اليوم الذي تشاءه وأكرر القول بان الامور تستدعي الاسراع لانها ذات خطارة عظمى »

ولما انتهى نوما من القراءة لبث مفكراً بضع دقائق ثم قال : ان لكاتب هذه الاسطر علم بامور ذات اهمية وهاك الادلة فان الرجل يقول انه كتب اليّ قبلاً ولكنه لم تصلني رسالة منه قط

— اذاً لم يكتب اليك بل هو كاذب

— ولماذا تراه يكذب لا ارى ما يدعوه الى ذلك بل هو قد كتب وانما سرقت رسالته . سرقت بعد ان كتبها قبل ان تصل الى هنا اذ لو وصلت لما فقدت لان كل من حولي أمناء لي بهم ثقة تامة

— قد ادركت ما تعنيه وانا ارى مثلك ان في عداد مستخدمي البوسطه من هم من اعدائه

— بئس ما تعتقد يا كورفيل فانه ليس لمستخدمي البوسطة دخل في امر الرسالة ولأي غرض يسرقون ما هو باسمي وكيف عرفوا تلك الرسالة من بين الرسائل العديدة التي ترِد اليّ كل يوم . ولو سلّمنا بانهم تمكّنوا من تمييزها فلماذا لم يسرقوا الرسالة الثانية التي وصلتني اليوم ... ان الاولى لم توضع في البوسطة ... واظن الكاتب سلّمها الى شخصٍ له ثقة به وذلك الشخص يخونه . اما وصول الثانية فأعلِّلُ عنه بان الكاتب شك وارتاب

بالرسول او انه كان قريباً من بيت البريد فرمى الكتاب فيه بيده فوصل اليَّ . . . ويحملني على الظن ان لدى كاتب هذه السطور اطلاعاً على امورٍ خطيرة تيقني انه اجنبي

— وكيف عرفت ذلك

— من تكرارد نفس المعنى وطول الجمل وكثرة حذره وتحوّطه . ولا شك انه كامل الادب كثير الملاطفة وبالجملة فهو ايطالي

— لا تغالي يا توما . . . كيف يمكن لك ان . . .

— مهلاً يا عزيزي ألم نعرف الرجل الذي كان يرقبنا انهُ ايطالي وبما استدللنا على ذلك أليس من هيئته فلم لا تعرف جنس رجل آخر من كتابته . لو كان الكتاب من الماني او انكليزي لكان اكثر اختصاراً ووضوحاً ولو كتبه افرنسي لكان اقل ملاطفة ومماحكة أو اسباني لكان اكثر فخامة وأقل حذراً ولأظهر الغضب لعدم جوابي على رسالته الاولى فكاتب هذه الاسطر ايطالي سياسي كثير الدهاء عظيم الحذَر ميّال الى الدسائس . . . يسعى الى امور مخيفة تنطوي تحت الخفاء

— اني معتقد الآن ما فصلته لي

— وازيدك انه لو كان الكاتب المانياً او انكليزيّاً او افرنساويّاً او غيره لما استعمل علامة سرية بدلاً من اسمه وعليهِ فهو كاغلب الايطاليين عضو في جمعية ما سريّة لا علم لنا بها

— هل تظن يا توما انه نفس الرجل الذي رسم العلامة على الحائط امام بيتك

— ربما كان هو او احد اعضاء الجمعية الذين يعملون معهُ او يسمون

ضدّه . . . ومن الممكن ان يكون هو العامل ضدهم

ـــ اذاً هو خائن

ـ ان في كل جمعية سرية خوَنة

ـ وما الذي تنويه

ـ اني انوي الذهاب الى الموعد الذي ضربه لي لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تطلعني على الحقيقة فيما يتعلق به

ـ ربما وقعت في تهلكة اعدها لك ذلك الرجل

ـ هذا امر ثانوي . . . فان غايتي الجوهرية هي معرفة السرّ الغامض الذي ابحث عنه

ولم اخشَ على حياة نوما لعلمي شدة حذره ورزانته في اتيان كل عمل خطير تدفعه اليه شجاعته وسألني نوما هل ارغب في مرافقته لمقابلة صاحب الرسالة فاجبته اني اتمنى ذلك فقال لي ان استعد اذاً ليوم الجمعة وكلّفني ان اذهب الى ادارة جريدة الجورنال واطلب من وكيل اشغالها نشر جوابه في الاعلانات وهذا نصه « . م . ر . ن . قبلت يوم الجمعة الساعة الخامسة » وحييت صديقي وسرت للخروج واذا الجرس المعلق على الباب الخارجي يقرع فقال نوما : ترى من القادم . . . قد فاتني ان انبه على خادمي ان لا يسمح لاحد بالدخول

وكان الخادم قد ذهب وفتح الباب فسمعناه يتكلم مع امرأة وفهمنا من لهجتها انها تتوسل اليه في ان يسمح لها بالدخول الى سيده فاجابها انه غير متأكد اذا كان سيده موجود في البيت وانه ذاهب ليتأكد ذلك ثم جاء فاعلم نوما ان امرأة بديعة الجمال تطلب مقابلته ودفع اليه بطاقتها

فامره نوما بادخالها الى مكتبه وهممت بالانصراف فقال لي ان ابقى لانه يعتقد ان للمرأة التي تطلب مقابلته علاقة بالمسئلة التي نحن مهتمون بها فاخفى الرسالة واراني بطاقتها فقرأت فيها هذا الاسم (الفيرا فوكامور)

ولما دخلت السيدة سُحرنا بجمالها الفتان ولكن افكارنا تنبهت للحال الى الأبزيم الذي كان يضم رداءها عند العنق فانه كان من الذهب المرصع بالماس وفيهِ لؤلؤتان جميلتان ولم يذبه فكرنا جمال الحلية بل كيفية تركيبها فان لذهب كان بهيئة صليب واللؤلؤتان مرتبطتان به بهيئة نقطتين هكذا .X.

الفصل الثالث عشر

« الجاسوسة الحسناء »

ولما دخلت السيدة شكرت نوما لسماحه لها بالدخول واعتذرت عن الحاحها في مقابلته وحجتها ان ما جاءت لأجله مهم خطير ولحظت ان جمل الزائرة تشابه في تركيبها جمل الرسالة التي كنا نقرأها مع صديقي قبل دخولها وكان نوما ساكن الجأش لاتبدو على وجهه علامة تدل على شيء مما في نفسه وقال للسيدة برزانة غريبة : تفضلي واجلسي فانا مصغ اليكِ

فنظرت اليَّ خائفة فاعلمها اني صديقه الحميم ومساعده في اعماله فيمكنها ان تتكلم بحرية امامي فحنت رأسها مسلمة عليَّ بابتسام لطيف فاطرق نوما نظره وقال :

— ما الذي تطلبينه ايتها السيدة وهل بامكاني ان اقدم لك خدمة

— بامكانك ان تنقذ حياتي بانقاذ زوجي لان سعادتي الوحيدة هي حبي لزوجي

— هل من خطر على حياة الموسيو فوكامور

فابتسمت السيدة وقالت : ان فوكامور هو اسمي انا بل اللقب الذي غلب عليّ وانا مغنية في ملاعب ميلانو واما قولي زوجي ففيه نظر لانه حبيبي فقط وانما الناس يعتقـدون انه زوجي ولولا اصطلاحات الناس والتقاليد التي يسيرون عليها من الازدراء بالشريف الذي يقترن بمن هي اوضع منه نسباً لتم زواجنا شرعياً ... فانا هي الفيرا فوكامور اما زوجي فهو الكونت أنجليو دي فيلاسر بوري

ولما لفظت السيدة اسم زوجها نظرت الى نوما بامعان لترى ما لذلك الاسم من التأثير عليه فرأت انه لا تأثير له فقطبت حاجبيها ورددت متأنّية في لفظ الكلمات : زوجي هو الكونت أنجليو دي فيلاسر بوري

فاجاب نوما : نعم يا سيدتي... الكونت أنجليو دي فيلاسر بوري... قد سمعت . . .

— ألا تعرف الكونت دي فيلاسر بوري

— كلا لسوء حظي

— ألم تعرفه قط

— كلا يا سيدتي

— ولكنك لا بد من ان تكون سمعت باسمه

— هذه اول مرة اسمع هذا الاسم

فنظرت السيدة الى نوما تحاول ان تقرأ ما في ضميره . . . اما هو

فقال : اذاً الكونت مهدد بخطر قريب عظيم

— نعم

— وما هو نوع الخطر

— لا اعلم

— كيف ذلك

— نعم اجهل ما يتهدده . . . او بعبارة اولى اعلم نوع الخطر ولكني اجهل كيف يتعرض له زوجي واين يصيبه

— عفواً يا سيدتي فان كلامك غامض ارجو منك الافصاح عنه

— سامحني فان الخوف والجزع قد اثرا بي . . . ان زوجي معرّض لخطر ربما افقده الحياة ولكن ليس لي علم الا بالتهديد الذي وجّه اليهِ

— اذاً زوجك يستبعد الوقوع في ما تهدد به

— بل بعكس ذلك

— اذا لم يمكنه الابتعاد فيأخذ كل احتياط ليدافع عن نفسه . . . واني اعتقد ان حبك لزوجك قد جسم في عينيك الامر

— ان الامر لاعظم مما يمكنني ان اصفه لك

— امنعي زوجك عن الذهاب الى حيث تعلمين وجود الخطر

— ليس ذلك بامكاني ... ولهذا جئتك لعلمي بقوتك ومهارتك وما لديك من الوسائط الفعّالة فامنع انت زوجي واحمهِ ودافع عنه

— ولكني اجهل مما احميه ومن شر من ادافع عنه ... اجهل ما هو الخطر

— انه لخطر عظيم ... هذا كل ما اعرفه

ـ اذا كنتِ لا تعرفينه تماماً أفلا يتبادر الى فكرك شيءٌ من الظن والتخمين

ـ كلا يا سيدي

ـ اسمحي اذاً ان نبحث معاً لانه يجب علينا الاسراع نظراً لقرب وقوع ماتخشين ... فاي خطر ترينه يتهدد رجلاً كالكونت فيلاسربوري .. أليس هو غنياً

ـ ان ثروته عظيمة جداً

ـ هل هو من المغرمين بالملاعب وسباق الخيل الى آخر ما يميل اليه الاشراف عادةً

ـ نعم

ـ اذاً ما يتهدده ليس فوق المعتاد بل من الاخطار الاعتيادية التي يمكن اتقاؤها ... فاذا كنتِ تخشين عليه من الغرق او من خروج قطار عن سيره فامنعيه عن السفر

ـ ليس هذا ما أخشاه

ـ هل هو صعود في منطاد

ـ كلاّ

ـ ربما خوفك ناتج عن ميله الى ركوب الخيل او السيارات ... ام ترينه ينوي مبارزة احد

فابرقت اسرّة الفيرا وقالت : ان ما اخشاه هو من هذا النوع

ـ لعله تشاجر مع احد اصدقائهِ فطلبه الى البراز او ان احدهم افتتن بجمالك ...

ـ ليس ذلك . وللبراز اسباب عديدة غير ما ذكرت كالسياسة مثلا

ـ هل زوجك ممن يهتمون بالسياسة وهل يتعاطاها هنا في فرنسا

ـ نعم

ـ كيف ذلك وهو ايطالي

ـ ان سياسته سرية لانهُ عضو احدى الجمعيات السرية ... وهو يخفي عني ذلك ولا شك انك مطلع على اعماله ...

ـ كلا يا سيدتي فاني مكلف من رؤسائي بما يتعلق بالمجرمين وليس لي ان اهتم بالمؤامرات وبما ان الكونت دي فيلاسربوزي لم يرتكب اثمًا ما فلم ارهُ ولا اعرفه فاطلبي اذاً رئيس البوليس العام على مخاوفك فيكلف رئيس فرقة البوليس الموكول اليها امر السياسيين في المحافظة على زوجك

ـ ان ذلك يستغرق وقتاً طويلاً وربما سبق السيف العذل

ـ عليك اذاً ان توضحي لي افكارك بكل صراحة وتأكدي اني احفظ سرك ... تكلمي

ـ ان زوجي ضرب موعداً لبعض اصحابه ... او انهُ تهدد بعض اخصامه ... انا اجهل حقيقة الامر وغاية ما اعلمه انهُ تواعدهو وبعضهم على الذهاب الى ضواحي باريس

ـ هل يمكنك ان تحددي لنا مكان الملتقى

ـ قيل لي انهُ في جهة مانت

ـ هذا لا يكفي

ـ ربما كان المحل المعين اقرب الى باريس

ـ زدتني ابهاماً

السؤال الرابع

هل يقتل الكونت دي فيلاسر بوري ؟

— كيف ... ألم يبلغك شيء من هذا ... ألم تسمع قط بمثل هذا الامر ... ألم يصلك كتاب ينبه افكارك الى ما اذكره لك

— مطلقاً

— رباه اذاً فات الوقت ولن يمكننا الوصول قبل وقوع ما اخشاه

— لا ذنب لي في ذلك لانك لم تذكري لي شيئاً واضحاً اجري بموجبه واستدرك وقوع ما تخشينه

— راقب زوجي

— واي حق لي بمراقبة الكونت ... ان ذلك من تعلقات محكمة السين فانذريها

— ربما علم زوجي وانا لا اريد ان يعرف اني طلبت مراقبته

— اني اودّ تقدمة خدمة لك ولكني لا ارى سوى واسطة واحدة لذلك

— وما هي

— اجتهدي ان تعرفي من زوجك شيئاً اكيداً عن الخطر الذي يتهدده فمتى عرفت ذلك اطلب من رؤسائي ان يسمحوا لي بالعمل فابذل ما في وسعي لمرضاتك ... ومن كانت بجمالك ودلالك يسهل عليها اقناع زوجها وجرّه الى كشف شيء مما يخفيه

فشكرت ألفيرا ثم خرجت فشيعها نوما الى الباب ولما عاد الى مكتبه نظر اليّ متبسماً وقال : ما رأيك في هذه المرأة يا عزيزي كورفيل

— انها جميلة

— بل بديعة فتانة ولكن ...

— انها كاذبة يا نوما

— نعم ... انها كذبت لتحملني على قول الحقيقة

— واي حقيقة تعني

— التي اشارت اليها في الرسالة الثانية اي الرسالة التي كنا نقرأها قبل وصول تلك السيدة فانها لاتحب الكونت كما تدعي لان المرأة التي تحب رجلاً وترى حيوته مهددة لا تتأنق في اللباس مثلها ولا تصقل وجهها ولا تكحل عينيها لئلا يسيل الكحل اذا بكت ... فكل ما قالته لنا محض كذب في قالب الحقيقة ولكن ذلك لم يخفَ علينا

— صدقت يا نوما

— يسرّني انك اصبحت قليل الثقة بالظواهر

— اني في ذلك متبع نصائحك لي

— وها انا اتابع تعليمك الآن فاعلمك ان هذه المرأة ...

— لاتحب زوجها ...

— بل اكثر من ذلك .. هي اكبر عدوّ له ... ولم تأتِ لتطلب مني ان ارد عنه الخطر بل لتجلبه عليه

— لم افهم ما تعنيه

— اعلم يا كورفيل ان هذه السيدة هي التي سرقت رسالة الرجل التي ارسلها باسمي ولم تصل كما علمنا من قراءة الكتاب الثاني وزيارتها لي هي اوضح دليل واعظم برهان على انها السارقة

— لم افهم بعد

— « لاشك بان الكونت يهوى هذه المرأة ولكنه يجهل انها تخونه وهو يطلعها على كل اموره ما عدا علاقته بالجمعية السرية التي هو عضو

منها ... وربما ذكر لها عنها شيئاً قليلاً ونحن نجهل من هو الكونت واي دخل له في الجمعية وما سبب غضب جمعية اخرى عليه ... كل هذا لا يهمنا ولكني اعتقد ان اعداء الكونت اقوياء ذوو سطوةٍ عظيمة ولهذا لجأ اليَّ لاحميه كما اني اعتقد ان عشيقته ألفيرا الجميلة هي من حزب اعدائه تنقل اليهم كل ما تعلمه منه وعنه »

— يا للفظاعة ... ان الايطاليين يمزجون الخيانة بالحب والسم بالخمر والموت بالازهار

— وهاك ما استنتجه من كل ما علمته حتى الان : ان الكونت دي فيلاسربوري في خطر شديد من اعدائه او من جمعية سرية ترمي الى غير ما تسعى اليه الجمعية التي هو في سلكها ولذلك لجأ الى البوليس الفرنساوي في شخص احد اعضائه ذوي الشهرة في الخارج اي اليَّ انا مارتين نوما

— لقد احسن الاختيار

— شكراً لك ولكن الكونت شعر انه محاط بالجواسيس وليس بامكانه ان يأتي اليَّ شخصياً فكتب التحرير الذي تعلم وضرب لي موعداً خارجاً عن باريس

— عفواً يا عزيزي نوما ... ان سرّه قد افتضح بمجرد اطلاع اعدائه على رسالته الاولى

— يا لك من متسرّع يا كورفيل ... ان الكونت ليس غبياً فان من كان عضواً في جمعية سرية يكون عنده من الحيل ما لا يعد ولا يحصى وعليه فان الكونت لما علم بان رسالته الاولى لم تصلني كتب الثانية وضرب فيها

موعداً غير الذي كان عينه في الاولى فعلمت عشيقته ألفيرا انه كتب اليَّ وفاتها ما في الكتاب فاخبرت بذلك ابناء حزبها فارسلوها اليَّ لتتأكد وصول الرسالة اليَّ وتعلم الحقيقة مني فلبست لشدة مكرها ذلك الرداء الذي عليه علامة كعلامة حزب زوجها اعتقاداً منها اني متى رأيتها آنس اليها واعلمها اللازم لحماية زوجها . . . ولكنها لم تفلح لان تلك العلامة حملتني على الحذر ولم انظر فيها قط مدة محادثتها معي . . . فاذهب الى جريدة الجورنال وانشر الاعلان الذي سلمته اليك فيطلع عليه الكونت غداً . . . اما انت فتقابلني في الصباح في احدى القهوات التي تعلم اني اتردد اليها فنذهب معاً الى موعد الكونت

— ولكن اهتمامنا بهذه المسألة يشغلنا عن قضية مقتل كاستنيه

— هل تظن انه لا علاقة بين الامرين

— وأي علاقة بين مقتل كاستنيه والكونت فيلاسربوري

فقهقه نوما ضاحكاً وقال : متى اطلعتُ على هذه العلامة السرية متى اصبحتُ موضوعاً للمراقبة ؟

— منذ يوم مقتل جان كاستنيه

— اذ كنت عالماً ذلك فكيف تسألني اي علاقة بين موت كاستنيه والكونت فيلاسربوري . . . قل لي من اي مقاطعات ايطاليا هو المركيز بريمو دي كارمين سنتوشي

— هو من مقاطعة صقلية

— والكونت دي فيلاسربوري . . .

— من صقلية ايضاً

— تيقن اذاً اني لا اذهب الى موعد الكونت لمجرد النزهة فقط ...
هل لديك مسدّس قوي

— نعم

— احضره معك غداً فربما اضطررت الى استعماله ...

الفصل الرابع عشر

« فندق على شاطئ الماء »

والتقيت في صباح اليوم الثاني بنوما فنصحني ان اتناول طعاماً مغذياً لانه من الممكن ان لا يتيسر لنا ان نأكل فيما بعد وسألته ألم يحدث شيء جديد منذ البارحة فقال لا وانه لم يلاحظ شيئاً غير اعتيادي حوله ولما قمنا لركوب العربة التي كانت بانتظارنا خيل لي ان السائق هو أحد الثلاثة الذين كانوا يوم فتشنا بيت شارل كاستنيه فاذا بي مصيب في ظني مما حمل نوما على مدحي لقوة ذاكرتي وشدة انتباهي ولما سارت بنا العربة اشعل صديقي لفافة واخذ يدخن ووجهه طافح بالسرور كانما هو ذاهب الى محل النزهة ولا غرابة فنزهة نوما وملذته قائمة في التعرض الى الخطر وهل اعظم خطراً من الذهاب الى موعد لا نعلم ماهيته ولا ما ستكون نتيجته فان الرسالة التي قرأناها لم تكن واضحة وربما كان كاتبها غير الكونت دي فيلاسربوري ... وامعنت الفكرة لحل هذا المشكل فادرك نوما ارتباكي وقال: اعلم يا كورفيل ان الكونت دي فيلاسربوري هو كاتب الرسالة

— هل بلغك شيء عنه

— نعم ... فهو شاب جميل عظيم الثروة مغرم بألفيرا ... وكان

بامكانه ان ينال مركزاً عظيماً في ايطاليا لكن عشيقته أغوته وادخلته في امور اضرت بمصلحته وعكرت كأس حياته وحاول اهله اقناعه بترك تلك التي تخونه فقطع كل علاقة معهم ومع والده الذي هو من اكبر نواب ايطاليا واعلن انه ينوي الاقتران بالمغنية ألفيرا

— اذاً ما نهتم به هو من الامور الغرامية

— ان للحب دخلاً في ما نحن بصدده ولكن للسياسة تأثيرا اكبر ... واعظم منه تأثير الدراهم ... وظني ان من لهم دخل في هذه المسألة يستعدون لقتل شخص ما ... ولا بد من ان تجلي لنا الحقيقة ...

وكنا قد وصلنا الى غاب بولونيا فسرنا في احد طرقاته المقفرة فاوقف السائق العربة وامسك نوما الباب وانتظر قليلاً فضرب السائق بسوطه على العربة ففتح نوما وقال فلننزل ... ولما صرنا على الطريق نظر اليَّ ثم طلب مني قبعتي واخذها فوضعها في العربة وجاءني بقبعة ونظارات كالتي يلبسها سائقو السيارات ورداء طويل فلبستهما ولبس هو مثلي وانزل كل من قبعته على جبينه فلم يعد بامكان احد ان يعرفنا ومشينا الى داخل الغابة وكان هناك كثير من العربات جاء فيها اصحابها للنزهة ورأيت بالقرب من العربات سيارة بديعة الطراز سائقها جالس في مكانه وبالقرب من بابها خادم حسن الهندام فلما رآنا هذا فتح باب السيارة وصعد نوما اليها فتبعته ومشت بنا بسرعة فائقة فاجتزنا الغاب وكثيراً من القرى حتى وصلنا الى قرية فيلان وهناك خفف السائق السير فتركنا القرية ورائنا وانتهينا الى فندق صغير على شاطئ السين فنزلنا ونظر نوما الى النهر فرأى بعض الصيادين يلقون شباكهم فقال بصوت منخفض : كل شيء سائر كما اشتهي

فادركت ان الصيادين ليسوا سوى بعض انفار البوليس المتنكرين وانه امرهم بالحضور الى ذلك المكان لانجاده عند الحاجة

ولما دخلنا الفندق قال لنا صاحبه ان الرجل الذي جئنا لمقابلته جلس تحت دالية على شاطئ النهر وسألنا اذا كنا نرغب ان يدعوه الينا او يخبره بحضورنا فاجابهٔ نوما اننـا نفضل الذهاب اليه وسرنا الى حيث كان الرجل فقال لي نوما : انا موجودون الآن في مكان اصحابه مخلصون . . . او ضمن شرك نصبه الاعداء والرجل الذي ينتظرنا يجهل ذلك

ووصلنا الى حيث كان الرجل وكان لابساً مثلنا فلما رآنا وقف سائلاً : الموسيو مارتين نوما فاجابه صديقي أنا هو فقال الرجل انا الكونت دي فيلاسربوري وتصافحا فاشار نوما اليَّ قائلاً : هذا صديقي ومعاوني الموسيو كورفيل فسلم الكونت عليّ مصافحـاً وهو طويل القامة اسمر اللون عيناه سوداوان جميلتان طلق الوجه تلوح عليه سمات الانفة وحرية الضمير ومجمل هيئته انه جذاب للنفوس وقال الكونت لنوما : عفواً يا سيدي لبعد المكان الذي سألتك الحضور اليهِ وشكراً لك على حضورك ولكن عذري هو ان الضرورة حملتني على تعيين هذا المكان لاني محاط بالاعداء والجواسيس ولو علموا ان لي اقل علاقة معك قتلوني لامحالة ... ولديَّ أمور خطيرة احب ان اطلعك عليها

فاجاب نوما : يسرني انك هنا في مأمن من اعدائك

— اني اعتقد اننا هنا في امان

— عسى يكون ما تعتقد . .

— لاشك يا موسيو نوما انك ظننت اولاً ان كتابتي من باب المزاح

او الهزء بالبوليس فلم تجب على رسالتي الاولى

— ان تلك الرسالة لم تصلني

فارتعد الكونت وصاح : كيف ... ألم تصلك حقيقة

— كلاّ ... لانها سرقت قبل وصولها اليّ او انها لم توضع في البوسطة فهل عينت فيها موعداً لاجتماعنا

— نعم

— لا شك انك غيرت مكان الموعد في الرسالة الثانية

— لم اغيّر شيئاً لسوء الحظ

— هذا غلط جسيم ... فعسى ان لا ينتج عن اهمالك امر مضر

— اني اظن عكس ذلك ... كيف فقدت تلك الرسالة من البوسطة

— انها لم تفقد

— لا بل اؤكد انها فقدت منها لان الرجل الذي سلمتها اليه ليرميها فيها أمين مخلص لي وقد قضى عدة سنين في خدمتي

— ولكن بعض من هم حولك كالكونتة دي فيلاسربوري مثلاً...

— انا غير متزوج والتي ستكون يوماً الكونتة دي فيلاسربوري هي ألفيرا فوكامورا المغنية الشهيرة وانا اثق بها ثقتي بنفسي ... آه لو تعلم ما اشد الحب الذي يجمعنا

— ألم تذكر للسيدة الفيرا شيئاً عن الرسالة ... ان النساء لا يقدّرن الامور حق قدرها ...

— ان ألفيرا اعز لديَّ من حياتي فلا اخفي عنها شيئاً من اموري ما خلا السياسية منها لانها تخص غيري وعليه فقد اعلمتها اني ذاهب الى

النزهة في هذا الصباح ولا اعود الا بعد الظهر

— هل حددت المكان

— كلا فاني قلت فقط اني ذاهب الى موعد بالقرب من مانت

— هل قلت انك متواعد معي

— لم اذكر اسمك ...

— ثم ماذا يا سيدي ...

— هذا كل ما قلته لألفيرا ولما خرجت صباحاً كانت نائمة ... وسيتبادر الى ذهنها اني خرجت لامتحان سيارة او جواد

— ربما ظنت انك ذاهب الى البراز

— لا لا فاني هدأت بالها واقسمت لها انه لا خطر يتهددني حيث انا ذاهب ...

فحنى نوما رأسه ورأى ان التعب في اطلاع هذا الرجل على حقيقة الفيرا يذهب ادراج الرياح نظراً لفرط حبه لها فقال : دعنا من كل ما ليس له علاقة بمجيئنا الى هنا

— اعلم يا موسيو نوما اني عضو من جمعية سرية عظيمة السطوة ... ولاحظت منذ عهد قريب ان الجمعية قد حادت عن الطريق الذي كانت تسير فيه اي التعاضد في السياسة وسار بها رؤساؤها في طريق القتل توصلاً الى غاياتهم ... وانا عالم بسرهم ولو عرفوا ذلك قتلوني لا محالة ... ولكني لا ارى بما ينوونه ... لا ارى ان تصبح تلك الجمعية المفيدة عصابة من القتلة لتخدم بعض الذين دخلوا فيها حديثاً

— اخفض صوتك يا حضرة الكونت لئلا يحمل الريح كلامك الى

حيث لا تريد

ـ صدقت ... واني اريد محادثتك عن المركيز بريمو دي كارمين سنتوشي ...

ولم يظهر اقل تأثير على نوما حين سماعه هذا الاسم وغاية ما لحظته هو ان عيناه ابرقتا وعلا وجهه شبه اصفرار ... وقال : هل تعني خطيب ايرما كاستنيه التعسة

ـ اياه اعني فاسمح لي ان اذكر لك ما في عائلته من الامور السرية الغامضة . اعلم ان المركيز بريمو دى كارمين سنتوسي هو شخص مزدوج

مزدوج ... مزدوج ... ما الذي تعنيه

فلم يجب الكونت وظهر في عينيه الرعب والدهشة فان رجلاً ظهر امامنا بغتةً وكان لابساً ثياب الخدم مما يحمل على الظن انه من خدم الفندق لكن الشريط الذي يربط درّاعته كان متقاطعاً على صدره بهيئة صليب ونقطتين ·X· ووضع الرجل يديه على الطاولة امام الكونت موجهاً الكلام اليهِ بنوع خاص فرأينا وسطى اصابعه مكوفةً فوق الثانية بهيئة X ايضاً وقال الرجل : ان صاحب الفندق ارسلني لأسألكم ما الذى تطلبونه وكان الكونت قد رأى العلامة التي على صدر الرجل والتي عملها باصابعه فوثب عليه ورماه الى الارض ثم اخذ يركض بين الاشجار صائحاً : ويل لي ويل لي ... قد هلكت . فيا لعظم حزنك يا ألفيرا ...



الفصل الخامس عشر

« اصطياد ... رجل »

ولما ابتعد الكونت نهض الخادم ووقف امام باب الخيمة كانه يريد منعنا عن الخروج ولكن لم يكن في نية نوما اللحاق بالكونت اذ لو اراد ذلك لما قدر أحد على منعه فبقي جالساً وقال الخادم : ان صاحبكم مجنون وها هو قد ركب سيارته مسرعاً كانه لا يريد دفع ما عليه ... انه يزيد في سرعة سيارته الى حد انها سترميه في نهر السين ... ويل لمن يصادفه في الطريق فانه سيدوسه

وابتعد الخادم ونظر من خلال الاشجار كانه يقصد ان يرى السيارة ثم سار الى الفندق واختفى . ونهض نوما فنظر الى ما حول الفندق ثم عاد فاخذ لفافة واشعلها بتمهل وقال : ليس علينا ان نفعل شيئاً فلننتظر . وعاد فجلس ودخل اذ ذاك صاحب الفندق فقال :

— ما تطلبون ايها السادة ... ولكن اين صاحبكم

فاجابه نوما : هو عائد بعد قليل

— اي مشروب تريدون

— قلنا لخادمك ما نطلب .

فقال الفندقي مدهوشاً : خادمي ... اي خادم يا سيدي

— الذي ارسلته الينا ليسألنا

— اني لم ارسل احداً يا سيدي لانه ليس عندي خادم

— ولكن جاء خادم الينا وسألنا

— يا للغرابة ان الذي رأيته ليس خادمي

— قد ادركت ذلك . . .

— كيف

— لانه كان يلبس ثوباً غير الذي يلبسه الخدم في هذه النواحي

— ليس يا سيدي للخدم لبس خاص عندنا

— اني عالم ان لبس الخدم هنا كالذين في باريس ولكن الذي رأيناه كان لابساً درّاعة زرقاء

— ان ما فعله هذا الخبيث سيضر بسمعة فندقي . . .

— لا لا . . . ودليل عدم تأثير ذلك علينا نرجو ان تجهز لنا طعاماً يكفي عشرة انفس وسيفيدك صديق لي عن بعض اللازم اجراؤه

وما كاد الفندقي يخرج حتى رأينا رجلاً يركض مسرعاً الى جهتنا فدخل الخيمة اصفر الوجه جاحظ العينين كأنه مجنون وصاح : انجليو . . . ونظر الينا فقال : اين هو اين هو بربكما

فاجابه توما : قد ذهب

— كيف ذهب ومن اي جهة

— ركب سيارته ومضى

فظهرت على الرجل امارات اليأس ولطم وجهه قائلاً يا لتماسته . . . ركب السيارة . . . حل به الويل . . .

ووقع الرجل على كرسي مردداً : يا لتماسته انهُ هالك لا محالة

— ولماذا هل هو جاهل ادارة السيارات

— انهُ لابرع من قاد سيارة

— اذاً ما الذي تخشاه

فاخذ الرجل من جيبه قطعة من الآلة التي تدير حركة وقوف السيارة ووضعها على الطاولة امامنا فادركنا ان اعداء الكونت قد نزعوها فلا يمكن ايقاف السيارة فموت راكبها محتم خصوصاً وانه سار بسرعة مائة كيلو متر في الساعة

وقال الرجل لنوما : اني اعرفك يا سيدي ... وانا الشفاليه فونتيس صديق الكونت بل اخوه ... وقد رابني امره لاني لحظت منذ ايام انه على غير المعتاد فلحقت به على غير علم منه ورأيتكم مجتمعين هنا فاطمأنت نفسي لوجودك معه ... ولكني اكتشفت امراً هائلاً وأدركت ان ليس بامكانك اتقاء الخطر مع ما انت عليه من الذكاء والشجاعة

ـ وما الذي اكتشفته

ـ مرّ امامي رجل ولم يرني وكان لابساً درّاعة خضراء

ـ هو الخادم ! ...

ـ ليس الرجل بخادم ... بل هو اعظم رؤساء الحزب المعارض دهاء ... هو عدوّ الكونت الألد انهُ قوي شجاع قاسي القلب ...وقد رأى الكونت معكم فاحسّ بانهُ يخونه وجزاء الخيانة عنده الموت

ـ ربما نجا الكونت

ـ لن ينجو الاّ باعجوبة ...ومن المؤكد انه قضي عليه الان اذ لا يمكنه ايقاف السيارة ولا ادارتها في المنعطفات فيقع في السين او يلتطم بشجرة . وها انا لاحق بصديقي لاسعفه أو احمل جثته الى منزله ...

ونهض الرجل وابتعد وبعد قليل سمعنا صوت سيارة تسير مسرعة . اما نوما فانه اشعل لفافة ثانية واخذ يدخن بكل سكون فقلت له بحنق :

كيف يمكنك السكون والكونت يسير الى الموت ... لما لا نلحق به لانقاذه

فاجاب : ان الكونت سائر الى الموت لا محالة الا اذا حدثت اعجوبة فنجا فان تم ذلك كان خيراً ولا حاجة له بنا والا فما فائدة الجري وراءه فضلاً عن ان صديقه الشفاليه فونتيس قد تتبع سيره وعندي ان الاثنين قد وقعا في مكيدة واحدة ... ولا شيء يضمن لي ان سيارتنا لم ينزع منها القسم الذي نزع من سيارة الكونت مع ما هم عليهِ انفاري من الانتباه والتيقظ فاذا ركبناها اصابنا ما سيصيب الكونت وصديقه وعلى افتراض ان سيارتنا على ما كانت عليهِ فمن المحال ان نتمكن من اللحاق بالكونت اولاً لانهُ يسير بسرعة فوق سرعة سيارتي ثانياً لاني اجهل الطريق الذي سار فيه فاتباعنا اثره لا فائدة منه وربما جرّ علينا خطراً عظيماً على غير جدوى فالأولى بنا الانتظار .

وجاء صاحب الفندق فاعلمنا ان الاكل قد جهز فدخلنا الفندق فرأيت حول طاولة بعضاً من الصيادين وحول أخرى جماعة من الفلاحين والفلاحات الذين مررنا بهم في الصباح وكانت الفلاحات قويات البنية وما هنّ الا بعض من انفار نوما قد حلقوا شواربهم ليظهروا بمظهر النساء ولما دخلنا لم يلتفتوا الينا فتقدم نوما اليهم قائلاً كيف انتم ايها الاصدقاء

فاجابوا : ان الصيد والفلاحة مسببان للجوع ومقويان للصحة

- قواكم الله

- ندعو لكم بالمثل ايها السادة

هذا هو الحديث البسيط الذي دار بين نوما وجنده الذين قضوا

ليلتهم في ضواحي الفندق ليكونوا في المراكز التي عينت لهم قبل الصباح . . . وكان في الفندق غرفة متقنة الرياش أعدَّ لنا فيها خوان قدخلتها مع نوما فرأيت الطعام على الخوان معداً لثلاثة انفس وكنا نحن اثنين فقط فلم اسأل نوما عمن يكون الثالث ورأيت في الغرفة خادماً واقفاً لخدمتنا عرفته للحال انه نفس الذي كان معنا في السيارة وهو من أمهر انفار البوليس يستصحبه نوما في كل امر خطير واسمه بروسبر ثم ابتدأنا في الاكل واذا برجل لابس نفس لباسنا قد دخل وجلس معنا على المائدة وقال : ارجو ان تعذروني عن تأخيري

فقال نوما : هات ما عندك

— ليس من جديد حتى الآن فاني قد بثثت رجالي على طول الطريق فاذا حدث شيء يصلك خبره للحال

— هل رأيت الكونت حين خروجه

— نعم رأيته خارجاً وحده

— وسائقه

— ان السائق لبث في السيارة ولكن لما دخل الكونت الى هنا جاء رجل وكلمه فنزل من السيارة ودخل تحتها واخذ يعالج الآلة ولما انتهى ابتعد في الوجهة التي سار فيها الرجل الذي كلمه ووصلتما اذ ذاك وبعد دخولكما بقليل رأيت الكونت خارجاً وعلى وجهه امارات الخوف الشديد فنظر يفتش عن السائق ولما لم يجده ركب السيارة وسار بسرعة فائقة وبعد ان ابتعد بضع دقائق وصل رجل راكب سيارة ونزل منها بسرعة فلاحظت انه مضطرب والتقط شيئاً من الارض وتأمله ثم ركض ودخل حديقة

الفندق وسمعته يقول : رباه ... هل ركب الكونت سيارته ... فقد هلاك لا محالة ... و بعد قليل رأيت ذلك الرجل خارجاً من الفندق وقد زاد اضطرابه فقفز الى عربته وسار في الطريق التي سار فيها الكونت مع السائق الذي كان معه

— لنأكل اذاً ... ولكن يجب الاسراع ... هل اتخذت كل الاحتياطات

— نعم حسب اوامرك

— ألا يمكن نجاة اللذين نتأثرهم بواسطة الهرب

— كلاّ

— كم عددهم وكيف جاؤوا الى هنا

— هما اثنان وقد اتيا في سيارة ولكني قيدتها بالسلاسل فلن تسير بهما

فقال نوما للخادم بروسبر : هل اكل الرجال وشربوا القهوة

— نعم

— ليعودوا اذاً الى مراكزهم ويأتِ رفاقهم ويأكلوا

و بينما نحن نأكل سمعنا صراخاً شديداً وصوت اطلاق مسدسات فخرج للحال البوليس الذي كان معنا واشتد الصراخ وكثر اطلاق النار فقال نوما : تعالَ بنا انرى ما يجري

فخرجنا وفي يد كل منا مسدس وسرنا الى الناحية التي كان صوت البارود صادراً منها أي الى شاطىء نهر السين ولما وصلناه رأينا الصيادين يسبرون النهر بمجاذيفهم فسألِ نوما زعيمهم عما جرى فقال : ان الرجل الذي كان

بزي الخادم ألقى بنفسه في النهر لينجو منا واختفى بين الاعشاب والغاب ولم يظهر بعد ذلك مما يحمل على الظن بأنه غرق في الوحل وكنا أوشكنا أن نقبض عليه فلما رأى ان لا مناص له منا اطلق علينا الرصاص

فقال نوما : قد سمعت صوت رصاصه فهل اصيب احد من رجالنا

ـ نعم ولكن الجراح طفيفة جداً . . . ولما نفد ما عند الرجل من الرصاص ألقى بنفسه الى الماء ولم يظهر

ـ اذا كان الرجل شجاعاً قوي البنية فان تقبضوا عليه لان الاختباء بين هذه الاعشاب المتكاثفة سهل جداً ولكن تابعوا التفتيش ومتى جاء الليل فليبقَ منكم اثنان للمراقبة ثم يرجعا عند منتصف الليل

وعدنا الى الفندق فلقينا في الطريق الرجل الذي كان يتناول الغداء معنا فقال لنوما : انا قد قبضنا على سائق سيارة الكونت فيلاسر بوري . .

ـ حسن . . . تعال وخذ هذه البطاقة واسجنه في بواسي موقتاً

وكتب نوما على البطاقة بعض كلمات ودفعها الى البوليس فأمر هذا اثنين من الانفار الاشداء ان يسيرا بالسائق الى بواسي فأطاعا وكان كلام السائق خليطاً من الافرنسية والطليانية فلم يفهم شيء من كلامه وظهر انه غير مكترث بما يحدث له بل كان يبسم متجاهلاً معرفة ما جرى . . .

ولما دخلنا الفندق وجلسنا دخل النفر بروسبر المتزيّ بزي الخادم فقال لنوما : تم ما كنت تتوقعه فان عربة الكونت قد سقطت في خندق طريق غاب سان جرمن . . . وهي تحترق الآن

الفصل السادس عشر

« حزن المغنّية »

وقال لي نوما : ارأيت انه كان من العبث لحاقنا بالكونت . . . ومن هنا نعلم كل ما يحدث فنسير متى وجب السير فهلم بنا الآن

فركبنا السيارة وسرنا في الطريق الذي مر فيه الكونت فكنا نرى عند كل مفترق من الطريق رجلاً فلاحاً أو حارس صيد فيشير الينا بيده عن الوجهة التي يجب السير فيها . . . وهؤلاء الرجال هم الانفار الذي أمر نوما ببثهم وأفادوه عن حادث سيارة الكونت بسرعة تفوق سرعة التلغراف . وكان يتبعنا عربة وفيها ثلاثة من رجال نوما

وقال لي صديقي : منذ هذه الساعة انب عني يا كورفيل لانا سنجد الكونت ميتاً أو جريحاً فاصحبه الى بيته ولاحظ كل ما يصدر من عشيقته ألفيرا لانها في مثل هذه الحال لن تقوى على كل عواطفها فلا بد من ان يبدو منها ما كان مستتراً

ـ ربما عرفتني فتخفي ما عندها

ـ انها لن تعرفك لعدم نظرها اليك ملياً يوم زارتني ولو عرفتك لتجاهلت لان من مصلحتها ان تبقى زيارتها لي مجهولة . . . اما أنت فتتظاهر بأنك وجدت الكونت والشفاليه فونتيس في طريقك اتفاقاً بينما كنت عائداً من النزهة واحذر من أن تذكر اسمي واهتم بما يختص بوظيفتك الصحافية منذ الآن واكرر عليك القول بأن تتناسى كل ما تقدم

وكنا قد وصلنا الى محل الحادثة فرأينا دخاناً يتصاعد من ترعة قد

وقعت فيها السيارة واشتغلت المادة التي تسيرها وبالقرب من الخندق سيارة الشفاليه فونتيس وكان قد ادرك صديقه قبل أن يلحقه اللهيب فحمله وألقاه على الطريق فسألناه هل مات فأجابنا انه لم يمت ولكنهُ في حالة تنذر بقرب الاجل فأخذ نوما زجاجة وصب منها سائلاً في فم الكونت ففتح عينيه واهتمّ نوما بتضميد جراحه . ثم قال : يمكن حمل الكونت الى سان جرمن فلا تسيروا به الى باريس الا بعد ان يفحصه طبيب ماهر فضع الجريح في عربتك ايها الشفاليه بعد ان تتأكد انها سليمة من كل خلل وان يدَ الاعداء لم تمسّها وسر به ببطء الى المستشفى وهاك بطاقة باسمي يأخذها كورفيل صديقي فمتى رآها مدير المستشفى قبل الكونت بدون تردد ... فاركب يا كورفيل مع الشفاليه في العربة التي كانت وراءنا وضعا الكونت في سيارة الشفاليـه وليسوقها احد رجالي . . . اما انت يا حضرة الشفاليه فتناس منذ الآن اسمي وتجاهلني مع كل ما حدث في الفندق ومتى وصل الكونت الى المستشفى يجب عليك ملازمته واياك ان تبتعد عنه ولو ثانية واحدة ودع كورفيل يذهب الى ألفيرا فيعلمها بما حدث حسبما اتفقنا وليعود بها الى الكونت وانا ذاهب الآن

— سر يا سيدي مصحوباً بدعائي وشكري لك

— هل فهمت ما اطلبه منك يا كورفيل

— نعم

— اعمل اذاً بموجبه وانتظر خبراً مني يفيدك عن موعد نلتقي فيه . استودعكم الله

وساعدنا رجال نوما على حمل الكونت الى سيارة صديقه

فونتيس وساقها احد رجال نوما ولما وصلنا الى المستشفى ودفعت الى المدير رقعة صديقي امر ان يعد للكونت غرفة خصوصية فحملناه اليها واخذ الاطباء في العناية به وسرت الى قصر الفيرا في باريس فلم اجدها وقال لي احد الخدم انها ستعود عن قريب ففكرت في واجب وظيفتي بالجريدة وانه يلزمني إعلام رئيس التحرير ان يحفظ لي فيها مجال عامود فقلت للخادم اني خارج لقضاء مهمة وسألته ان يرجو من السيدة الفيرا ان تنتظرني ثم خرجت وركبت سيارتي لاذهب الى ادارة جريدة الجورنال وبعد ان سارت بي بضعة امتار رأيت عربة جميلة قادمة في اول الشارع ولما صارت على مقربة مني وقفت بالقرب من الرصيف ونزل منها رجل ولما رأيته ارتعدت لانهُ نفس الذي كان يراقب نوما في شارع امستردام وهرب من العربة بعد ان أقفلت عليه يومئذ وفي العربة التي نزل منها كانت المغنيّة ألفيرا . . . فصحت بسائق سيارتي ان يعود بي الى قصر الكونت اما الرجل رفيق ألفيرا فكان قد اختفى عن بصري ولم اهتم لذلك لان جلّ ما تنبهت اليهِ افكاري هو « ان الفيرا والرجل الذي كان يتجسس اعمال صديقي نوما يعرف احدهما الآخر وعندي على ذلك شاهد واضح »

ولما وصلت الى قصر المغنية وجدتها بانتظاري بناءً على اشعار الخادم لها بزيارتي فبادرتني عند دخولي قائلة : انك لا شك قادم من قبل جريدة الجورنال تطلب مساعدتي لعمل خيري فاجبتها : كلا انما جئتك . . . .

ـ لتستعلم عن سيرة حياتي في حرفة الغناء فترويها لقراء الجورنال

ولم يفتني انها تقصد بذلك تمهيد الحديث لتعلم مني الخبر الذي كانت تتوقعه اي خبر موت الكونت ولكني قابلت مكرها بالمثل فقلت بحزن :

كان بودي ان لا ازورك الآ لأ كلمك بالامور المفرحة ولاستفيد منك ما يفيدني لنشر سيرة حياتك وآثارك الحسنة في فن الغناء الذي اشتهرت بهِ ولكن مهمتي اليوم هي غير هذا

- وما هي . . . قل فقد اقلقتني

- سكني روعك . . . وتشجعي

- بربك هل تحمل اليَّ نبأ مصاب ما

فأخذت احوم حول الموضوع بدون ان اظهره قصد تعذيب تلك المرأة لما هو ثابت لديَّ من انها في شوق عظيم الى معرفة نتيجة ما دبَّرته ورفاقها ففقدت كل صبر وصاحت : قل ما لديك يا سيدي . . . ألا ترى ما بي من القلق

- يلزم يا سيدتي ان تكوني رابطة الجأش . . .

- هل حلَّ بي مصاب

- ليس الامر كما ذكرت بل هو اقل خطارة

- أهو حادث يتعلق بي . . . آه . . . زوجي . . . بربك تكلم ما جرى لهُ

وتظاهرت بالضعف فأغمضت عينيها واتكأت على كرسي كان بالقرب منها كما يفعل الممثلون على المراسح فقلت وانا احذو حذوها كأنما نحن ممثلان نشخص دوراً : تجلدي يا سيدتي

فقالت بصوت حزين . . . زوجي . . . انجليو الحبيب . قتل . . .

- تشجعي

ولم يرقها كلامي هذا فان غايتها انما هي التأ كد من ان الرجل قد مات فقالت

— قد مات انجليو . . . أليس كذلك . . . مات ولم يبقَ لي أمل

ففتحت ذراعي فاعتبرت اشارتي هذه المبهمة تصديقاً على سؤالها فظهر في عينيها لمعان شديد وقرأت فيهما الفرح والسرور ولكنها اخذت في البكاء والعويل مردّدة اسم زوجها قائلة : آه يا انجليو المحبوب . . . تركتني صباح هذا اليوم وانت في ريعان شبابك وجمالك واقمت انا هنا منتظرة رجوعك وقد وافقتك افكاري طول النهار . . . فالويل لي . . . ما امرّ حياتي من بعدك بل ما اقصرها لاني لن اعيش بعيدة عنك يا حبيبي . . . ان اعظم ملذاتك قد سبب موتك

— كيف علمت ذلك

ولما سألتها هذا السؤال ادركت انها قدغالت في الحزن ونطقت عن غير حكمة فامتنعت عن النحيب ونظرت اليّ خائفة وقالت : ألم يمت بسبب سيارته

وتأكدت من سؤالها ان خبر ما جرى للكونت قد نمي اليها ورفاقها في باريس قبل وصولي اليها فقلت : ان شدة حبك لزوجك قد كشفت لك عن الغيب فعلمت ما حدث مع اني لم اذكر لك شيئاً من ذلك بعد . . .

فملا وجهها الاصفرار عند سماعها كلامي ولكنها اجابتني بتجلد : ان معرفتي لما جرى امر سهل بسيط . . . اذ اي مصاب يوجب حضور مثلك لاطلاعي عليه وتشجيعي وتعزيتي غير مصاب زوجي فاني لا مال لي اخشى فقده لان كل ما لديّ هو من انجليو الحبيب وهو ذو غنى مفرط كما انه لا اهل لي ولا ولد يؤلمني مصابهم او موتهم . . . فلما رأيتك وسمعت

كلامك فهمت ان مصابي هو المصاب الوحيد الذي يهمني ويحزنني اي مصاب زوجي . . .

— صدقت

— واي مصاب يمكن حلوله بانجليو غير ما ينتج عن ركوب السيارات . . . وهو قد خرج في هذا الصباح ليمتحن احداها على ما قال لي قبل ذهابه وانا عالمة بشجاعته في سوق هذه العربات فلا شك عندي انه استنفد سرعة جري العربة التي ركبها . . . وهو ماهر في ادارة السيارات غير ان الاسباب عديدة كحجر في طريقه . . . او دولاب ينفك . . . »

— ما اشد علمك بالغيب . .

فلاحظت انها قد اخطأت لثاني مرة ولكنهُ لم يكن من مصلحتي التظاهر باني عالم بكل احوالها لئلا تلجأ الى الحذر فيخفى عليَّ ما جئت لاستطلاعه من امرها فقلت :

— بما ان حبك لزوجك قد كشف لك ما حدث له مع وجودك بعيدة عنه فاسمحي لي ان اقص عليك ما اعلمه . . . فكوني صبورة . . .

— قل يا سيدي

وجلست على كرسي وغطت عينيها بمنديل وتظاهرت بالبكاء فاجادت التمثيل فقلت :

ان الكونت كان يتنزّه في غاب سان جرمن وكان يجري سيارته بسرعة فائقة الحد . . .

— فاعترضه في الطريق رجل . . . او دابة

— كلاّ فانه لم يكن في الطريق عائق

— اذاً ماذا ...

— كانت آلة المركبة مخرّبة فلم يعد بامكان الكونت ادارتها ولا ايقافها

— رباه ... رباه ...

— فتصوري ما ينتج عما ذكرته وما يكون مصير عربة تقطع مسافة ماية وخمسين كيلو متراً في الساعة ولا يمكن لراكبها ان يوقفها او ان يديرها الى الجهة التي يريدها

— يا للهول ...

— فسقطت في خندق وتحطمت واحترقت

— هل احترقت العربة ... هل انت متأكد مما تقوله

— نعم

— وهل احترق الكونت ايضاً ... هل احترق

— كلاّ فان الله لطف به فوقع بعيداً عن السيارة حين لطمت في الخندق

— ولكنه مات أليس كذلك

— كلاّ

— ألم يمت ... لم يمت الكونت ؟

— انه حيّ ...

فظهرت دلائل الدهش الشديد على ألفيرا حينما سمعت مني ان الكونت حي لانها كانت تعتقد نجاح مسعاها ورفاقها في قتله ولكنها

تغلبت على ما عراها من الذهول واظهرت الفرح العظيم وردّدت الشكر لله . . . وحمدت مسعاي لاني جئتها بخبر مفرح سار ردّ اليها روحها بعد ان كانت فارقتها وقالت ان بودها ان تخرج الى الشارع وتنادي وتصيح في الناس لشدة سرورها : ان انجليو حبيبي حيّ . . . ثم سألتني هل جئت لادعوها للمبادرة الى زوجها الجريح فاجبتها بالايجاب وقصصت لها ما تمّ من عثوري و بعض اصدقاي اتفاقاً بالكونت بينما كنا عائدين من النزهة فسألت : هل انت الذي انهضته من الخندق

— كلا بل الشفاليه فونتيس فانه كان قد سبقنا وهو اول من وجد الكونت في الخندق فصاحت ألفيرا صيحة الخوف والوجل عند سماعها اسم فونتيس وكررت السؤال قائلة :

— هل فونتيس كان معه

— رأيناه بالقرب منه حين وصولنا

— لا غرابة في وجود الشفاليه لانه صديق زوجي بل هو اعز الناس اليه . والمرجح انهما كانا يتنزهان معاً ... اين الكونت الآن هل تركتموه ملقىً على الطريق

— كلا بل حملناه الى محل موافق لحاله وهو بانتظارك هناك ولا شك ان وجودك معه يسرّه

— اني مسرعة في السير اليهِ . . . آه يا حبيبي انجليو . . .

ثم خرجت فسمعتها تكلم الخادم الذي أدخلني باللغة الايطالية ثم عادت الى الغرفة فقالت : عفواً فاني تركتك لافهم الخدم عن بعض الامور البيتية فهلمَّ بنا . . . ولنسرع بربك

وخرجنا فلما وصلنا الى حيث كان الخادم واقفاً ليفتح الباب قالت لي : انك لم تعلمني الى اين تسير بي

فادركت غايتها من السؤال فانها كانت تقصد تعريف الخادم المكان الذي فيه الكونت فاجبت بكل جسارة

— اني اجهل المحل ولكن سائق السيارة يعلمه ...

فالتفتت بسرعة الى الخادم ولم يبدِ هذا اقل حركة غير اني رأيت لمعاناً شديداً في عيني ألفيرا الجميلتين ... ووصلنا الى العربة فركبناها وتذكرت قول نوما لي : ان الكونت فيلاسربوري محاط بالاعداء في وسط بيته ...

الفصل الرابع عشر

« الحب نظرة »

ومضى عليَّ اربعة ايام لم اقف فيها على اثر لنوما صديقي وفي اليوم الخامس وصلتني رقعة فيها ما يأتي : « ايها الصديق العزيز : سيُحتفل غداً صباحاً بقداس عن نفس جان كاستنيه في كنيسة نوتردام دي للورت فكن هناك في الوقت المعين)

وفي اليوم الثاني لبيت دعوة صديقي ودخلت الى الكنيسة الانفة الذكر فاذا به قد امسكني من ذراعي وقال: لا تتكلم واحذر . وقادني الى محل ضعيف النور فوقفنا وراء احد الاعمدة وكنا نرى الداخلين بدون ان يرونا وجاء كل المدعوين وجلسوا في اماكنهم وابتدأ الكاهن بالصلاة واذا بفتاة جميلة الصورة انيقة الملبوس قد دخلت بتأنٍ ظاهر يصحبها شاب قوي

البنية اسمر اللون ولكن هذه السمرة غير طبيعية بل هي نتيجة تعرضه للشمس وكان للشاب شاربان اسودان وفي وجهه سمات الشجاعة والحرية يمشي مشية عسكرية وفي صدره علامة جوقة الشرف فلما رآه نوما ارتعش قليلاً وهمس في اذني قائلاً :

— انظر الى هذا الشاب ... ألم تعرفه

— كلاّ

— انسيت ما قاله فيرمِن خادم كاستنيه الخاص من ان آخر من جاء لزيارة سيده يوم مقتله كان شاباً اسمر اللون يمشي مشية عسكرية وفي صدره علامة جوقة الشرف

— نعم نعم اذكر ذلك ... فهل تظن ان هذا الشاب هو الذي وصفه الخادم

— انا اعتقد تمام الاعتقاد انه هو بعينه لاني ارى فيه كل الاوصاف التي ذكرها فيرمِن

— ولكن قد يتفق ان هذا الشاب مشابه لذاك بدون ان يكون له أقل علاقة بحادثة كاستنيه

— قلت لك مراراً اني لا اعتقد بالاتفاق فان هذا الرجل الذي تراه قد جاء الى هنا عمداً ... افهم ما اقوله جاء عمداً قاصداً هذه الكنيسة ... وهو غير مدعو الى هذه الحفلة وارى انه لم يعتد التردد الى الكنائس واؤكد انه لم يأتِ هذه الكنيسة قط لما ظهر من ارتباكه عند دخوله لجهله المكان ... وارى انه لم يحيّه احد من الحضور مع ان المدعوين كلهم من اخصاء عائلة كاستنيه وعليه فهم يعرفون بعضهم بعضاً معرفة

تامة فهو غريب ... دخيل ومثله شقيقته

— كيف عرفت ان السيدة التي تصحبه هي شقيقته

— اعرف ذلك من دلائل شتى اولها انها تشابها مما يندر بين اثنين متزوجين ثانياً لانه ليس في مشية الفتاة الحرية التي نراها في مشية كل متزوجة ولانها تلبس لبس الآنسات وكلامها مع رفيقها هو غير كلام امرأة مع زوجها وعندي ايضاً دلائل اخرى على ذلك يشعر بها الانسان ولا يمكنه تفصيلها

— كيف يتبادر الى ذهنك يا نوما ان هذا الشاب يأتي بشقيقته الى هذا المكان اذا كان هو القاتل

ـ انهما جاءا بارادتهما ...

ـ ربما كان سائقهما الى هذا المكان عاطفة ما ...

ـ اني اجهل ذلك

ـ اذاً ما داعي حضورهما الآن

ـ قلت لك واعيد القول انهما جاءا لمجرد رغبتهما في المجيء ولغرض واحد... انظر كيف وقفا وراء احد الاعمدة اي في مكان مظلم ولم يخرطا في سلك المدعوين

ـ لابد انهما يقصدان التفرج بدون ان يُنظرا

ـ صدقت يا كورفيل فعلينا بالاقتراب منهما ومراقبتهما خاسةً

فتقدمت وصديقي حتى صرنا على بضع خطوات من الشاب ورفيقته فوقفنا وراءهما وكان الشاب منتصباً وراء كرسيه بملء الاحترام والخشوع وشقيقته راكعة تصلي بحرارة ورأيتها تمسح عينيها بمنديل فقلت لنوما :

انها تبكي فاشار اليَّ أن أسكت فاطمنه مرغماً وقد شاقني الاطلاع على ما في ضميره بخصوص هذين الشخصين وكررت الفتاة مسح عينيها ثم رأيت الشاب يفعل فعلها فنظرت الى نوما مستفهماً وقال لي همساً : قد تأكدت الآن ان الفتاة هي شقيقة الشاب

– وكيف عرفت ذلك

– بمعرفتي اسمهما

– ماذا تقول

– اقول اني عرفت اسميهما ومن هما وما سبب مجيئهما الى هنا . . . وما يبكيهما

وكانت ثقتي بنوما شديدة الى حد اني صدقت ما قاله مع ما فيه من الغرابة وما كنت لأعجب لو قال لي انه قرأ ما في صدر الشاب وشقيقته . ولما انتهى القداس وقفت مدام كاستنيه وابنتها والمركيز دي سنتوشي عند مدخل الكنيسة فمر المدعوون من امامهم يقدمون لهم التعازي ولحظت ان حنة كاستنيه اجمل مما رأيتها يوم استنطقها القاضي وبينما كنت افتكر بذلك واذا بنوما يقول لي : نعم يا عزيزي كورفيل ان حنة بديعة الجمال

فاجبته : قاتلك الله يا نوما الا يجول فكر في خاطري الا وتقرأه

– كما اني اقرأ اشياء كثيرة غير هذه . . .

ثم نهضت الفتاة وهمت بالخروج من باب غير الذي يخرج منه المدعوون ولكنها رأت كثرة هؤلاء ففضلت الانتظار ريثما يبتعدون عن الكنيسة فقالت لاخيها : لننتظر ريثما ينفض هذا الجمع ثم جلست على كرسي امام اخيها فبقي واقفاً وقد علا وجهه الاصفرار وظهر على وجهه الاضطراب

وحدق النظر في عائلة الميت ولم اعلم باي الثلاثة كان يمن أفي ارملة كاستنيه ام بابنتها ام بالمركيز دي سنتوشي

ولما خرج المدعوون قالت الفتاة لأخيها : هيا بنا للخروج

فانتفض الشاب كأنه كان متضعضع الحواس يظن نفسه في غير المكان الذي كنا فيه وطال اضطرابه ثم اخذ بيد شقيقته وتقدم الى الباب العمومي وكان المركيز دي سنتوشي قد غمس طرف اصابعه في الماء المقدّس وقدم يده لمدام كاستنيه لتأخذ الماء كما هي العادة ورأى شقيقة الشاب بالقرب منه تمدّ يدها لتأخذ الماء ايضاً فبادرها بمد يده فترددت الفتاة ثم مست يده وحنت رأسها علامة الشكر ورسمت اشارة الصليب وفي تلك الفرصة كان الشاب الاسمر قد غمس اصابعه في الماء ومد يده الى حنة كاستنيه فمدت هي يدها ولمست طرف اصابعه ونظرت اليه فارتعدت كأن مجرًى كهربياً قد مسها ولبثت تنظر اليه وينظر اليها واطراف اصابعهما متلامسة لم تنفصل ... وهكذا بواسطة هذا الماء بث كل رفيقه ما في فؤاده ... ورفعت حنة يدها الى جبينها ثم الى قلبها فخيل لي انها بوضعها على صدرها قصدت ان تؤكد للشاب ما كانت توحيه عيناها الجميلتان ... اما الشاب فأطبق يده كأنما هو يحرص على ما بقي فيها من اثر تلك الفتاة الجميلة ... ثم مشى الشاب كأنما هو سكران بخمرة الفرح . أو مصاب بسهام الترح ولحق شقيقته التي كانت في انتظاره على سلم الكنيسة .

وساعد المركيز ارملة كاستنيه وابنتها على الصعود الى عربتهما وصعد هو الى عربته فلما سارت التي فيها المرأتان اطلّت حنة من الباب ورفعت قناعها

الاسود وأجالت نظرها فيمن كانوا امام الكنيسة ولما رأت من تبحث عنه لمعت عيناها وظهر على ثغرها ابتسامة طفيفة وحنت رأسها قليلاً كأنها تحيي او تقول الى الملتقى

ولم يفت نوما ما بدا من الآنسة كاستنيه فقال لي : ان حنة كاستنيه وما بدى منها في حزنها الحالي خير ضامن لفرحها وسرورها فى المستقبل

اما الشاب الاسمر فكان جامداً لا يتحرك ونظره متبع العربة التي فيها حنة الحسناء ولم يخف على شقيقته شيء من حاله بل كانت تنظر اليه خلسة مدهوشة قلقة مرارات ووضعت يدها على كتفه وقالت : ما بالك … هل انت متألم . فانتفض مبغوتاً واجاب انه لا يشعر بشيء قط فسألته هل يرغب في الذهاب فاجاب نعم وسارا وتبعناهما فقطعا شارع شاتودن يتحادثان فقال نوما : ان الفتاة تتكلم وحدها اما الشاب فطرق يفكر بغير حديث اخته ولا يجيبها الا اجوبةً متقطعة

ولما وصلا الى شارع لافيت وقفا وتصافحا وسارت الفتاة الى جهة الاوبرا ووقف الشاب ينظر اليها حتى اختفت ثم خطا متردداً ليجتاز الشارع الى الرصيف فقال نوما : لاحظ يا صديقي ما في الرجل من التردد .. وضعف الارادة … وعدم وجود غاية معينة يسير اليها … ان كل اعراض الحب بادية عليه . . . فان القلب متى شغف ضعفت الارادة وربما فقدت تماماً وانا اراهنك ان الشاب سيجتاز الشارع بعد عدة خطوات ويسير الى شارع لبلتيه

وتماهلنا في مشينا وراء الشاب فرأيته يفعل ما قاله نوما فقلت : قد ربحت الرهان يا نوما

فاجاب : مهلاً فانا مراهنك على شيء جديد وهو ان صاحبنا سيمشي على الرصيف الذي امام بيت كاستنيه ويرفع نظره الى الطابق الاعلى حيث تسكن عائلة القتيل

وكأن ما قاله نوما أمر أصدره الى الشاب فصدع بهِ فانه لما وصل الى امام مسكن كاستنيه رفع رأسه الى الطابق الثالث ونظر الى نوافذه ثم تابع سيره وكنا على مقربة منه واذا بنوما قد قبض على ذراعي بعنف فقلت : ما بالك

فأجاب بحدة انظر الى الحذاء .

- اي حذاء . . .
- حذاء الشاب
- لا أرى فيه ما يوجب اهتمامك
- انظر الى الحذاء فانه مقشور . . .

فقلت مرتعداً حذاءه مقشور كالذي احتك بمكتب كاستنيه

- نعم كالذي كان يلبسه قاتل ايرما . . .

ونظرت بامعان شديد الى قدمي الرجل فرأيت صدق ما قاله نوما فهلع قلبي لان كل الشبهات كانت واقعة على ذلك الشاب فوجهه وشاربه ومشيته كما وصف خادم كاستنيه وقد جاء الكنيسة يوم الاحتفال بالقداس عن نفس القتيل ووقف وراء عامودٍ مختبئاً . . . وارتعد لما رأى اخت ايرما وما ارتعاده الا لما للفتاة الحية من المشابهة مع شقيقتها المقتولة . . . وجاء فمر امام بيت القتيل ونظر الى نوافذه . . . ورأينا في رجله حذاءً مقشوراً ترك اثراً منه على قائمة مكتب كاستنيه . .

وقالت لنوما : ما الذي تنوي عمله

فأجاب : ليس لي سوى ان آخذ منه حذاءه

ــ ليس ذلك بالامر السهل

ــ انه لأسهل مما تظن وسأضع الحذاء في يدك لتحقق صدق قولي

ولم يكن ما ينويه نوما بحيز الامكان اذ كيف يتم لرجل ما ان يأخذ من الآخر حذاءه الذي يلبسه بدون ان يشعر اللابس ولكنني سكتُّ لاني كنت عالماً ان لنوما من الدهاء والحيل ما يفوق به السحرة

الفصل الثامن عشر

حذاء الرجل الاسمر

وزادت دهشتي حينما اوقفني نوما وطلب مني ان ندخل قهوة في الشارع الذي كنا فيه تاركاً الشاب يمضي في سبيله كأنه لا يعرفه ولما جلسنا قال نوما : يجب عليَّ ان اوضح لك ما اشكل عليك من أعمالي لاني منذ الصباح لا اصنع الاَّ المعميات

ــ صدقت واني شاكر لك اهتمامك باطلاعي على حلّ معمياتك

ــ انك تجهل كيف عرفت اسم الشاب وشقيقته وسبب مجيئهما لحضور القداس عن نفس كاستنيه

ــ نعم اجهل كل هذا

ــ اعلم اذاً ان بيستّ هو الذي اطلعني على ذلك

فقلت مستغرباً : بيستّ . . .

ــ نعم بيستّ الذي اخبرنا عن ماضي كاستنيه يوم كنا نجري التحقيق

وقد قال في جملة حديثه ان في جريدة المحاكم تفصيل قضيتين تتعلقان به فتحصلت على اعداد تلك الجريدة وتصفحتها بامعان شديد فاطلعت على امور كثيرة تهمني معرفتها لاني عرفت ان بعض اصدقاء كاستنيه استودعه منذ عهد بعيد مبلغاً وافراً من المال ولكن الصديق واسمه الموسيو ألري لم يأخذ وصلاً بالقيمة فلما طلب ماله انكره عليه صديقه فرفع قضية نخسرها ومات فقيراً تاركاً امرأة هي افضل النساء وصبياً وفتاة صغيريّ السن

ـ لاشك انهما اللذان رأيناهما في الكنيسة

ـ هما بعينهما. وقد اهتممت بمعرفة ما ألم بعائلة ألريّ بعد خسارة القضية فعلمت ان المرأة اخذت تشتغل لتعول ولديها وكان الصبي نشيطاً مجتهداً فاجازته الحكومة على نشاطه بتعليمه على نفقتها فنال قصب السبق في جميع دروسه واستمر في الترقي حتى اصبح الآن ضابطاً في جيش افريقيا ورئيس نادي الضباط وهو احد زعماء الحملات العسكرية التي تغلبت على اعدائنا الطوارق وقد اشتهرت شجاعته ونال وسام الشرف الفرنساوي في ساحة الحرب وسيكون من اعظم ضباطنا

ـ وهل مثل من وصفت يقترف ذنباً ويضيع مستقبله العظيم باقدامه على القتل

ـ رويدك يا عزيزي كورفيل لا تكن متسرعاً ولا تتهم الرجل قبل ان تسمع قوله

ـ ولكن ما القول اذا دلنا ما في حذائه من اثر الاحتكاك على انه دخل مكتب كاستنيه

ـ اني لا اشك في دخوله الى مكتب القتيل ومحادثته معه

ـ اذاً ما ذا

ـ لاريب عندي في ان الضابط هو نفس الزائر الاسمر الاسود الشاربين والحامل وسام جوقة الشرف كما وصفه الخادم الذي ادخله الى مكتب القتيل

ـ فهو القاتل اذاً

ـ كلاّ فان كاستنيه كان حياً لما خرج الضابط من حضرته

ـ من قال لك هذا

ـ ان كاستنيه قد كتب ذلك بخط يده

فصحت بنوما . كيف . . . وهل كتب كاستنيه انه كان حياً بعد زيارة الضابط

ـ نعم كتب ذلك كتابةً واضحةً ولكن الموتى لا يكتبون يا كورفيل

ـ هذا ما يعلمه كل انسان

ـ رأينا ورقة مكتوبة وعليها اثر انكسار الريشة والكتاب غير كامل

ـ صدقت يا نوما ولكن هذه الورقة قد كتبت قبل دخول الضابط

ـ ان الخادم قال عكس ذلك

ـ الخادم لم يذكر شيئاً مما تقوله

ـ أَلم يقل انه كان عند سيده احد الزائرين حينما احضر له البطاقة التي سلمها اليه الضابط . . . لاحظ اني اقول البطاقة التي دفعها اليه الضابط لا بطاقة الضابط .

ـ قد لاحظت ذلك فما معناه

ـ معناه اني اعتقد بأن الضابط الرِي لم يسلم الى الخادم بطاقته التي

باسمه بل بطاقة رجل آخر

— صدقت فان كاستنيه لو رأى اسم ألري لامتنع عن قبوله في مكتبه

— نعم الفكر يا كورفيل فترى ان ألري استعان باسم غيره

— ان صاحب الاسم كان معروفاً لدى القتيل لانه اظهر سروراً عظيماً عند قراءة اسمه

— ها انك تتذكر الامور ... فكاستنيه اظهر فرحاً شديداً . اذاً لم يبكِ

— بالطبع

— لاحظ اذاً انه بكى شديداً لما كتب الكتاب الذي عثرنا عليه

— صدقت

— وانه ذكر في كتابتِهِ ماضياً محزناً ورضي بالتساهل والتعويض عن الماضي

— وهو كان يقصد بذلك ما وقع بينه وبين والد ألري . . .

— لاريب . . . فما الذي جرى . . . اني حازر ذلك يا عزيزي كورفيل لا بل اراه كانه يحدث امامي الآن واعتقادي لان الضابط ألري جاء في يوم كان يستعد فيه كاستنيه للفرح فذكره بالماضي وبخيانته لوالده فعرض الرجل على معنفه ان يرد اليه المال الذي كان استودعه وسرقه

— اني موافق على ما تقوله . . . ولا شك ان خوفه من الفضيحة حمله على ملاطفة الشاب وكتابة ذلك الكتاب الذي هو اعظم شاهد على خيانته -

— هذا لا يهمنا الآن بل ينبغي لنا ان نعرف أخُدِش حذاء الضابط

ألزي عند احتكاكه بقاتة مكتب كاستنيه أم لا

— وما كان ذلك

— ألقي القبض على ألزي باعتباره قاتلاً سارقاً

— وما يكون اذن شأن الكتاب وبم تعلل تفسير انكسار الريشتين والدموع التي على الورقة

— افترض ان الضابط ابتدأ كاستنيه بنصح مرد وبجبره على كتابة ذلك الكتاب وان الرجل بكى واشتد انفعاله فلم يقدر حتى تم الكتابة فرمى الورقة وعاد فدافع عن نفسه بحدة فأصيب بنزلة المصفية ... وتلك خاتمة الرواية التي اصفها الآن ... وكان مرد قريباً ليس الأمر بأب شخصي فبعد موت كاستنيه لاحظ ألزي ان خزنة المال مفتوحة ورأى فيها كثيراً من الاوراق المالية وظن ان المال مال والده ...

— فأسكره منظر المال ودفعه الى اخذ ما عثر فيه من الخديعة وعاقبته ... واعتقاده ان له الحق فيه فأخذ ما في الخزنة ... أليس هذا رأيك يا عزيزي توما

— تابع كلامك واشرح رأيك يا كورفيل

— وبينما كان ألزي يأخذ المال جاءت بيرم كاستنيه تتحادث ونشاء بشأن اخيها الرجل فلما رأى الضابط ان مرد قد افتضح لجأ الى ما يعمده كل سارق في مثل تلك الظروف اي انه قتل بيرم ...

— لاتقف في حديثك يا كورفيل دقيق مسمع لك

— ولما هجم ألزي على الفتاة دافعت عن نفسها بعنف فرفقت رجلي ألزي وحاكت بمكتب فتحطمت مرآة التي رأيناه في حجرة اليوم

— ثم ماذا

— اذا صح كل ما أفترضته سهل فهم القصد من مجيء ألري الى الكنيسة ومروره امام بيت كاستنيه لما نعلمه من ان قوة سرية تدفع اغلب القتلة الى التردد الى محل القتل او الاقتراب من اهل المقتول

— ان تعليلاتك حسنة يا كورفيل

— قد اصبحت اذاً من نابغي تلامذتك

— نعم غير انه في الامر سرّ لم يخطر ببالك مع انه الجم واوقع من كل ما ذكرت وهو الذي دفعه الى الذهاب الى الكنيسة والمرور امام بيت القتيل وربما حمله ايضاً على الذهاب الى قبره والى كل مكان يتوقع فيه ملاقاة ارملة كاستنيه وابنتها

— وما هو هذا الدافع ...

— هو حب الضابط لابنة كاستنيه

فدهشت من قول نوما ونظرت اليه نظرة من لا يصدق كلامه قائلاً: ان ما تقوله يستحيل الوقوع ... فهل نسيت ما بين اسرتي ألري وكاستنيه من التباغض والتضاغن

— لم أنسَ ذلك يا عزيزي...وانا اذكرك بما جرى لاسرتي كابوليت ومونتاجو اي لروميو وجوليت فما تم لاولئك يحدث كل يوم لغيرهم . . . فالحب لا يمتنع بمثل هذه الموانع بين فتاة جميلة فتانة كابنة كاستنيه وشاب شجاع في شهرة ومقام الضابط ألري

— ولكن لو ثبت ان القبطان هو قاتل ايرما كاستنيه لرذلته ابنتها جان وابغضته بدلاً من ان تحبه

— ان للطبيعة اسرارا نجهلها يا كورفيل وليس لاحد ان يقول انا لا اريد كذا او لن احب فلاناً او فلانة فان الانسان يحب فلاناً لانه مدفوع الى حبه بقوة لا تقاوم . . . يحب مرغماً كما يلد الانسان مرغماً او كما ينزل الجنين من بطن امه ذكراً او انثى على غير إرادة منه . . . يحب لان الطبيعة او العناية او الله يريد ان يحب ذلك الشخص ويتعشق . . . وكل ما ذكرته وما يمكن لك ولغيرك ان توردوه من الاصطلاحات والتقاليد والحجج حتى قتل الوالد والشقيقة كل هذا لن يوقف تيار تلك القوة الغالبة القاهرة واعني بها : الحب . . .

— اذن يمكن في مذهبك . . .

— لا تقل ممكناً . . . فان حب ألري لجان اكيد ثابت لا ينكر وحنة ستحب ألري . . . ورأيي ان الخادم دزيره ضعيف الذاكرة وانه لم يدخل على سيده رجل اسمر فقط بل اثنين

— وما الطريقة لتحقق ذلك

— اني التقطت في مكتب كاستنيه قطعاً كثيرة من اوراق ممزقة وغيرها محروق قسم منها ففي تلك القطع سنجد اسماء كل من زاروا القتيل في ذلك اليوم

— وهل تأمل ان تجد اسم القاتل بين تلك الاسماء

— بدون ريب . . وسترى ذلك

الفصل التاسع عشر

« امهر صانعي الاحذية »

ولما فارقت نوما ذهبت تواً الى بيتي ودخلت مكتبي لاعدّ فيه اوراقاً فدخلت عليّ الخادمة وقالت انه قد حضر صانع الاحذية . ولما اظهرت استغرابي من كلامها قالت ان الرجل جاء بدعوة مني فامرتها ان تذهب اليه وتصرفه لاني لم ادعه بل الوهم داخل عليه فخرجت الخادمة ثم عادت فقالت ان الرجل قد دعي للحضور الى منزلي لامر يتعلق بحذاء لماع قشر جلده فلما سمعت ذلك صحت : نعم نعم ... قد نسيت اني دعوت الرجل ... فادخليه

فخرجت الخادمة وعادت مع رجل مؤتزر بحزام كالذي يلبسه عاملو الاحذية وفي يده ورقة ملفوف بها حذاء فحياني قائلاً :

— اسعد الله صباحك يا موسيو كورفيل ... اني جئتك لاجل الحذاء اللماع الذي سبق لنا الكلام عنه

— اهلاً بك واعذرني لاني نسيت حديثنا ...

ولما سمعت الخادمة كلامنا زال اندهاشها من حضور هذا الصانع الذي لم تره قبلاً في بيتي

وخرجت واقفلت باب مكتبي فمددت يدي الى الرجل وقلت : ما جاء بك يا عزيزي نوما ... ان خادمتي مع انها رأتك هنا مراراً عديدة لم تعرفك قط بل انا نفسي لو لم تنبهني ما كنت لاعرفك وان مررت بالقرب منك وحدثتك

فبماذا قد جئتك به يا كورفيل

— ما الذي جئتني به

— الحذاء اللامع للضابط الروسي

— يا لك من ساحر

— ليس في الامر سحر فاني حصلت عليه بابسط الطرق

— قص عليّ ذلك

— الوقت ثمين فساخبرك مرة اخرى بذلك اما الآن فهل ترغب في الذهاب معي الى ضواحي باريس

— بكل سرور

— انزل اذاً واركب عربتي . . هل تعرفها

— حق المعرفة

— ادخلها فيسير بك الحوذي حسب ما امرته

قال هذا وخرج فأخذت قبعتي ونزلت الى الشارع فرأيت عربة نوما فركبتها وحدي ولم استغرب عدم وجود صديقي فيها لما اعلمه من شدة حذره وادركت انه دبر الامر ليركب معي في الوقت المناسب اي متى رأى نفسه في مأمن من الذين يتجسسونه ويرقبون اعماله . وسارت بي العربة فمرت في شارع كونستانس وهو شارع يندر فيه المارة ولما انتصفته ادنى الحوذي العربة من بيت حقير ولصقت العربة به فاحتجب باب البيت واذا بباب العربة قد فتح ودخلها نوما في لباس صانع احذية ثم ظهرت وراء الحوذي دوزجناه فرمت منها ان لا شيء مقلق حولنا فاشعل نوما لفافة واخذ يدخن وقطعنا الطريق بدون ان يفوه بكلمة بل كان يبسم ابتساماً

ادركت منه ان الامور جارية على مرغوبه ولما وصلنا الى الشارع ... (١)
الذي يسكن فيه نوما ظهرت في العربة دائرة صفراء وسمعنا صفيراً
فاطل صديقي ليرى ما في الشارع وفعلت مثله فرأيت الحانة التي
دخلناها وغيرنا فيها ثيابنا يوم كنا لابسين ثياب عمال قومبانية الغاز
وكان صاحبها واقفاً على الباب يدخن لفافة وهو ينفخ الدخان من فمه
بتقطع وبطريقة تخالف طريقة المدخنين المتادة فكان عمله هذا كاشارات
تلغرافية فهمها نوما وحوذي عربتنا فاخذ هذا يشير بسوطه اشارات مختلفة
يجيب عليها المدخن ثم ساق العربة ببطء ملاصقاً للرصيف فلما وصلت
الى امام كوخ خشبي فيه بائع جرائد وثب نوما الى الرصيف فجاء واقفاً
ينظر الى الجرائد المصورة المعلقة على باب الكوخ ولم يكن بامكان احد ان
يظنه خرج من العربة بل كان يتبادر الى الذهن انه عامل وقف يتفرج قصد
تضييع الوقت. وتابعت العربة سيرها فتركنا نوما ورأنا كانه لم يكن بيننا اقل
علاقة غير اني ادركت ان الحوذي وصاحب الحانة مستعدان لانجاده
عند الحاجة . ونظرت الى نوما فاذا به ينظر خلسة الى رجل واقفاً على
الرصيف تجاه مسكن صديقي وكان الرجل اسمر اللون اسود الشاربين
كالذي رأيناه يوم حضورنا الى ذلك المكان واضطررنا الى التنكر بزي عمال
الغاز ففهمت من وجوده هناك ان اعداء نوما لم ينفكوا عن تجسسه وانهم
اقاموا رجلاً منهم ليعرف منزله فاخفق في اول مرة ولكنه عاد الى التفتيش
ولإخفاء ما يسعون الى معرفته خرج نوما من العربة مفضلاً دخول بيته

---

(١) ان نوما امرني بكتم اسم هذا الشارع لانه مقيم فيه حتى الآن فليعذرني
القاريء اذاً على اغفال الاسم : (المؤلف) .

ماشياً وهو متنكر لزيادة التحفظ

ابتعد نوما عن بائع الجرائد ومشي قاصداً بيته وكان الرجل الاسمر يمشي في وجهة مماكسة بحيث لم يكن بد من التقائهما . . .

وكان الرجل المتجسس يدخن سيجاراً من الجنس الطيب وفي فم نوما لفافة ولما صارا على بعد متر او اقل وقف نوما امام الرجل ورفع قبعته مسلماً وطلب منه ان يسمح له باشعال لفافته فادهشني منه تعرضه للرجل اما هذا فظهرت عليه علائم الاستياء اذ لا يخفى ما في ابقاء رماد السيجار من اللذة للمدخنين به وطلب نوما هذا يضطر الرجل الى نفض ذلك الرماد المتجمد في طرف سيجاره غير ان الطلب كان بتأدب ولطف فلم يسع الرجل سوى التلبية فنفض الرماد وقدم سيجاره لصانع الاحذية.. فاشعل هذا لفافته ثم حيا ومضى وبعد مسير بضع خطوات اجتاز الطريق الى الرصيف الثاني ودخل بيته

وكان الحوذي قد سار بي ببطء فوصلت الى بيت نوما حال دخوله اليه وسمعته يقول للبواب : اني قادم بالحذاء الى الموسيو دوران . . . فهل هو هنا

فاجابه : ان خادمه هنا فادخل تجده

وقلت للبواب : اني اطلب الموسيو دوران فأشار الى الباب الذي طالما دخلته فسرت اليه ووجدت نوما في انتظاري ولما رآني قال : لا شك انه اصابك الرعب لما رأيتني اشعل لفافتي من سيجار العدو الذي يفتش عن بيتي

— نعم قد خفت كما تقول

— ان ما فعلته كان واجباً

ـ لماذا

ـ متى صرنا في معملي اطلعتك على السبب

ثم ابدل صديقي ثيابه قائلاً : اني ابدل ثيابي لانه لم يسبق للجيران ان رأوا احداً سوانا يدخل المعمل فاذا رأوا اليوم صانع احذية يدخله ربما تنبهت افكارهم

ولما دخلنا المعمل قال : أتعلم من هو الرجل الذي قدم لي سجاره

ـ هو احد الرجال السمر الذين يراقبونك

ـ صدقت ولكن هل تعلم من هو

ـ لا

ـ هو الذي كان يقوم بوظيفة الخادم يوم كنا مع الكونت دي فيلاسربوري . . . هو ذلك الشجاع الذي رمى نفسه في الماء هرباً من رجالي واختفى بين الاعشاب والوحل واني معجب بما ابداه يومئذٍ من الجسارة والتجلد . . . وايم الحق ان خصومنا دهاة اشداء يا كورفيل

ـ انت ورجالك اشجع

ـ لا شك في ذلك

ـ وتفوقهم دهاء ايضاً

ـ هذا اشك فيه

ـ ان مكرهم لن يغلب مكرك وما لديك من قوة الاستنباط

ـ الله اعلم بمن هو الاقدر والأقوى منا . . . هل ادركت يا كورفيل ما سبب تحرشي بالرجل

ـ نعم فانك فعلت ذلك لتراه جيداً

ـ صدقت هذا احد الاسباب اما الثاني فهو اني اردت ان يراني الرجل ايضاً وتنطبع صورتي في مخيلته

ـ وما تقصد من ذلك

ـ ان خصومنا اشداء ذوو مكر بالغ فيجب علينا اخذ كل ما يمكن من الاحتياطات لاتقاء شرّهم وهم مثلنا ذوو خبرة وقوة لمعرفة الشخص الذي يطلبونه تحت اي زيّ تنكر اذ يوجد في كل انسان اشياء لا يمكن تغييرها كطول القامة وكبر الانف مثلاً كما انه يوجد اشياء طفيفة تخفى على المتنكر نفسه ويعرفها من كان ذكياً واعتاد المراقبة والتجسس من المخبرين والبوليس السري ومن هم على شاكلتهم وانا قد غيّرت شخصي بقدر ما امكنني لاني اعرف ما يلزم تضخيمه او تطويله فيّ . انظر كيف اني جعلت انفي احمر وحواجبي ثخينة واتخذت لحية ثم ضخّمت بطني وقصّرت يدي وجعلت ساقي اعوج كصانعي الاحذية الذين يستعينون باقدامهم في عملهم فترى اني لم اهمل شيئاً ومع هذا اخشى ان اكون نسيت شيئاً بسيطاً اجهله او هو قليل الاهمية في عيني يعرفني منه اخصامي ولهذا السبب لبثت جالساً بالقرب منك يوم كنا نشتغل متنكرين بوظيفة عمال الغاز لكي لا يتمكن مراقبي من النظر الى جسمي مفصلاً اما اليوم فلم يكن بامكاني القعود في الارض لاضطراري الى دخول منزلي فاستعملت تلك الحيلة التي ظننتها انت مخاطرة وهي ليست في الحقيقة سوى عين الرزانة والاحتراس فاقتربت بسرعة من الرجل الذي كان واقفاً لمراقبتي وشغلت فكره بالسلام عن النظر اليّ مفصلاً اذ انه في تلك الحالة اهتم بالانتباه الى ما سأقوله له او اطلبه لا بدرس سحنتي وهناك الآن تمام الحيلة فاني بطلبي من الرجل

سيجاره ازعجته لانه لا يروق لمن يدخن تبغاً نفيساً ان تشمل من لفافته لفافة من التبغ الذي يشربه الفقراء اذ يبقى منه طعم كريه في التبغ الحسن الجانس

ـ الا تعلم انك بعملك هذا اضعت بضع ثوانٍ كان بامكان الرجل ان يتفرسك في خلالها جيداً

ـ ساء ظنك يا كورفيل ... لما قدم لي الرجل سيجاره حككت به لفافتي حتى كاد يطفأ فاستاء وشغل بالنظر الى سيجاره الذي شوهته فضلاً عن اني كنت محني الرأس ولم يكن بامكانه ان يرى وجهي ولما انتهيت تركته مشغولاً بامتصاص سيجاره القريب من الانطفاء

ـ فاعجبت بحيلة صديقي نوما لانها على ما فيها من ظواهر البساطة تحتوي على مكر وجسارة يندر وجودهما الا في من كان مثله عالماً باخلاق الرجال وعواطفهم . ثم اخذ نوما الحذاء الذي كان معه وفحصه بتأنٍ وامعان وقال : ليس هذا الحذاء الذى قشر باحتكاكه بمكتب كاستنيه

وسرني قول نوما لاني كنت قد شعرت بميل شديد للضابط ألري مع اني لم اعرفه قبلاً

وقال نوما . ان جلد هذا الحذاء اللماع اقوى واثخن من الجلد الذي التقطتُ اثره ولا عجب فان الجندي لا يمكنه لبس حذاء من الجلد اللماع الرفيع لكثرة مشيه ثم ان الضابط ألري فقير قشر حذاءه عرضاً وليس عنده من الدارهم ما يسمح له بتغييره فاراد تصليحه بما في وسعه فدهنه بدهان اسود من الجنس الذي يستعمل لطلاء الدراجات او سروج خيل العربات وقد اوضحت لي امه كل ما ذكرته لك

ـ وهل رأيت والدة الضابط وكلمتها

ـ كيف يمكنني الحصول على الحذاء بدون واسطتها . . . اذاً على قول الوالدة لبس الضابط حذاءه هذا يوم كان مرتدياً ثيابه العسكرية ووضع عليه المهماز وبما ان مثل هذا الحذاء لا يلبس الا على الثياب الاعتيادية كان المهماز ضيقاً فحك الجلد

ـ لاحظ يانوما ان وجود الحذاء ولو كان من نوع الذي وجدت اثره في مكتب كاستنيه لا يكفي لاتهام رجل بجريمة القتل بل يلزم ان تكون طبعة الابهام كالتي وجدتها على المفكرة وتذكر ان الخادم قال ان الرجل الذي نظنه الضابط ألري خرج من مكتب كاستنيه لابساً قفازه وعليه فالقاتل هو غير الضابط

ـ انك مسرور يا كورفيل لابتعاد التهمة عن ألري ويفرحك زوال هذا الحاجز الذي كان قائماً بينه وبين حنة كاستنيه الجميلة

ـ نعم انا مسرور لذلك

ـ سرّ يا عزيزي واسمح لي ان اخبرك كيف تحصلت على هذا الحذاء فاني كنت اجلس يومياً في حانة بالقرب من بيت الضابط وارقب ساعة خروجه ففي احد الايام خرج ورأيت في رجله حذاء غير هذا فركبت للحال عربتي التي كانت بانتظاري ودخلت بيت الضابط وطلبت من والدته ان تسلم اليّ الحذاء اللامع لان ولدها كلفني اصلاحه ودخلت غرفة ابنها وعادت اليّ بالحذاء وقالت ان ابنها اضطر الى لبسه ووضع المهماز لمقابلة رسمية وان تصليحي له لايخفي اثر القشر تماماً وسألتني اذ كنت ارضى بان آخذ الحذاء واصنع واحداً آخر مثله عوضاً عنه فاجبتها ان ذلك

السؤال الخامس

من اي مقاطعة هو مارتين نوما ؟

سهل فسألت هل يكلف ذلك العمل كثيراً من الدراهم لان القيمة ستدفعها هي وابنتها مما تقتصدانه . . . فاكدت لها اني اخذ منها ثمناً بخساً فشكرتني وسألتني ان لا اذكر لولدها اني صنعت له حذاء جديداً بدلاً من حذائه ولما خرجت من ذلك البيت جئت تواً اليك وسرّني الحصول على حذاء الضابط لكن سروري كان اعظم لدخولي بيته

— لماذا

لما رأيته فيه من النظافة والترتيب ولما شعرت به من المحبة والالفة الموجودةَ بين ساكنيه مع ما اصابهم من الفقر . . . لان ذلك البيت يسكنه اشخاص ملء قلوبهم الحنان والتعاضد والاخلاص بعضهم لبعض وحقك ان ام الضابط ألري لافضل امرأة رأيتها في حياتي

وكان صديقي يتكلم بتحمس عن تلك الاسرة الكريمة فسررت بذلك لاننا لم نرَ في من لهم علاقة بحادثة كاستنيه الا كل قاتل او دنيء المقاصد سيء النية فاسد الذمة . . . ولكن اصبح الآن لحنة كاستنيه الجميلة والضابط ألري نصيب من اهتمامنا

وقال نوما : انك قد قرأت في جريدة المحاكم قضية كاستنيه وألري واعتقدت مثلي ان الاول ظلم الثاني وسرق ماله ولو قدّر لك مثلي ان تدخل بيت ألري وتقابل ما فيه بما في قصر كاستنيه لتثبت اعتقادك وعلمت عظم مصاب تلك الاسرة المظلومة واني ارى الضابط محقاً بما فعله وما تهدد به سارق مال والده . . . قد اخذت مني الحماسة مأخذها فتكلمت كأني محام ادافع عن الضابط مع انه بريء مما اتهمناه به وانما يجب عليّ الاهتمام بأن آمر صانع احذية ما ليصنع له حذاء جديداً مثل الذين اخذته من

بيته لاني معتقد انه ليس لديه سواه من نوعه بسبب فقره وسأرسله اليه بطريق البوسته

— ان وصول الحذاء الجديد يدهش صاحبنا

— سأوضح له الامر فيما بعد

ولما عاد الضابط الى بيته اخبرته والدته ان رجلاً جاء واخذ حذاءه لاصلاحه فاستغرب الامر وساءته جسارة ذلك الرجل الذي دخل بيته واخذ ما لم يأمره باخذه وقضى ووالدته وشقيقته الليل يتساءلون عمن يكون الرجل وفي الصباح وصله طرد يحتوي على حذاء جديدلم يذكر اسم مرسله

الفصل العشرون

« ابهام المركيز »

مضت ثلاثة ايام لم ارَ فيها صديقي نوماوعند ظهر اليوم الرابع بينما انا خارج من المطعم رأيته امامي فسألني هل عندك ما يشغلك اليوم ولما اجبته سلباً قال انا سنذهب الى المقبرة ونشاهد هناك منظراً جميلاً فاستغربت قوله لعلمي انه ليس في المقابر ما يحلو لنظري وسرنا الى حانة في شارع لباتيه كان نوما يقضي فيها اكثر وقته لمراقبة ما يحدث حول قصر كاستانيه ولم يمضِ على جلوسنا فيها بضع دقائق حتى دخلها رجل كثيف الشاربين فقال نوما : انظر هذ الداخل انه نفس الرجل الذي يراقبني ويتجسس كل اعمالي وجلس الرجل الى طاولة بالقرب منا وتظاهر بقراءة احدى الجرائد فقال صديقي : قد قلتَ سابقاً اني ساحر وانا اقدم لك الآن برهاناً على

سحري فاعلم ان رجلاً من معارفنا سيدخل هذه الحانة قريباً

— هل واعدته على الملتقى هنا

— كلا فهو يجهل اني هنا ولا يخطر له ببال اني اهتم به بل يجهل اسمي وصناعتي وما كاد نوما ينتهي من كلامه حتى دخل الضابط ألري وجلس بالقرب من النافذة وطلب جريدة يقرأها ولاحظت من اهتمام الخادم به انه من المترددين كثيراً على ذلك المحل فقلت لنوما : اني فهمت ما معنى مجيء ألري ولكني جاهل نوع المنظر السار الذي وعدتني بمشاهدته في المقبرة فلم يجبني على سؤالي بل قال لي ان الضابط ألري سيشرب الكاس التي طلبها ثم يخرج من الحانة مسرعاً فكان كما تنبأ وقال لي عند خروج الضابط

— اتحب ان تعرف الى اين يقصد صاحبنا

— نعم

— انه ذاهب الى مقبرة پرلاشيز

— وهل والده ؟ . . .

— ان والد ألري مدفون في مقبرة غير هذه والشاب ذاهب لتقديم الواجب الى مخلوق حيٍ لا ميت

— اتعني الآنسة حنة كاستنيه

— اياها اعني فان ارملة الميت وابنتها تذهبان في مثل هذا اليوم من كل اسبوع الى قبر كاستنيه وقد علم ذلك الضابط فاخذ يوافيهما ليتمتع عن بعد برؤية من سحرت لبه

— ما اسوأ حظ هذا الرجل اذ لا امل له بمحبوبته

— قال احد شعراء الهند يا كورفيل ان الحب هو اعظم قوة في العالم

بعد قوة الله وانه ابو العجائب واي اعجوبة اعظم واجمل من تمشق حنة والضابط مع ما بين اسرتيهما من البغض. اذا تم ذلك تناسى الجميع الماضي وازهرت زهرة الحب في ارض الشقاق . . .

ثم اشعل نوما لفافة وقال : اعلم يا كورفيل اني اودّ ان اهزأ بهذا الرجل الذي يتجسسني وينتظر قيامنا ليتبعنا فيخطر لي ان ارسل اليه بطاقتي مكتوباً فيها هذا « انت تضيع وقتك عبثاً » وان اضع تحت هذه الكلمات تلك العلامة التي يستعملونها اي الصليب والنقطتين . × . ليعلم اني مطلع على اعماله واعمال زمرته . . . ولكني ليس لي الحق بالمجازفة بل يجب عليّ التظاهر باني مغفل ليراقبوني بدون ان اشعر بشيء من ذلك الى ان اهتك سترهم غير اني لا اريد ان يتبعنا هذا الجاسوس الى مقبرة پرلاشيز لرغبتي في مشاهدة ما يبدو من حنة كاستنيه والضابط عند التقائهما ولأرى هل يكون المركيز بريعودي سنتوشي مرافقاً لارملة كاستنيه وما يبدو منه امام قبر خطيبته

— وما العمل يا نوما للتخلص من هذا الجاسوس الثقيل

— الامر سهل يا كورفيل فلا تحمل هماً . . . متى نهضنا الآن اخرج واذهب الى ادارة جريدة الجورنال وابق فيها بضع دقائق ثم اركب عربة واذهب الى المقبرة المعهودة فتجدني بانتظارك امام البناء المشيد لتذكار الموتى

ثم نادى صديقي الخادم ودفع ثمن ما شربناه ورفع صوته قائلاً لي : قد ذكرت لك كل ما يمكن ان تطلع عليه القراء وليس لديّ شيء آخر اخبرك به

— شكراً لك يا عزيزي وانا ذاهب لنشر ما ذكرته لي في الجريدة

— هل انت ذاهب الى ادارة جريدة الجورنال

— نعم فان لديّ اشغالاً كثيرة توجب ذهابي

— الى الملتقى اذاً

— ألا اراك في المساء

— لا فاني سأقابل الموسيو موريسون ولا ادري متى ينتهي حديثنا ولكننا سنلتقي في الغد أو ما بعده

— استودعك الله اذاً

ولما خرجت طلب نوما من الخادم ورقاً وغلافاً لكتابة رسالة فلم يعبأ الجاسوس بما جرى بل بقي حذراً فطلب كاساً من الخمرة واخذ يراقب نوما ليعلم أمهتم هو بالكتابة حقيقة ام لا ولكن صديقي كان امكر من رأته عين فكتب وطلب من الخادم طابعاً ألصقه على الغلاف ثم نهض ببطء ومر امام الجاسوس ورفع قبعته قليلاً علامة التأدب ثم خرج ومشى في الشارع الى صندوق البريد فرمى فيه رسالته اما الجاسوس فنظر ما فعله نوما من وراء النافذة ثم رآه يدخل بنك كاستنيه فانتقل من مكانه الى حيث كنت جالساً مع نوما ليسهل عليه النظر الى الباب الذي دخل منه صديقي ولما طال الوقت ولم يخرج نوما تأكد صدق ما سمعه يقوله من انه سيقابل الموسيو موريسون مقابلة ربما طالت فانصرف ...

ولم يكذب نوما لما قال انه ذاهب لمقابلة الموسيو موريسون الذي اصبح مديراً لبنك كاستنيه فانه قابله وسأله المدير هل عثر على اثر القاتل فاكد له صديقي انه يسعى الى ذلك جهده ولكن الامر صعب لما في

الحادث من العراقيل وانه اصبح يتكل على البخت وحسن الاتفاق لاكتشاف القاتل ثم سأله هل لديه خبر ما عن ابنته بلانش فارتعد موريسون عند سماعه هذا السؤال وقال لنوما : ما الموجب لسؤالك هذا

— ساطلعك على ذلك فثق بكلامي واجب على سؤالي

فتردد موريسون قليلاً ثم اجاب : نعم لديَّ نبأ منها

— هل تسمح لي ان اسألك سؤالاً

— وما هو

— هل ذكرت لك ابنتك شيئاً عن مقتل الموسيو كاستنيه

فارتعد موريسون ثم هزّ رأسه قائلاً : لا . . . لم تذكر لي شيئاً من هذا القبيل

— ولا تلميحاً ؟

— كلاَّ

— ألم تقل لك ما كان تأثير خبر موت الموسيو كاستنيه على ابنه

— قد قلت لك انها لم تلمح الى هذا الامر المحزن

— عجباً يا موريسون

— ويظهر لي يا موسيو نوما ان ابنتي وشارل يجهلان موت الموسيو كاستنيه

ـ هل هما في اقاصي الارض فلم يصلهما الخبر

ـ هما في اميركا

ـ ان بلاد اميركا كبيرة واسعة فيها الشرقية والغربية وكاندا والبرازيل ففي اي قسم منها هما

ـ في الولايات المتحدة

ـ في اي بلد واي مقاطعة .

ـ لم تذكر لي ابنتي اسم البلد حتى ان رسالتها خالية من التأريخ ايضاً

ـ ان ذلك يسؤني جداً يا موسيو موريسون

ـ ولماذا

ـ اني وعدتك باطلاعك على مايدعوني الى سؤالك عن ابنتك فصبراً يا موسيو موريسون انك تجهل محل وجود ابنتك ويسرّك ان تعرفه وان تعرف حالها

ـ لاشك في ذلك . . . فهل لك علم بشيء

ـ كلاّ ولكن بعد ايام قليلة احصل على كل ما تريده بشرط ان تسلم اليَّ الغلاف الذي كانت فيه رسالة الآنسة بلانش وابقِ لنفسك الرسالة فلا حاجة لي بها

فاخذ موريسون من جيبه عدة اوراق بينها رسالة ابنته فتناولها قائلا بصوت مرتجف حناناً : ها هو كتابها واني اقرأه لك لتتاكد ان شارل وبلانش يجهلان موت الموسيو كاستنيه —

وكان الكتاب بسيط الموضوع محوره تبليغ الوالد شعائر الحب والاحترام وطلب عفوه عن زلتها وعن تركها اياه ووالدتها قائلة انها اضطرت الى ذلك بداعي حبلها من شارل كاستنيه حبيبها وتعذُّر قرانهما في فرنسا وسهولة ذلك في اميركا وانهما يشتغلان ليعيشا

وبعد ان اتم موريسون قراءة الكتاب قال نوما : ربما لم يطلع شارل ابنتك على ما يعلمه من امر والده

ـ ان شارل نفسه يجهل ما تعني يا موسيو نوما

ـ اتظن ذلك

ـ بل انا معتقد كل الاعتقاد . . . انا اعرف شارل وعواطفه كما اعرف ابنتي فاني ربيته واحبه الى حد اني غير غاضب عليه لاغوائه ابنتي وما ذاك الا لما اعلمه من شرف عواطفه . . . ان شارل قد اخطأ واذنب فيما مضى لكني التمس له عذراً فان والده كان يبخل عليه بالدراهم حتى اني كنت اعطيه بعض النقود ليقوم بمصاريفه مع رفاقه . ألا ترى هذه المعاملة من والده المثري العظيم تمهد له العذر في ارتكاب بعض الهفوات وسعيه الى الحصول على الدراهم

ـ اذاً نعذره على سرقة حلى والدته

ـ انه كان حديث السن يوم فعل ذلك

ـ لا تنسَ يا موسيو موريسون انه زوّر اسم والده

ـ آه يا موسيو نوما لو علمت قساوة ذلك الوالد لعذرت الولد مثلما اعذره فان الموسيو كاستنيه كان يحرم ولده المال ظناً منه انهُ بهذه الواسطة يمنعه عن الذهاب الى الحانات ومعاشرة النساء واراد ارغامه على الاستخدام بمرتب مائتي فرنك كل شهر فبالله قل هل يرضى بذلك شاب يرى عند والده القناطير المقنطرة

ـ أرى فيك يا موسيو موريسون ميلاً الى عذر شارل على كل ذنوبه حتى على قتل والده

ـ انهُ لم يقتله . . . لم يقتله وشارل ابعد الناس عن مثل هذا الاثم الفظيع

ـ ولكن سوابقه . . . وتزويره . . . والادلة الحديثة كل هذا . . . .

ـ كل هذا غير جدير بالاعتبار فشارل طائش أرعن ضعيف الارادة ولكنه طيب القلب يحتاج الى الحنان والمحبة ولم يجد شيئاً من هذه العواطف بين أهله

ـ بل كانت والدته تحبه وتحنو عليهِ

ـ كلاَّ والف كلاَّ لم يحنو عليهِ سوى حنة . . . وحنة يا موسيو نوما زهرة لطيفة في هذه الارض الدنيئة . اما والدتها فانها كانت تعطي ابنها بعضاً من المال على سبيل الاحسان وتظهر له انها انما تتصدَّق عليه كأَنهُ متسوّل لا ولدها فحمله ما ذكرت لك من قساوة الوالد وصلف الوالدة على الذهاب الى محلات اللهو والتردُّد الى بيتي حيث يحبهُ كل من هناك. وتاكد ان شارل مع ماعامله به والده من الاستبداد لم يرتكب ذلك الجرم الفظيع ثم لاحظ ما كتبته ابنتي من انهما يشتغلان ليا كلا فلو كان شارل قد سرق مال والده لما احتاج الى الشغل ولكانت بلانش رأت المال ولو كان ذلك لتركته غير مبالية بحبها له

ـ ربما هي لم تعلم مصدر المال الذي عند شارل

ـ لو رأت المال لما رضيت بالاشتغال فقبولها به دليل على عدم وجود ما ينفقانه و برهان على براءة شارل

فاجاب نوما انه يود ان يصدق ظنه في شارل وطلب منه غلاف رسالة ابنته بلانش فاعطاه اياه قائلاً : ما تقصد صنيعه بهذا الغلاف

ـ استعين به على معرفة المملكة والمدينة التي يسكنها شارل و بلانش بل معرفة الشارع والبيت

ـ اتنوي القاء القبض على شارل

ـ لا اعلم

ـ كيف لا تعلم

ـ ان ذلك متعلق بالابهام

فارتعش موريسون وقال بصوت مرتجف : اي ابهام

ـ ابهام شارل كاستنيه

ـ أبعد ما قلته لك تعتقد ان شارل . . .

ـ اني ذهبت الى بيت شارل بعد هربه وعثرت على قفازه فصببت الجبس عليه فاصبح لديَّ يدُ كيد شارل

ـ ثم ما ذا . . . قل فقد زدت همي . . . هذه اليد . . .

ـ قست ابهام اليد والطبعة التي وجدتها على مفكرة القتيل فرأيت ان قياس ابهام شارل هو نفس قياس طبعة الابهام التي على الورق

فوقع موريسون على كرسي قائلاً : رباه الطف بنا وعامل شارل برحمتك

ـ لا تيأس ياموسيو موريسون فاني لم آتِ لازيد في حزنك وان ما ذكرته من انطباق قياس ابهام شارل على قياس الطبعة التي على الورق ليس بدليل كافٍ لاتهام من تدافع عنه بل ينبغي لالقاء التهمة ان افحص خطوط الابهام وان اجدها مطابقة للخطوط التي على المفكرة

ـ وانّى لك الحصول على ذلك

ـ ساحصل عليه بواسطتك

ـ بواسطتي انا

ـ نعم فان هـذا الغلاف الذي اعطيتنيه سيساعدني على وجود شارل كاستنيه

ـ وشن تلتي القبض عليه متى وجدته

ـ كلا اذ لا حق لي في ذلك ولا رغبة

ـ اذاً ما الذي تعمله

ـ اكلف احد رجال البوليس في اميركا ان يأخذ طبعة ابهامه ويرسلها لي فاقابلها بالتي وجدناها هنا واني ارجو ان لا تكونا متشابهتين

واذ ذاك سمع صوت في طرف الغرفة يقول : وانا ايضاً ارجو ذلك

فالتفت نوما فرأى المركيز بريعودي سنتوشي وراءه وتقدم المركيز الى نوما باسماً ابتسام المكر وقال : عفواً يا سيدي على دخولي قبل ان اتأكد انكما تسمحان بذلك . . . غير اني قرعت الباب وخيل لي اني سمعت صوتاً يقول «ادخل» ولكن ما اراه من دهشتكما يدلني على انكما لم تسمعا قرعي فالأولى بي ان اخرج

فقال موريسون : كلا يا سيدي كلاّ

اما نوما فاجاب : لا باس من حضورك ايها المركيز لاني منصرف

فقال المركيز : ان حضوري سبب لي فرحاً عظيماً اذ سمعتك يا موسيو نوما تؤمل اظهار براءة شارل بواسطة طبعة الابهام

ــ نعم اؤمل ذلك

ــ اذاً انت تعتقد ان امر الابهام شيء مقرر ثابت لا يقبل الغلط

ــ نعم اعتقد ذلك

ـ قد قيل لي . . . ان لديك طبعات اصابع كثيرة وان اغلبها طبعات ابهام

ـ صدق من انبأك

ـ وانك رتبت ذلك كما يرتب علماء النبات نباتهم الى طوائف وفصائل

ـ نعم

ـ ذلك شائق جداً . . . واود ان اعرف من اي فصيلة هو ابهامي

ـ ابهامك ايها المركيز . . .

ـ نعم ولا اظنك تقتصر على الاهتمام باصابع المجرمين فقط

ـ كلاَّ

ـ ووجود اصبع شريف بين التي عندك لا يقلل قيمتها

ـ بديهي انه يزيدها

وخطر لنوما ان يقول : خصوصاً ابهام شريف من نوعك لكنه سكت وقال المركيز : هل ترغب ان اعطيك طبعة ابهامي

ـ ان ذلك يسرني جداً

ـ كيف يجب ان اعمل هل اطبعه بواسطة الحبر

ـ كلا لان الحبر يتفشى على الورق والافضل ان احكّ هذا القلم الرصاص على هذه الورقة الخشنة وتمر اصبعك عليه ثم تضغطه على ورقة بيضاء

وحك نوما القلم على الورقة فدنا المركيز وامرّ اصبعه عليها ثم نظر حوله يفتش عن ورقة بيضاء فرأى مفكرة فقال : هذا الورق موافق على ما اظن

فاجاب نوما نعم كل الموافقة

وضغط المركيز ابهامه على الورقة ثم قال اترغب ان اضع توقيعي تحت هذه الطبعة فلربما تكون من الذين يدرسون الخطوط

ـ نعم الرأي رأيك ايها المركيز فافعل

فوقع المركيز اسمه تحت طبعة ابهامه وقال: ارجو منك ان تخبرني من اي فصيلة هو ابهامي

- فاجاب نوما ضاحكاً مظهراً المزاح : ولكن ربما وجدت بين طبعات اصابع المجرمين التي عندي ان احداها تشابه طبعة ابهامك

- اذا كان ذلك فلك ان تلقي القبض عليّ . . .

فانحنى نوما وقال : ساطيع امرك ايها المركيز . . .

ثم اخذ الورقة وخرج وكانت عربته بانتظاره فركبها وسار الى المقبرة فوجدني بانتظاره وقلت له : قد وصل الضابط الى هنا منذ قليل

فاجابني اذاً وصلت قبل فوات الوقت وكنت اخشى حضور المركيز دي سنتوشي الى هنا ولكنه لن يجيء فهيّا بنا لنرى العاشقين فان النظر الى المشاق يسرّني .

الفصل الحادي والاربعون

« حيلة الحب »

اخذني نوما الى وراء احد القبور فكنا نرى من هناك المدفن المختص باسرة كاستنيه ونحن لا نرى وكانت صلاة الارملة وابنتها قد قاربت الانتهاء ولكنهما بقيتا راكعتين متذكرتين الماضي ورفعت حنة كاستنيه رأسها واخذت تنظر عن يمينها كانها تفتش عن شي او شخص ما واشار نوما الى حيث كان يتجه نظر الفتاة الجميلة فرأيت الضابط ألري واقفاً بازاء احد القبور فقلت : انك اكبر السحرة يا نوما . . . رأيت شاباً يلبس حذاء مقشوراً

فعرفت اسمه وانه عاشق . . . لحظت فتاة تركب عربة فقلت انها ستحب ذلك الشاب مع انها لم تره قط قبل تلك المرّة وصح كلّ ما قلته

فاجابني: دع سحري جانباً وانظر الى الفتاة فانها قد رأت حبيبها الذي اعتادت ان تراه كلما جاءت الى هنا وهي فرحة برؤيته وقد عرفته للحال مع انها لم تره الا بعض ثوانٍ . . . واعلم ان بين الناس من لو نظرنا اليهم سنيناً متوالية لما عرفناهم فيما بعد وغيرهم من نعرفهم مهما غابوا عنا ولو انا لم نلمحهم الا مرة واحدة وما ذاك الا لأن لهؤلاء دخلاً مقدراً في امور حياتنا وحنة كاستنيه لم ترَ الضابط ألري الا حين التقيا امام جرن الماء المقدس في الكنيسة و بعد ان ركبت عربتها ولما رأته هنا عرفته للحال وذلك لانها تساءلت عما يدعو الشاب الى الحضور متى وجدت في الكنيسة وهو ليس بخادم فيها او في المقبرة وهو ليس حارس فيها فاستنتجت ان حضوره انما هو لاجلها فقط

وكانت حنة كاستنيه تلتفت حيناً بعد حين كانما تقصد قراءة ما هو مخطوط على بعض القبور ولاقصد لها بالحقيقة سوى النظر الى ألري . . . وكنا ننظر الى ما تتظاهر به من الحيل مسرورين فرحين بصباها وجمالها وقال لي نوما : هل تعلم بما تفكر الآنسة حنة . . . انها مع ما هي عليه من الطهارة والعفاف طامحة الى سماع صوت ذلك الشاب غير مكتفية بالنظر اليه

— لكنها تطلب مستحيلاً

— ان ما هو مستحيل على الرجال من امور الحب يسهل عند المرأة

— اني والله اودّ معرفة الحيلة التي ستعملها الفتاة لمخاطبة حبيبها

— انظر انظر ... آه ما اشد مكرهنّ ... قد ابتدأت صاحبتنا بحيلها . واذا بحنة تصيح متألمة ثم اتكأت الى احد القبور فدنت منها والدتها ورأيتهما تتكلمان ومشت الفتاة ثم تظاهرت باشتداد الالم ووقفت ...

وكان الضابط لما رأى المرأتان سائرتين قد تبع خطاهما فلما وقفت حنة اتم هو سيره فاصبح بالقرب منهما كانما حصل ذلك اتفاقاً وتقدم اليهما معتذراً لتطفله قائلاً انه لم يفعل ذلك الا لما رآه من ارتباكهما فاحب مساعدتهما اذا كانتا في حاجة اليه فرفضتا ما عرضه عليهما من الخدمة بلطف تام وقالت حنة شكراً لك يا سيدي قد انصدعت رجلي ولكن الألم قد زال وصار بامكاني المشي

فحياها الضابط وتظاهر بالانصراف وعادت حنة تقصد المشي فلم يمكنها ذلك « حسب الظاهر » فعاد الضابط ألري اليها قائلاً : ارجو منك ايتها الآنسة ان تتنازلي وتقبلي الاستناد الى ذراعي حتى تصلي الى عربتك اذ لا يجوز المشي على الرجل متى صدعت ومن الحكمة ان تقبلي نصيحتي

فقالت حنة لوالدتها بكل سذاجة اتسمحين يا والدتي

فاجابتها : نعم يا بنتي واشكر هذا الكريم على مجاملته لنا

فاتكأت حنة على ذراع الشاب روبرت وسارا ببطء يتحادثان .... بما لم نسمعه ولا فهمناه ولو سمعناه لما ادركنا معناه لان لكلام العاشقين معاني غير التي يفيدنا عنها القاموس وكلمة الطقس جميل يا سيدي ربما فهم منها كل منهما : اني احبك . . وكل ما يقوله الحبيب جميل لذيذ عند المحب

وكان نوما يراقب الشاب والفتاة فقال : انظر الى ما يفعله الحب من العجائب ان الفتاة قد نسيت ان رجلها صُدِعت فلم تعد تعرج في مشيها

نعم كان ذلك فلا تعرج جان الا عند ما يحني اليها الضابط روبرت ويسألها هل هي متعبة من المشي فتتذكر حينئذٍ ان رجلها مصدوعة ... ولما اقتربا من المكان الذي فيه العربة اخذ نوما بيدي وسار بي في طريق مختصر فوصلنا الى قرب العربة قبل وصول الضابط والسيدتين فرأيناه يساعد الفتاة على ركوب العربة ولما جلست مدّت يدها وصافحته شاكرة له وانصرف روبرت وقد اغمض عينيه قليلاً كأنما هو يقصد حفظ منظر تلك الفتاة البديعة الجمال فيهما . وضم الى صدره ذراعه التي اتكأَت عليها كأنما يقصد ان تدب الى قلبه تلك الحرارة التي تولدت فيه من ملامسة ذراع حبيبته ... ولما مشى روبرت تقدم صديقي نوما الى مدام كاستنيه قبل ان تركب العربة وقال : اني رأيت عن بعد ما حدث للآنسة كاستنيه فتجاسرت بالسؤال عن حالها

وكانت ارملة كاستنيه تعرف نوما منذ اجرى التحقيق في بيتها يوم موت زوجها وابنتها فاجابته بلطفٍ وشكرته حنة على اهتمامه بها فقال نوما : اشكري يا سيدتي الاتفاق الذي سمح بان يكون بالقرب منكما ذلك الشاب الذي ساعدك على المشي

فاجابت الارملة : انه لطيف كريم

— نعم يا سيدتي وهو ذو اهلية عظيمة ومستقبل باهر ... وضابط ممتاز بين اقرانه

فصاحت حنة : آه ... وهل تعرفه يا سيدي

— نعم اعرفه وقلّ من يجهله في فرنسا لانه من ابطال افريقية المعدودين

— احقيقة ما تقول ... وما اسمه

ــ هو الضابط روبرت ألري

فكررت حنة لفظ الاسم اما والدتها فقالت بارتباك : هل هو ابن احد ... ابن المرسيو ألري الذي ...

فاجاب نوما : نعم هو هو بعينه ... ثم حيا وتراجع الى الوراء فسمعت مدام كاستنيه تصيح صيحة خفيفة مدهوشة وقد ساءها سماع اسم الضابط وادار الحوذي العربة للمسير فاصبحت حنة في الجهة التي كان واقفاً فيها نوما فاطلت رأسها من النافذة وبسمت لصديقي تشكره على اطلاعه اياها على اسم حبيبها ومدحه له ...

وادهشني تداخل نوما وذكره اسم الضابط امام والدة حنة فسألته عما حمله على ذلك فقال : ان ما فعلته ضروري يا كورفيل ... لان المحب يشتاق الى معرفة اسم حبيبه وصفاته واذا كان اهلاً لأن يُحب ولا يمكن حنة ان تتعشق رجلاً لا تعلم عنهُ سوى أنهُ يترصد الفرص ليراها ... اما الآن فتعلم من هو وهكذا يمكنها ان تطلع على اخباره فتسمع الناس يذكرونه في حديثهم . واذا ابتعد عن فرنسا وصلتها اخباره في الجرائد او بواسطة أخرى لا نعلمها ولكن تأكد انه ستتصل بها اخباره فلاتنساهُ ولا يفتر حبهُ في قلبها

ــ لقد احسنت عملاً يا نوما

ــ ولتفهم مقدار احساني في العمل وتقدره قدرهُ اخبرك ان والدة حنة تلك الارملة السخيفة العقل المتكبرة الممقوتة تنوي أمراً قبيحاً في عيني

ــ وما هو

ــ انها تميل الى كل شريف ولما رأت ان زواج المركيز دي سنتوشي

بابنتها ايرما قد القي بموت الفتاة قصدت ان تحافظ على ذلك الشريف ليكون زوج ابنتها الثانية . . . نعم يا عزيزي كورفيل فان المركيز ينوي الاقتران بحنة

ـ يا للفظاعة

الفصل الثاني والعشرون

ألمرجلينا

ثم حملتنا عربة نوما الى ادارة البوليس لان صديقي كان ينوي مقابلة رئيسه اما انا فكنت اقصد زيارة الغرفة التي يعلق فيها يومياً خبر الحوادث التي تجري في باريس وضواحيها لانقل عنها الاخبار الى جريدة الجورنال ولكن لما وصلنا الى شارع الصاغة نبه الحوذي نوما بواسطة الدائرة واوقف العربة ففُتح الباب ودخل علينا رجل وجلس على المقعد الامامي فاذا به بروسبر الذكي النشيط معاون نوما وقال : اني انتظرك بفروغ صبر ايها الرئيس

ـ ما الذي جرى

ـ حادثة قتل جديدة وقد كنت انوي اللحاق بك الى المقبرة لاخبرك بذلك ثم عدلت خوفاً من ان تكون قد غادرتها فاضطررت الى انتظارك حيث أمرت

ـ حسناً فعلت بالانتظار ملتزماً جانب الحكمة والحزم فقص عليّ ما عندك

فقبض بروسبر على البوق الذي يتصل بكرسي الحوذي وسأل نوما قائلاً : اتسمح لي فحنى نوما رأسه علامة الرضى فوضع بروسبر فمه على البوق وأمر الحوذي بالسير الى شارع مونمارتر ثم وجه كلامه الى صديقي قائلاً

ـ منذ ساعتين اكتُشفت جثة امرأة مغنية في شارع سولنيه بالقرب من ملعب الفولي برجير وتعلم انه بذلك الشارع بيت ينزل فيه كثير من المشخصين والمغنين الغرباء والمغنية المقتولة قد استأجرت فيه منزلاً ذا غرفتين وردهة وغرفة للنوم ومطبخ صغير وكان في خدمة المغنية طباخة طاعنة في السن من مواطنياتها . فبعد ان تناولت المغنية الغذاء اليوم اضطجعت على كرسي طويل للراحة في الردهة ولما آن وقت ذهابها الى دار التمثيل دخلت الخادمة لايقاظها ظناً منها انها نائمة فرأتها مضرجة بدمها وفي صدرها أثر طعنة كبيرة ولا شك ان المرأة قتلت في حال نومها وكانت خزانتها مفتوحة وقد أخذ ما كان فيها من الحلي ورأينا اوراقاً منثورة في ارض الغرفة وما عدا ذلك لم نلاحظ ادنى تغيير في ترتيب الغرفة

ـ فاستنتجتم ان سبب القتل هو السرقة

ـ هذا ما يتبادر الى الذهن ايها الرئيس وهذا ما ذكرهُ قوميسير البوليس في محضر التحقيق

ـ وفات حضرة القوميسر انه يسهل سرقة امرأة نائمة وان السارق لا يلجأ الى القتل الاَّ اذا اضطرَّ اليه ففي ما نحنُ بصدده يظهر ان القاتل بدأ بالقتل قبل السرقة وهو أمر غير معقول . . . ولم يفكر ان المقصود كان قتل المرأة وان القاتل لم يسرق الاَّ ليضلَّ رجال البوليس عن غرضه الحقيقي ولكن سنرى . . . فتابع حديثك

ـ ولما رأت الخادمة سيدتها مقتولة استنجدت وأعولت . . . وهي في رعب شديد

ـ ما رأيك فيما تظهره الخادمة

ـ اظنها صادقة وهي من قريبات المغنية . . . وربما كانت والدتها او مربيتها مما أجهله وانما اعلم انها ملازمتها منذ صغرها

ـ ألم تسمع الخادمة حركة في البيت

ـ كلاّ لانها كانت في المطبخ

ـ ألم يأتِ أحد لزيارة سيدتها

ـ لا وقد اعلنت انها لم ترَ قط زائراً عند المغنية بل ان هذه كانت تعيش عيشة امرأة فاضلة

ـ قلت انه ينزل في ذلك البيت كثير من الغرباء فهل القتيلة غريبة ايضاً

ـ نعم وهي ايطالية واسمها ألمرجالينا

فلمعت عينا نوما وقال بلهف : هي ايطالية . . . ؟

فاجاب بروسير : نعم ومن نابولي

فقطب نوما حاجبيه وحنى رأسه يفكر ثم طلب من بروسبر ان يتابع حديثه فقال : ان جنسية المرأة المقتولة هي التي دعتني الى اخبارك حالاً بما جرى

ـ نعم ما فعلت

ـ وانا اعتقد اعتقادك ايها الرئيس من ان قتل المرأة لم يكن لمجرّد السرقة

ـ هذا بديهي فانه كان بامكان السارق الانتظار ريثما تذهب المغنية الى دار التمثيل فيخلو له الجو ويكون في مأمن من الخطر ولا يحتاج الى قتل المرأة وما فعله يدلنا على انه لم يقصد سوى قتل المغنية والآن يجب ان نعلم ما هو الداعي الى قتلها

فقلت لنوما اسمح لي ان ابدي رأيي فانه يلوح لي ان لهذا الحادث علاقة بما نهتم به من الامور التي فيها للايطاليين اليد الطولى

فاجاب نوما حسب عادته : لايمكننا الجزم بشيء الآن وسنرى ما تبديه لنا الايام

وكنا قد وصلنا الى مونمرتر فامر نوما السائق بايقاف العربة وقال : اني مبتعد عنكما الآن لكي لايرانا احد سوية يا كورفيل فاذهب انت وبروسبر وسنلتقي في بيت المقتولة

وابتعد نوما وغاب عن اعيننا لكثرة الازدحام في ذلك الشارع فترجلت وبروسبر وسرنا بين المارة حتى اقتربنا من البيت الذي كانت تسكنه المغنية فافترقت عن رفيقي ودخلت البيت بعد ان اشرت الى انفار البوليس الذين كانوا واقفين على بابه اشارة فهموا منها اني من رفاق نوما ودخل بروسبر بعدي فسرنا الى الغرفة التي كانت تنام فيها المغنية فوجدنا اهل القضاء ونوما فيها والخادمة تقص عليهم ما تعلمه ورأينا باب الخزانة مكسوراً والثياب منثورة على الارض ومثلها الاوراق فقرر القاضي ان السرقة هي سبب القتل فسأل رئيس البوليس المرسيو راماره صديقي نوما هل يوافق على رأى القاضي فاجاب نوما : لاشك في ذلك ... ربما كان هو السبب وتقدم الى الخزانة وفحصها ثم كلف الترجمان ان يسأل الخادمة عن حجم الصندوق الذى كانت تضع فيه سيدتها حليها

فاشارت الى علبة كانت على الطاولة وقالت : كان بحجم هذه

فقال نوما : اذاً الصندوق كبير ولم يكن من الممكن اخفاؤه تحت الثياب بل يراه حالاً من يفتح الخزانة

— نعم

— اذاً لم يكن من داعٍ لبعثرة الثياب كانيا لاجل التفتيش عنه

فقال الموسيو راماره : ربما فتشوا املاً بوجود اشياء غير الصندوق

فتمتم نوما محدثاً نفسه : نعم نعم ... هذا ما اعتقده .. ان الذين جاؤا فتشوا عن شيء غير الحلي والجواهر وانتقل الجميع الى ردهة الاستقبال فلم يجدوا فيها شيئاً يدل على دخول السارقين فيه سوى مكتب صغير فيه درج كانت تضع فيه المغنية اوراقها الخصوصية و رسائلها فان الدرج كان ملقى على الارض والاوراق منثورة منه فامر نوما بروسبر ان يقف بجانب الاوراق لكي لايدوسها احد ثم اقترب الجميع من المغنية فخيل الينا انها نائمة نوماً طبيعياً وكانت سمراء اللون جميلة الوجه سوداء الشعر واخذت الخادمة تندب سيدتها معددة صفاتها فسألها نوما بواسطة المترجم اين كانت تضع المغنية مفتاح خزانتها فاجابت انها تحمله في جيبها وكان الجيب ظاهراً فمد نوما يده اليه بدون ان يمس ثوب المرأة وتناول منه منديلاً وعدّة مفاتيح ثم قال لرئيس البوليس : لاحظ انه كان بامكان القاتل ان يحصل على مفتاح الخزانة بكل سهولة فلا يضطر الى كسر بابها واحداث قرقعة تنبه النائمة او الخادمة فتستنجدان

فقال القاضي : ربما خشي الرجل ايقاظها اذا مدّ يده الى جيبها

— ولكن القرقعة ادعى الى ايقاظها يا حضرة القاضي

— اذاً انت تعتقد ان المرأة قتلت قبل ان تسرق حليها واوراقها

— نعم هذا ما اعتقده

— اذا كان ذلك فلمَ لم يأخذ القاتل المفتاح من جيبها بعد ان قتلها

مستغنياً عن التعب واحداث القرقعة كما قلت

ـ هذا هو السر الذي يجب البحث عنه يا حضرة القاضي

وفحص نوما ما في الردهة ثم قال : هل دعي الطبيب

فاجاب القاضي : نعم ولكن لا فائدة من حضوره فعلينا باتمام عملنا ومتى حضر الطبيب كتب شهادة الوفاة فصاح نوما : ومن اين لنا العلم ان هذه المرأة قد ماتت

— ذلك ظاهر

— من اثبت طبياً موتها

فقال القومسير : قد تأكدت موتها بنفسي

— وكيف ذلك

— لما جئت رأيتها مضرجة بدمها وفي صدرها اثر طعنة سكين او خنجر

— دعنا من هذا

— فقبضت على يدها

— فوجدتها باردة . . . أليس كذلك يا حضرة القومسير

— كلا بل شعرت فيها ببعض الحرارة لاني لما علمت بما جرى بادرت للحال

- كان يجب ان تنتبه الى هذا الامر

— ولكني لما رفعت اليد وتركتها وقعت ولم تبدِ حراكاً

— هذا بديهي اذ لم يكن بالامكان ان تتحرك

- وفتحت الجفن ومسست العين فلم يظهر اختلاج يدل على التأثر

وهذا اعظم ادلة الموت

نعم هذا دليل ولكنه غير كاف فانه في كثير من الاحول تفقد العين كل احساس

— وبناء على ما ذكرته اعتقدت ان المرأة قد ماتت

— انت معذورٌ ولربما اعتقد غيرك مثلك بعد ان يكون فعل ما فعلته

فقال الموسيو راماره : هل تعتقد ان المرأة كانت حية عند وصول القومسير يا نوما

— بل اؤكد انها حية الآن . . . فلا تندهشوا ان العلامات التي ذكرها القومسير باقية لم تتغير ولكن يوجد دليل على ان الروح باقية في هذا الجسد

— وما هو الدليل

— ان اليد اصبحت باردة الآن ولكن في العنق حرارة ضعيفة يمكن الشعور بها مما يدلنا على ان حركة القلب لم تقف ودليلي على ذلك هو ما يمكنكم مشاهدته من مداومة خروج نقط دمٍ من الجرح فالمرأة حية . . . فليسرع بعض الانفار لاحضار طبيب بل عدة اطباء اذ يجب علينا انقاذ هذه المرأة يا موسيو راماره . . . ولنا حاجة بحياتها ثم امر نوما احد انفار البوليس باحضار ما يلزم للطبيب من اجزخانة كانت قريبة وكلّف آخر بتسخين ماء في المطبخ وتجهيز فوط وصحون نظيفة واهتم هو برفع المشد عن الجسم وكشف الجرح ليسهل على الطبيب مباشرة العمل حال حضوره واخذ يغسل الجرح بالماء الحار واذا بالطبيب قد حضر ففحص الجرح وقال ان الامل بالحياة ضعيف جداً

فقال نوما : ولكنه يجب ان تعيش هذه المرأة . . . أسمعت وفهمت

ما اقوله . . . يلزم ان تعيش

وجاء طبيب آخر ساعد زميله في العمل فضمدا الجرح بكل اعتناء وساعدهما نوما في العمل ولما لم يبق للطبيبين مايعملانه ذهب احدهما ولبث الآخر عند المرأة فسأل نوما الخادمة

— ألم تكن بعض الرسائل ترد على سيدتك

فاجابت : بلى كانت تأتيها رسائل وكارتات مصورة عديدة من بلاد مختلفة كفرنسا وايطاليا

— اني ارى كثيراً من الكارتات ولكني لم اعثر على رسالة .

فقال الموسيو راماره : هذا دليل على ان القاتل يعرف المغنية وكان يكاتبها فاخذ كل الرسائل ليحصل من بينها على التي كتبها وجلّ قصده كان محو كل اثر له عندها

وعاد اهل القضاء الى محادثة الطبيب واخذ رأيه في حالة المغنية فقال انه كان يؤمل تحسين حالها بدون ان يضمن شفاءها وان ذلك يستغرق وقتاً طويلاً وبينما كان الجميع مصغين الى كلام الطبيب اخذ نوما يفحص الاوراق التي كانت في الارض بكل اهتمام واذا به قد انتفض واخذ بعضاً منها واخفاه في جيبه بسرعة ولم يلاحظ ذلك غير بروسبر وانا ثم جمع الاوراق ووضعها في الدرج واعاده الى مكانه في المكتب وطلب من رئيسه الموسيو راماره ان يسمح له بالانصراف فسمح له وخرجت اتبعه فاذا به قد اختفى هو وبروسبر فادركت انه لا يريد أن اكون معه فذهبت الى جريدة الجورنال لانشر ما علمته من تلك الحادثة وقبل ان انتهي من كتابة مقالتي جاءني خادم المكتب بكتاب من نوما فيه ما يأتي : « متى انتهيت من كتابة

مقالتك اترك قبعتك ورداءك في مكتب الجريدة واخرج من الممر الذي يؤدي الى ادارة جريدة الالعاب الرياضية وعليَّ تدبيرك »

ولما انتهيت من عملي سلكت في الممر الذي يصل ادارة جريدة الجورنال بادارة جريدة الالعاب الرياضية واذا باحد باعة الجرائد قد اقترب مني وقال : هذه قبعتك وهذه رزمتك ودراجتك ووضع على رأسي قبعة عليها كتابة ولف عنقي بكفية رفعها حتى اذنيَّ ثم علق في كتفي حبلاً قد ربطت فيه رزمة من الجرائد وكان هو لابساً وحاملا مثلي فكنا كاننا من موزعيّ الجرائد وعرفت ان الرجل هو بروسبر مساعد نوما وانه جاءني من قبل رئيسه فركب كل منا دراجته وسار بروسبر امامي بسرعة فررنا بالشوارع التي ليس فيها ازدحام وكان يلفت رأسه حيناً بعد حين ليرى هل انا قادر على اتباعه لسرعة جريه وادركت ان نوما امره بالجري سريعاً هرباً من اخصامه الذين يراقبوني كما يراقبونه لعلمهم بعلاقتي معه ووجودي الى جانبه في كل حادث خطير فاملوا ان يقفوا على اثره وما يعمله باتباع اثري وفاتهم اني تلميذ نوما اخذت عنه علم التنكر والدهاء واني لا اعمل عملاً الا بامره وارشاده وبعد اخذ الحيطة لنفسي

وبعد قليل وصلت مع بروسبر الى الحانة التي في اول الشارع الذي يسكن فيه نوما فترجلنا ودخلنا الحانة وكان فيها بعض الرجال فتبادلوا اشارة مع بروسبر فاخذني وصعدنا الى الطابق الاعلى وهناك قال لي : جئت بك مسرعاً طوعاً لامر رئيسي وهو الذي اختار لك هذا الزيّ وقد اوصلتك الى حيث أمر وما بقي فهو من تعلقاته ولا يخفاك ان النجاح مضمون في كل مشروع يهتم به . . . فتعال معي الى النافذة ننظر من وراء الستار ما يحدث

في الشارع فقد آن وقت حضوره وهو لا يأتي في عربته كعادته لانه ينوي الخلاص نهائياً من اخصامه والافلات من ايديهم واجازة الحيلة عليهم موقتاً فقط فانه رأى حول بيت المغنية الجريحة بعض اشخاص رابه امرهم فامرني ان احضرك الى هنا وسار الى بيته المعروف باسمه في شارع لبيك... انظر الى الرصيف فترى رجلين حسني الهندام يرقبان مرور نوما لمعرفة بيته السرّي ولكن متى اطل الرئيس عرّفه رجالنا بوجودهما...

وسمعت اذ ذاك رجلاً يصفر لحناً مشهوراً فقال بروسبر: هذا هو الرئيس

فاخذت احماق في المارّة لعلي ارى صديقي نوما فلم اره ولكني نظرت رجلاً يحمل سلماً صغيراً معلقاً فيه سطل مملوء غراً وتحت ابطه ورق اعلانات ألصق احدها على الحائط ثم تابع سيره حتى وصل الى الرجلين اللذين قال بروسبر انهما يترقبا مرور نوما فلما وصل اليهم قال لي بروسبر

انتبه جيداً الى ملصق الاعلانات

فاعرت الرجل كل اهتمامي ولا اعلم ما الذي فعله هل زاق ام زلت قدمه.. كل ما رأيته هو انه زلت قدمه فمالت السلم ووقع الغراء النشوي على الرجلين فصبغت ثيابهما وقبعاتهما به.. فصاحا وتهددا الرجل فاعتذر مظهراً مزيد اسفه واخذ يمسح ثيابهما بيده فيمتد الغرا على الثياب واستعملا مناديلهما ولم يفلحا لان الغراء لصق بالثياب فشتما الرجل واهناه وانصرفا وقد اخجلهما ما هما عليه... فأصبح الطريق خالياً واستغرق بروسبر في الضحك ثم عطاني قبعة ورداء فلبستهما وسرت الى منزل صديقي نوما او الموسيو دوران المصوّر فوجدته في معمله ولا نور فيه ولما دخلت عليه نظر اليّ نظرة معناها

ادخل واجلس . . . ولاتأتِ باقل حركة . . . فجلست وعاد هو الى الاهتمام بعمله كأني غير موجود معه فجاء بآلة للتصوير الفوتوغرافي ووضع امامها مسنداً خشبياً ركز عليهِ ورقة بواسطة دبابيس وعاد الى آلة التصوير فادخل راسه تحت القماش الاسود ليرى هل صورة الورقة واضحة فاغتنمت فرصة اشتغالهِ وتقدمت قليلاً الى المسند الخشبي لارى ماهي الورقة التي عليه فلما رأيتها ارتعدت فانها كانت الورقة التي وجدها نوما بين الاوراق المبعثرة في ردهة المغنية ألمرجلينا . . . وكان عليها اثر يدِ الضارب مطبوعة بالدم طبعة واضحة وهكذا كان في قبضة نوما ما اعتاد ان يسميهِ توقيع القاتل . . .

وصوّر نوما الورقة ثم دخل الغرفة المظلمة لأتمام ما يلزم لاظهار الصورة ولما خرج جاء بآلة كهربائية عاكسة مزدوجة فوضع امامها دريئةً من الورق الابيض ثم اخذ من خزانته الحديدية صورةً وضعها في الآلة العاكسة فظهرت على الدريئة صورة الابهام التي كان نقلها عن المفكرة التي وجدها في مكتب كاستنيه وعاد فدخل الغرفة المظلمة وجاء بالصورتين الجديدتين فوضع احداها في القسم الثاني من العاكسة فظهرت صورة ابهامٍ ايضاً فادار لولباً فاقتربت الصورتان حتى تلاصقتا فدنا منهما واخذ يفحصها باهتمام عظيم واثر بي ذلك المنظر وتمثلت امامي يداً تضغط على عنق ايرما كاستنيه وتطعن صدر ألمرجلينا المغنية فعراني الخوف . . . اما نوما فلبث يتأمل الصورتين ويقيس الابهامين ثم رفع صوته في وسط ذلك السكوت السائد وصاح بصوتٍ حاد : اليد واحدة والابهام واحد . . . نعم هما نفس اليد ونفس الابهام . . .

الفصل الثالث والعشرون

« أوكتافي الراقصة »

ثم اطفأ نوما مصباح الآلة العاكسة ومس زراً فاستنار المعمل فعاد اليَّ روعي وخيل لي اني كنت احلم حلماً مخيفاً واشعل صديقي لفافة واخذ يمشي مفكراً مطرق الرأس ويداه وراء ظهره وكان اهتمامه شديداً الى حد ان نار اللفافة اتصلت بشفتيه فانتبه وجلس على كرسي وقال :

ـ بقي عليَّ ان اعلم ما هو القصد من محاولة قتل المغنية . . . فان السرقة لم تتم الا بعد ان طعنت المرأة ولم يقصد من اخذ الحلي سوى تضليل ظنون البوليس وانا اجهل ما هو الداعي الى قتل تلك المرأة غير اني اعتقد ان اعداءها كانوا في حاجة ماسة الى قتلها بأقرب ما يمكن

فقلت: ربما خطر لك انك ستجد على المرأة او في بيتها تلك العلامة اي . × .

ـ صدق حذرك يا كورفيل ... ان اثر الابهام الذي وجدناه على ورق المغنية هو نفس اثر الابهام الذي طبع على مفكرة كاستنيه ... ولا اعلم كيف طبع الابهام على الورق . . . وعندي في محفظتي طبعتان من ابهام المركيز دي سنتوشي الاولى اخذتها يوم لبست القفاز الاسود وتقدمت لاعزي المركيز وضغطت على يده كما تعلم والثانية طبعها هو نفسه مختاراً وتلطف فوقع اسمه تحتها لأزين بذلك الاثر مجموعة صور الابهام التي عندي . . . ولا حاجة لي بان اقابلها بصورة الابهام الذي على ورق المغنية او على مفكرة كاستنيه ... ولقد خيل لك اني اناقض نفسي يوم ابديت امامك بخصوص هاتين الطبعتين الملاحظات التي خطرت لي فاسمع

تفصيلي ترى ان كلامي يطابق بعضه بعضاً كل المطابقة ولا اثر للمناقضة فيه فاني لما وجدت مفكرة كاستنيه قلت للقضاة «انظروا هذا الاثر فانه يدل على ان ابهام الرجل غليظ بارزُ الجلد كانما هو من اصابع احد العملة» وكلامي هذا كان عن منظر الابهام العمومي . . . عن ظاهرهِ فلما جئنا الى هنا وفحصت الاثر باممان قلت لك انه يدل على ان صاحبه شريف اشرف من المركيز دي سنتوشي وهذا القول حملك على الظن اني ناقضت ما قلته امام القضاة

— صدقت فاني عجبت من ان نفس اليد تدل على ان صاحبها هو احد العملة وانه من الاشراف اي الغير مشتغلين في آن واحد .

— انت صادق في ظنك حسب الظاهر غير انك لو تدبرت قولي لادركت ما اعنيه فاعلم ان منظار الابهام الاجمالي غليظ يدل على ان صاحبه ممن يحترفون عملاً يدوياً شاقاً ولكن منظره المفصل يشف عن غير ذلك وهكذا اذا نظرت الى كتاب حكمت عليه حكماً مبدئياً بحسب جودة ورقه وحسن طبعه ولكنك تاتي برأي ثانٍ بعد قراءته وهو حكمك على ما يحتويه من المعاني والافكار فانا فتشت في ذلك الابهام الذي هو بمثابة كتاب غليظ الطبع فتشت عن المعاني فاذا بها من اعظم ما رأيت دقةً واتقاناً . . . ولزيادة الايضاح اضرب لك مثلاً ثانياً وهو انه لو اشتغل احد الملوك بحرفة ما شاقة يدويه لتغير حجم اصابعه وغلظت بشرتها اما الخطوط التي فيها فلن تتغير الا بعد عصور فيظهر التغيير في من يأتي من ولده وهذا سرٌّ لا ادركه ولن اقوى على هتك ستره الا متى قبضت على صاحب طبعة هذا الابهام . والذي نفتش عنه قوي ذكي مما يزيد فرحنا

عند بلوغ الارب »

ولما انتهى نوما من شرحه نهض واخذ يتمشى في المعمل ثم وقف وقال لي : اتعلم يا كورفيل متى اهداني المركيز دي سنتوشي هديته النفيسة

— قد قلت لي انه فعل ذلك بعد ظهر يومنا هذا

— نعم ولكن لم اعين لك الساعة فاعلم انه طبع اصبعه على الورقة في الوقت الذي طعنت فيه المغنية الايطالية ألمرجاينا

— اذاً المركيز بريء من التهمة فيما يتعلق بالاثم الاول

— ولماذا يا كورفيل

— الامر بديهي ياصديقي فان اثر الاصبع الذي وجد على مفكرة كاستنيه هو ذات الذي وجد على ورق المغنية وبما ان المركيز كان معك ساعة طعنت المغنية فليس له اقل علاقة باثر اليد الذي وجدته على ورقتها وهذا ينفي علاقته بالاثر الموجود على مفكرة كاستنيه

ولما قلت هذا ابتسم نوما ابتساماً طفيفاً ولمعت عيناه وعاد الى التمشي ولم يجب على اعتراضي مباشرة بل قال : يا عزيزي ليس من تشابه بين الامرين فان ما جرى في بنك كاستنيه كان سببه السرقة ولم يتم بقتل ايرما التعسة الا لكي ينجو السارق اما في شارع سولنيه فكان مقتل المغنية هو ما قصد وسرق القاتل ليضلل اهل القضاء ويوجه افكار الشحنة الى غير ما نواه

— ما قصد القاتل بقتل المغنية

— اصابها ما اصاب الكونت دي ڤيلاسر بوري

— فطنت . . . لاجل السر . . . المركيز شخصان اذاً

ولم يجب نوما على سؤالي بل اخذ قبعته وسار بي الى بيته حيث

وجدت بروسبر فاعطاني قبعتي وردائي اللذين كنت قد تركتهما في ادارة جريدة الجورنال وقال لي نوما ان اذهب مع مساعده فقادنى هذا في طريق كنت اجهله والحق يقال انه كان لبيت نوما مخارج ومداخل اكثر مما فيه من النوافذ وركبت مع بروسبر عربة اوصلتني الى بيتي فخلوت بنفسي افكر بشدة مكر نوما وذكائه الباهر وما له من الولع الغريب في صنعته وكان قد قال لي بعد ان تأكد ان حذاء الضابط ألري ليس بالذي لطم مكتب كاستنيه انه سيسعى للظفر بالحذاء الحقيقي اي الذي قشر بالتطامه وترك على رجل المكتب اثراً منه فاخذت افكر باي طريقة سيهتدي صديقي الى ذلك الحذاء اللماع وفي باريس ملايين من نوعه فلم اجد حلاً لهذا اللغز ولو سمع غيري نوما يقول سأحصل على ذلك الحذاء لعدّه مجنوناً اما انا فكنت معتقداً انه سيفلح . وفي احد الايام لقيني نوما في الطريق فبادرني قائلاً : حصلت عليه

فاجبته مستغرباً وما هو الذي حصلت عليه

ــ الحذاء

ــ أمازح انت

ــ كلاَّ

ــ اذاً قد تم مطلوبك

ــ لا يكفي وجود الحذاء

ــ وكيف ذلك

ــ لاني وجدته بسهولة غريبة

ــ يا لك من رجل غريب الاطوار اتفتش في بلد كبير كباريس عن

حذاء وتتقاه وتعد ذلك امراً سهلاً

- نعم لاني لم اتعب في التفتيش عنه

- وكيف وجدته

- كان ذلك عرضاً واتفاقاً ولهذا لا اؤمل بالفائدة التي كنت ارجوها من وجوده فضحكت وقالت : انت طماع لا يرضيك القليل

- بل انا رجل لا يسره تمام الامور الصعبة اذا تمت بسهولة

- ارضَ بذلك مرة واحدة واعتقد ان الاتفاق ساعدك وقص عليَّ خبر الحذاء

فاجاب : ان في شارع نوتردام دلورت رجلاً يبيع ثياباً واحذية من الجنس الجيد باثمان بخسة وسبب ذلك ان الاغنياء لا يلبسون الثياب او الاحذية الا مراراً معدودة ثم يبدلونها بغيرها ويعطون القديم منها (وهو غير قديم في اعين غيرهم ممن اقل منهم ثروة) لخدامهم فيأتون بها الى ذلك البائع فيصلحها حتى تصبح جديدة فيأتيه ويشتريها من يرغب في الجميل الغالي الثمن من الثياب والاحذية ولا يساعده ما له على مشتراها من المخازن الكبيرة لارتفاع اسعارها وقد اشتريت من الرجل كثيراً من الثياب استعملتها للتنكر فبينما انا مار من امام دكانه نظرت الى ما عنده من البضاعة واذا بين صف الاحذية واحد منها حسن الصنع بديع الجنس وقد وضع عليه ورقة مكتوب فيها ان مشترى هذا الحذاء فرصة ثمينة فاخذته في يدي ورأيت صدق ما كتب لان الحذاء كان جميلاً كما قلت لك والثمن بخس جداً بالنسبة الى الثمن الاصلي واخذ البائع يطريء في جودة صنفه واتقان صنعه قائلاً ان صاحبه لم يمشِ به الا على الطنافس فهو جديد وبينما انا اقلبه اذ لحظت

ان مؤخره مجلوف فدهشت وحدقت في الحذاء فادرك البائع اني رأيت الاثر الذي حاول اخفاءهُ بواسطة الطلاء وقال لي لا باس بما تراه يا سيدي فان البنطلون يغطيه عند اللبس فاعدت الحذاء الى مكانه مظهراً عدم الاكتراث به وسالني البائع ألا ارغب فيه فاجبته اني سافكر في ذلك وسرت الى دكان بائع لفائف تبغ فوقفت امامه انظر الى ماعُلق على بابه من المحافظ وانواع اللفائف واخذت منديلي من جيبي وامسكت باطرافه ونفضته مرتين ثم وضعته على انفي ودخلت الدكان فطلبت من صاحبه نوعاً من اللفائف الاجنبية واخذت انظر الى الشارع فاذا بي ارى امامي على الرصيف رجلاً اسمر اللون اسود الشاربين

ـ الرجل الذي يراقبك . . .

ـ نعم هو بعينه ولما رأيت انه يتبع أثري طلبت لفائف اخرى لأطيل وقوفي في ذلك الدكان . ودخل مشترٍ ثانٍ طالب لفائف ايضاً فدفعت ما عليَّ للرجل ومددت يدي الى النور الذي تشعل منه اللفائف في مثل تلك الامكنة واذا بالمشتري الثاني وهو شاب جميل قد مدّ يده ايضاً فتوقفت فانحنى الشاب احتراماً لسني قائلاً : تفضّل فشكرته وانحنيت لاشعل لفافتي فقلت بسرعة : اسرع . . . الحذاء مهما كلّف ذلك . . . واعلم مصدَرَه . . . ثم قدمت المشعلة الى الشاب وانصرفت فسار الرقيب محاذياً لي على الرصيف الثاني ومشيت مدة ليست بقصيرة حتى وصلت الى سطح قهوة فدخلتها وطلبت جريدةً ومشروباً فجاء الرجل وجلس على طاولة ورائي فلبثت اقرأ حتى نصف النهار وآن وقت الاكل فتجلدت وداومت القراءة وطلبت ثانيةً من المشروب فاخذ الجاسوس يتثاءب وقد مسه الجوع ولما شربت نصف الكاس

وضعت الجريدة على الطاولة ونهضت قائلاً للخادم : دع كل شيء في مكانه فاني عائد بعد ان اتكلم بالتلفون ونظر الرجل اليَّ حذراً ولكنه لم يتبعني خوفاً من أن انتبه الى امره . . . وساعده على الاصطبار علمه انه ليس للقهوة سوى باب واحد على الشارع فاخذ يرقب الباب ولما طال غيابي عاد اليه قلقه ولكنه لم ينهض لما يعلمه من عدم تلبية عمال التلفون للطلب حالاً . . . ومرت نصف ساعة فلم يعد باءكان الرجل الانتظار ودخل الى محل التلفون فرأى رجلا يتكلم ظنه اياي ولكن لما انتهى الرجل والتفت رأسه رأى رقيبي انه غيري فدهش وعاد الى السطح ظناً منه اني عدت الى قراءة الجريدة فرأى الطاولة خالية من الجريدة ومن كاس المشروب ايضاً وقد جلس مكاني رجل آخر فوقف يتساءل من اين خرجت وليس للمكان سوى باب واحد لم يحول نظره عنه ثانية واحدة . ثم دفع ماعليه وانصرف غاضباً ودخل الى مطعم ليا كل . . . وكنت لما قمت للتكلم بالتلفون قد خرجت واكلت في مطعم وشربت القهوة ثم عدت الى بيتي فوجدت بروسبر الامين في انتظاري فسألته هل جاء بالحذاء فاجابني نعم ودفعه اليَّ فسألته ألم يلاحظ ما يريب بينما كان يشتريه فقال لي لا وانا متأكد ذلك لاني فحصت الشارع قبل دخولي ودكان بائع الاحذية فلم ارَ سوى الرجل الاسمر الذي كان يتبعك وانا من وراءه اتبعه وهو لا يعلم . . . والرجل لم يفارقك ثانية ايها الرئيس ولما امرتني باخذ الحذاء تبعه غيري من رفاقي الى المكان الذى جلست فيه تقرأ الجريدة فرأى الرجل يجلس وراءك ولم يخرج زميلي الا بعد ان تأكد انك ذهبت وبعد ان انصرف مراقبك حانقاً غاضباً . . .

اما خروجي من القهوة فلم يتم باعجوبة بل كنت اعلم ان في المطبخ

باباً مختص بالخدم يجهله الزبائن لعدم احتياجهم اليه ومنه خرجت الى المطعم فارسلت احد من فيه من الخدم دفع ما عليَّ من ثمن المشروب ... وهكذا افلت من يد خصمي بحيلة بسيطة مع ما تأنق فيه من الحيل لانه اهمل البسيط من الامور »

هذا ما قصه عليَّ يوما ثم افترقنا ولم القه الا بعد خمسة ايام فانه كتب اليَّ يدعوني الى بيته

ولما جئته قال لي : لا شك عندي انك مشوق الى معرفة كل ما يتعلق بالحذاء اللماع الذي اشتراه بروسبر فاني فحصت جلده جيداً فوجدت بعد المقابلة انه من نوع القشور التي التقطتها حول مكتب كاستنيه

- هذا هو حذاء القاتل ...

- لا تتسرع يا كورفيل

- واي تسرع بعد تأكيدك ما قلته

- ان العامل الذي صنع ذلك الحذاء قد صنع ولا شك غيره وفي باريس غيره كثير يلبسون منها غير القاتل الذي نطلبه

- صدقت

- فاخصامنا اصطنعوا حذاء بهيئة الذي افتش عنه ووضعوه عند ذلك البائع على طريقي لاراه وأغتر بالظواهر فاتبع الوهم واترك البحث عن الحذاء الذي يهمني وجوده ... آه ان اخصامي ذوو حيل وتفنن والله اعلم بمن يفوز منا

- لم ينتصروا عليك الى الآن

- كما اني لم انتصر انا ايضاً . فانهم يسعون الى تضليلي مدافعين عن

انفسهم وهم محقون في الدفاع فعلي ان لا اقع في ما ينصبونه لي من الشرك

— وما الذي يحملك على الظن ان وجود الحذاء فخ نصب لك

— عرفت ذلك من اوكتافي

— من هي اوكتافي هذه

— لما كان من اللازم معرفة مصدر الحذاء ارسلت بروسبر فاخذ يتردد على البائع ويلاطفه حتى تمكنت بينهما الصداقة فعلم منه ان الانسة اوكتافي هي التي باعته الحذاء وما كان يعرف من الآنسة المذكورة شيئاً سوى انها فتاة جميلة تخدم في بيت سيدة غنية تسكن في نفس الشارع القائم فيه دكانه ولا يخفى عليك ذكاء بروسبر فانه لم يكتفِ بما قاله له الرجل بل فكر بان الخادمات يترددنَ الى بعض المجتمعات للرقص فاخذ يتردد الى تلك الاماكن وفي احد الايام اذ كان في مرقص للخادمات سمع شاباً ينادي باسم اوكتافي ونظر بروسبر الى الفتاة فاذا بها جميلة فخطر له انها ربما كانت نفس التي يفتش عنها والا فانه يمتع نظره بجمالها وانتظر ريثما رقصت مع احد الشبان ثم عادت الى الجلوس مع صديقتين لها وشابين معهما فتقدم اليها قائلاً : تسمحين لي يا سيدتي ان امدحك على حسن رقصك فاني معجب بك فسرَّت بكلامه وطلب منها ان ترقص معه فرضيت ولما انتهى من الرقص عاد بها الى رفاقها وطلب لهم بعض المشروب وعرفهم بنفسه انه خادم احد الاغنيا الذين قدموا باريس حديثاً وسرت اوكتافي بجمال بروسبر وحسن حديثه وسألها عمن كانت تخاصر من الشبان قبل معرفتها اياه فاخبرته انها منذ زمن بعيد لا ترقص الا مع خادم لسيد اسباني غني جداً كان في كل موعد للرقص يأتي الى بيت سيدتها فيأخذها الى المرقص

ثم يوصلها الى البيت عند انتهاء الليل وانه جاءها في احدى الليالي ومعه حذاء جميل الجلد حسن الصنع كان قد لفه في قطعة من الورق ولم يشأ ان يلبسه الا في قاعة الرقص فلما اراد لبسه لم يدخل الحذاء في رجله لصغره فاستاء واعطاها اياه لتبيعه وتتصرف بثمنه فلاحظت ان الحذاء مجلوف من مؤخره ولما سألته عن السبب قال ان رجل سيده لطمت سلم سيارته فانقشر وسألها بروسبر هل تعلم اين يسكن سيد ذلك الخادم فقالت انه مقيم في قصر جميل له في شارع مكماهون وهكذا عرفنا ياعزيزي كورفيل ان الخادم الذي ذكرته اوكتافي كان في خدمة الامير رومالينو صديق المركيز دي سنتوشي الحميم .

الفصل الرابع والعشرون

« رسائل الحزن »

ومضت ايام لقيت فيها نوما مراراً ولكني لم اسأله عما تم من أمر الحذاء لعلمي انه لو حدث شيء جديد لأخبرني ففي احد الايام جاءني نوما باكراً وقال : تعال معي فاني ذاهب الى مقابلة الشفاليه فونتيس صديق الكونت دي فيلاسربوري وستكون مقابلتنا علنية في بيته حيث ذهبت ثلاث مرات وذكرت له انك ستصحبني في الرابعة اما الداعي الى زيارتي له فهو انه طلب ذلك مني لامور مدهشة غريبة يسرك الاطلاع عليها فانك تعلم انا قبضنا على سائق سيارة الكونت دي فيلاسربوري وحاولنا حمله على الاقرار لنا بما يعلمه وان يذكر لنا اسم من كلفه ان ينزع من السيارة قطعة الحديد التي سببت للكونت ذلك السقوط الخطر فانكر ان احداً اوعز

اليه بذلك وقال ان ما ادعيناه من محادثة رجل له ودخوله الحديقة التي كنا مجتمعين فيها مع الكونت ثم لحاقه بالرجل هو امر عادي بسيط فان الرجل كلمه مسلماً ثم انصرف اما هو فدخل تحت السيارة ليصلح شيئاً في الآلة ففك قطعة منها ولما اراد ارجاعها رأى ان ذلك لن يتم له الا بواسطة مطرقة فدخل الحديقة ليطلبها من صاحب الفندق فاتفق اذ ذاك خروج الكونت فركب سيارته وهو يجهل ان آلتها مفكوكة فحدث له ما حدث قضاءً وقدراً . . وقول الرجل قريب الى الحقيقة الى حد يحملني على الشك في هل هو من اعداء الكونت او ان ماحدث لسيده ونسبنا اليه تدبيره ليس الا نتيجة شؤم الاتفاق

ـ ولكن مالنا وللظاهر يا توما فاني اود معرفة اعتقادك الحقيقي

ـ اذاً اعلم اني اعتقد بانتماء السائق الى اعداء الكونت وانه لم يخدمه الا ليراقبه ويساعد على قتله فاخصامنا دهاة يا كورفيل

ـ وما فعل القضاة بسائق الكونت

ـ اضطروا الى اخلاء سبيله لعدم ثبوت التهمة عليه فذهب وعرض خدماته على الشفاليه فونتيس فرفض هذا قبوله لاعتقاده خيانته وفونتيس يخرج الى النزهة في سيارته مع سائقه القديم

ـ أفلا يخشى ان يفعل به ما فعله سائق صديقه

ـ كلا لانه حينما يركب بالقرب منه يضع على رجليهما جلداً قوياً يربطه ربطاً محكماً بالعربة مدعياً ان الهواء يضر به لانه مصاب بالروماتيزم وهكذا يقيد السائق فلا يمكن ان يحدث اقل خطر الا قاسمه اياه

ـ على اني اظنه خائف مع ما يستعمله من التحوط

— كلا فان الشفاليه شجاع ثابت الجأش فلا يقوى عليه الخوف ولكنه مشغول الفكر هذه المدة لانه وصلت اليه ثلاث رسائل تنعي كل منها وفاة رجل يجهله الشفاليه فلا شك ان صاحب الرسائل يقصد بها تهديده بالموت لعلمه انه صديق الكونت دي فيلاسربوري وظنه انه قد أتمنه على السرّ الذي اوجب سعي اعدائه الى قتله ... وقد جاءني صاحبنا بالرسائل وطلب مني ان ارشده الى ما ينبغي اجراؤه فاشرت عليه برفض الرسائل التي سترده ففعل ولكن ذلك لم يمنع وصولها فكان يصله في كل يوم كتاب يخبره بموت شخص يجهله فادركت ان الرسائل المرفوضة لم تعد الى اصحابها لان خبر الميت المنعي غير حقيقي فقلت للشفاليه ان يحفظها وانا ذاهب بك للاطلاع عليها في بيته

— وهل تذهب بدون تنكر مع علمك بشدة مراقبة اخصامك لك

— ان الشفاليه طلب مني ان اذهب اليه ثم يأتي هو اليّ علناً ليفهم اعداءه اننا لا نخشاهم وربما توصلت بتظاهري بالتغفُل الى ما لا ادركه بالحيلة فهم يسخرون بي الآن وينسبونني الى السذاجة ولكني اذا تظاهرت بأني حمار فما ذاك الا للحصول على العلَف ... اني اجهل ما يقصده اولئك القوم من مناوأتهم ومراقبتهم لي غير اني سأعلم ما يخفونه كما اني اعرفهم الآن مع تنكرهم باغرب الازياء ولكنهم يظنون اني غافل عنهم فيداومون نفس الطريقة في العمل وهكذا ابقى الفائز عليهم لاعتقادهم اني سالك في عملي الطريق التي يسلكها كل مفتشي البوليس ولا يدرون ما في اظهاري التغفل من المكر وسيكون سروري عظيماً بالفوز عليهم لانهم اشد ما رأيت من الاخصام

ولما وصلنا الى باسي حيث يقيم الشفاليه فونتيس نزلنا من العربة ووقف توما امام باب البيت يعد الدراهم باعتناء قبل دفعها للحوذي وما كان ذلك الا ليرى ما في الشارع فلما دخلنا الى حديقة البيت قال لي : ان اخصامنا قد اقتفونا ورأيت اثنين منهم في الشارع واثنين في الدور الثاني من البيت الذي تجاه مسكن الشفاليه

— وكيف عرفت انهما في الدور الثاني

— لاني كلما جئت الى هنا رأيت سجف نافذتين من نوافذ ذلك البيت تحرك فاستغربت الامر لان النوافذ مقفلة دائماً ثم ان اخصامي قد نفحونا مالاً لاطلاعنا على وجودهم في ذلك البيت

— دع المزاح يا توما

— لا مزاح في ما اقوله لك يا كورفيل فاني لما رأيت سجف النوافذ تحرك عند حضوري الى منزل فونتيس امرت بروسبر ان يقف في الشارع عند حضوري وان يعزف على قيثارة متنكراً بزي متسول وجئت بالشفاليه الى حديقته واخذت معه في الحديث وادعيت ان حديقته غير متقنة الهندسة فاراد اقناعي بغلطي فاصررت على قولي والجأنا اخيراً الى مقايسة اقسام الحديقة لنرى الحق في جانب اي منا وهكذا جئت بحبل ومتر فكنا تارةً نختفي لقياس ما وراء البيت وطوراً نظهر امام المراقبين فرابهم امرنا ولما كانت الرطوبة تغشي زجاج النوافذ فتمنعهم عن النظر جيداً الى ما نفعله فتحوها متظاهرين بانهم فعلوا ذلك لسماع عزف القيثارة وانما اقمت بروسبر في الشارع لاسهل لهم الحيلة فوقعوا في الشرك ونفحوا بروسبر بعض الدراهم جزاء اطرابه اياهم وهكذا رآهم بروسبر الحاذق وخيل له ان

احدهم هو الرجل الذي كان في فيلان يوم اجتماعنا بالكونت واحد اللذين صبيت عليهما الغراء وان رفيقه هو البرنس روماني وقد فعلت ما قلت لك وفونتيس يجهل حيلتي .

وكنا قد وصلنا الى داخل القصر فادخلنا احد الخدم الى الردهة وحضر الشفاليه بعد قليل فسألنا ان نذهب الى مكتبته فسرنا اليها واذا بها عامرة تحتوي على ما ندر من المؤلفات وكان في الغرفة مجموعة اسلحة مختلفة الانواع معلّق في كل قطعة منها ورقة تشير الى اسم صاحبها الاصلي او حكاية حالها فسألني الشفاليه اظنك تتعاطى التمرّن على السلاح يا موسيو كورفيل

— نعم فاني احسن استعمال السيف

— نِعم الامر فان السيف هو سلاح الشجعان الاحرار ويقتضي اتقان استعماله علماً ومهارةً اما الخنجر فهو سلاح الغادرين ... انظر فاني قد وضعت بين هذه السيوف التي هي سلاح الشجعان قطعتين من سلاح الخونة اي هذين الخنجرين ... احدهما كان لرجل من اشرف الاسر تنكر يوم المرافع واراد قتل احد اجدادي ووجود الخنجر هنا يدلك على ان جدي قتل ذلك الوغد وعاد بسلاحه ... وهذا خنجر أخر حمله جدي في جرحه فاخرجه الطبيب منه في بيته... وكان في يد جدي سيف مخضبٌ بالدماء ...

ثم انحنى الشفاليه امام تلك الاسلحة وجاء فجلس بالقرب منا قائلاً لنوما : قد وصلني صباح اليوم كتاب فحفظته مع الذين وردوا قبله كما امرتني والثلاثة الاخيرة تختلف عن التي سبقتها

ثم نهض الشفاليه فونتيس واحضر الغلافات مقفلة فرأينا ان التي

مظاهر من الخلاف الخارق

وعاد توما الى فحص الغلافات فقال : فتح ملاحظة امر واضح وهو ان الغلافات مقفلة ومن ثم كان ما فيها رسائل ولا مطبوعات فلا بد اذاً ان يكون لكتابها [illegible] ما فكان رفضها ابا الشفاليه فعمل توتيس ما طلبه توما فلم نر ضمن الغلافات سوى اوراق سوداء الاطراف خالية من الكتابة ومن الطباعة ايضاً فاستغربنا ذلك. اما توما فأخذ الاوراق ونظر الى الغلافات فاذا بالخط الاسود الذي عليها بهيئة العلامة ✗. فارتعدت شفتيّ وانتصب الشفاليه خائفاً

فقال توما : هذا النذار مؤداه ان الجمعية السرية التي شعارها هذه العلامة تراقبك وتجسس اعمالك وارسال الغلافات يعد تهديداً

فابرقت عينا الشفاليه ورفع رأسهُ بكبر وصاح : اني لا ابالي بتهديدهم . . قد تجنبت التداخل في السياسة ولم انخرط في سلك جمعية ما سرية ام غير سرية ولا مذهب لي سوى الحرية والمساواة وخصصت من ربحي جانباً للفقراء والمحتاجين كما اني اشركت في ربحي كل الذين يعملون في املاكي ومعاملي واجريت على من شاخ منهم او امتنع عليه العمل رزقاً يجعله في مأمن من الفاقة وعشت حراً شريفاً فلن ارضى ان يتداخل في أموري اشخاص لا أريد معاشرتهم . . . لم اعمل قط شيئاً الا كان علنياً صريحاً فكيف انضم الى قوم يخفون اعمالهم تحت طي السر . . . اني لا اعرف هؤلاء القوم ولا أريد ان اعرفهم واجهل ما يقصدونه ولا يهمني معرفة قصدهم . . . أما ما يريدونه مني فلا علم لي به ايضاً . غير اني عالم بنفسي انها لا تأتي الا ما يرضيها ويرفعها ولا يمكن احداً ان يضطرها الى

عملٍ تأباه . . . واخصامي لم يظهروا غرضهم فهو اذاً معيب وقصدوا حملي على مجاراتهم بالتهديد والوعيد اذاً ما يطلبونه مخالف للحقوق والشرف وانا لن احيد عن جادة الحق واعرض عن كل ما يمس شرفي

فقال نوما : ان القوم لا يطلبون منك سوى السكوت

ـ السكوت عن اي شيء

ـ عما يعلمه الكونت دي فيلاسر بوري ويظنون انك تعلمه ايضاً

ـ ما هو الذي يعلمه الكونت

ـ يدري ان المركيز بريودي سنتوشي هو شخصان

ـ لا افهم ما تعنيه

ـ انك تذكر ما حدث لصديقك حين كنا مجتمعين في فندق فيلان وكيف هرب مذعوراً لما دخل علينا ذلك الرجل المتزيي بزي الخادم وابدى له بيده اشارة معلومة بينهما . . . غير ان الكونت كان قبيل حدوث ذلك قد قال لي هذه الكلمات « ان المركيز دي سنتوشي شخصان » فما معنى هذه الكلمات فاجاب الشفاليه : اني اجهل ذلك . . . ولا يمكني افادتك

ـ ألا تعلم شيئاً عن المركيز . . . ان الكونت لم يقصد المجاز وان الرجل محتال خائن ذو وجهين بل ارى لما قاله معنى اجلّ واكثر خطارة ولولا ذلك لما أصرَّ اعداء الكونت على قتله وتابعوا تهديدك

ـ وانا أرى رأيك يا موسيو نوما

ـ ايها الشفاليه ان الرسائل التي وصلتك وهذه العلامة هي تهديد لحملك على كتم ما ربما قاله لك صديقك

ـ اتأسف لعدم معرفتي شيئاً مما يظنونه

- ألم يرد قط في حديثك مع الكونت ذكر المركيز دي سنتوشي

- بلى وانما كان ذلك بطريق العرض لان اسرتي فيلاسر بوري وسنتوشي متباغضتان منذ عهد قديم مع ما يوجد بينهما من صلة النسب اما اسرتي فمخلصة لاسرة الكونت وهو صديقي منذ الصبى وليس لاحدنا علاقة مع المركيز

- هل لك ان تصفه لي

- للرجل سمعة طيبة في صقلية وعداوتي له ان تؤثر على قولي الحقيقة فهو معروف بالنجدة موصوف بالشجاعة وقد اهتم بالسياسة متبعاً خطة اجداده الذين لهم فيها القدح المعلى ولكنه لم يبلغ ما بلغوه فترك السياسة وسافر الى اميركا الشمالية للمتاجرة بالاراضي او الفرو

- قد قلت لي مرةً انك ذهبت ايضاً الى اميركا بقصد النزهة أفلم تصادف المركيز هناك

- كلاّ

- هل تقدر على معرفة المقاطعات التي اقام فيها

- يسهل عليّ ذلك فان لي في صقلية اصدقاء هم ايضاً من اخصاء المركيز فهل ترغب ان اسألهم

- ليس من حاجة ماسة الى ذلك وسنعود الى هذا الموضوع . . لك يا حضرة الشفاليه عدة كروم في صقلية وانت تتاجر بالخمرة فتبيع منها في صقلية وايطاليا وفرنسا ايضاً افلا يوجد بين عملائك او من يشترون منك رجل يدعى بيسّت

فاجاب الشفاليه ضاحكاً : هل الصديق بيسّت هو الذي تعني

- نعم هو بعينه

ـ وكيف لا اعرفه ... نعم ان علاقاته كلها هي مع وكيل اشغالي غير ان من رأى الرجل مرة واحدة لا يمكنه ان ينساه

ـ وهل بينكما معاملة في الوقت الحاضر

ـ قد قلت لك يا موسيو نوما ان امر تجارتي موكول الى وكيل اشغالي فهو ينهي مع بيست كل عمل اما انا فلم ارهُ الاّ مرات معدودة ومع ذلك فهو يدعو نفسه صديقي كما يدعي انه صديق اسرة كرمين سنتوشي اذ له علاقة تجارية مع والد المركيز بريمو

ـ هل تظن انه تسنى له معرفة المركيز بريمو شخصياً

ـ لا شك في ذلك

ـ ان بيست ادعى انه صديق المركيز دي كرمين سنتوشي وانه ذهب مراراً الى الصيد مع ابنه المركيز بريمو

ـ ربما كان ذلك

ـ اعلم اذاً انه يوم كان يجري التحقيق في منزل كاستنيه جاء بيست وطلب ان يسمع له شهادة جاء بها فسمح له القضاة بذلك فاخذ يقص علينا حديثاً طويلاً مملاً ولكننا استنتجنا من حديثه بعض الامور المهمة

ـ اي دخل لاصديق بيست في قضية كاستنيه

ـ انه صديق القتيل

ـ لله دره . . انه صديق الجميع على ما ارى

ـ دعنا من هذا ايها الشفاليه وانتبه لحديثي فبعد ان اعلمنا بيست اموراً كثيرة منها انه صديق المركيز دي كرمين سنتوشي وصديق ابنه المركيز بريمو التقى بالاخير وجهاً لوجه ولم يعرفه ... فانتفض الشفاليه

فونتيس وصاح : كيف ... لم يعرف بيست المركيز بريو دي سنتوشي

ـ كلا كما ان المركيز بريو لم يعرف بيست بل اظهر عند رؤيته ما دلنا على انه لم يرَهُ قط في عمره

ـ ان هذا مستحيل

ـ هذا ما حدث ايها الشفاليه

ـ الامر غريب ... خطير ... بل هائل

ـ ليس من الغريب ان لا يعرف بيست المركيز اما كون بريو دي سنتوشي لا يعرف بيست مع انه سبق له رؤيته فهو موضع الغرابة لان منظر بيست يستحيل نسيانه ... ولا يبرح هذا الامر من فكري منذ يوم قال لي الكونت دي فيلاسر بوري « ان المركيز بريو دي كرمين سنتوشي هو شخصان » وعليه فانا لا اعتقد انه ذو وجهين ولسانين بل ان للمركيز جسمين

ـ جسمين

ـ نعم يوجد رجلان كل منهما يدعى المركيز بريو دي كرمين سنتوشي ولا بد لي من ان اتأكد صحة هذا الامر اذ يتوقف عليه عملي فيجب ان اعرف ما لكل من المركيزين من الصفات والاخلاق ... والأهم هو ان اعلم لماذا يجهل الناس وجود اثنين من اسرة سنتوشي باسم واحد وكيف تجهل ذلك انت نفسك ايها الشفاليه مع انك من ابناء وطنهما ... ولكن هل تعرف المغنية لامارجلينا

ـ كلا ولِمَ هذا السؤال

ـ لان المغنية مطلعة على سر سنتوشي

ـ وما يحملك على هذا الظن

ـ اعتقادي انه لم يقصد قتلها الا لنفس السبب الذي كاد يودي بحياة الكونت دي فيلاسر بوري

الفصل الخامس والعشرون

« الشفاليه الشجاع »

ولما خرجنا من عند الشفاليه فونتيس اسرَّ اليَّ نوما ان في نيته الذهاب الى صقلية ليتحرى بنفسه عن حقيقة المركيز دي سنتوشي ورفاقه فسألته لمَ لا يطلب من بوليس صقلية ما يلزمه من الاستعلامات فأفهمني ان الجمعيات السرية منتشرة هناك انتشاراً هائلاً فربما وقع كتابه في يد احد رؤساء البوليس المنخرطين في سلك الجمعية التي منها المركيز فينبهه الى ما يفعله نوما ويجيب هذا باعطائه استعلامات فاسدة تضله عن الحقيقة فلا يجني من ورائه سوى الخذلان ثم اخبرني ان في نيته تأجيل السفر الى ما بعد الوقوف على حقيقة امر الرسائل التي ارسلت الى الشفاليه وانه يظنها صادرت من الجمعية التي ارادت قتل الكونت دي فيلاسر بوري وهي تقصد بعملها الآن ارهاب فونتيس لكي لا يطلع احداً على السر الذي يظنون ان الكونت ائتمنه عليه وفاتهم ان الشفاليه شجاع لا يهاب الوعيد ولو كان له اطلاع على ذلك السر لاخبرنا به منذ البداية فلا فائدة من تهديدهم .

فقلت : ربما لم يقصدوا برسائلهم الا انذاره بقرب وقوع الانتقام لظنهم انه قد اطلعك على ما يعلمه

— ربما كان ذلك ايضاً ولكن اولئك القوم لا يميزون بين الاشخاص ويظنون الشفاليه كالذين سبق لهم معهم تهديد فخافوا ولكن الرجل غير ما يفكرون فهو لا يعبأ بهم مع انه وحيد لا نصير له ولا حزب يدافع عنه وهم يخشونه الآن ويتهددونه عن بعد ولا يجسرون على محادثته او منازلته جهاراً وقد كتب الي فونتيس يدعوني الى بيته فلا بد ان يكون قدحدث شيء جديد فتعالَ معي يا كورفيل

ولما وصلنا الى بيت الشفاليه ادخلنا مكتبته واطلعنا على كتاب ورده واذا هو عبارة عن ورقة دائرها اسود وفيها اربعة احرف مفصول كل اثنين منها بالعلامة المعروفة ·X· وهاك ترتيب الاحرف « ت ا ·X· س ، ي » .
وظن نوما ان هذه الاحرف هي بداية كلمات ايطالية وسأل الشفاليه عن ذلك فاجابه انه حاول ان يركّب جملة من كلمات تبتدي بهذه الاحرف فلم يفلح فاطرق نوما قليلاً ثم قال : ان هذه الاحرف ليست سوى كلمة لاتينية هي (تاسي) اي اصمت ...

فصاح فونتيس : يا لجنون هؤلاء الانذال ايسكت من هو مثلي أأكتم ما يساعدني على الانتقام لصديقي الكونت انجليو لاكون شريكاً لهم في عملهم تالله ساء ظنهم فالشفاليه فونتيس لا يهاب احداً ولا يخفي الحقيقة اذا عرفها ... انا لا اخشاهم وقد اجبت على انذارهم هذا بانذار آخر

فقال نوما : وما الذي فعلته

— نشرت في الجرائد اعلاناً جواباً على هذا الانذار افلم تقرأه

— كلا لم يقع نظري عليه

فاخذ فونتيس جريدة ودفعها الى نوما فقرأ فيها الاعلان الآتي :

« الشفاليه فونتيس يطلب من اهل المزاح ان يبطلوا مزاحهم الثقيل الذى لا فائدة منه ويفيدهم انه لن يصمت بل يعمل ما يعنّ بباله »

ـ هذا هو انذارى يا موسيو نوما فهل اخطأت في نشره

فلم يجب نوما بل سأل الشفاليه هل هو واثق بامانة خدمه واخلاصهم فاجابه ان ثقته بهم تامة لانه ليس عنده امرأة كالفوكامور خليلة الكونت يخشى خيانتها وليس في خدمته سوى طاهية ومساعدة لها وهما فرنسيتين وسائق سيارته افرنسي ايضاً وهو لا يسكن معه في قصره فلا يقيم بالقرب منه سوى خادمه الشيخ بيترو وهو الذي رباه ويحبه محبة والدية ويسهر على حياته غير ان عجزه اضطر الشفاليه الى اقتناء كلبين قويين ليساعداه على السهر والانتباه فقال له نوما انه لا يثق بامانة الكلاب وذكاءها اذ ليس بامكانها ادراك اهمية الاشياء وخطارتها فتنبح اذا رأت ضوء القمر كما اذا رأت سارقاً يدخل البيت غير مميزة ما بين الامرين فلا يصح الاعتماد عليها وقد طالما رأينا كلاباً تنبح وراء قوم من افاضل الناس وتأنس باللصوص

ـ اذاً بماذا تشير عليّ وبمن استعيض عن الكلاب

ـ بي انا اولاً ثم بالآلات او الكهربائية

ـ وكيف تحرسني الكهربائية يا نوما

ـ اعلم يا عزيزى فونتيس ان ليس في العالم ما يماثل ادراك الكهربائية ونشاطها وسرعتها واخلاصها فلا يمكن رشوة سلك كهربائي حسن الوضع بل ينبيك عند الحاجة وبدون ان يحتمل اقل غلط او اشتباه

ـ انك مصيب في كل ما تقول يا نوما ولكني لن استعمل ما اشرت

عليَّ به لئلا يظن اعدائي اني خائف منهم

ـ اني مخالف لرأيك فاستعمال الحزم ليس دليلاً على الجبن

ـ لن ارضَ ابداً بوضع الاسلاك في بيتي ولو انها كانت موجودة لاستعملتها كما اشرت اما الآن فاذا وضعتها علم اعدائي وتيقنوا اني اخشاهم وانا لا ارضى بهذا العار فضلاً عن ان كلابي قوية نبيهة ولي بها ثقة عظيمة. ولن يأتي اعدائي اليَّ في وسط بيتي

ـ اخطأت بل سيأتون اليك

ـ اذا جاؤوا نبهتني الكلاب فاقوم بما يجب علي من حق استقبال الزائرين ...

ـ لن ينبهك الكلاب ولن تعلم بمجيء اخصامك

فلم يقتنع الشفاليه بكلام نوما وانصرفنا فقال لي صديقي في الطريق ان فونتيس اخطأ باتكاله على كلابه وان المرور بين الف كلب بدون ان ينبح احد منهما أمر بسيط سهل ثم اطلعني على ما يستعمل من الحيل لاسكات الكلاب ولا يمكنني نشر ما قاله لئلا يستعمله اولو الشر في قضاء اعمالهم غير اني اذكر شيئاً مما يستعمله العرب في مثل تلك الحال فانهم متى ارادوا دخول بيت على خلسة من اصحابه خلعوا ثيابهم وتقدموا الى الكلاب فتهرب منهم اذ ان الكلب لا ينبح امرءًا عارياً وهناك طريقة اخرى وهي ان تغمس بعض الاقمشة في بول كلبةٍ مغرمة ثم يعمل منها كرة يرميها السارق من فوق سور الحديقة فيتراكض الكلاب اليها ويقفون امامها يشمونها وقد لعب الغرام بقلوبهم وتغلبت عليهم الطبيعة ...

ـ ولكن اذا كان بينهم كلبة فلا تفعل بها الكرة فعلها بالذكور

من الكلاب

ـ لكل داء دواء يا كورفيل ... يوجد حشيشة معروفة اذا غليتها وغمست فيها ورقاً او قماشاً وطرحته امام كلبة حملته وانزوت في مكان قصي لتأكله بلذة وسرور

ـ اذاً انت تخشى ان تستعمل هذه الطرق لاسكات كلاب فونتيس

ـ سنرى سنرى

وبعد مضي يومين على حديثنا هذا ارسل فونتيس يدعو نوما فسرت معه الى بيت الشفاليه فارانا هذا كتاباً قد خطت فيه كلمة « أصمت » بحبر أحمر واعلمنا ان الكتاب لم يرده بطريق البوسطه بل وجده على مكتبه في غرفته

فقال نوما : اذاً دخل احد اعدائك بيتك

ـ لا بد من ذلك ...

ـ ولم تنبح كلابك

ـ كلا

ـ اين تكون الكلاب في الليل

ـ في الحديقة

ـ اذاً قد استعمل اخصامك احدى الطرق التي ذكرتها لكورفيل فهل تسمح ان نسير في الحديقه متظاهرين بالتنزه لعلي اجد اثراً لما استعملوه

فنزلنا الى حديقة القصر وسرنا فيها متظاهرين بالحديث وفتشنا فيها طولاً وعرضاً ولما لم يجد نوما شيئاً قال : لا شك ان الذي دخل القصر استعمل الجبنة

ـ وما هي هذه الطريقة

ـ هيا بنا الى داخل القصر فاريكها بالاختبار

ولما وصلنا الى مكتبة الشفاليه طلب نوما ان يأتي احد الخدم بقطعة من جبنة كرافيره وان يجي بالكلاب الى المكتبة فاسرع الخادم للقيام بما أمر بهِ فقال نوما للشفاليه : هل تعرفك كلابك

ـ نعم هي تعرفني وتحبني لاني اعتني بها واطعمها بيدي

ـ اذاً سيكون دليلي قوي وحجتي قاطعة

وأخذ نوما بعض قطع من الجبنة في يديه وقد جاءت الكلاب فاخذت تقفز على الشفاليه تلاعبه فدنا نوما منها ومدَّ يديه إمام فمها فوقفت شاخصة اليه فمشى الى آخر الغرفة فتبعته ففرك فمها بالجبنة التي في يديهِ فبرقت اعين الكلاب وتحركت اذنابها وحلقت بنوما تنتظر منه ان يرمي لها بما في يديهِ فقال : اخرج ايها الشفاليه ونادي كلابك

فخرج فونتيس وصفر منادياً الكلاب فلم تتحوّل عن نوما فناداها باسمائها وصرخ فلم يفلح فأخذ سوطاً وضربها فكانت الكلاب تهرب منه صامتة ثم تعود الى نوما غير مبالية بصياح الشفاليه وضربه فقال صديقي قد علمنا ما نريد معرفته ولا تتكدر ايها الشفاليه فان لجبنة كرافيره مفعولاً غريباً على جميع الكلاب لا على كلابك وحدها ولا شك ان أحد اخصامك مرّ في المساء من وراء سور الحديقة ورمى فيها قطعاً من الجبنة المشتملة على شيء من الافيون فالتهمتها الكلاب وفعل الافيون فعله فيها فنامت ولما جاء الليل دخل الرجل الى قصرك ووضع هذا الكتاب

ـ وما العمل لتلافي هذا الامر اذ ربما عاد اعدائي الى استعمال هذه الطريقة

ـ من باحضار شيء من البهار (الفلفل) والخردل ولما جيء بهما غمس نوما الجبنة في الخردل وذرّ عليها البهار ثم رماها امام الكلاب فترا كضت اليها ولكنها ما لبثت ان ابتعدت عنها وقد سالت الدموع من اعينها وكثر عطاسها ولكن حبها للجبنة تغلب عليها فعادت اليها مرات عديدة وفي كل مرة كانت تبتعد عنها مسرعة فقال نوما : اضمحل حب كلابك للجبنة ايها الشفاليه وها اني القي اليها قطعاً من الجبنة عارية من الخردل والبهار فلن تدنو منها وكان ذلك فان الكلاب لما رأت نوما يرمي اليها بقطع الجبنة ابتعدت عنها ونظرت اليه مكشرة عن انيابها كانها غاضبة من سخره بها فضحك نوما قائلاً : لن تغر الجبنة الكلاب واذا اراد اعدؤك دخول بيتك ثانية وجب عليهم استعمال طريقة جديدة واني ارغب كثيراً في معرفة ما سيستعملونه

وكان الثلج قد غطى الارض فقال الشفاليه : اني ساحظر على من في بيتي دخول الحديقة فاذا جاء احد من الخارج راينا أثر اقدامه وعلمنا من اين دخل

فاجابه نوما : سيأتي اخصامك ويدخلون بيتك بدون ان ترى أثراً لاقدامهم

ثم انصرفنا ولما كان صباح اليوم الثاني جاء الشفاليه الى بيت نوما واخبره ان اعداءه دخلوا بيته ليلاً ولم يكتفوا بوضع رسالة على مكتبه كالمرة السابقة بل سمروا في الحائط ورقة كتبوا فيها «الموت جزاء من تكلم ومن يتكلم»

فقال نوما : قد علمنا ما يقصدون الآن

ـ انا لا اعبأ بذلك ... وسكوت الكلاب هو ما يشغل بالي

ــ ألم ينبحوا قط هذه الليلة

ــ بلى نبحوا كثيراً قبل الصباح ثم سكتوا

ــ قد ادركت السر ألم تسمع جلبة في الشارع قبل نباح الكلاب بل في وقت نباحها

ــ بلى فان سكرانين ملأا الشارع صياحاً

ــ ولا شك انهما وقفا يتشاجران امام باب الحديقة

ــ نعم وشتما كلابي وصاحا بها فزاد نباحها

ــ بخ بخ ما افعل حيلتهما . . .

ــ اما انا فوقفت وراء النافذة عندما سمعت صوت الكلاب واستعددت لكل طارىء ولكني لما رأيت ان سبب الجلبة السكرانين عدت الى فراشي ونمت

ــ اعلم اذاً يا عزيزي الشفاليه ان السكرانين هما من اعدائك

ــ ما تقوله بعيد التصديق اذ ما الذي يدعوهما الى اقلاقي ومن في الشارع

ــ فعلا ذلك لتنبيه الافكار الى الجهة التي كانا فيها في حين دخل غيرهما من جهة اخرى وسمر الورقة

ــ ان غرفة مكتبتي قريبة من النافذة التي كنت واقفاً وراءها ولم يكن بالامكان طرق المسمار بدون ان اسمع

ــ بل ذلك سهل الحصول وهاك الدليل

ونهض نوما فجاء بمطرقة ومسمار وسدادة من الفلّين ملفوف عليها شريط من الصلب ليزيد في متانتها وكان في احد اطرافها قطعة من الحديد فاخذ نوما المسمار ووضع السدادة عليه من الجهة التي فيها الحديد

ثم ضرب بالمطرقة على القسم الذي فيه الفلين فدخل المسمار في الحائط بدون ان يسمع للطرق صوت فدهش الشفاليه وقال له نوما ان هذه الطريقة يستعملها اللصوص ويمكنهم بواسطتها ان ينزعوا اخشاب سقف بتمامه دون ان يشعر النائمون تحته بما يجري فوق رؤوسهم غير ان فونتيس استغرب اختفاء اثر اقدام من دخلوا بيته على الثلج الذي في الحديقة فاخبره نوما ان ازالة الاثر عن الثلج امر بسيط لا يخفى على صغار الاولاد

فقال الشفاليه : اتعرف هذه الطريقة

— نعم اعرفها وسأظهر لاعدائك الجسورين انا عارفين جميع حيلهم... ولكنهم سيعودون الى عملهم

— اني بانتظارهم هذا المساء

— ربما لا يأتون هذه الليلة لعلمهم ان امر الورقة قد نبه افكارك وزاد في حماستك فاحطت لما يطرأ ثم انه ليس لديهم ما يضطرهم الى زيارتك في كل يوم فان جل ما يقصدونه هو تخويفك واعلامي انا الذي تطلعني عليها على جميع ما يفعلونه بك مبلغ قدرتهم وجسارتهم ومهارتهم فهم يسعون الى اقناعي بأني لست قادراً على مداومة القتال الذي ابتدأ بيننا ... وبما ان لكل منا مصلحة في قهر هؤلاء الاعداء ارجو منك ان تسمح لي بقضاء الليل في قصرك مع اثنين من رجالي

فانتصب الشفاليه عند سماعه هذا الكلام وصاح : لن ارضى بذلك ... لا لا ... لن يقال ان فونتيس استعان برجال البوليس ليقوه مما يتهدده من الخطر ... فانا احرس نفسي وادافع عن نفسي وحيداً ... اشكرك كثيراً غير اني ارفض بتاتاً ما تعرضه عليّ

— لا بأس من ذلك وانا ارى من الموافق ان لا يراني الاعداء داخلاً بيتك ليلاً لئلا يمتنعوا عن الحضور فيذهب سهرنا سدى ... غير ان رغبتي شديدة في اعلامهم ان نوما اشد دهاءً مما يظنون

— وما الذي ترتأي فعله

— لم اعتمد بعد على شيء اجريه غير اني سأعمل عملي بدون مساعدتك وعلى جهلٍ منك ايها الشفاليه وذلك سيكون متى سنحت الفرصة المناسبة له

— افعل ما شئت بشرط ان لا يكون في عملك ما يحمل اعدائي على الظن اني خائف منهم

— كن مطمئناً فليس لاحد ان يتهمك بالجبن .. انما انصحك ان تنام في غرفتك وتصطحب معك فيها احد كلابك وتبقي الآخرين في الحديقة فاذا دخل احد البيت نبهك الكلب الذي بالقرب منك فتنهض وتجري . ان لعوبه بعيدٌ التصديق اذ ما الذي يدعوهما الى افلاقي ومن في الشارع

— فعلا ذلك لتنبيه الافكار الى الجهة التي كانا فيها في حين دخل غيرهما من جهة اخرى وسمر الورقة

— ان غرفة مكتبتي قريبة من النافذة التي كنت واقفاً وراءها ولم يكن بالامكان طرق المسمار بدون ان اسمع

— بل ذلك سهل الحصول وهاك الدليل

ونهض نوما فجاء بمطرقة ومسمار وسدادة من الفلّين ملفوف عليها شريط من الصلب ليزيد في متانتها وكان في احد اطرافها قطعة من الحديد فاخذ نوما المسمار ووضع السدادة عليه من الجهة التي فيها الحديد

ولما وصلا الى الطريق كنت قادماً لزيارة نوما فسألني الشفاليه ان اسير معهما وكانت عربة فونتيس بانتظاره وهي من نوع العربات المقفلة ورأيت على بضع خطوات منها عربة بسيطة عرفت سائقها ولما همّ نوما بالصعود الى عربة فونتيس لطم رأسه ببابها فمالت قبعته واراد ان يمسكها فمد يده واشار اشارة ادركها سائق العربة الثانية فسار بعد ان ابتعدنا عنه قليلاً

ولما وصلنا الى بيت الشفاليه دخلنا غرفة المكتبة وكانت الورقة التي سمرها اعداء فونتيس باقية على حالها في الحائط فدنا منها نوما واخذ يفحصها من جوانبها بدون ان يمسها فتأكد انها سمرت بالطريقة التي استعملها هو نفسه امام الشفاليه ثم عاد الى فحص الكتابة بواسطة عدسية واذا به قد صاح : هذا هو الابهام

فقال الشفاليه : ماذا تعني يا عزيزي نوما

في كل يوم فان جل ما يقصدونه هو تخويفك واعلامي انا الذي عليها عمداً لعلمه اني على جميع ما يفعلونه بك مبلغ قدرتهم وجسارتهم ومهارتهم فهم يسعون الى اقناعي بأني لست قادراً على مداومة القتال الذي ابتدأ بيننا . . . وبما ان لكل منا مصلحة في قهر هؤلاء الاعداء ارجو منك ان تسمح لي بقضاء الليل في قصرك مع اثنين من رجالي

فانتصب الشفاليه عند سماعه هذا الكلام وصاح : لن ارضى بذلك . . . لا لا . . . لن يقال انّ فونتيس استعان برجال البوليس ليقوه مما يتهدده من الخطر . . . فانا احرس نفسي وادافع عن نفسي وحيداً . . . اشكرك كثيراً غير اني ارفض بتاتاً ما تعرضه عليّ

الفصل السادس والعشرون

« الامير الفاضل والمركيز الشرير »

ولما التقيت بنوما بعد ما رأيناه في بيت الشفاليه بادرني بقوله : ان كل ما حدث يا كورفيل من امر الابهام والحذاء وحادث السيارة و رسائل النعي ليس الاّ حلقات من سلسلة واحدة فكل هذه الامور مرتبطة بعضها ببعض بل هي اغصان متفرعة من جذع واحد فان اخصامي نمي اليهم اهتمامي باثر الحذاء الذي وجدته على قائمة مكتب كاستنيه فوضعوا الحذاء في طريقي في نفس اليوم الذي ارسلوا فيه الرسائل الى الشفاليه لحملي على الاعتناء والاهتمام به واهمال امر الرسائل لعلاقتها بمقتل كاستنيه ولكنهم وقعوا في الفخ الذي نصبوه لي ... فاني تظاهرت بعدم الاهتمام بالحذاء وامرت بروسبر بمشتراه . . . ومن المضحكات ان يضعوا يوماً ما غيره في سبيلي لأُشغل به عن باقي الامور أو يعود الخادم ألفرد الذي كان يرقص دائماً مع اوكتافي فيجد بروسبر قد حل محلّه . . . وسعيهم لحملي على تغيير خطتي [illegible] على ان تلك الخطة التي اسلكها حسنة فعليّ باتباعها . . .

[illegible] ربما اراد موافقاً

- حسن ولكن ما الذي ستعمله انت

- قد قلت لك ان رفضك مساعدتي يضطرني الى ان اعمل ما يخطر بخاطري ... حسب طريقتي التي اتبعها في مثل هذه الاحوال...

- لك ما تشاء

- اذا كنت ذاهباً الى بيتك فاسمح لي ان اسير معك اليه لأني اريد رؤية الورقة التي سمرت في الحائط ومقابلة الخط الذي فيها بالذي على غلافات الرسائل التي وردتك

- اني مسرور لتكرمك بزيارتي يا عزيزي نوما فهلمّ بنا

مرة واحدة وان الامير روماليتو رافقه الى باب منزل كاستنيه فمنذ قال المركيز هذا اصبح للامير شأن في القضية غير ان القضاة لم يهتموا به ولم يطلبوه ليتحققوا صدق كلام المركيز

ـ لقد اخطأتم في ذلك

ـ كلاَّ لان في ذلك الوقت لم يكن لدينا من مسوغ لاستدعاء الامير سوى كونه رافق صديقه حتى بيت كاستنيه وهذا مما لا يدعو الى استحضاره امير واعتباره شاهداً . اما الآن فقد ظهر ان له يداً في بعض المسائل فالحذاء صادر من بيته كما روت اوكتافي واظنها صادقة الرواية وعليه فالحذاء للامير او للمركيز وهذا ما اريد معرفته

ـ فاذا تأكدت انه ملك المركيز ... يكون الامير قد امر بوضعه في طريقك لتراه وتلهو به

ـ نعم ولكن اذا كان الحذاء للامير يا كورفيل

ـ اذا كان ذلك تأكدنا انه هو القاتل بداهةً

ولم يجب نوما بل اشعل لفافة واخذ يدخن وبعد قليل قال : ان [illegible]

واوراق المغنية لامارجلينا . . . فبالله قل لي ايها الشفاليه ألم تمسَّ هذه الورقة لا انت ولا احد من سكان قصرك

ـ كلاّ يا عزيزي نوما

ـ يالجسارة اولئك القوم انهم لم يخشوا ان يضعوا توقيعهم على هذه الورقة اذ طبعة الابهام ليست سوى توقيع الفاعل ... توقيع القاتل ... آه الابهام ... الابهام

حاجة الى أخذ بعض القياسات ليستعين بها في التحقيق وكان منذ موت صاحب المصرف لايدخل احد مكتبه سوى موريسون وكان دخوله نادراً فلما جاء نوما دخله معه فتناول صديقي متراً من جيبه واخذ يقيس البساط الذي في المكتب طولاً وعرضاً ويكتب ارقاماً على ورقة . ومل موريسون الانتظار فعاد الى اشغاله فلما ابتعد اخذ نوما حذاء كان في جيب سترته ثم نام على البساط وأدنى الحذاء من قائمة المكتب ليرى هل ينطبق نحاسها على الجلف الذي في الحذاء فاذا به مطابق تمام المطابقة فنهض نوما قائلاً هذا هو الحذاء الذي كان في رجل القاتل . . . ولم يقصد اخصامي الهزء بي كما ظننت فلم يبقَ عليَّ سوى مقابلته بأحذية المركيز والامير لاعلم من منهما الذي كان يلبسه . . . ولما اعلمني بذلك قلت له انى لك الوصول الى احذية الامير وفي بيته كثير من الخدم ساهرون على مصلحته فلم يجبني وانصرف فلم أره مدة عشرة ايام فتيقنت انه يسعى الى امنيته . وحدث في غضون تلك الايام العشرة ان الحالة الجوية كانت تتغير تغيراً فجائياً . فبينما الناس يرتعدون من شدّة البرد اذا بالهواء يهب عليلاً فيلبس الجميع لباس الصيف ثم لاتلبث الشمس ان تحجب بالغيوم فيتساقط الثلج . وهكذا اهملت قومبانية المياه مواسيرها فانها بينما هي تهتم لمنع الماء من التجلد تشتد الحرارة فتترك ماكانت شارعة في عمله حتى متى عاد البرد فجأة تجمد الماء في القساطل مما سبب انقطاع الماء في عدة بيوت وفي جملتها بعض البيوت القائمة في شارع مكماهون فكتب سكانها الى المصلحة يشكون أهمالها ويتهددونها برفع القضايا ضدها فاهتم المدير بالامر إهتماماً ادارياً اي انه كلف من يبحث عن سبب تجلد المياه في مواسير بعض البيوت مع

انه لم يحدث شيء من ذلك في غيرها واستغرق البحث وقتاً طويلاً فزادت شكوى السكان من المصلحة والبلدية نفسها. واتفق ان بيت الامير رومالينو في شارع مكماهون كان في جملة البيوت التي انقطع الماء عنها . . . ولما كرر السكان شكواهم ارسلت الادارة عمالها فدخلوا البيوت ليصلحوا الخلل وجاء ثلاثة من العمال الى بيت الامير رومالينو وصبوا ماءً غالياً في القساطل ليذوب الثلج واهتموا بنوع خاص بالقسطل الذي يجلب الماء الى الحمام فان تجلد الماء فيه كان اقوى لتفرعه مباشرة من المجرى الكبير ووجوده لهذا السبب على الحائط من الخارج فاضاع العمال معظم وقتهم في اصلاحه وكان بالقرب من الحمام غرفة صغيرة فيها رفوف يضع عليها خادم الامير احذية سيده وهي مختلفة الازياء والاجناس فلما جاء في اليوم الثاني للاعتناء بالاحذية رآها قد نقصت حذاءين اي فرداً من كل زوج

ولما التقيت بنوما بعد طول غيابه قال لي انه حصل على مثالين من احذية الامير واطلعني على الحيلة التي استعملها للحصول عليهما واخبرني ان الامير جاء بنفسه لمراقبة العمال وامر ان يعطوا خمراً وان احد الخدم الذين ساعدوهم في العمل كان نفس الشاب الاسمر الذي ادعى امام اوكتافي انه اسباني الجنس وهو ليس من العنصر الاسباني بشيء وبعد مقابلة احذية الامير بالحذاء المقشور وجد انه ليس بينها اقل شبه فتأكد ان الذي كان يلبس الحذاء هو غير الامير وقال اني اعتقد ان الحذاء ملك المركيز دي سنتوشي وان صديقه رومالينو اوقعه في يدي ليحولني عن الطريقة التي اتبعها في التحري والبحث . ثم اظهر نوما شدة رغبته في الحصول على امثلة من احذية المركيز بريعو وصعوبة ذلك قائلاً : ليس بامكاني ان اقطع الماء عن حيّ

من احياء باريس مرة ثانية بقصد الحصول على حذاء لئلا ينتبه الناس فتنكشف حياتي . . .

فاجبته : دع الماء وعليك باستعمال النار

— وهل تعني ان اثير النار في قصر المركيز ثم ادخله بزي احد رجال المطافىء

— نعم

— ان في استعمال النار خطراً ومجازفة يا كورفيل فلربما لا تتمكن من اطفائها فاسبب ضرراً جسيماً والاولى بي ان ابحث عن حيلة غير هذه ولم يذكر لي نوما شيئاً مما كان ينويه ولكنني كنت واثقاً بانه سيحصل على حذاء للمركيز وقد ذكرت للقراء قبلاً ان صديقي كان شجاعاً جسوراً سريع الخاطر فلم يلجأ الى الحيلة بل شمر عن ساعد الجد وسعى الى عمله بنفسه مخاطراً بحياته .

كان يقيم المركيز دي سنتوثي في شارع بلفويل فذهب نوما وبروسبر لاختبار ما يحيط بالبيت فرأيا انه على جانبيه وامام مدخله حديقة جميلة اما من ورائه فكان يلاصقه بيت أعلى منه بطابقين وكان على حائط هذا البيت قضبان من الخشب مشبكة وقد تسلقها النبات المسمى بالجلبلاب او العاشق كما نراه في كثير من دور الاوربيين وكان بين الاخشاب قطع من الحديد مستخدمة سلماً وهي موضوعة طبقاً لامر ادارة البوليس ليسهل الصعود عليها عند شبوب النار في البيوت

ففي احدى الليالي المظلمة هبت عاصفة شديدة وهطلت الامطار بغزارة فاسرع نوما الى الشارع الذي يقيم فيه المركيز وصعد الى سطح احد

البيوت ثم اخذ يزحف على بطنه متأنياً لئلا تحمله العاصفة فتوصل الى سطح البيت الملاصق لمنزل المركيز ومنه نزل بواسطة القطع الحديدية المغروسة في الحائط الى سطح بيت دي سنتوشي . . . وكان في الشارع بعض المارة يروحون ويجيئون . . . ومرّت بعض المركبات . . . وكان ايضاً في الشارع شرطيان يمشيان ببطء احدهما بروسبر الامين يلاحظ كل ما يحدث مستعداً لنجدة رئيسه برجاله عند اول اشارة تبدو منه

وكان نوما قد اختفى عن نظره حينما صعد الى السطوح ولكنه راه لما نزل على حديد الحائط فسار ورفيقه ووقفا بجانب باب البيت القائم تجاه منزل المركيز وكان قلب بروسبر يخفق وجلاً على حياة رئيسه لما في عمله من المخاطرة وكان عدد الخدم عند المركيز اقل مما هو في قصر الامير رومالينو لكن صغر بيته يسهل عليهم حراسته ومهما يكن من اعتقاد بروسبر بمجازفة نوما فانه كان يعتقد انه سيفلح لما يعهده فيه من الحزم والنشاط . . . وعاد نوما فظهر على سطح بيت المركيز ثم اختفى فقال بروسبر لرفيقه : ان الرئيس قد أفلح

وفي تلك الساعة كان الجميع نياماً في بيت المركيز والانوار مطفأة . . فتقدم نوما الى ما نسميه المنارة التي يدخل منها النور الى السلالم وهي مصنوعة من الزجاج فألصق بلوح منه قطعة من الزفت امسكها بيده ثم قطع الزجاج بواسطة قطعة من الالماس ورفعه ومد يده وفتح باب المنارة . . . وكان بروسبر حديد البصر فرأى ما فعله رئيسه وقال لرفيقه : قد فتح باب المنارة فهيا بنا وتقدما الى سور الحديقة ففتح بروسبر باباً صغيراً فيه . واقام رفيقه بجوار الباب اما هو فدخل حتى وصل الى باب المنزل ففتحه بما علمه اياه

استاذه نوما من الحيل ودخل ووقف وراء الباب ليسهل لرئيسه طريق الهرب اذا اضطر الى ذلك او لينجده اذا استنجده . . . وكان السكون سائداً في المنزل فاصغى نوما ولما لم يسمع صوتاً نزل من السلم بتأنٍ . . . وكان صاحبنا لابساً ثياباً من القطن ومحتذياً نعلاً من اللبد وكلاهما لا يخرقه الماء فلم يحدث اقل صوت من مشيه . . . وكان قد اخذ خارطة المنزل من الرجل الذي اجره للمركيز وعرف فيه غرفة المركيز بل مركز كل الغرف . . . وكانت غرفة المركيز في الطابق الاول تطل على الحديقة والشارع وبالقرب منها ردهة صغيرة ثم غرفة الحمّام وبعدها الغرفة التي فيها ملبوس المركيز فقصدها نوما ولما وصلها مد يده الى أكرة الباب وأدارها ثم فتح الباب قليلاً فسُمِع له صرير خفيف فتوقف وانصت . . . ولما رأى ان السكون سائد دخل واخذ حذائين مختلفين ووضعهما في حزامهِ وهمّ بالانصراف من الباب الذي يقيم عليه بروسبر واذا بالريح قد لعبت بالباب فاخذ يطرق على الحائط بعنف . . . وكان سبب دخول الهواء بهذه الشدة هو ان بروسبر فتح الباب الخارجي قبل الوقت المناسب فدخل الهواء منه ومن النافذة التي فتحها نوما في المنارة فحدث مجرى الهواء . . . وافاق من في البيت وقفز المركيز من سريره مذعوراً وصاح : من هذا . . . واصابه الخوف فنادى بخدمه ثم مسّ الزّر الكهربائي لينير البيت واستل سيفه واخذ مسدسه ظاناً ان عدواً فاجأه وفتش تحت سريره ووراء خزانته . . وعاد الباب فطرق بشدة فهجم المركيز والسيف مشهور بيده الى حيث سمع الصوت وكانت الازرار الكهربائية على الحائط فمسها وسطع النور . فلما رأى نوما ما المّ به من الخطر اراد دخول احدى الخزائن التي فيها ثياب

المركيز وتقدم ولكن كان في طريقه مرآة عكست عليه اشعة النور فوقع خياله على مرآة ثانية عكسته الى الحائط . . . ورأى المركيز الخيال فظنه نفس الرجل فاطلق عليه مسدسه فلم يصب سوى المرآة فتحطمت ووقعت الى الارض وسببت ضوضاء عظيمة . . . فصاح المركيز . . لصٌّ لص . . . اقبضوا عليه

فهب الخدم ينادون بعضهم وزادت الضوضاء . . . ورمى المركيز المسدس ودخل مصلتاً سيفه الى غرفة الحمام فوجدها خالية فدخل الى غرفة الملبوس واخذ يضرب بسيفه الستائر . . .

وكان نوما مختبئاً وراء ستارة منها فاصابه السيف في خدّه خفيفاً ثم ضرب بالحائط ولكنه لم يتحرك وعاود المركيز ضرب الستائر فاصاب سيفه ذراع نوما بجرح طويل لكنه قليل العمق . . .

ولو طعن المركيز بسيفه طعناً بدل من ان يضرب به لقتل نوما لا محالة . . .

ولما جاء الخدم قال لهم المركيز : ان في البيت لصوصاً ففتشوا عنهم لنقبض عليهم . . . فتشوا في غير هذا المكان لاني قد فتشت فيه ولم اجد احداً

وسار المركيز برجاله الى الغرف يفتشون عن اللصوص فبادر نوما الى الخروج مسرعاً فدخل غرفة المركيز

وصعد الى سريره وانزوى في احد جوانبه وجمع الغطاء فوقه وعاد الجميع ينقبون في الغرف تحت الأسرة ووراء الستائر والاثاث وفعلوا نفس ذلك في غرفة المركيز ولم يخطر لاحد منهم ان يفتش في السرير لانه ليس

من المعقول ان يأتي السارق ويختبئ في نفس سرير صاحب البيت . واعترف لي نوما انه جزع حين دخلوا الغرفة التي كان فيها ولكن المركيز قال هيا الى المكتبة والردهة الكبيرة فلا شك عندي ان اللصوص هم في احداها فنزلوا السلم ولقيهم هناك احد الخدم الذين ينامون في الطابق الاسفل فقال انه لم يرَ احداً ولا سمع صوتاً وان الباب مقفل . وتفسير ذلك ان بروسبر لما سمع الجلبة وصوت اطلاق الرصاص اقفل الباب وبادر الى رفاقه ليعلمهم بما حدث ويدعوهم لنجدة رئيسهم وانقاذه .

ودخل المركيز والخدم الى غرفة المكتبة والردهة ففتشوا فيها وضربوا الستائر بالسيوف ونقبوا في الخزائن ولم يجدوا احداً

وبينما كان الجميع يفتشون عن نوما نهض هو من تحت الغطاء واراد الهرب فرأى انه لا سبيل لهُ اليهِ لعدم وجود منفذ يخرج منه وادرك انه ليس بالامكان الخروج من حيث دخل لتيقنه ان الجرح الذي في يده يمنعه عن تسلق الجدار الذي نزل عليه فلا بد من وقوعه بين ايدي المركيز ورجاله

كان نوما سريع الخاطر الى حد يعجز ادراكه فانه لم يكد ييأس من النجاة حتى خطر له ان الهرب امر سهل بسيط الى غاية ما يمكن وان فراره سيتم من باب البيت حيث كان المركيز ورجاله يفتشون لعلمه ان بروسبر ورجاله واقفون وراء ذلك الباب كما كان امرهم قبل دخوله بيت المركيز وان صوت اطلاق الرصاص وتألق البيت بالانوار فجأة قد نبهاهم فاستعدوا لكل طارئ ولم يكن بد لنوما من ابعاد المركيز ومن معهُ عن الطابق الذي فيهِ باب البيت ففكر قليلاً ثم اخذ احدى فوط المركيز وربط بها ذراعه وتلطخت يده بالدم فخطر لهُ ان يستعمل ذلك الدم في

سبيل مهمته . . . فرسم به في وسط سرير المركيز الابيض العلامة ✠.
ثم فتح يده وطبعها على الوسادة فظهر اثر الكف عليها احمر مخيفاً . . .

وكان امام غرفة المركيز غرف اخرى معدّة للضيوف فدخل احداها واذا لها باب يؤدي الى غرفة ثانية فأقفل الباب الداخلي الذي يفصل الغرفتين ورمى المفتاح فوق احدى الخزائن ثم حطّم ما كان في الغرفة الاولى من التماثيل ورمى الاثاث في الارض وقلب خزانة فيها كثير من الاقداح والصحون فأحدث وقوعها ضجة عظيمة وعاد هو الى غرفة المركيز واختبأ وراء الستار الذي على جنب الباب . . . وتم كل ما نواه فان المركيز لما سمع الصوت الذي احدثه نوما فوق رأسه بالتكسير والتحطيم صاح هو ورجاله ان اللصوص في الطابق الاعلى . . . ثم صعدوا السلم مسرعين ودخلوا الغرفة فعثرت اقدامهم بما في ارضها من الاثاث والحطام فتأكدوا وجود اللصوص هناك وصاح المركيز مهدداً بسيفه : سلّموا والا قتلناكم . . .

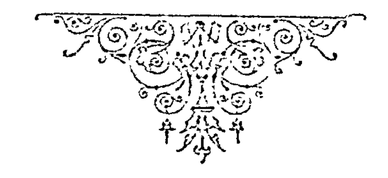
ولكن لم يجبه احد ولا رأى شخصاً فنظر حوله مدهوشاً فرأى الباب المقفل فقال : انهم في الغرفة الثانية فاكسروا الباب . . . وهجم الجميع على الباب الذي اقفله نوما والقوا بانفسهم عليه فانكسر ودخلوا الغرفة

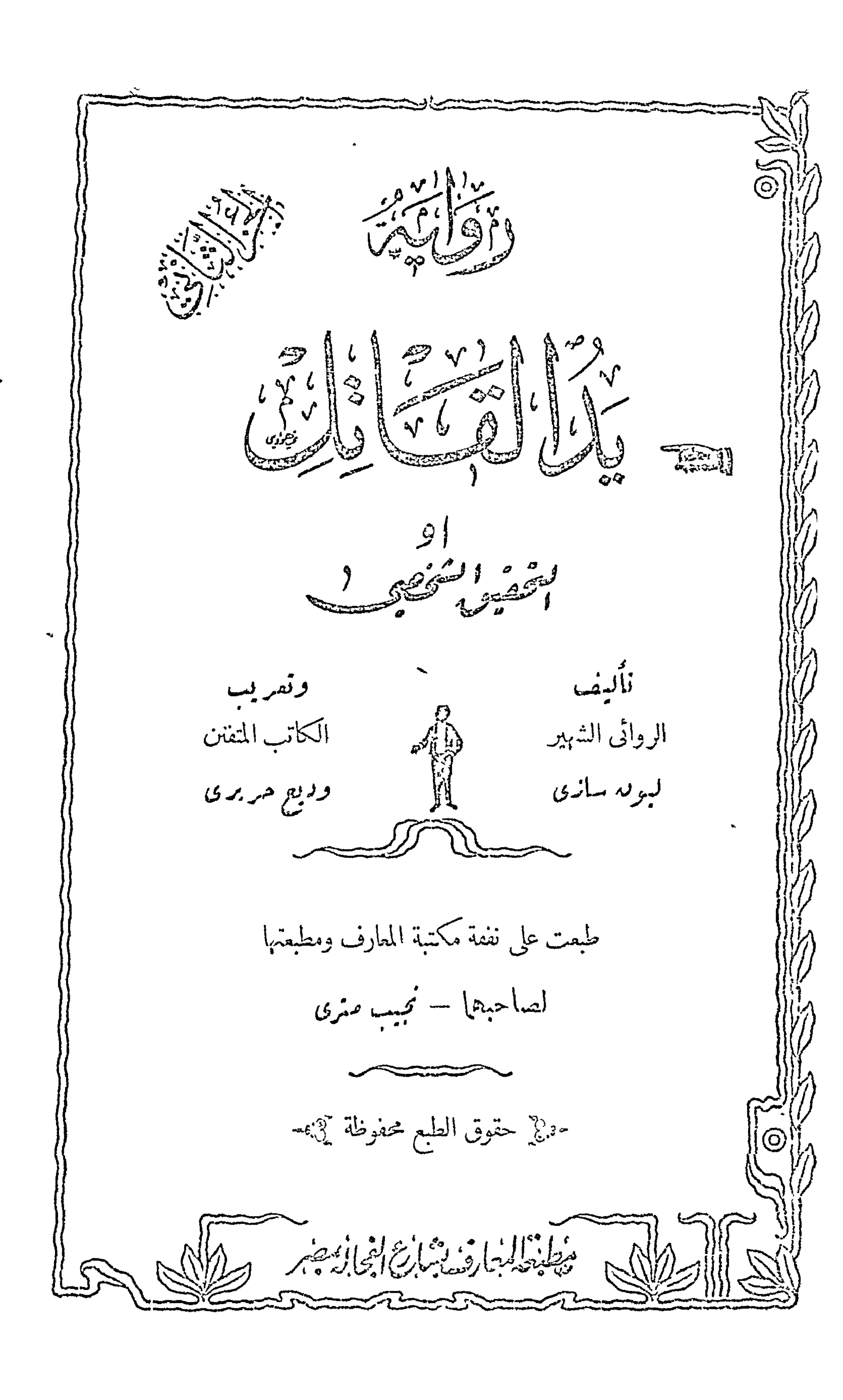
فاسرع نوما واقفل باب الغرفة الخارجية عليهم واخذ المفتاح ونزل السلم الى الطابق الاسفل ولما انتهى الى الباب رأى رجلاً ملقى على الارض وكان الرجل من احد الخدم اقامه المركيز حارساً على الباب ليمنع اللصوص عن الخروج منه لكن بروسبر لما عاد لنجدة رئيسه وفتح الباب رأى الرجل فبادره بضربة نبوت من الكاوتشوك كان معه فالقاه صريعاً على الارض

ولم يسمع صوت الضربة وهكذا خرج نوما سالماً من تلك الورطة غانماً وركب عربته التي كانت بانتظاره فحملته الى بيت بروسبر حيث جاء طبيب وضمد جراحه .

الى هنا تم الجزء الاول

وسيليه الجزء الثاني وفيهِ من تفنن نوما في اساليب الدهاء ما يدهش القارىء





رواية

يد القاتل

او

البوليس السرى

تأليف الروائى الشهير لبوله سانى

وتعريب الكاتب المتفنن وديع حريرى

طبعت على نفقة مكتبة المعارف ومطبعتها

لصاحبها — نجيب متري

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

السؤال السادس

هل تتخذ ألفيرا فوكامور عاشقاً جديداً ؟

الفصل السابع والعشرون

« السعي وراء السكوت »

طالما تساءلت عما اقعد نوما عن الاستفهام من الكونت دي فيلاسر بوري او من المغنية لامارجلينا عن السرّ الذي كانا مطلعين عليه وكاد يسبب موتهما

ففي احد الايام بينما كنت في بيته افكر في ذلك اذا بنوما يقول لي : هل ظننت اني لم احاول ذلك

فاجبته مدهوشاً اذ لم اسأله عن شيء : ما الذي تعنيه

— اعني انك تفكر اني لم احاول الاطلاع على سر الكونت . . . والمغنية لامارجلينا

فارتعشت لما كان في قراءة نوما لافكاري من الغرابة ولم أجب فنهض نوما واخذ يتمشى في غرفته كما اعتاد ان يفعل كلما طرأ عليه امر جلل ثم قال : قد بذلت ما في وسعي يا كورفيل للاطلاع على ذلك السر فتزييت بزي ممرض ولازمت الكونت اياماً في مستشفى سان جرمن آملاً ان الحمى التي المت به تحمله على التكلم عن غير وعي فخاب املي لانه لم يلفظ قط سوى اسم الفيرا عشيقته ولكني عدت فقلت انه متى قوي جسمه واعتدلت صحته تغلب عقله على احساسات قلبه فيجول في خاطره غير امور الغرام فيتكلم بما يتعلق بامور الحياة وما جرى له ويذكر ان في قلبه عاطفة غير عاطفة الحب ألا وهي عاطفة البغض فيلفظ اسم الشخص المبغَض منه . . . وكان لديّ امور اخرى تستدعي حضوري الى باريس فامرت بروسبر واثنين من رجالي ان يتناوبوا تمريض الكونت ولا يفارقوه ثانية واحدة

حتى اذا لفظ اسماً غير اسم الفيرا عرفوه ونقلوه اليَّ . ولئن ذكرت من رجالي معرفة تامة باللغة الايطالية وقد انتقيتهم لاعتقادي ان الكونت متى تغلب عليه الألم وانطقه لا ينطق الا بلغته ولم يتظاهر رجالي بمعرفة الايطالية لان ذلك كان ضرورياً اذ لم يكن القصد من ابقائهم بجانب الكونت معرفة ما سيقوله هو فقط بل فهم ما تقوله عشيقته عند حضورها ايضاً ..

ويذكر القراء اني انا الذي جئت بالفيرا الى حيث كان الكونت فلما دخلت عليه ورأته تظاهرت بالانفعال الشديد ومالت الى الوراء كأن الحزن قد افقدها قواها فاخذتها بين ذراعي وتجلدت وصاحت بصوت محزن : آه ما حل بك يا حبيبي انجليو الجميل ... ثم تقدمت اليه واخذت تقبله بشغف مفرط ورددت كلمات الحب والوله مقسمة انها لن تعش اذا لم يشف

ولكن ما اظهرته تلك المرأة من الحزن العظيم لم يغير سوء اعتقادنا بها وان ما تفعله ليس الا رياء ومكر غير اننا لم نفهم تماماً امراً حدث عند دخولها فاننا لما قلنا للشفاليه فونتيس الذي كان ملازماً صديقه منذ ساعة وقوعه ان الفيرا جاءت لترى الكونت نهض بسرعة وتهيأ للخروج ودخلتُ اذ ذاك والفيرا عشيقة الكونت فوقفت في وجه الشفاليه لتمنعه عن الخروج فتراجع الى الوراء وانزوى في آخر الغرفة ونظرت تلك المرأة اليه قبل ان تلقي نظرها على الكونت فانحنى امامها الشفاليه مسلماً ولكنه لما رآها مشغولة بتقبيل عشيقها بادر الى الخروج مسرعاً كأنما يهرب من عدوٍ مفاجئ .

واطلعت نوما على ذلك فاستغرب ما فعله الشفاليه لان اللياقة كانت

تقضي عليه بأن لا يخرج الا بعد التسليم على ألفيرا واستنتج انه لم يأتِ ما ذكرت الا هرباً من الاجتماع بها وقرر منذ ذلك اليوم ان يسعى الى الجمع بينهما ففي احد الايام جاءت المغنية الفيرا فلقيت الشفاليه بالقرب من عشيقها وكان هذا نائماً ولما دخلت هم فونتيس بالانصراف فدنت منه وقالت باللغة الايطالية : يسرني اغتنام هذه الفرصة لمحادثتك فانك تحاذر الاجتماع بي كلما جئت لرؤية حبيبي انجليو . . . لماذا تهرب مني وانا غريقة افضالك لاهتمامك بانجليو ولا يمكنني الصبر على عدم شكرانك واني لاعجز عن ايفائك ماتستحقه من المدح والثناء

فلم يجب الشفاليه بل لبث ينظر الى الفيرا كانما هو صنم لا روح فيه فاقتربت منه حتى لمس طرف ثوبها قدميه وقالت : ألم تدرك عظم سروري برؤيتك . . . ألم تفهم يا فونتيس . . .

فلم يغير الشفاليه شيئاً من خطته بل لبث ملازماً الصمت فمدت تلك الداهية يدها لتضعها على كتفه مظهرة الدلال فابتعد عنها فقالت بلهفة : ألا ترحمني وتشفق عليَّ . . . فاجابها بصوت جاف : اني احب الكونت محبتي لاخي ايتها السيدة فلا حاجة الى شكرانك اياي . . . ولا يليق بك ان تبوحي لي بما يكنه فؤادك . . . وقد فعلتُ الواجب واراني سعيداً بالقيام به كلما تهدد صديقي انجليو خطر ما . . . استودعك الله يا سيدتي

ثم خرج فونتيس بدون ان يحيي الفيرا فنظرت اليه حنقة وتمتمت قائلة : آه يا فونتيس انك تجهل ما تبذله الفيرا في سبيل الحب كما انك جاهل ما تفعله في حال البغض

جرى كل هذا على مرأى ومسمع من الممرض الذي كان احد رجال

نوما ولما اخبرني به قال : ان بين الفيرا والشفاليه سر غرام قديم واني اخشى انتقامها ولعلها فكرت ان الكونت قريب من الموت فهي تحاول اغراء الشفاليه بحبها لان له جمال الكونت ويزيده ثروة ... وعلى كل فان بينها وبين الشفاليه سر حب او بغض ... او تذكار ماض او أمل مستقبل ... ولكن الشفاليه لم يذكر لنا قط شيئاً عن هذا السرّ ولنترك الآن هذا جانباً فلا بد ان يبرح الخفاء يوماً ما ولنعد الى ما كنا في صدده من سؤال الكونت عما بدأ باعلامنا اياه في الفندق فاني لما بُلّغت انه صار قادراً على الكلام زرته ففرح بقدومي واظهر انه كان يخشى ان يموت قبل ان يحادثني وانه في حاجة اليَّ فاجبتهُ اني مستعد لقضاء كل ما يطلبه مني فقال :

— اني منذ عادت اليَّ قواي واملي بالحياة راغب في الاجتماع بك ولم يمنعني عن طلبك الا الحذر

— وما تخشى

— اني مع وجودي في هذا المستشفى غير آمن بطش اعدائي

— قد اظهرت قبلاً ثقتك بي واعتقادك ان بامكاني وقايتك من كل ما يتهددك وانا الآن اقدر من ذي قبل على حمايتك من الاعداء

— بربك يا موسيو نوما احمني ... انقذنا

— ذكرت لي يوم التقينا في الفندق الذي في ضواحي باريس قسماً مما كنت تنوي اطلاعي عليه ولكنك لم تاتِ على كل ما كان يجول بخاطرك لتعرّض ذلك الخادم لك وهربك . . .

— اني لا اذكر شيئاً من الماضي فما ألم بي قد انساني سابق اقوالي لك

ـ قد قالت لي حرفاً بحرف ما يأتي « ان المركيز بريو دي كرمين سنتوشي هو شخصان » ولما سمع الكونت كلامي ارتعش في سريره وكلل العرق جبينه وظهرت امارات الرعب على محياه وصاح : انا . . . قلت لك هذا

فاجبته : نعم فما معنى قولك . . . لاي الاسباب . . . وكيف ان المركيز هو شخصان

ـ اني لا افهم ما تقول ولا اعلم شيئاً

ـ انت تعلم ذلك ايها الكونت

ـ كلاَّ لا اعلم شيئاً

ـ اذاً لمَ ضربت لي ذلك الموعد خارج باريس قل لي ما الذي عنيته بقولك ان المركيز مزدوج

ـ عفواً يا سيدي . . . عفواً . . . فاني لا اعلم

ـ ولكنك قد فهت بما قلته لك

ـ ربما كان ذلك . . . ولكن العتب على لساني فانه نطق بغير ما في ضميري . . . مزدوج ؟ . . . هل قلت انه شخصان

ـ نعم قلت ذلك

فسالت الدموع من عيني الكونت وظهرت عليه الحمَّى فقال بصوت مرتعش : ارحمني يا موسيو نوما ولا تسألني . . . فاني لا ادري شيئاً . . . انظر الى سقمي وهزالي . . . انا امرؤ ضعيف لا قوة لي على الدفاع . . . ولكن متى شفيت وعادت اليَّ قواي وصار بامكاني الدفاع عن نفسي تعود ذاكرتي ايضاً . . . فاتذكر ما كنت بدأت في قصه عليك في

الفندق واتم سرده . . . اما الآن فليس ذلك بامكاني . . . اعذرني . . .
لست قادراً عليه .

فادركت ان الكونت مع شدة المراقبة حوله قد وصله انذار يتهدده ويأمره بالصمت وتيقنت ان من العبث تكرار السؤال فقلت: اني لم اسألك هذا السؤال ايها الكونت الا لانه خيل لي انك ذكرته لي ولكني ارجح الآن اني لم افهم كلامك جيداً فالتوى عليَّ المعنى

ـ نعم نعم .. هذا هو الارجح

ـ فضلاً عن ان ما بدا عليك من الانفعال حين ظهور الخادم وسرعة هربك حيراني قليلاً فلا بد من اني لم اسمع جيداً ما قلته فأوّلته تأويلاً غير صحيح

ـ صدقت ... صدقت ... هذا ما حدث بدون شك .

ولما رأيت انه لا فائدة من تكرار الاسئلة نهضت للخروج فامسكني الكونت بيدي وطلب مني أن لا احنق عليه فاكدت له عدم استيائي واني طوع امره في كل ما هو تحت طاقتي فنظر الى جوانب الغرفة حذراً ثم جذبني وادنى فمه من اذني وقال : ليس من خطرٍ يتهددني شخصياً الآن

فقلت: من هو المهدَّد اذاً

ـ ان حياتي لا تعد شيئاً مذكوراً ... فالاخطار تحيط بمن هو اعزّ من حياتي ... من هو سبب سعادتي ... من لا احب الحياة الاّ لاجله

فادركت ما يعنيه ذلك المسكين ولكني تظاهرت بالدهشة فتابع حديثه : ان اعدائي اشداء ذوو صولة وسطوة فلما رأوا انه لا سبيل لهم اليَّ اخذوا يتهددون من احب ... نعم تهددوا زوجتي الحبيبة الفيرا

ــ هل بلغ من دناءتهم ان يبطشوا بامرأة ضعيفة ...

ــ نعم يا موسيو نوما فانهم لما رأوا ان جسمي في مأمن من غدرهم قصدوا الايقاع بنفسي و بحياتي اي زوجتي . ولم يكفهم ما اقاسيه من الآلام فارادوا تعذيبي بما هو اشد منها فعملوا على اهلاك تلك القديسة بل ذلك الملاك الطاهر

فتظاهرت بالانفعال مخفياً ما اعلمه من امر تلك الداهية التي بلغ حب الكونت لها الى ذلك الحد فقال : عدني انك تحميها وتحرسها ... انت ذو سطوة ودهاء فان وعدتني بحمايتها اطمأنت نفسي وخفّت آلامي وقرب شفائي ... قل انك ستحرس ألفيرا

ــ اني اعدك بذلك ولكني اشترط عليك ان لا تطلعها على اهتمامي بها

ــ ولماذا ... بل انا ارى ان اخبارها يبعث الطمانينة في قلبها

ــ كلا فاني اخشى ان تغترّ بمالي من السطوة فتعرض نفسها للخطر في ساعة لا اكون فيها قادراً على انجادها ... فجهلها باتفاقنا هذا شرط ضروري لحفظ حياتها واذا خالفت قولي عرّضت حبيبتك للخطر

ــ صدقت فلن ابوح لها بشيء ... آه ما اسعدني الآن ... ان حياتي بين يديك فحافظ عليها ... شكراً لك يا سيدي بل الف شكر

فبادرته عندئذٍ بقولي : ولكن يلزمني معرفة اعدائك لمراقبتهم وصد شرهم عن السيدة الفيرا

فاجابني متلعثماً . اعدائي ... اعدائي

ــ نعم ... لابد لي من معرفة اسمائهم ... فهل هم من اصدقاء المركيز بريمو

— آه المركيز

— نعم ... قل ... تكلّم تكلّم ايها الكونت

— بريئو ...

— ما معنى قولك « المركيز بريئو دي كرمين سنتوشي هو شخصان » لماذا هو مزدوج ...

فاجاب الكونت بصوت ضعيف جداً : بريئو . . . هو شخصان

فقلت بلهفة : تكلم . . . نحن بعيدان عن كل رقيب وعدوّ . . ربما توقفت حياة الفيرا على ما ستقوله لي . . . تكلّم فردّد بصعوبة : بريئو . . . شخصان . . . ثم سكت فانحنيت فوقه واذا به مغمىً عليه فناديت الممرض والطبيب وخرجت يائساً من الاطلاع على ذلك السرّ الغريب . هذا ما جرى لي مع الكونت يا كورفيل فلاحظ ما فيه من الامور المضحكة والمرعبة معاً فان الكونت كلّفني انا العالم بدخيلة الفيرا ان اسهر على تلك اللعينة التي حاولت قتله وادافع عن حياتها وان احميها ممن يظنهم اعداءها وليسوا في الحقيقة الاّ شركاءها في الايقاع به . . ولولا تداخل تلك المرأة لاطلعني الكونت على سرّه ولكن اعداءه ذوو مهارة فائقة فانهم ادركوا ان حب الانتقام سيحمل الكونت على اباحة ذلك السر اذا تم له الشفاء فلجأوا الى الحيلة وقد اطلع عليها الرجل الذي اقته ممرضاً عند الكونت وانا اعترف أن حيلتهم من احسن الحيل

— وما هي

— استعملوا مع الفيرا نفس الطريقة التي سلكوها مع الشفاليه فونتيس ... فان الفيرا لما رأت ان الكونت قد عاد الى عقله وصار بامكانه

الكلام والتذكر اخبرته بالايطالية انه قد وصلت اليها عدة رسائل مخططة بالسواد وقد كتب فيها « لازمي السكوت . . » أو « اسكتيه » أو « ان لم تسكتي قتلتِ » واطلعتـه على الرسائل ورأى فيها العلامة ✠ . فاضطر الى الصمت لئلا تحل النقمة بحبيبته الفيرا . . . وفاته انها واعداءه يدٌ واحدة عليه ثم ان لمرسلي تلك الرسائل غاية أخرى فهم يعلمون ان الشفاليه فونتيس يأتي لزيارة صديقـه ويخشون ان يطلعه الـكونت على ما يودون اخفاءه ولهذا استعملوا طريقة واحدة في تهديد الكونت والشفاليه و بعملهم هذا يبعدون عن فكر الشفاليه الظن ان الفيرا فوكامور قد ارسلت اليه رسائل التهى اذ انها هي ايضاً قد نالها التهديد مثله . . . ولـكن اولئك الغادرين ان يفلحوا ومتى حان الاوان الذي انتظره سهل عليَّ اقناع الـكونت بان من هي عنده بمنزلة الروح ليست سوى اشد اعدائه

— وهل يجهل الشفاليه انفوكامور الجميلة وصلتها رسائل تهديد وانذار كالتي وصلته

— لو علم ذلك لاخبرنا به فالـكونت ان يذكر له شيئاً منه وانا ايضاً اتظاهر بجهل هذا الامر اذ لو بدا مني ما يدل على معرفته انكشف سرّ الممرضين الذين هم من رجالي وانا في شديد الحاجة الى ان يكونوا دائماً بالقرب من الـكونت . . . وخلاصة القول يا كورفيل هي اني لم ازل اجهل ما عنـاه الـكونت بقوله « ان المركيز بريو دي كرمين سنتوشي هو شخصان » . . . ولـكني سأعلم مغزى هذا القول . ثم سأتوصل الى بغيتي بواسطة الحب

— واي دخل للحب في هذا الامر

ـ ان الحب يقود جميع سكان هذا العالم فهو يخرس اناساً وينطق آخرين ... فحب السكوت لمدام فركامور يحمله على السكوت ولكن هناك شخصاً عالم بسر المركيز فسيطيع عامل الغيرة ويدفعه عامل الانتقام الى الكلام

ـ ومن تعني

ـ اعني تلك المغنية الجميلة .. لامارجلينا

الفصل الثامن والعشرون

« المقابلة »

التقيت بنوما بعد يومين من حديثنا السابق في احدى القهوات فبادرني قبل السلام بقوله انه مكلف ان يدعوني الى تناول العشاء عند الامير روماليتو فادهشني الامر لعدم معرفتي الامير فقلت لنوما : لم ار روماليتو قط في حياتي وليس لي معه ادنى علاقة فكيف يدعوني الى منزله

فاجابني : انا ايضاً لا اعرفه ولكن دعانا نحن الاثنين رجل نعرفه حق المعرفة

ـ لعله المركيز برتو دي سنتوشي

ـ نعم هو

ـ وما السبب الذى حمل المركيز على دعوتنا بالنيابة عن الامير

ـ ان الامير في حاجة اليك ولعدم معرفته بك طلب من المركيز ان يكافئني احضارك الى منزله

ـ ترى اي خدمة ينتظر الامير مني

— اسمع ما جرى فتعلم ما يطلب منك . كنت اليوم سائراً في جهة كنيسة المادلين فالتقيت بالامير والمركيز وجهاً لوجه ولم يخفَ عليَّ انهما كانا يتأثرانني ثم اسرعا في مشيهما حتى اصبحا امامي فعادا اليَّ كانهما آتيان من الجهة المعاكسة لسيري فلما صارا بالقرب مني صاح المركيز مظهراً سرور وقال لرفيقه : ايها الامير هذا هو مارتين نوما الكشاف الشهير الذي طالما سمعت بذكره وهو المكلّف بالبحث عن قاتل الموسيو كاستنيه وخطيبتي التعسة . فتبادلت السلام انا والمركيز واخذنا ننتقل فى الحديث حتى ورد ذكر بيست فقال لي المركيز انه بديع الصوت وسيغني هذا المساء في قصر الامير مع المغنيين الشهيرين الموسيو بالستريني وامرأته وهذان من اصدقاء الامير والمركيز وانما يحيي روماليتو ليلته احتفاء بهما ثم قالا ان ما يعلمانه من حبي للموسيقى والغناء يحملهما على ان يسألاني الحضور الى تلك الحفلة فاجبت شاكراً . . . وطلب الامير مني ان تكون انت برفقتي والح المركيز ايضاً فوعدت ان اجيء بك ولا يطلب منك سوى ان تنشر باعتبارك مخبراً صحافيا تفصيل تلك الليلة وتمدح بالستريني وامرأته .

— سأذهب معك يا نوما ولكن ملازمتي لك في المدة الاخيرة قد علمتني الحذَر ولهذا تراني مرتاباً في هذه الدعوة وأودّ معرفة ما يختفي وراء هذه الحفاوة بنا

— صدقت في ظنك يا كورفيل ولكني اجهل ما يجول بفكر الامير والمركيز ولا بد من انهما يقصدان امراً اذ ليس من عادة امثالهم ان يدعوا ويرجوا رجالاً مثلي لاجل زيارتهم . . . فصنيعهما اليوم يدلنا على ان حضورنا بينهم يهمهم كثيراً

— واي اهمية لحضوري انا

— انهما يريدان وجود احد رجال البوليس واحد رجال الصحافة حتى اذا حدث امر ما كان وجودي خير ضامن لهما اما انت فيستشهدان بكتاباتك اذ لن يحدث امامك الا ما يريدان فقط مما يتعلق بما ينويانه وتبقى هنالك اشياء نجهلها كلانا ولكن الناس لا يعتقدون الا بما كتبت انت وما اشهد انا انه حدث بحضوري وهكذا نكون لهما كالترس يتقيان بنا ما يتهددهما

— ولكن ربما المكيدة دبرت لك يا نوما

— انهما يقصدان الايقاع بغيري

— وهل فاتك انهما يبذلان كل رخيص وغال للتخلص منك

— لاشك عندي في ذلك غير انهما لم يجدا بعد الطريقة التي توصلهما الى التخلص مني ومتى وجداها لن يأبهاني كما فعلا اليوم لعلمهم ان من حذر الشر ابتعد عنه وامنه ... وفي هذه الليلة سيلاطفانني ويعنيان بي لاغفل عما سيحدث ... نعم هما ينويان الشر ولكن لا لي ولا لك

— اني اظن ان سبب دعوتهما لك هو ابعادك عن قصر فونتيس وتراخي ملاحظتك له ليسهل عليهما دخوله وتنفيذ وعيدهما بالشفاليه

— قد يكون ذلك ولكن ليس بامكان احد الدنو من الشفاليه لاني اخذت كل الاحتياطات اللازمة ... فلنذهب اذاً الى قصر الامير لنرى صديقنا بيست ونتأكد هل يجري الماء حسب المرغوب في انابيب القصر منذ اذيب الجليد الذي كان فيها ...

ثم وصلنا قصر رومالينو في شارع مكماهون فلم نجد فيه الا بضعة اشخاص وكلهم ايطاليو الجنس واصدقاء للامير والمركيز فمرفي المركيز

بمدام بالستريني وهي بارعة الجمال غيران في نظرها وملامح وجهها ما يدل على القسوة مما حملني على تشبيهها بالفيرا فوكامور عشيقة الكونت دي فيلاسر بوري فلاطفتني وذكرت لي قسماً من حياتها في مزاولة الغناء فقابلتها بنفس المجاملة وكتبت ما قالته لي على مفكرتي لاستعين به على ذكر ترجمة حياتها في الجرائد وكان بيست مشغولاً بالحديث مع بعض المدعوين وفيهم الموسيو بالستريني والامير رومالينو اما المركيز فانه جلس الى جانب نوما وقال الامير: ان بريمو يذكر صوت بيست لانه سمعه في صقلية وقد مضى زمن طويل لم يرد فيه حتى لقيه ثاني يوم مقتل خطيبته ولم يكن بالامكان دعوته الى الغناء اذ ذاك . . . ولكنه لقيه اليوم فدعاه ليسمعني صوته لعلمه اني مولع بالغناء واتفق وجود بلبلينا الموسيو بالستريني وامرأته في باريس فاغتنمت الفرصة وسألتهما الحضور ايضاً . . . وقد بلغني يا موسيو نوما انك ذو المام بالفنون الجميلة

- نعم انا اميل اليها
- اموسيقي انت
- اني احب سماع الموسيقى
- الا تهتم بالتصوير ايضاً
- قد اتفق لي ان صورت ولكن ضيق وقتي حرمني هذه اللذة منذ زمن بعيد

فدنا منا بيست وقال مخاطباً نوما : اني مسرور بلقائك ولا بد لي من زيارتك لاطلاعك على ما تذكرته من الامور الخطرة التي تتعلق بمقتل صديقي كاستنيه وابنته واني واثق ان ما اعلمه يساعدك كثيراً في بحثك

عن القاتل فاني ...

ودخل اذ ذاك خادم واخبر الحاضرين ان الغداء قد اعد فقطع على بيست الكلام لكن هذا عاد فقال لنوما — سأذهب اليك غداً واخبرك بما اعلم

فرأيت اصدقاء الامير يتبادلون النظر خفيةً عند سماعهم كلام بيِست اما نوما فتظاهر بانه غير منتبه الاّ الى بيِست فقط فقال له : تعالَ اليّ متى شئت فاني اسرّ بزيارتك . .

وكان نوما قد لحظ مثلي ما بدا من الحاضرين فادرك ان تلك الليلة لم تحيَ الا بقصد اهلاك بيست التمس . . .

وقمنا الى المائدة فلما جلست رأَيت وراء نوما خادماً تخيل لي اني اعرفه فتفرسته جيداً واذا به بروسبر معاون نوما . . . وعلمت فيما بعد ان الامير استأجر بعض الخدم لمساعدة خدمه وكان بين المأجورين طاهٍ واثنان من خدم السفرة والثلاثة هم من رجال نوما فكان الطاهي يلاحظ الطبخ والآخرون يقدمونه للمدعوين فلا يمكن ان يوضع امام نوما او بيست شيء سام مما يكون قد جهزه الطهاة الايطاليون

وكان الطعام شهياً فاخراً فلما جاء وقت تناول الحلوى قدّم الخدم صحناً من التفاح لبيست فتناول هذا احداها وكانت مدام بالسترين تلاحظه فقالت :

— قد اسأت الاختيار يا موسيو بيست

فاجابها عفواً يا سيدتي فاني ارى ان التفاحة التي اخترتها جميلة للغاية

— قد فاتك يا عزيزي ان النساء يحسنّ اختيار التفاح منذ عهد امنّا حواء ...

فاجابها ممازحاً وقد اضطر الى ملاطفتها : اذن سآكل التفاحة التي تختارينها لي . . . ولو خسرت بسبب ذلك نصيبي من الفردوس . . .

فضحك الجميع مستحسنين جوابه وكنت منتبهاً الى حركات مدام بالستريني فرأيتها قبل ان تعرض على بيست ان تختار له تفاحة قد اخذت علبة صغيرة معلقة في صدرها الى جانب عدة اشياء صغيرة من الماديات فلما اقترب منها الخادم وقدم قصعة التفاح اخذت واحدة منها وقلبتها في يدها ثم قدمتها لبيست كما هي اي غير مقشورة فاخذها . ومثل هذا العمل لا يأتيه احد من الباريسيين ولكني ظننته عادة جارية في ايطاليا .

وشكر بيست مدام بالستريني ومدح حسن اختيارها ثم اخذ سكيناً لينزع قشر التفاحة واذا بصوت صحون كثيرة وقعت الى الارض فتحطمت والتفت الجميع فرأوا ان احد الخدم قد زلق فأوقع ما كان يحمله من الصحون ولاحظت ان بروسبر شديد الاهتمام باعانته على الوقوف . . . وعدنا الى الاكل فقطع بيست التفاحة التي في يده شطرين واذا بنوما يقول له : يا صديقي العزيز سامحني اذا قلت لك انك قد اهملت جميع واجباتك فاجاب بيست مدهوشاً : وكيف ذلك يا صديقي

— ان مدام بالستريني اختارت لك احسن هذه التفاحات وقد هممت ان تأكلها وحدك وتترك للسيدة اللطيفة من التفاح ما هو اقل حسناً وطعماً

ـ يا لغباوتي . . . صدقت يا عزيزي نوما

ـ فضلاً عن ان العادة في ايطاليا في مثل هذا الحال هو ان يقدم المعطى اليه نصف الثمرة الى المُعطي

فقدم بيست صحنه الى مدام بالستريني ورجاها ان تأخذ نصف التفاحة . .

فرأيت تلك السيدة قد علا وجهها الاصفرار وترددت قليلاً ثم رفضت تقدمة بيست ولكنه الحَّ فلم يسعها الا القبول فاخذت نصف التفاحة ووضعته في صحنها فقال الامير روماالينو : اسمحي لي يا سيدتي ان اقشرها لك . ثم مد شوكته واخذ بها الثمرة من صحن مدام بالستريني وقشرها مبالغاً في نزع القشر حتى لم يبق منها الا شيء يسير من القسم الداخلي وقدمها لها فشكرته واكلت قطعة التفاح ضاحكةً اما بيست فاكل قسمه معلناً ان طعم تلك التفاحة ذكي للغاية .

ولما انتهى العشا قمنا الى الردهة فلاحظت ان نوما ملازمٌ لمدام بالستريني كل الملازمة خلافاً لما كنت اعرفه من تأدبه واحتشامه وكان يحادثها بما يتعلق بفن الموسيقي ... فخيل لي انه لم يفعل ذلك الا ليمنعها عن الخروج من الردهة الى الغرفة التي كنا دخلناها لندخن ولما انتهينا من التدخين عدنا الى الردهة فرأيت مدام بالستريني تنظر الى الامير نظرة الخائف الوجل فاجابها حانياً رأسه وابتسم . وظن جميع الحضور ان جمالها فتن نوما وحمله على ملازمتها وبقي نوما متابعاً حديثه مع السيدة متعامياً عما كان يظهر على وجهها من الاضطراب والملل ... وتساءلت عما وراء الحديث من السرّ الخفي . وجلس الامير الى البيانو ووقع عليها الحاناً جميلة ثم غنى الموسيو بالستريني وامرأته فعجبنا بجمال صوتهما وحسن غنائهما وعقبهما صاحبنا بيست فاجاد وصفق له الحضور وعند الساعة الحادية عشرة استأذنت الامير في الذهاب وفعل نوما وبيست مثلي فعرض علينا المركيز دي سنتوشي ان يحملنا الى بيوتنا في سيارته فرضينا وهكذا وصل نوما الى بيته في شارع لبيك ونزل بعده بيست في الفندق الذي كان يقيم فيه اما انا فاوصلني

المركيز الى امام ادارة جريدة الجورنال في شارع ريشليو ...

ولما انتبهت من رقادي في الصباح رأيت توما مضطجعاً على المقعد الذي في غرفتي يدخن لفافة فادهشني وجوده في منزلي وسألته عما جاء به فاجابني : اني جئت ملبياً دعوتك فزادت دهشتي من كلامه وقلت : اني لم ادعك يا عزيزي

فأجاب بلى وانا بانتظار الشخص الذي سألته ان يوافيك الى منزلك هذا

ــ ومن هو ... اني لا اتذكر اني سألت شخصاً ان يأتي الى بيتي

ــ ان عيني مدام بالستريني الجميلتان قد احدثتا اضطراباً شديداً في دماغك على ما ارى

ــ بربك يا توما لا تزد ارتباكي بكلامك وقل من الذي تنتظره ومن ذا الذي دعوته انا

ــ هو الصديق بيست

ــ انا ... انا دعوت بيست الى منزلي

ــ ان غاية ما اعلمه هو ان المذكور قد وصلته بطاقة باسم الموسيو كورفيل الكاتب في جريدة الجورنال فخواها ما يأتي : « ايها الصديق العزيز تكرم بالحضور الى منزلي غداً صباحاً لاني اريد ان اخذ منك بعض الاستعلامات عن شخصك ودرسك فن الموسيقى لان في نيتي نشر مقالة مفصلة عنك »

ــ ولكني لم اكتب قط ما تقول يا توما

ــ انا اعلم ذلك

ــ اذاً ما معنى ما ذكرته

ـ قد ضرب الموعد وانتهى الامر

ـ اين

ـ هنا

ـ ومن الذي ضرب الموعد

ـ انا وقد استعملت احدى بطاقاتك وما جئت الآن اليك الا لاعتذر عما سلف مني وارى الصديق بيست . . . فهل انت حانق عليَّ

فمددت يدي وصافحت نوماء الامة لرضاي عن عمله ثم اخذت في لبس ثيابي وبعد قليل جاء بيست وكان فرحاً مسروراً من اثر ليلة البارحة ولما دخل علينا صاح : اسعد الله صباحكما يا صديقيَّ العزيزين . . . اني مسرور جداً برؤيتكما

فأجابهُ نوما سرّ ياعزيزي فانك كدت تحرم رؤيتنا

ـ وهل انتما عازمان على السفر

ـ نحن لا ولكن انت

ـ انا من واجبات وظيفتي السفر لبيع الخمور ولكني عازم الآن على البقاء بضعة ايام في باريس فاجابه نوما : اخطأت يا بيستّ في قولك فانك تسافر للحال

ـ انا اسافر للحال

ـ او بعد يومين فقط

ـ وما الداعي لذلك

ـ ان سفرك ضربة لا زب لانك كدت تسافر سفرتك الابدية . . .

فنظر بيست الى نوما مذهوشاً واستغربت انا ايضاً كلامه اما هو فقال :

هل امضيت ليلك براحة بعد عودتك من قصر الامير

ـ نعم . . . ولكن . . .

ـ هل وصلتك بطاقة صديقي كورفيل في وقتها

ـ نعم

ـ هل استلمتها عند ما كنت تنوي ترك الفندق للذهاب الى النزهة في باريس كما هي عادتك

ـ نعم

ولقيت في طريقك الى هنا احد المدعوين الذين كانوا معنا البارحة عند الامير

فاجاب بيست مدهوشاً : نعم نعم

ـ واستغرب ذلك الرجل التقاه بك وهنأك على حسن غنائك كما فعل البارحة

ـ نعم

ـ وسألك الى اين انت ذاهب وهل ترضى ان يسير برفقتك للتكلم بما يتعلق بفني الغناء والموسيقى

وكانت الدهشة قد استحوذت على بيست فانعقد لسانه عن الكلام وحنى رأسه علامة الايجاب وتابع نوما اسئلته قائلاً : واجبته انت ان الموسيقى وما يتعلق بها سببا دعوة الموسيو كورفيل لك الى منزله

ـ نعم

ـ وقال لك الرجل انه ذاهب الى شارع بلانش اي في نفس الطريق الذي تسير فيه وسألك هل تسمح له بمرافقتك

ـ نعم نعم كان كل ما ذكرت

ـ وسرتما سوية تتحدثان بالغناء وتتذكران بعض اسفارك الى صقلية

ـ عجباً انك تذكر كل ما حدث لي كانك كنت سائراً معنا

ـ ولم يرافقك الرجل الى شارع بلانش فقط بل اجتاز معك قسماً من شارع لبيك ولم يفارقك الا حين دخلت هذا البيت

ـ هل انت ساحرٌ يا موسيو توما ... هل انت ساحر

ـ ان سحري لأعظم مما تظن وستحقق ذلك فيما بعد ... ولنعد الآن الى ما يتعلق بزيارتك فان صديقي كورفيل ارسل يدعوك للاستعلام عن بعض امور تتعلق بصوتك البديع

ـ اشكرك على مديحك ... وما سمعته البارحة من ثناء ضيوف الامير رومالينو يدعوني الى الاسف لعدم دخولي مغنياً في بعض الملاعب الكبيرة اذ لا اشك باني افلح لو دخلت الاوبرا مثلاً

ـ لا اشك في ذلك غير ان لديّ نصيحة القيها اليك

ـ اتقصد ان اغير لهجتي في الغناء

ـ كلاّ فان ذلك قليل الاهمية ونصيحتي تمس موضوعاً اهم من ذلك

ـ اني مصغ اليك

ـ دعني اسألك اولاً هل انت حريص على حياتك

ـ كيف لا ... اني احب الحياة حباً لا يمكنك تصوره

ـ اذا كان ذلك فيجب عليك ان تعدني بانك لن تغني من الآن فصاعداً مع البالستربني ولا مع اي مغنٍ ايطالي يدعوك الى الغنا سواء كان في بيته او عند اصدقائه ... لا تستغرب قولي

ـ وما هو سبب تحريمك الغناء عليّ

ـ ذلك امر يطول شرحه ولكني اعلمك انك البارحة اوشكت ان تغني الغناء الاخير في حياتك

ـ رباه ...

ـ ولم يتم ذلك لحسن الحظ لأني كنت معك فاذا عدت الى الغناء في غيابي قضي عليك

فارتعد بيست ثم انتصب على قدميه صائحاً : أموت ... أنا اموت .. من يقتل بيست ولاي سبب ... انا الصديق بيست صديق الناس اجمع

ـ نعم انت محبوب من الجميع ولكنك مطلع على اشياء لا يسر بعض الناس معرفتك اياها

ـ وما هي هذه الاشياء

ـ اني اجهلها ولكني عالم حقيقة ما قلته لك وها اني انبهك الى الخطر فاعلم ان اسفارك الى صقلية هي سبب الموت الذي يتهددك

ـ واي علاقة لاسفاري ...

ـ انك عرفت في صقلية اصدقاء خفيت عليك معرفتهم في باريس

فصاح بيست : المركيز ... المركيز

ونهض نوما فوضع يده على كتف بيست واجلسه ثم قال : لولا اني واثق بك ولولا ما لك من المصلحة في كتم السر الذي سأطلعك عليه لما فهت به امامك ... اما السر فهو هذا: انك قد عرفت المركيز دي سنتوشي في صقلية

ـ نعم

ـ ولكن المركيز شخصان

ـ وكيف يتفق ان يكون رجل في جسمين

ـ لا ادري ولكنه غير خفي ان المركيز شخصان وانه لا يوافقه وجود رجل في باريس اعرفه ويمكنني سؤاله وان يكون الرجل ممن عرفوا في صقلية رجلاً يدعى المركيز دي سنتوشي ولهذه الاسباب اصبح موت الصديق بيست امراً ضرورياً

ـ ما هذا الجنون

ـ ليس هذا بجنون . . . واعلم انك لم تدعَ الى منزل الامير لمجرد الغناء

ـ ولِمَ دعيت اذاً

ـ لتأكل تفاحة

فنظر بيست الى نوما مفكراً هل ما يقوله له من باب المزاح ولكنه رأى في وجه صديقي من الرزانة ما دلّ على انه ليس بمازح وقال نوما : ان مدام بالستريني قدمت لك تفاحة وكانت تلك التفاحة مسمومة

ـ لو كان ذلك لشعرت بفعل السم لاني اكلت التفاحة

ـ كلا انك اكلت التفاحة التي وضعتها انا امامك عوضاً عن التي كانت في صحنك وقد فعلت ذلك بدون ان تشعر انت ولا احد من الحضور فموتك مقرر وقد حاولوا قتلك فلم يفلحوا فاحذر من الوقوع ثانية في فخهم فلا تأكل ولا تشرب شيئاً عند هؤلاء القوم

ـ سأرفض كل دعوة تأتيني منهم

ـ حسناً تفعل والاوفق هو ان تبتعد عن باريس واحذر ذكر هذا

الحادث ولا تلفظ ابداً اسم المركيز بريمودي سنتوشي ولا الامير رومالينو ولا مارتين نوما ولا تذكر اسم صقلية فتعيش هادىء البال . . . اما انا فسأجدك اني كنت متى احتجت اليك واكتم امر حضورك الى هنا ومحادثتي معك . . . ولكن أرى ان تحتال على اعدائك حيلة بسيطة لتتأكد صدق ما قلته لك فاذهب غداً الى آل بالستريني لوداعهم وشكر مدام بالستريني على اهتمامها بك البارحة وها اني انبهك منذ الآن انك لن ترى سوى بالستريني فقط لان امرأته مريضة لأكلها قسماً من التفاحة التي التي قدمتها لك فان السم الذي فيها كانَ شديداً الى حد انه فعل فيها فعله مع ان الامير نزع قسماً كبيراً من ظاهر التفاحة وسقى تلك السيدة ترياقاً مضاداً للسم ولكن كل هذه التحوطات لم تجدِ نفعاً ومدام بالستريني هي الآن مريضة مرضاً شديداً

— يا للهول . . .

ثم انصرف بيست فقال لي نوما : ان التقائي بالامير والمركيز ودعوتهما لي الى تناول العشاء قد نبه افكاري فان اولئك الاشرار لم يدعونا نحن الاثنين الا لان وجودي واياك يزيل كل ارتياب في امرهم اذ لا يصدق احد انهم يجسرون على مثل عملهم بوجودي ولولا شدة انتباهي لقضى بيست المسكين نحبه واستحال وجود السم في امعائه

— وما هو هذا السم

— هو من النوع الذي كانت تستعمله عائلة بورجيا الشهيرة بالتسميم

— وكيف عرفت ذلك

— انك قد لاحظت وجود بروسبر في جملة الخدم فانا الذي اقمته هناك

السؤال السابع

هل تموت مدام بالستريني

بسبب اكلها التفاحة ؟

ليسهر علينا نحن الثلاثة فلما وصلت التفاحة الى يد بيست اوقع بروسبر الخادم الذي كان يحمل الصحون فاتجهت الانظار اليه واغتنمت فرصة اشتغال الجميع بما حدث فاخفيت التفاحة التي كانت امام بيست ووضعت بدلاً منها تفاحة اخرى ... وقد فحص كيماويو مصلحة البوليس التفاحة المسمومة فوجدوا ان السم الذي فيها هو جزء مما كان يستعمله آل بورجيا اما السم فكان موجوداً في حق صغير معلق في عنق مدام بالستريني فغمست اطراف اظافرها في العلبة ثم غرزتها في التفاحة قبل ان تقدمها الى بيست ولو اكلها المسكين لمات للحال... وكنت متيقناً من ان اعداءنا سيلجأون الى السم في تلك الليلة وربما جرعوني منه فلهذا امرت بروسبر ان ينخرط في سلك الخدم ليسهر ويلاحظ ما يقدَّم لنا من المأكول والمشروب ... اما مدام بالستريني فانها مريضة من كثرة ما جرعها اولئك الاشرار من المواد المضادة للسم لا من اكل قطعة التفاح التي قدمها لها بيست لان مضادات السم هي مركبات فعّالة وقد زاد في اشتداد مرضها ظنها ان ما بها هو نتيجة السمّ الذي كان في التفاحة فهي كأنها قد سمت حقيقةً ..

ـ ربما اثر الوهم فيها واماتها

ـ قد يكون ذلك

الفصل التاسع والعشرون

« اثر القدَم »

وجدت في ادارة جريدة الجورنال كتاباً من مارتين نوما يدعوني فيه لموافاته الى قهوة في شارع مونمارتر اعتاد مخبرو الجرائد التردد اليها فقصدتها

وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فلم اجد هناك سوى ابناء حرفتي فجلست احادثهم وبعد مضي خمس دقائق دخل نوما وسلم على المخبرين الذين كانوا جميعهم من اصدقائه وكثيراً ما يفيدهم عن اخبار يجهلونها فينقلونها الى جرائدهم ولما جلس بادره المخبرون بالسؤال هل لديه خبر جديد فاجابهم نفياً ثم سألني هل ارغب في ان العب معه بالنرد « الطاولة » فلبيت طلبه ولما ابتدأنا لاحظت انه يكثر من رمي الزهر وينقل الاحجار بيده الشمال واستغربت ذلك مع علمي انه يحسن استعمال اليدين في كل عمل وكان يسند ذراعه اليمنى الى الطاولة فرابني الامر ولكني لم اجسر على سؤاله لوجود رفاقنا حولنا يتفرجون ولعلمي انه سيطلعني فيما بعد عن السبب

وبينما نحن مهتمان في لعبنا اشار اليَّ نوما بطرف خفي الى رجل كان جالساً في آخر القهوة وكنت ارى الرجل وجهاً لوجه اما نوما فكان ينظر اليه في المرآة التي كانت ورائي فسألته هل هو الرجل الاسمر الذي اعهده فاجاب نعم ثم لمعت عيناه وابتسم ابتسامة الهزء والسخرية ولما انتهينا من اللعب خرجنا ومعنا بعض رفاقنا الذين يسكنون في نفس الشارع الذي كنا نقيم فيه واسند نوما ذراعه اليمنى الى ذراعي فلما انتهينا الى شارع بلانش فارقنا من كان معنا واستأنفنا مسيرنا الى شارع لبيك وقال لي نوما مشيراً الى الرجل الذي كان في القهوة وقد تأثرنا : انظر هذا المسكين فقد حرمته النوم اما الآن وقد تأكد اننا عائدان الى بيوتنا فسيذهب وينام هو ايضا وسامحني انت على اجباري اياك على السهر الى هذه الساعة فان ذلك لم يكن لي بد منه اذ من الضروري ان يراني الرجل ويتأكد اني كنت سهراناً في هذه الساعة لئلا تقع الشبهة عليَّ ... فاني زرت شخصاً في

بيته ولا اريد ان يعلم ذلك الشخص اني انا الذي زرته ولولا ذلك لكنت الآن في سريري لاني تعب ومتألم جداً

ـ قد لاحظت ذلك

ـ وانا ادركت انك قد لاحظته

ـ فذراعك . . . اليمنى

ـ مصابة بضربة سيف وسأخبرك غداً بما حدث اما الآن وقد وصلنا الى بيتك فادخله واسترح . . . الى الغد يا عزيزي .

وفي الصباح ذهبت الى منزل نوما في الساعة العاشرة فوجدت بروسبر هناك وكان قد قضى ليلته في منزل رئيسه وسألته عن نوما فاعلمني انه نائم فاستغربت ذلك لاني كنت اعرف نوما منذ عشر سنين ولم اجده قط نائماً في مثل تلك الساعة فقال لي بروسبر : ان الرئيس في حاجة الى الراحة فانه اتى البارحة عملاً اقل ما يقال فيه انه غريب مدهش ثم قص عليّ خبر دخول رئيسه منزل المركيز بريو دي سانتوشي اما ما حدث له في الداخل فانه كان يجهله وقد وعده نوما ان يطلعه عليه في ذلك الصباح فاجبته اني جئت لسماع ذلك الحديث وجلسنا ننتظر ان يستيقظ نوما وبعد قليل سمعناه ينادي : كورفيل بروسبر ادخلا . فدخلنا واذا به في فراشه فقال لي : انك تستغرب وجودي في فراشي . . .

فاجبته : نعم ولكن بروسبر قد اخبرني عن الداعي الى ذلك

ـ اعلم يا كورفيل ان الارادة اذا كانت شديدةً تغلّبت على الوجع ويختلف الاحساس في الناس حسب امزجتهم وقوة ارادتهم وتعودهم الاوجاع فكلما ارتقى الانسان اشتد احساسه فلا يمكنه التغلب عليه الا بقوة

الارادة او الممارسة وفي عالم النبات كما في عالم الحيوان ما يؤيد قولي فالسمك اقل احساساً من الطائر ودودة الارض اقل احساساً من الحية هذا في الحيوان ونفس الشيء نجده في النبات فالوردة تفوق الملفوفة مثلاً في نضارتها وتأثرها فاذا قسنا الاحساس بالارتقاء رأينا ان الجنس الابيض اكثر من الجنس الاسود تأثراً غير ان للبيض مزية على السود تساعدهم على احتمال اضعاف ما يحتمله السود الا وهي الارادة

— انك لشديدها الى حد الاعجاز

— نعم ولكن للارادة حداً تقف عنده وهو التعب والانهاك وهذا لا يمكن مقاومته فبالله قل لي اي مفعول للارادة على النوم ايمكنها التغلب عليه الى النهاية ... كلاّ والحاجة الى النوم دليل على ان العقل متعب لا يأتي عملاً مفيداً ... فالاولى اذاً ان يبادر من يشعر بالتعب الى الراحة وهذا ما فعلت انا . وما اشتغلته البارح يكفي لاعفاء نفسي من الاشتغال اليوم

فصاح بروسبر: صدقت ايها الرئيس فانك فعلت البارح فوق ما يجب وما يمكن عمله

— ان الانسان مهما فعل لا يعد فعله فوق الممكن اذا كانت عاقبة النجاح في عمله

فقلت وهل نجحت

— كل النجاح ... ولم يبقي سوى ضربة من سيف المركيز بريعو اصابني بها على غير علم منهُ فسببت لي شيئاً من الحمى اما الآن فقد استرحت وزال كل ما بي من التعب وصرت قادراً على استئناف العمل ... ولكن فلننهض اولاً

ثم هرب من سجنه [illegible] الى منزله [illegible] قد [illegible]

[illegible] كان [illegible] دائما [illegible] في بيت المركيز [illegible] في

[illegible] الغرفة [illegible]

وفي هذه [illegible] ضحيته قريبا . فقالت وهذا كان المركيز

من يكون بالظرف [illegible] فيتشاءم مما جرى له وندمه ولاولى به ان

يسافر الى ايطاليا [illegible] ذات الحزم

فاجابني توما : ولم يهرب المركيز اذا كان بريئاً ؟ ولو فعل لكان ذلك دليل الخوف لا الحزم ولاستنتجنا انه مجرم ... ونحن لم نتأكد بعد حتى الآن انه مذنب . . . هات يا بروسبر الحذاء الذي جئت به من منزل المركيز والذي جاءت به حبيبتك اوكتافي الى البائع واشتريته منه فجاء بروسبر بما طلبه منه رئيسه فاخذ هذا يفحص الاحذية بدقة وامعان ثم قال : اني لا اجد اقل مشابهة بين حذاء المركيز والذي اشتراه بروسبر . . . ولكنني اعرف القدم التي كانت تحتذي به . . . نعم اعرفها وقد درست شكلها وكتبت مفكرة بذلك

— لعلها قدم القبطان ألري

— احسنت يا كوردفيل ربما كان ما تقول فسأنظر في ذلك واراجع مفكرتي

ثم نهض واخذ عدسيته واقترب من النافذة يفحص الحذاء الذي اشتراه بروسبر من البائع وطال فحصه ثم قال : ان في هذا الحذاء اموراً مدهشة وكلما زدت في تدقيق النظر اليه ازداد عجبي منه

— ما الذي تراه فيه غير اثر الاحتكاك

— ان اهتمامي في الاول كان متجهاً الى ان اعرف هل يطابق ذلك الاثر

هيئة قائمة مكتب كاستنيه فبعد الامتحان وجدت انه مطابق لها تمام المطابقة اما الآن فاني بنظري اليه بواسطة العدسية قد رأيت فيه شيئاً عاري الاهمية بالظاهر لكنه ذو اهمية كبرى في الحقيقة.

— وما هو

— ان الاحتكاك لم يحدث دفعة واحدة كما يجب ان يكون قد حدث حين صدمت رجل لابس الحذاء بالطاولة بل ارى انه نتيجة لطمات متعددة وكانها حدثت في فترات متقطعة أرى في خطوط الاحتكاك ما يدل على انها انقطعت في نقطة ثم اكتملت وليس للخطوط عمق واحد في كل المواضع ... مع ان الصدمة القوية الفجائية لا تحدث اثراً متقطع الخطوط ... مما يحملني على الظن ان هذا الاحتكاك مصطنع وهو عمل اليد ... نعم نعم ان الحذاء كان في يد من اصطنع هذا الاثر حين صنعه لا في رجله ...

ولبثنا بروسبر وانا ننتظر معرفة استنتاجات نوما مما اكتشفه في الحذاء لما لذلك الاكتشاف من الاهمية ولكنه قال لي: يا عزيزي كورفيل ... انصرف لاني سألبس ثيابي واخرج ايضاً وسأدعوك الي ... عن قريب ... الى الملتقى

فخرجت وقد ساءني ان اعود وفي نفسي ما فيها من الهواجس ولكني كنت موقناً ان نوما بعد اكتشافه الحديث لما في الحذاء سيأخذ في البحث والتنقيب ومتى تم له تحقيق الامر اطلعني عليه فلم يبق لي سوى الانتظار

وذهب نوما بعد ظهر ذلك اليوم الى مصرف كاستنيه وطلب من الموسيو موريسون ان يسمح له بدخول المكتب الذي وقع فيه الجرم

ممتذراً بان صعوبة البحث تحوجه الى فحص قائمة المكتب فقاده موريسون الى الغرفة وتركه فيها وحده . فاخذ نوما يقابل الاثر الذي في الحذاء على القسم البارز في قائمة المكتب ثم اخرج من جيبه حذاءً آخر وجاء فركع امام القائمة الثانية وكان فيها نفس ما في الاولى من الحفر فادخل نوما يده ضمن الحذاء الجديد وضغطه على القائمة بشدة ثم نظر اليه فاذا به قد جُلِف جلفاً صغيراً فكرر الضغط مراراً حتى اصبح اثر القائمة بكبر الاثر الذي في الحذاء الذي اشتراه بروسبر ثم اخذ يفحص الاثنين ويقابل بينهما فتأكد ان الذي ظنه حذاء القاتل قد قشر بنفس الواسطة التي استعملها هو اي بضغط اليد لا بصدمة فجائية عنيفة لانه لو جلف وهو في رجل لابسه لكان الاثر واضحاً غير منقطع نظراً لثقل الجسم وشدة الصدمة . ووضع نوما الحذاءين في جيبه وهم بالخروج فخانت منه التفاتة الى البساط الذي تحت المقعد الذي وجدت عليه جثة ايرما كاستنيه فرأى عليه اثر قدم فوقف مدهوشاً مرتبكاً يتساءل من اين اتى ذلك الاثر وكيف انه لم يلاحظه في ابحاثه السابقة في تلك الغرفة وهل كان موجوداً اذ ذاك ام لا ...

فاكب على الاثر الموجود على البساط يفحصه بتدقيقه المعتاد ثم نهض وقد استنتج انه اثر قدم داست في الرماد فتقدم الى موقد التدفئة فلم يرَ فيه رماداً فتأكد ان ذلك الاثر قديم منذ يوم مقتل ايرما كاستنيه اذ ان النار لم تشعل في الموقد منذ ذلك العهد وعليه فلم يكن في الغرفة رماد . فاخذ نوما قطعة من الورق وقطعها بهيئة الشريط وقاس طبعة القدم طولاً وعرضاً ثم قرع الجرس فجاءه الخادم الشيخ دزيره فامره ان يدعو الموسيو موريسون فلما جاء هذا سأله نوما ألم يدخل المكتب احد سوى الخادم

دزيره وهو . ولم يمرّا بالقرب من الموقد . فاجاب موريسون انه لا حاجة لهما بالدنو من الموقد وانه لم يدخل احد سواهما تلك الغرفة .

وجلس نوما الى المكتب وخطّ بعض الاسطر على ورقة ثم كلّف دزيره الخادم حملها الى احد باعة لوازم التصوير موصياً اياه ان لا يذكر اسمه قائلاً ان ما يلزمه مفصل في الورقة ولما خرج الخادم سأل موريسون نوما عن الداعي الى اهتمامه وعما اكتشفه من جديد فاخبره نوما بخبر القدم مظهراً استغرابه لعدم رؤيته الاثر الذي على البساط في بحثه الاول ثم سأله ما كان يشعل عادة في الموقد فاخبره موريسون ان الموسيو كاستنيه لم يكن يرضى بحرق شيء سوى الخشب

فقال نوما : واي نوع من الخشب

— خشب السنديان

— ان هذا اثر قدم وطئت الرماد . . . فاما ان يكون قد طبع على البساط يوم كان في الموقد رماد او بعد ان نُظّف الموقد فان كان الاول فهذا هو اثر قدم القاتل وتفسير ذلك انه في عراكه مع المسكينة ايرما داست رجله في الموقد ثم على البساط فابقت هذا الاثر ولا يعقل ان احداً من زائري الموسيو كاستنيه وضع قدمه في الرماد عامداً ومشى على البساط واما اذا كان حديث العهد كما أظنه فنظراً لعدم وجود رماد هنا يكون هذا الاثر قد طبع عمداً بعد ان دُبّر الحذاء وذُرّ عليه الرماد خارجاً عن هذه الغرفة . . . وسأعلم حقيقة الامر بعد فحص الرماد الذي سبب هذا الاثر والذي سأجده في زوايا الموقد

وتقدم نوما الى الموقد ففتش في زواياه ووجد بقايا قليلة من الرماد فجمعها

باعتناء ووضعها في ورقة . وعاد الخادم دزيره فاعطى نوما ما كلفه مشتراه وفيه زجاجة صغيرة نزع نوما سدادتها ووضع مكانها انبوبة ذات فرعين يصل احدهما الى داخل الزجاجة ويبقى قسم منه بارزاً وبه يتصل الفرع الثاني وعلى هذا وضع نوما فمه ونفخ فخرج السائل من الزجاجة بهيئة البخار وجثا نوما على البساط وذرّ السائل على اطراف القدم المطبوعة ثم انتظر ريثما جف السائل فاخذ سكيناً ورفع برأسها الرماد الذي على البساط ووضعه في ورقة بيضاء وقال لموريسون : ان هذا الرماد يكفيني لاجراء الفحص اللازم اما طبعة القدم فستبقى ثابتة مرسومة بفضل هذا السائل فلا يمكن محوها لا بالكنس ولا بالفرش . . . والآن استودعك الله

وكانت عربة نوما بانتظاره فلما هم بدخولها رأى الجاسوس الذي كان يترقبه واقفاً في الشارع فامر نوما السائق ان يسير مسرعاً في الشوارع الكثيرة الازدحام ليختفي عن نظر ذلك الجاسوس ويتخلص من مراقبته فأجرى السائق ما امره به سيده ولما كانت العربة بهيئة باقي العربات من خارجها لم يمكن الرقيب ان يميزها ويتبعها حينما اختلطت بالعربات الكثيرة التي كانت تسير في الطريق . ولما تأكد نوما انه اصبح في مأمنٍ من المراقبة سار الى البيت الذي كان يسكنه شارل كاستنيه في شارع امستردام فدخله واخذ احد الاحذية التي كان يلبسها شارل وقاسه بواسطة الاوراق التي قاس بها طبعة القدم طولاً وعرضاً فاذا قياسها واحد ... غير ان نوما كان شديد الحزم لا يأخذ الامور على علاتها بل يلزم دائماً جانب الروية والتأني فلم يقنعه ذلك البرهان وان كان واضحاً فاخذ حذاء شارل وعاد الى مصرف كاستنيه وكتم عن موريسون سبب رجوعه ودخل المكتب وهناك وضع

الحذاء فوق الاثر الذي على البساط وفحص مبالغاً في التدقيق حتى لم يعد سبيل الى الغلط فقال قد زال الشك . . ان هذا اثر قدم شارل كاستنيه .

الفصل الثلاثون

« ورقة التشبيه »

بعد ان تحقق نوما مطابقة قياس حذاء شارل كاستنيه لقياس القدم المطبوع على البساط سار الى بيته في عربته يتساءل كيف لم يرَ في ابحاثه السابقة ما رآه اليوم على البساط فكان جواب فكره الثاقب ان ذلك الاثر مصطنع كالحذاء الذي اشتراه بروسبر من بائع الثياب القديمة وان نفس الشخص أو الاشخاص اتبعوا في تضليله نفس الطريقة فكانت النتيجة واحدة فقال : ارادوا تضليلي باختراع امور ليس لها نصيب من الحقيقة فكشفت الحيلة وزاد اعتقادي انهم مذنبون ولولا ذلك لما وقفوا في سبيلي يحاولون حملي على اتباع خطة جديدة في بحثي . . . ولكن ساء ظنهم فاني اشد دهاء من ان تغشني الظواهر . . . اصطُنعت طبعة القدم لحملي على الظن بانها نتيجة مشي شارل كاستنيه على البساط وبالتالي لاعتقد انه هو القاتل . . . تُراهم يقصدون بها ان شارل قد عاد حديثاً لكي يسرق خزينة والده . . . وشارل لم يعد الى باريس ولو عاد لرآه رجالي . ولكن القدم قدمه ولا سبيل الى الشك في ذلك .

وخطر ببال نوما ان يقابل الحذاء الذي اخذه من منزل شارل بالذي اشتراه بروسبر فوضع النعل على النعل فاذا بهما متشابهان تمام التشابه فقال: القياس واحد بالضبط المدقق . . . ان تعبي في الحصول على احذية الامير

والمركيز قد ذهب سدًى فان الحذاء المقشور او بعبارة اصح حذاء القاتل يخص شارل كاستنيه ...

واخبرني نوما بما تقدم ذكره فراعتني مسؤلية شارل كاستنيه واظهرت اشمئزازي من جرمه الفظيع وقلت لنوما: اذاً قد ثبت لديك ان شارل جاء لسرقة والده فوجده ميتاً وبينما هو يأخذ الدراهم باغتته شقيقته ايرما فخنقها ... فيالفظاعة ...

فاجابني نوما مبتسماً: ان الظواهر تدل على ما ذكرت ... ولا سبيل لنا الا القاء التهمة على شارل التعس ... غير ان كل هذه الادلة واهية مع كثرتها ... قد قلت لك واعيد ان مدبرو المكيدة ذوو مهارة فائقة غير انهم قد اهملوا امراً بسيطاً نمّ عليهم واظهر فساد كل الادلة والبراهين التي تدل على ان شارل هو القاتل

ـ وما هو هذا الامر البسيط

ـ هو الرماد ليس الاَّ ... اذ ليس بالامكان ان تؤثر القدم على البساط الا اذا افترضنا انها زلت وقت العراك وداست في رماد الموقد ولا يمكن القول بانها ملوثة به من قبل دخول المكتب لان على طول السلم بساطاً ينزع من النعل ما تعلّق به

ـ صدقت

ـ وقد اخذت شيئاً مما بقي في الموقد من اثر الرماد ومثله مما انطبع على البساط وكلفت الكيماوي المساعد لي ان يفحصهما فاذا هما مختلفان ... نعم مختلفان اذ لا يخفى عليك ان للرماد نفس تركيب المادة التي تولّد منها ما خلا الماء

— نعم اعرف ذلك

— فبعد التحليل المدقق وجد الكيماوي ان رماد موقد كاستنيه هو من حطب السنديان اما الذي طبعت به القدم على البساط فرماد القش... وها اني اذكر لك من اين اخذ هذا الرماد والمكان الذي ذرّ فيه منه على نعل الحذاء

— اين ... اين

— في قصر الامير رومالينو

— وكيف يمكنك معرفة ذلك

— تحققنا ان الذي سعى في وضع الحذاء المقشور عند البائع هو الشاب الاسباني الذي في خدمة الامير وبناء على هذا نستنتج ان رجال الامير دخلوا منزل شارل كاستنيه كما دخلته واخذوا احد احذيته فذروا الرماد على نعله وطبعوه على البساط وقد حملني على التشبث بهذا الاعتقاد ما تأكدته حين دخولي قصر الامير من انه لا يُحرق حطباً في مواقده بل هي موضوعة في قصره لمجرد الزينة والقصر مسخّن بواسطة البخار فللحصول على الرماد أحرقوا القش الذي يستعمله الخدم في المطبخ لأشعال الفحم... واخصامنا في فرح الآن لانهم يجهلون اني انا الذي اشتريت الحذاء وما يعلمونه هو حضوري الى مصرف كاستنيه ورؤيتي اثر القدم وسيذهبون الى منزل شارل كاستنيه فيرون ان احد احذيته قد أخذ مؤخراً واني انا الذي اخذته فيعتقدون ان حيلتهم الاخيرة أفلحت

— أنّى لهم ان تفلح حيلتهم وانت اشد منهم دهاء

فمد نوما يده لاسكاتي وقال: اللهمّ الا اذا كان شارل قد عاد فعلاً

الى باريس وطبع قدمه في مكتب والده

— هذا بعيد الوقوع

ـ لا احد يعلم الغيب . . . وربما كان ذلك

وصمت نوما بضع دقائق ثم قال : على كلٍ فان التحقيق الذي اجريته قد ادى الى نتيجة حسنة وحصولي على الحذاء لم يفدني شيئاً ولكن اثر الابهام قد افادني اشياء لان من كانت لديه طبعة اليد سهلت عليه معرفة طول صاحب تلك اليد

ـ عجباً

ـ لا تستغرب يا كورفيل فان للرجل السليم البنية الصحيح التركيب تناسباً في الاعضاء فتسهل معرفتها متى عرف حجم احدها والرجل الذي نبحث عنه مستوفٍ للشروط التي ذكرتها يدلنا على ذلك ما بدا منه من قوة الارادة وفرط الذكاء فهو قوي الجسم كبير العقل فاعتمادي على حجم ابهامه لمعرفة بقية اعضائه لا يقبل الغلط فالابهام الذي طبع على مفكرة كاستنيه هو في طول اثنا عشر سنتيمتراً فاذا ضاعفنا هذا العدد وجدنا قياس القدم ومتى علمت ان القدم ليس سوى سبع الجسم سهل عليك معرفة طول القامة ولكن قد يكون هناك بعض الفرق لان تشغيل بعض الاعضاء وتمرينها قد يزيد في نموها في حين تبقى الاعضاء التي لا تمرّن على حالتها فيحصل من ذلك شذوذ عن القاعدة التي ذكرتها لك لكنه لا يتجاوز بعض السنتيمترات فان من يستعمل الجيمنستيك تقوى زنداه كما ان المشي يقوي الرجلين أما المشتغلون بلعب السيف فيلاحظ فيهم ان قسماً من جسدهم هو اقوى من الثاني فاليد التي يمسك بها السيف هي اقوى وذراعها

اطول من التي لا تمسكه . ولهذا نجد الفرق في النسبة التي تقدم ذكرها مثال ذلك انك اذا مددت يديك كالمصلوب وقست من اصبع الوسطى في يدك اليمنى الى مثلها في الشمال وجدت القياس هو نفس طول الجسم من الرأس الى القدم ولكن قد تخل القاعدة اذ يزيد في طول الذراعين اذا كان صاحبهما ممارساً للرياضة البدنية ... ومثله نجد ان دائرة الصدر هي طول الذراع وضعفه هو طول القامة في تركيب رجل كامل العمر اي في سن الثلاثين او خمسة وثلاثين كما هو عمر من نبحث عنه ...

ـ وكيف عرفت ان له هذا العمر

ـ ربما كان في كلامي عن العمر بعض المبالغة اذ ليس ما اقوله الا من باب الافتراض لكن الاشخاص الذين نظن لهم علاقة بحادثتي كاستنيه والمغنية لا مارجالينا حتى في مسئلة الشفاليه فونتيس لهم جميعاً هذا العمر تقريباً

ـ صدقت

ـ فالرجل الذي عمره ثلاثون او خمسة وثلاثون سنة وطول ابهامه اثنا عشر سنتيمتراً يكون طول قدمه من اثنين وعشرين الى خمسة وعشرين سنتيمتراً وربما كان ستة وعشرين فاذا ضعفنا احد هذه الاعداد عرفنا ان دائرة الصدر تتراوح بين ثمانين واربعة وثمانين سنتيمتراً وعليه فيكون طول القامة متر وستين او متر وثمانية وستين سنتيمتراً واذا ترتب ذلك لم يبقَ علينا سوى ان نبحث في اوراق التشبيه الموجودة في التحقيق الشخصي عن الرجل الذي له هذا الطول

فقلت مازحاً : اذاً قد عرفنا طول الرجل وعرضه ولم يفتنا سوى معرفة لون شعره

ـ معرفة هـذا الامر موكولة الى ذكائك يا كورفيل وهي سهلة لا تحتاج الى التفكير الطويل

ـ انّى لي معرفتها . . .

ـ لاشك ان الرجل الذي نبحث عنه شاب وعليه فشعره ليس ابيض ثم انه لنا معرفة بمواطنيه واصدقائه وهم اما سمر الاون كالرجل الذي يتجسسني او شقر كالشفاليه فونتيس فاختر احد اللونين لشعر الجاني بل اختر له اسماً

ـ وانّى لي معرفة اسمه والاسماء لا حصر لها ولا عد

ـ انا لا اكلفك مستحيلاً فانك ستختار بين اوراق التشبيه ما هو متقارب ببعض سنتيمترات وهكذا ستختار بين بعض اسماء محصورة

ـ وهل قائمة الاسماء معك

ـ نعم هي معي . . . ولكن تعالَ غداً الى منزلي لتناول الغداء فاطلعك عليها . . .

فذهبت في اليوم الثاني الى منزل صديقي نوما وتناولت الغداء معه ولما انتهينا واخذنا في التدخين قال : اذا حسن لديك يا عزيزي كورفيل هيا بنا نمشي الى الموسيو راماره (مدير البوليس) فان المشي يساعد على الهضم

ـ انا طوع اشارتك فهل من جديد يحملك على زيارة رئيسك

ـ نعم فانا ذاهبون لمباراة شامبوليون الشهير

ـ هل تعني العلامة ذو الاطلاع الواسع والمعرفة التامة في قراءة الهيروغليف

ـ هو نفسه الذي عنيت

ـ وهل من قضية جديدة

ـ كلا انما سنهتم بحادثة مصرف كاستنيه فان في حوزتنا اوراقاً أرجو ان نستفيد من قرائتها ما يهدينا في السبيل الذي سلكناه

ـ اني اذكر انك التقطت بعض قطع الاوراق في مكتب كاستنيه

ـ وحفظتها حتى طلبها الموسيو راماره ونحن ذاهبون الآن لنفحصها معاً بحضور القاضي كابستين

ـ واي شأن لي في ذلك

ـ ليس الامر سرياً وقد قلت مازحاً لرئيسي انه لا يمكني القاء القبض على المجرم الا اذا كنت معي ولا شك في انه سيحسن استقبالك

فسرنا وكنا نتحدث في امور مختلفة وبعد قليل قال نوما : لا حاجة بنا الى الالتفات هل وراءنا من يتجسسنا فان رجلاً يتأثرنا

ـ هو الرجل الاسمر

ـ لا فان اخصامنا لحظوا اني عرفت ذلك الجاسوس فاستبدلوه برجل اشقر وسيكون نصيبه كالذي تولى مراقبتنا من قبله اي انه لن يكتشف شيئاً من امري ولست مهتماً به ثم وصلنا الى رئيس البوليس فوجدناه يتحدث مع الموسيو كابستين ولما رآني الموسيو راماره قال : اني بانتظارك يا عزيزي كورفيل لتأكدي ان نوما سيحضرك معه فاهلاً بك وسهلاً . . . اما انت يا نوما فان اطلاعي على الاوراق التي بعثت بها اليَّ قد دلني على ما قاسيت من العناء والتعب لاخراج بعض الاسماء من قطع الاوراق

ـ نعم تعبت كثيراً في عملي وغاية ما وصلت اليه هو جمع بعض اسماء مبتورة غير كاملة فكانما هي ألغاز . . . ولكن لا بد من حلها اما سبب عدم

عثورنا الآعلى قطع صغيرة فهو ان الموسيو كاستنيه على ما اخبرني موريسون اعتاد ان يمزق بطاقات زائريه الى شطرين ثم يمزق كل منهما الى جزئين اخرين ويرمي بالقسم الذي في يده الشمال الى الموقد والى سل الاوراق ما في يده اليمنى ولكنه ياوح لي انه في يوم موته كان مهتماً في تمزيق البطاقات حسب المعتاد فلما جاءه الخادم واعلمه باسم الرجل الذي جاء في آخر الزائرين رمى الاوراق بغير ترتيب فذهب منها قسم في الموقد والآخر في السل وهذا هو القسم الذي سلم وجمعته . . .

وبسط الموسيو راماره على منضدته عشر اوراق قد أُلصقت عليها قطع البطاقات والاوراق التي جمعها نوما وهاك مثالها الذي نسخته

بي . . . ت

. . . وم . . . ن

ان . . . و . . . ين

ست . . . ب . . . ن

فا . . . ب . . . يس

مي . . . ت . . . ل

س . . . م . . . نس

ما . . . ا . . . ين

ر . . . ين . . . له

سا . . . و . . . ون

فقال رمارد: ان جمع اسم من هذه الاحرف المبعثرة يستلزم تعباً وعناءً شديدين فهل تعتقد يا نوما ان اسم القاتل موجود بين هذه الاسماء

ـ انا ارجح ذلك

ـ وما الذي يحملك على هذا الفكر اوضح لنا رأيك

ـ ما كان كاستنيه يقبل مواجهة زائرٍ اي كان الاَّ بعد ان يأتيه الخادم ببطاقته ولكن ثقتي ضعيفة بذاكرة الخادم دزيره لانه شيخ هرِم ولا يبعد ان يكون قد دفع الى سيده بطاقتين في آن واحد

ـ هذا محتمل الوقوع

ـ فارجح ان احد الاثنين وهو الرجل الاسمر الذي ذكره الخادم انتظر خروج الزائر الذي دخل قبله ودخل على كاستنيه بدون ان يراه دزيره الذي كان مهتماً بوزن الرسائل لاعتقاده ان الزيارة قد انتهت كما ذكر لنا ذلك قبلاً

ـ قد يمكن حصول ما تقول

ـ واني اذكركم بان الآنسة حنة كاستنيه لم تستنجد وتصيح الا بعد خروج الرجل الاسمر بمدة طويلة

ـ نذكر ذلك

وعليه فان ذلك الرجل تمكن من السرقة لانه وجد الموسيو كاستنيه ميتاً فالزائر الاخير لم يأت بقصد السرقة ولا القتل ولكنه رأى كاستنيه ميتاً وباب الخزينة مفتوحاً فدفعه الطمع الى اغتنام الفرصة السانحة فسرق وقد قيل في المثل ـ ان المال المتروك يعلم الناس الحرام

ـ طالما لاحظنا هذا الامر

ـ وبينما كان الرجل يأخذ المال دخلت الآنسة ايرما التعسة ورآها وهالهُ عمله واراد اخفاء جرمه فلجأ الى قتلها ... وعلى ما تقدم ابني اعتقادي

السؤال الثامن

هل تفتك الجمعية السرية ٠×٠

بالشفاليه فونتيس ؟

بوجود اسم القاتل بين هذه الاسماء التي امامكم فعلينا ان نجمع الاحرف المتشتتة حتى يجتمع منها اسم او اكثر ومتى تمّ ذلك فتشنا عن صاحب كل اسم والامر لا يستلزم الا بعض العناء وليس التعب بمقعدي عن العمل . . .

الفصل الواحد والثلاثون

« خيالات الثلج »

وشاع في المساء ان عجوزاً وجدت مذبوحة في « سان وان » فبادرت مع عدة من المخبرين الى محل الحادثة وكان البرد قارساً فرأيت هناك اهل القضاء وفي جملتهم الموسيو راماره ونوما وبروسبر وبعض انفار البوليس اما المرأة المقتولة فكانت بائعة مأكولات تهتم ايضاً بشراء كل ما يسرقه اللصوص باثمان بخسة مما حمل سكان الشارع الذي كانت تقيم فيه على الاعتقاد انها ذات غنى مفرط مع ما تتظاهر به من الفقر . وما كان قتل عجوز ليسبب اهتمام الناس فان مثل هذه الحوادث كثيرة لولا ان المرأة ذبحت في رابعة النهار وبدون ان يشعر احد من جيرانها بحدوث ادنى حركة في دكانها . ولما نمي الخبر الى رئيس الشحنة سار الى محل الواقعة ومعه نوما لعلمه انه ليس من يجاريه في دقة البحث وسرعة القاء القبض على المجرمين . ولم اسأل نوما عما اكتشفه لعلمي انه يكره ان يقلقه احد في ساعة بحثه فاكتفيت بالسلام عليه وعدت مع رفاقي المخبرين فاخذنا الاخبار من فم الموسيو راماره والقاضي ثم عدت الى جريدة الجورنال لنشر ما علمته وما كدت انتهي من عملي حتى دخل الخادم واخبرني ان رجلاً

يطلبني لاطلاعي على اشياء تتعلق بالمرأة المقتولة فامرت بادخاله فلما مثل امامي رأيت رجلاً لابساً رداءً ثقيلاً وعلى وجهه قناع فقال لي : جئتك يا موسيو كورفيل لاخبرك بما اعلمه عن المرأة المذبوحة فاجبته : ولمَ لم تطلع اهل القضاء على ذلك

— خشيت ان يظنوا بي سوءًا ... ولكن ضميري بكتني واردت ان افيدك عما اعرفه بشرط ان لا تذكر اسمي

— ثق باني لن اذكره

— اني واثق بك ... وبما اني اعلم صداقتك مع مارتين نوما فها اني اسرد لك ما اعلمه كما لو كان هو مكانك

— قل فاني مصغٍ اليك

فنظر الرجل الى ما حوله حذراً ثم قال : لا ان اتكلم هنا والاوفق ان نذهب الى قهوة صغيرة يخلو لنا فيها المكان ... تعال فان عربتي في الانتظار خارجاً

فتفرست الرجل ورأيت ان عيناه تلمعان بحدّة ... وخيل لي اني اعرفه فمدت الى الخادم وسلمت اليه مقالتي ليحملها الى رئيس التحرير فلما خرج الخادم قال الرجل : لم تخطئ في ظنك يا موسيو كورفيل فهذا انا

— بروسبر ! ...

— نعم وقد جئت اليك بامر رئيسي ...

فخرجنا وركبنا العربة وسألت بروسبر الى اين نحن سائرون فاجابني انا ذاهبون لنقف بالمرصاد لاشقياء لم يرَ في عمره اشد منهم دهاءً وجسارة الا وهم اعداء الشفاليه فونتيس واخبرني ان نوما يؤمل القاء القبض عليهم في تلك الليلة

وبينا كانت العربة تحملنا اخرج بروسبر من صندوق فيها صدرة ورداء ثقيلين وقناع وساعدني على لبسها قائلاً ان البرد شديد فيجب التحفظ ثم ابدل هو ايضاً لباسه بمثل ما اعطانيه وكانت هيئتنا في ذلك الزي كبعض نظار الفعلة الذين يشتغلون في تنظيف الطرقات ولما نبهت بروسبر الى وجه المشابهة هذه اجابني : انما نحن نقصد في لبسنا هذه الثياب مشابهة اولئك العمال كما قلت لان بعضهم ينتظرنا في احد الشوارع ٠

وبعد قليل وقفت العربة بنا فنزلنا وسرنا الى شارع رأيت فيه اناساً بعضهم يكنس الثلج والبعض يذر الرمل والملح على الارض وقال لي بروسبر مشيراً الى رجل كان واقفاً يناظر اعمال الفعلة

ـ هذا هو الرئيس : ولولم يرشدني بروسبر الى حقيقته لما كنت عرفته وتقدم نوما ونظر اليَّ واعلن ان بروسبر قد احسن في تغيير زيي ثم اخذ يكلمه ملقياً اليه بعض التعليمات عما يجب اجراؤه فابتعدت عنهما واخذت انظر الى اهتمام الفعلة في اصلاح الطريق واذا بي اعرف كثيرين منهم ومر بعضهم بالقرب مني فكانوا ينظرون اليَّ ويشيرون خفية ليعلموني انهم قد عرفوني هم ايضاً ٠ ولم يكن غيرنا في ذلك الشارع حتى انه لم تمر عربة وكانت البيوت مظلمة والسكون سائداً والابواب والشبابيك مقفلة والوقت مناسباً لاجراء كل عمل خطير يستلزم التستر وهذا ما حمل نوما على الظن ان امراً خطيراً سيحدث في ذلك الليل لانه خطر له ان قضاء قسماً كبيراً من الليل في سان ولن يبعث الطمأنينة في قلب اخصامه فيعتقدون انه لن يعود الى باسي ويغتنمون فرصة غيابه وانقطاع السابلة لشدة البرد وتساقط الثلج ويفاجؤون فونتيس في بيته فيقتلونه قياماً بوعيدهم وتهديدهم

ولعدم انقطاعه عن الاجتماع بنوما .

واطلعني صديقي ان الشفاليه يجهل وجود نوما في ذلك الشارع حارساً له لئلاّ يحمله ما فيه من الشجاعة والحماسة على رفض تلك المساعدة ... ولما انتهى نوما من حديثه مع بروسبر جاء اليَّ واخبرني انه يود قبل كل شيء معرفة طريقة دخول الاعداء الى منزل فونتيس ثم اخذنا نتمشى واذا بصوت كلب ينبح فقال نوما : هذا صوت احد كلاب الشفاليه ... وقد ابتدأ الاشقياء في العمل فهيا بنا يا كورفيل ... وسرت واياه الى الشارع الذي فيه بيت فونتيس ولما وصلناه رأينا امام باب الحديقة عربة قد سقط جوادها الى الارض ولم يمكنه النهوض لوجود الثلج تحت اقدامه فضربه الحوذي بغلاظة وبالغ في سبه فلم يجدِ عمله نفعاً ... وكان وراء حاجز الحديقة كلب ينبح بشدة فترك الحوذي جواده وتقدم الى حيث كان الكلب فشتمه رافعاً صوته وتهدده بسوطه من خلال القضبان الحديدية فزاد هياج الكلب ونباحه ... فاستوقفني نوما بقرب حائط لصقنا فيه ظهورنا لكي لا نرى وقال لي : ان هذا الحوذي يمثل دورهُ الآن فهو يتظاهر بالسكر ويهيج الكلب ما امكنه ذلك ولكنه لا يهتم بانهاض جواده وهو ان يمكنه الوقوف لان صاحبنا عرقل اقدامه بواسطة الأعنة ... والرجل موعز اليه باحداث الجلبة والضوضاء ليوجه افكار سكان الشارع الى هذه الجهة من البيت بينما يعمل رفاقه عملهم في الجهة الثانية ...

ثم ابتعد نوما عني الى آخر الشارع وصفر فاسرع بروسبر فالقى اليه رئيسه اوامره وعاد نوما اليَّ وبعد قليل رأيت بروسبر قادماً الى حيث كنا ومعه ثلاثة رجال يحمل احدهم مكنسة والثاني فاساً والثالث يجر عربةً فيها

رجل ودنا الاربعة من العربة واحاطوا بها وصاح بروسبر بالحوذي : ما هذا العمل ايها السكير دع الكلاب وانصرف فقد اقلقت سكان هذا الشارع .

فاجابه الحوذي بالسباب وردّ عليه بروسبر بالمثل فهجم الحوذي عليه وقد زاد صياحه فضربه بروسبر على رأسه ضربة شديدة افقدته قواه وحمله الى العربة وكان احد الرجال الذين جاؤا مع بروسبر قد حلّ وثاق الجواد فلما اصبح الحوذي داخل العربة جلس احد رجال نوما الى جانبه وركب أحد رفاقه على الكرسي وساق العربة . . . وتفرق رجال نوما في اطراف الشارع واحاطوا ببيت فونتيس عن بعد . . . اما نوما فدنا من باب الحديقة وفتحه ودخلنا سوية فلما شم الكلاب رائحة نوما استأنس به وكفّ عن النباح فربطه صديقي بحديد الحاجز ثم قال لي : ان رجالي متنبهون في هذه الجهة فلنسر الى ما وراء البيت فان الاشقياء هناك . . . فسار وتبعته وكنا نمشي بحذرٍ متسترين وراء الاشجار حتى وصلنا الى القسم الثاني من الحديقة وهو اكبر من الاول الذي يطل على الشارع . وهناك رأى نوما سلماً من الحبال مشدودة الى الحائط فقال : قد علمت الآن من اين يدخل اعداء فونتيس ولكنهم لن يخرجوا من حيث دخلوا . . . واخذ سكينه وقطع به جزءًا من حبال السلم اي لم يقطعها قطعاً كاملاً فكانت في الظاهر باقية على حالها لكنه كان لابد من انقطاعها متى وقع عليها ثقل . . . ولجأنا الى مكان فيه اشجار كثيفة واختبأنا وكنا نرى غرفة المكتبة فقال نوما : انهم في الحديقة وهم مثلنا يترصدون . . . معتقدين ان نباح الكلاب سيوجه الانظار الى الجهة الثانية من البيت فيدخلون من هذه الجهة . . . وقد رابهم سكوت الكلاب منذ دخلنا . . .

واذ ذاك سمعنا نباح الكلاب فقال نوما ان بروسبر يهيجه عمداً ليظن القوم ان الحوذي في المكان الذي عينوه له ... صه ... لا تأتي بحركة

ولما امرني نوما بالسكوت والسكون شعرت بارتعاش شديد ... ورأيت في احد طرق الحديقة شيئاً ابيض اللون طويلاً يتحرك ... فخيل لي اني ارى خيالين .. وكانا يزحفان على الثلج زحفاً ... واقترب الخيالان بل الرجلان من المكان الذي كنا فيه فتمكنت من رؤيتهما فاذا بهما لابسان ثوباً ابيض قد جللهما من رأسهما الى القدم وكان له ذيل يجر وراءها فتذكرت ما قاله نوما لفونتيس ان محو اثر الاقدام عن الثلج امر سهل بسيط فان ذيل ثياب الرجلين كان مثقلاً بالرصاص فمتى مشيا جرف الذيل الثلج وراءهما وغطى اثر اقدامهما ... ووقف الرجلان مراراً وانصتا الى ما حولهما ثم استأنفا السير ... اما نحن فاننا لم نتحرك لا بل اظن اننا لم نتنفس خوفاً من ان يتمّ علينا نفسنا الذي كان يخرج من فمنا بهيئة البخار لشدة البرد ... ومرّ الخيالان بالقرب منا ولم يريانا ووصلا الى باب المكتبة ووقفا ينظران منصتان ... فهمس نوما في اذني : ان احدهما قد وضع آلة صغيرة على باب المكتبة ثم على الارض وهذه الآلة تتحرك لمجرد حدوث اقل حركة داخل البيت حتى لو مشى من فيه على الطنافس لأن اقل اهتزاز في الاخشاب يحدث حركة في تلك الآلة فتحقق صدق كلامي حينما كنت اقول لك ان اخصامنا ذوو دهاء وحيل

— وما الذي يجب ان نعمله الآن يا نوما

— علينا ان ننتظر ريثما يدخل الرجلان البيت

— ولكن حياة الشفاليه في خطر

— لم يصل بعد الخطر اليه ... ولابد ان نباح كلبه قد نبهه فاستعد للطوارئ .. وقد اعلمته يوم اجتمعت واياك عنده ما يجب عليه عمله فعساه لم ينسَ نصائحي

— ولاشك ان الكلب الذي معه في غرفته ينبهه الى الخطر

— عسى الكلب لاينتبه قبل دخول القوم والا هربوا واصبح القبض عليهم امراً مستحيلاً

ولما تأكد الرجلان عدم وجود حركة داخل البيت فتحا باب المكتبة بمهارة دهش لها نوما نفسه اذ لم يسمع لفتح الباب اقل صوت ... وخلع كل منهما رداءه الابيض على اول السلم فظهرا في ملابس حسنة الصنع رمادية اللون تشاكل لون الليل فلا تظهر فيه ثم دخلا

الفصل الثاني والثمانون

« اليد الحمراء »

وانتظر نوما هنيهة ثم قال لي : ازحف على يديك و رجليك واتبعني .. وزحف امامي مختبئاً وراء الاشجار حتى اقتربنا من السلم الذي كان عليه رداء الرجلين وهناك قال : انهض يا كورفيل ثم قفز و وقف الى جانب الباب ملاصقاً للحائط فنهضت ووقفت الى الجانب الثاني ودفع نوما الرداءين برجله وأطل رأسه من الباب وانصت ... وادهشني ثبات جأشه في ذلك الموقف وهو عرضة لفقدانه حياته . اذ لو كان احد الرجلين واقفاً وراء الباب لخفر رفيقه لتمكن من قتل نوما باطلاقه الرصاص عليه او بطعنه بخنجر . وكان قلبي خافقاً وكدت احتنق من شدة الانفعال اقول هذا وانا

لا استحي فان ما ألم بي لم يكن خوفاً بل تأثراً شديداً لاني شعرت ان الموت يرفرف باجنحته حولنا وانه لا بد من ان يحدث قتل في ذلك الليل ولكن من تراه يكون القتيل .. وازداد انفعالي حتى تمنيت ان يتم المقدور للحال ولم يعد لي صبر ولا جلد ...

اما نوما فبقي مطلاً رأسه من الجانب منصتاً لا يتحرك وكان حاد البصر والسمع الى حد لا يمكن تصوره ثم انه دفع الباب بلطف ودخل وتبعته فقادني الى زاوية مظلمة وقال لي : قف هنا

وكان للغرفة واجهة على الحديقة ومنها كان يقع على قسم من الغرفة نور ضعيف جداً كانما هو انعكاس بياض الثلج ليس الاّ فوقف نوما خارجاً عن دائرة ذلك النور الضعيف ولكنه ما لبث حتى اختفى عن نظري ولم اسمع له حركة . . . استمرت في ذلك الظلام والسكون المذعر انضربات قلبي شديدة الى حد ان لا بد من ان يسمعها من في الداخل ...

وانقطع الكلب الذي في الحديقة عن النباح ... وسمعت صوتاً اشبه بلطم يد ملبسة قفازاً محشواً قطناً ... وعقبه وقع اقدام على البساط ثم نور ضوء كهربائي صغير وصوت رجل يصيح مذعوراً : مارتين نوما !...

ورأيت حين لمع النور نوما يحمل رجلاً بين ذراعيه ثم انطفأ النور وحدث عراك شديد مخيف ولكن لم يرفع احد من المتماركين صوته لكني كنت اسمع صوت انفاسهما تخرج بشدة كما يحدث للمتصارعين ... ووقع الرجلان الى الارض وعاد الصراع اشد من ذي قبل ... وسمعت اخيراً نوما يصيح : ايها الشقي . . . النذل . . . ثم سمعت صوتاً اشبه بانكسار عظم ... وصياحاً اشبه بصوت الوحوش وانّة ألم شديدة محزنة .

ونبح اذ ذاك الكلب الذي في الطابق الأعلى وسمعت الشفاليه يصيح بكلبه مشجعاً اياه وأقدام الخدم يتراكضون ...

وصاح نوما بصوت متقطع أنر يا كورفيل ... أنر ... الزر بالقرب منك ... على اليمين ... بجانب الموقد ... اسرع ... اسرع يا كورفيل فمددت يدي افتش عن الزر الكهربائي وكرر نوما صياحه : أنر ... اسرع يا صديقي ... أنر ... وتوفقت الى الزر فضغطت عليه واندفق النور . واسرعت الى نوما فرأيته قابضاً بكلتا يديه على ذراع خصمه الملقى الى الارض ولم يفز نوما على خصمه الا باستعماله الطريقة اليابانية المسماة (جيوجيتسيان) وقال صديقي : كن مطمئناً يا عزيزي فاني سليم وهذا الرجل مغمى عليه لاني خلعت كتفه وكسرت ساعده

ورأيت في فخذ نوما خنجراً داخلاً فيها الى غمده فصحت : انت مجروح يا نوما

فاجابني لا تهتم بجرحي فانه طفيف ... وكان خصم نوما جامداً لا حراك به فترك صديقي ذراعه فوقعت الى الارض كانما هي قطعة من جماد لا حراك بها ونهض نوما بعناء ونزع الخنجر من فخذه قائلاً : ان الشقي قصد طعني في بطني فاتقيت الطعنة بفخذي ولنربط الجرح فان عملنا لم ينته بعد هنا

وربط نوما فخذه بمنديل من فوق البنطلون ثم حرك رجله مرات متوالية . وقال : ان هذا الجرح لن يعوقني في عملي ...

ولم يتم نوما كلامه فان رفيق الرجل الصريع نزل مسرعاً على السلم الذي كان يؤدي من المكتبة الى الطابق الذي فيه غرفة الشفاليه وكان

يحمل باحدى يديه مسدساً وبالثانية خنجراً ... ولما رأى النور في المكتبة وقف متردداً ... ولكن الشفاليه كان مهاجمه من ورائه ومعه الكلب ... ووقع نظر الرجل عليّ اولاً فتابع جريه وصوب مسدسه اليّ ... ولم افهم في تلك الساعة ما الذي جرى ... اما الآن فقد صار بامكاني تمييز الحوادث فان نوما لما راى الرجل ينوي اطلاق مسدسه عليّ بادرني بضربة في صدري أوقعتني الى الارض ومرّ الرصاص من فوقي فحطم مرآة كانت ورآي وأطلق الرجل مسدسه ثانية عليّ واخطأني فهجم نوما عليه وضربه على يده فوقع المسدس منها واراد صديقي ان يقبض على الرجل قبض اليد كما فعل برفيقه ولكن جرحه كان الياً فاضعف قواه وعرقل حركاته فافلت الرجل من يديه وجرى مسرعاً في اطراف الغرفة يقصد الباب ... ولما وصله كان نوما قد سبقه اليه فوقف في وجهه وفي يده مسدس صوبه اليه صائحاً : قف !...

ولم يسع الرجل الا الامتثال لعلمه إن خنجره لا ينفعه في تلك الساعة لان نوما قاتله اذا خطا خطوة واحدة ...

ووصل الكلب اذ ذاك كانه اسد ورأى الرجل المغمى عليه فهجم على ذراعه المكسورة واخذ ينهشها ... وظهر للحال الشفاليه وفي يده مسدس ... ونهضت وقبضت على مسدسي فاصبح الرجل والموت يتهدده من ثلاث جهات ولا مناص له . فنظر الينا بازدهاء وجسارة غريبة وقال بصوت ثابت : لا سبيل لي الى الهرب ... فاقتلوني ...

فصاح الشفاليه : اخفضا سلاحكما واياكما من ان تمساه ... فالرجل ملكي أنا

ولم يقتنع نوما بكلام الشفاليه بل تقدم الى الرجل مصوباً اليه مسدسه

ولما دنا منه قبض على يده التي كانت تحمل الخنجر ثم قال : ايها الشفاليه الرجل لك الآن فافعل به ما شئت

فامر فونتيس خادمه ان يصعد بالكلب ففعل ثم وجه كلامه الى نوما قائلاً : اني اعترف بحسن نيتك في تداخلك بهذا الحادث ولكني اراني مكرهاً ان اقول لك ان وجودك في بيتي في مثل هذه الساعة يلحق بي الخزي والعار ...

ولم يجب نوما لانه كان يعلم ما للشفاليه من الاباء والشجاعة فعاد فونتيس الى الكلام فقال : اني اشد واشجع من ان احتاج الى من يحميني ولقد كان بامكاني ان ادافع عن نفسي ... انا وحدي

ثم التفت الى الرجل قائلاً : ثق اني لم اطلب مساعدة رجال البوليس فحنى الرجل رأسه . ورمى الشفاليه مسدسه على الطاولة فخفضت سلاحي اما نوما فوضع مسدسه في جيبه ... ولكن ابقى يده في الجيب ... ولم يعد يفتكر الشفاليه بوجودنا معه بل وقف امام وجه عدوه . ونظر كلٌ الى خصمه بامعان طويل ثم تكلم الشفاليه بصوت هادىء كأنه يحادث زائراً جاء لمواجهته لا عدواً طرأ بيته ليقتله فقال للرجل : اني لا اهينك فاعتقد انك لص

فاجاب الرجل : شكراً لك

ـ ولو اعتقدت انك سارق لقتلتك ... فانت لم تدخل بيتي الا بقصد ان تقتلني

ـ نعم ... لأقتلك

ـ ولا شك ان الرسائل المحزنة التي وردتني وفيها ذلك التوقيع الذي

تعرفه لم يقصد بها الا اشعاري باني سأقتل

ـ نعم هو ما قلت

ـ وانت عضو من تلك الجمعية السرّية التي انذرتني ان لا ابيح بما اعلم

ـ قد أدركت أمرنا

ـ اعلم يا هذا اني لا اؤمر بامر احد ... ولا يمكن احداً ان يحملني على السكوت

ـ هذا ما كنا نعتقده

ـ اشكركم على اعتقادكم بي هذا الاعتقاد.. اذاً لما رأيتم انه لا سبيل الى اسكاتي بالتهديد حاولتم ارغامي عليه بالقتل ... ان الطريقة ناجعة ولكن اتمامها صعب

ـ تأكدت ذلك بنفسي الآن ...

ـ ليس عليّ ان اقول لك هل تكلمت ام لا ... لاني حرّ التصرف باقوالي واعمالي وقد اشعرت جمعيتكم اني لا احفل بانذاراتها.. انت الآن في بيتي فتكرم واطلعني على اسمك

ـ انا البارون بومباري

فارتعد الشفاليه عند سماعه هذا الاسم وقال : بخ بخ ... البارون بومباري ... صديق ألفيرا فوكامور

فاجابه الرجل : نعم ولي الشرف بذلك

فصاح . فونتيس انت عدوّ صديقي الهمام الكونت دي ڤيلاسر بوري بماذا اساء اليكم هذا الرجل الشريف حتى قصدتم قتله ...

ـ عفواً ايها الشفاليه ... انك لم ترضَ السكوت اصاخةً لامرنا فلا

يخفى عليك اذاً اني لن اجيبك على سؤالك ... فاطرق فونتيس قليلاً ثم قال : اردتم قتلي بعد ان حاولتم قتل انجليو ولكنكم لم تفلحوا فاني بعيد عن تلك المرأة الداهية . ولهذا احسن الدفاع عن نفسي ... نعم احسن الدفاع واريد الانتقام لصديقي ... فاستعد ايها البارون للدفاع عن نفسك اذ لن يخرج احدنا من هذا البيت الا جثة باردة

ثم تقدم الشفاليه الى سلاحه المعلق على الحائط قائلاً للرجل : انت شريف ... ولا بد من انك اتقنت استعمال السيف ككل شريف ... قبل ان تصبح قاتلاً غادراً ...

فاجابه البارون : انا احسن استعمال السيف

فاخذ الشفاليه سيفين ووضعهما تحت نظر البارون قائلاً : انهما بطول وعرض واحد ثم رفع احدهما باحترام الى ازاء عينيه وخاطبه قائلاً : عفواً ايها السيف ... يا سلاح كل شريف كريم سامحني اذا وضعتك في يد رجل يلجأ الى استعمال الخنجر سلاح الانذال الغادرين ... سلاح العار ... سلاح هذا الرجل الذي جاء ليقتلني غيلةً ...

فصاح البارون مرتعداً : ايها الشفاليه لك الحق بقتلي ولكني انكر عليك حق شتمي وسبي

— نعم بامكاني ان اقتلك كلص سارق ! ... ولكني تكرمت وعاملتك كما اعامل رجلاً شريفاً وعليه فارى ان لي الحق بان اطلب العفو والسماح من هذا السيف الذي ساضعه في يدك التي كانت تمسك خنجراً ... يد رجلٍ شريف اصبح من القتلة المجرمين ...

ثم تقدم الى البارون وقال : هذان هما شاهدا برازنا فليكن الموسيو كورفيل

شاهداً لك ونوما لي

فسلم نوما على الشفاليه علامة القبول وسلمت على البارون وامسك الشفاليه احد السيفين من رأسه ومدّهُ الى البارون. ورأيت عيني ذلك الرجل قد ابرقتا ولم يكد يقبض على السيف حتى صاح وهجم على الشفاليه وطعنه.

ما كان عمل البارون الا غدراً وخيانة لان الشفاليه لم يكن بعد قد استعد ليصدّ تلك الضربة الهائلة ولم ينجُ منها الاّ بما يشبه اعجوبة ... رأيت سيف الغادر قد مرّ من فوق كتف الشفاليه ووقع وراءه ... وسمعت اذ ذاك صوت لطمة شديدة صحبها صيحة ألم ... وتراجع البارون الى الوراء وقد كاد يخنقه الغيظ والذعر ومد يده الى وجهه ثم نظر اليها فاذا بها مصبوغة دماً ... ثم بصق فنزلت من فمه اسنان ورغوة حمراء ... فان مارتين نوما بادر براشاقته المعهودة فضرب سيف الغادر باحدى يديه فاطاره ولطمه بالاخرى على وجهه فحطم اسنانه واسال دمه. وصاح نوما بالشفاليه كفّ عن معاملة هؤلاء القوم بما فطرت عليه من الكرم ... انهم غير اهل لما تبديه لهم من المروءة فهم لا يستحقون الاّ التكبيل بالحديد فدعني اتصرف بهم ... ما هم الا ذئاب وانت تعاملهم كما تعامل الاسود

فاجاب الشفاليه : ليس بامكاني ان احتقر هذا الرجل بعد عمله هذا اكثر مما كنت احتقره من قبل حين جاء لقتلي ... قد خولت هذا الغادر حق الدفاع عن نفسه فاراد اغتيالي مرة اخرى ... فليدافع اذاً عن نفسه دفاعاً مضاعفاً ...

ثم اشار الشفاليه الشهم الى السيف الذي كان في الارض وقال للبارون : خذ سيفك ودافع عن نفسك ...

فركض البارون واخذ السيف ثم عاد الى الشفاليه وقد كاد يتميز من غيظه وكان وجهه ملطخاً بالدم وهيئته مخيفة مرعبة . . . وهجم الرجل على الشفاليه هجوم اليائس ولكن حدته ومهارته ذهبتا ادراج الرياح فان سيفه كان يلتقي بسيف الشفاليه كيفما اتجه فيرجع عنه مفلولاً وطالت مدة البراز والبارون يتابع طعناته بسرعة فائقة والشفاليه في مكانه لا ينقل قدماً ولا يحرك الا يده التي فيها السيف فيخذل خصمه . . . وانقبض صدري لهول ذلك المنظر واذا بالبارون قد صاح صيحة النصر وهجم فنال سيفه من جسم الشفاليه . . . ودخل السيف حتى القبضة فصحت مذعوراً ظناً مني ان السيف اخترق جسم فونتيس . . .

كان سيف الشفاليه قد تحطم لوقوعه على قبضة سيف البارون فلم يتوقف هذا الاخير عن متابعة الضرب كما هي الأصول المتبعة في مثل تلك الحال بل هجم على خصمه الأعزل . . . ولم يمكن نوما امساك البارون الا بعد ان مر سيفه من خلال جسم الشفاليه . . . وذهلنا لا ندرك مقدار المصاب واذا بالشفاليه يقول : ليس ما جرى بامر خطير فاطمئنا . . . ان السيف لم يخترق سوى ذراعي اليسرى فقط

وكان الشفاليه لما رأى هجوم خصمه غدراً دار على عقبه بسرعة فاصاب السيف ذراعه بدلاً من صدره . . . ولم يترك البارون سيفه فتقدم اليه نوما ودفعه بعنف فخرج السيف من ذراع الشفاليه . وخشي صديقي ان يعود البارون الى غدره فصوب مسدسه الى صدره قائلاً : اذا تحركت قتلتك رغماً عن نهي الشفاليه . فوقف البارون لا يبدي حراكاً وتقدمت الى فونتيس لاضمد جرحه فابعدني قائلاً لا حاجة الى اهتمامك بي ياموسيو

كورفيل فان الامر ليس ذا بال وقد اراد سيفي ان يتطور بدمي من العار الذي لحقه بوضعي اياه في يد هذا الرجل ...

ثم تقدم بثبات وشجاعة مدهشة الى مجموعة السلاح واخذ منها سيفاً ووقف امام البارون وقال : ان هذا السيف بطول سيفك فهو لا يمتاز عنه بشيء ما سوى ان والدي الشريف وحده قد حمله ... وسقاه من دم غادر خائن مثلك ... هيّا ...

وعادا الى المكافحة وكان يسمع صوت انفاسهما تتصاعد بشدة ونزالهما جميل مخيف معاً لا تكاد تنسى ذكرى مثله . ورأيت ان البارون مع ماهو عليه من الشدة قد لجأ الى السكينة في كفاحه فلا يهجم بحدة كما كان يفعل في اول المبارزة فادركت انه يقصد بذلك اتعاب خصمه املاً انّ ما يسيل من جرح الشفاليه من الدم يضعفه فيسهل الانتصار عليه ولكن فونتيس كان عالماً بجميع الحيل التي يستعملها المبارزون وادرى من خصمه بما يتهدده من خوار العزم بداعي الجرح فاستجمع كل قواه للهجوم قبل ان يتسرّب اليه الضعف وخرج من خطة الدفاع الى الهجوم العنيف فانزل على خصمه ضربات شديدة متتابعة سريعة لم يبق معها للبارون سبيل الى الضرب بل اضطر الى الانتباه الشديد ليقي نفسه . وكان الخصمان عنيدين شديدين غير ان الشفاليه كان أدرى بفن السيف وتتابعت ضرباته بسرعة حتى لم يعد بامكان البارون تمييزها جيداً فاشكل عليه الدفاع ورجع الى الوراء فتقدم الشفاليه ... واصبحا على مسافة لا يمكن فيها مد الذراع الى الامام وسيف كل منهما على بعدٍ يسير من صدر خصمه . . . والتفّ السيفان كانهما ثعبانان يتقاتلان وضاقت نفوسنا جميعاً لهول منظر المتبارزين . .

تقدم الشفاليه من البارون ايضاً فكاد يمس صدره بسيفه فاراد بومبازي ابعاد ذلك السيف عنه بضربة عنيفة من السيف الذي في يده فاخطأه وامتد ساعده لشدة الضربة وانكشف صدره فبادره الشفاليه بطعنة ودخل سيفه تحت ابطه الايمن وخرج يلمع من كتفه... ولم يصح ولم يتكلم كأنما قد صعق وجحظت عيناه وظهرت فيهما علامات الرعب ثم وقع على قفاه فخرج السيف من جسده وبقي في يد الشفاليه... ونظر هذا الى عدوه وقبّل السيف الذي في يده قائلاً: شكراً لك يا سيف والدي ثم وضعه على الطاولة ولما التفت الينا مال الى الارض فاسرع نوما وامسكه... وما ذلك الا لانه تجلد وحمّل نفسه فوق طاقتها مظهراً من الشجاعة في ذلك القتال ما هو فوق قوى الطبيعة فخانته تلك القوى واغمي عليه وحملناه الى غرفته وخلعنا ثيابه وضمد نوما جرحه وارسل في طلب الطبيب...

ولما انتهى نوما من العناية بالشفاليه فطن الى الجرح الذي في فخذه وقال لي: اني متألم جداً يا كورفيل واخشى ان لا اقوى على القيام بهذه المهمة الى النهاية... والاولى ان ادعو بروسبر واعطيه التعليمات اللازمة

وفتح النافذة وصفر بطريقة خصوصية فسمعت صفيراً بعيداً يجيبه بنفس الطريقة فعاد نوما اليّ وساعدته على الاهتمام بجرحه البليغ ورأيت ان الدم سال منه بغزارة ولولا ان صديقي من ذوي القدرة الفائقة لما امكنه الصبر واخفاء ما به عن الشفاليه وحمل هذا الى سريره وقال نوما: ان سروري عظيم يا كورفيل اذ انك لم تصب بمكروه... اما انا فلا ابالي بهذا الجرح لان جلدي سريع الالتئام وكثيراً ما اصابني مثل هذا فشفيت بوقت قريب...

ووصل بروسبر فتبادل الآراء مع رئيسه وقال هذا: على الشفاليه ان يقدم شكواه فيما بعد اما الآن فلنبادر الى نقل القتيل والجريح اللذين في المكتبة ولا بد من ان يتكلم الجريح ويجهر لنا بحقيقة امره فنعلم ما هو هذا السرّ المخيف الذي يسعى ورفاقه وراء كتمه.

ولم يشأ نوما انتظار الطبيب مدّعياً انه بامكانه النزول الى المكتبة وامر بروسبر بادخال العربات الى الحديقة وبوضع جثة البارون في احداها وحملها الى المحل الذي تعرض فيه جثث الموتى المجهولين وان يحمل الجريح في عربة الى مستشفى ادارة البوليس . ولكنه لما اراد الوقوف احس ان رجله لاتطاوعه على المشي فقال : ان الألم تغلب على ارادتي بل لم يعد في جسمي قوة على العمل ولكني اريد النزول الى المكتبة

فتقدمت انا وبروسبر منه فوضع يديه على اكتافنا ونزل سلم المكتبة متألماً الماً شديداً ولما وصلنا المكتبة رأينا امراً محزناً غريباً . . رأينا جثة البارون . . . اما خصم نوما فلم نجده . . . ونظرنا حولنا فاذا بنا نرى على الطاولة ورقة بيضاء عليها طبعة يد حمراء متسعة

وكانت جثة البارون على الارض وقدجمع الساعدان على الصدر بهيئة العلامة المشومة اي . . . ✕ . . . فدنونا من القتيل فرأينا ان احدى يديه مقطوعة مفقودة . .

الفصل الثالث والثلاثون

« رجوع مارتين نوما »

افقت في اليوم الثاني بعد ان نمت اربع ساعات رأيت في خلالها

احلاماً مزعجة مخيفة . . . وتساءلت أحقيقة ما جرى وشاهدته ام وساوس واوهام واستغربت وجودي في سريري لاني ما كنت اتذكر اني عدت الى بيتي ولا اني خلعت ثيابي . . . سرت من بيت الشفاليه باللباس الذي اعطانيه بروسبر في العربة قبل وصولنا الى حيث كان نوما ورجاله ودخلت بيتي وانا في تلك الثياب ولكني لم اجدها في الصباح بل وجدت على كرسي ثوبي الذي كنت البسه قبل ان سرت مع بروسبر . . . وهكذا وجدت قبعتي في محلها المعتاد . . . من اتاني بثيابي . . . بل من الذي جاء معي الى غرفتي ونزع ثيابي ووضعني في سريري . . . لم اذكر شيئاً من ذلك كان ذلك سرًّا مغلقاً لم اقوَ على ادراكه وتركت الاهتمام به الى ما بعد ولبست ثيابي لاذهب الى بيت نوما واسأل عن حالة جرحه وخطر لي اذ ذاك ما أرعبني . . . خطر لي ان الخنجر الذي طعن به نوما ربما كان مسموماً . . . فاذا كان ما اظن فقد قضى نوما نحبه الساعة . . . بعد ان قاسى اشد الآلام

وبينما انا افكر في هول هذا المصاب اذا ببروسبر داخل عليّ فصحت به : بروسبر . . . نوما . . . فاجابني ان الرئيس على احسن ما يكن

— وطعنة الخنجر

— أليمه خطرة

— هل السلاح مسموم

— لا والحمد لله

— نعم الحمد لله . . . يا لحسن حظنا . . . فاني خشيت ان يكون اولئك الاشقياء قد سقوا سلاحهم سماً . . . كما وضعوا السم في تفاحة بيست

ـ قد خطر لنا جميعاً هذا الفكر ولكن الرئيس لا يخفى عليه شيء وقد هدأ بالنا قائلاً لنا انه لم يكن بامكان اولئك الانذال ان يسموا سلاحهم

— اي مانع يمنعهم عن ذلك

ـ انهم يفعلون ذلك متى تأكدوا سلفاً ان لا خطر عليهم في وقت العمل فلا يسمون سلاحهم الا متى قصدوا القتل غدراً ... متى تيقنوا ان من يقصدون قتله لن يمكنه الممانعة والدفاع كأن يكون نائماً او ان يفاجؤوه بحيث لا يمكنه ان يلحق بهم اذى ... ولكنهم يجتنبون تسميم السلاح حينما يرون ان الخصم سيدافع خشية منهم ان يصيبهم جرح من سلاحهم وقت القتال فيعود الشر عليهم ولثقتهم بشجاعة الشفاليه واعتقادهم ان القتال سيكون شديداً بينهم وبينه جاؤوا بسلاح غير مسموم ... هذا ما قاله الرئيس وقد ارسلني اليك لتسكين خاطرك علماً منه انك قلق لاجله ثم هو يوصيك ان لا تذيع في الجريدة خبر ما حصل البارحة ويؤكد لك انه متى آن الآوان ستكون اول من يذكر هذا الخبر

— سمعاً وطاعة ولكني اود زيارة نوما

ـ ليس ما تطلبه بممكن فان الرئيس في مستشفى لا يريد ان يعرف مكانه احد فاذا ذكرته لك وذهبت اليه عرف الاعداء ذلك لانهم يراقبونك اشد المراقبة لعلمهم بصداقتك مع الرئيس وقصده من كتمان الامر ان يرسخ في ذهن اخصامه انه انتصر عليهم بدون ان يمسه سوء

— ولكن غيابه سيطول فيدرك اولئك القوم الحقيقة

ـ نعم ان جرح الرئيس مؤلم ولكن بنيته قوية للغاية مما يحمل الاطباء على الظن انه سيتمكن من الخروج من المستشفى بعد ثلاثة ايام

ـ كيف حال الشفاليه ...

ـ قد جاءني احد رجالنا الذي اقمته بجانبه فاعلمني ان جرحه غير خطر ...

ـ وهل تظن يا بروسبر ان الحادث يبقى مكتوماً

ـ لاشك في ذلك فاننا جميعنا لن نتكلم اما اخصامنا فمن مصلحتهم كتمان الامر والاطباء قوم لنا بهم مزيد الثقة

ـ ولكن وجود القتيل يسبب القيل والقال

ـ قد قال لي الرئيس هذا الكلام : « يقال يا بروسبر ان الاموات لايتكلمون ولكني سأجبر البارون بومباري على الكلام »

ـ ان ما يدّعيه صديقي لفوق قدرة البشر

ـ ان الكلام على انواع مختلفة يا موسيو كورفيل ورئيسي قادر على اجبار الميت على التكلم باحد تلك الانواع وقد ارسله الى معرض الجثث فاذا كان حقيقة هو البارون بومباري قلق اهله لغيابه وفتشوا عنه فيكون ذلك خير واسطة لمعرفة رفاقه وهذه هي طريقة نوما في اجبار الموتى على التكلّم ...

ـ ولكن كيف اختفى رفيق البارون الذي صرعه نوما

ـ ان المذكور موضع تعجب الرئيس فان ما ابداه من الشجاعة والشدة مما يفوق حد التصور فان رئيسي متأكد انه خلع كتفه وكسر ذراعه وانه أغمي عليه ولكن يظهر ان نهش كلب الشفاليه في ذراعه اعاد اليه وعيه فافاق تماماً في وقت المبارزة وصبر حتى قتل البارون وحملنا الشفاليه الى غرفته فنهض الرجل وقطع يد البارون وفرّ ... فيالله ما اثبت جنانه

واقوى ارادته ومن الغرابة انه لم يهرب من الطريق الذي جاء به مع رفيقه وافلت من مراقبتنا بطريقة لم نعلمها بعد ولكن الرئيس يظن انه اختفى في الحديقة ريثما جاءه رفاقه من طريق حدائق البيوت المجاورة ولا تستغرب ذلك فانه لم يكن بامكان رجالنا مع كثرتهم ان يراقبوا الشارع باكمله ورئيسي يعترف بان الرجل نادر المثال في الصبر والشجاعة وان اخصامنا من اشجع الشجعان وامهر ما رأى وسمع . . . نعم قد فزنا عليهم ولكنهم اظهروا في دفاعهم من البسالة والاقدام ما يحملنا على الاعجاب بهم . . . وفاتتنا معرفة السر الذي نبحث عنه ... وكان الاولى بنا ان نحرص على الرجل الذي صرعه نوما ولو فعلنا لعرفنا الحقيقة من فمه ولكنه نجا ولم يبق لنا سوى الجثة

ـ هل السائق الذي قبضت عليه امام باب الحديقة من اعضاء تلك الجمعية

ـ ان الرجل افرنسي الجنس ولا بد من ان يكون بين اولئك الاشقياء قوم مختلفو الجنسية وظني هو ان اخصامنا ليسوا اعضاء جمعية ايطالية سرية كما قال الكونت دي فيلاسربوري بل عصابة اشقياء مختلفي الاصل ... وقد أرسل السائق الى ادارة التحقيق الشخصي ولربما وجدنا تشبيهه فيها فان جميع ظواهره تدل على انه من اصحاب السوابق

ـ ألم تجدوا لسائق سيارة الكونت دي فيلاسربوري تشبيهاً قديماً

ـ كلاّ ولكن الرئيس اخذ نسخة من التشبيه الجديد من مدير التحقيق الشخصي وحفظها عنده ...

وبعد مضي اربعة ايام جاء نوما في منتصف النهار الى بيته في شارع ليبك مصحوباً بعربة نقل عليها صندوق سفر وعدة رُزم ... وكانت

جرائد الصباح قد اذاعت خبر القاء القبض على قاتلي العجوز في سان وان بينما كانوا عازمين على الخروج من فرنسا وذكرت الجرائد اسم نوما بالاطراء وما ذاك الا لان المخبرين رأوه في مساء الحادثة يبذل مزيد الاهتمام في التحري والاستنطاق فظنوا انه هو الذي تتبع اثر القتلة ... وفاتهم ان نوما ترك في نفس اليوم الذي قتلت فيه العجوز كل ما لديه من الحوادث للاهتمام باعداء الشفاليه فقط وانه لم يخرج من باريس بل لزم المستشفى اربعة أيام ... وهكذا ظن جميع من رأوه عائداً ومعه صناديقه ورزمه انه كان متغيباً في اقاصي فرنسا للقبض على قاتلي عجوز سان وان ...

وكان بروسبر قد جاء واعلمني بحضور نوما الى بيته فسرت اليه وهنأته بشفائه ومدحت ما ابداه من الشجاعه ليلة حادث بيت الشفاليه واطلعته ضاحكاً على ما ذكرته جرائد الصباح من سفره لألقاء القبض على بعض القتلة فاجابني : ليس بالامكان اقناع اخصامي اني كنت بعيداً عن باريس وانه لا يد لي فيما جرى عند الشفاليه

— بل ان ذلك قريب التصديق

— كلاً فان الرجل الذي كسرت ذراعه قد عرفني حينما وقع نور مصباحه على وجهي ولفظ اسمي مذعوراً فلا بد ان يكون قد ذكر لعصبته ذلك وانه قد جرحني بعد قتال شديد جرى بيننا

— صدقت يا نوما

— ولكنني غير مستاء مما اقوله لك لاني اريد ان يعلم اولئك القوم اني انا الذي باغتهم وعطلت احد رفاقهم وان الشفاليه لم يقوَ على قتل خصمه الا بمساعدتي انا ليعلموا اني لهم بالمرصاد وانه قد حان وقتهم ... غير انه اذا

لم يمكني ان اخفي عليهم وجودي في بيت الشفاليه فاني سأدهشهم متى علموا اني عائدٌ اليوم من سفرة بعيدة

ـ يكفي انهم في رأوك بيت الشفاليه وهم يظنونك في سان وان

ـ نعم ولكني اقصد افهامهم ايضاً ان مراقبتهم ليست شديدة فعّالة واني اغيب عن انظار جواسيسهم متى شئت ثم اني اريد ايهامهم اني لم أُجرح

ـ وكيف يتسنى لك اقناعهم بذلك والرجل الذي طعنك بخنجره اعلمهم به

ـ اني يوم جرحني المركيز بريو في منزله رأوا أثر الدم في الغرفة التي اختبأت فيها وطبعة يدي على سرير المركيز ولكن جاسوسهم التقى بي في المساء في القهوة التي اجتمعت واياك فيها ورآني الاعبك بالنرد ونقل اليهم ذلك فزال اعتقادهم باني انا الذي كنت في بيت المركيز ... اذ من سال دمه كما سال دمي يومئذٍ لايقوى على السهر ومتى علموا اليوم اني عائد من سفر بعيد كذبوا قول رجلهم الذي كسرت ذراعه

ـ ان القوم الآن في حيرة عظيمة انّى ذهبوا رأوا نوما فكأنه موجود في كل مكان . يقول احدهم جرحت نوما وبعد قليل يتأكدون عكس ما قيل ...

فضحك نوما وقال : ان سروري عظيم برؤيتك يا عزيزي كورفيل

ـ لست اقل منك سروراً يا عزيزي نوما

ـ لقد بكتني ضميري على اخذك معي في ليلة حادثة الشفاليه فاني سقتك الى موقف الخطر بدون تروٍّ

ـ دع هذه الافكار فاني شاكر لك اصطحابك اياي وارجوك ان لا تنساني كلما عرض لك امر خطير فاني لا اخشى شيئاً متى كنت بجانبك

ـ اذاً دعني امدحك على ما اظهرته من الشجاعة وثبات الجأش . . . اني لم اضع الوقت الثمين الذي قضيته في المستشفى

ـ ليس من غرابة في ذلك بل عكسه يدهشني

واشار نوما الى بروسبر قائلاً : أعطني ورقة تشبيه سائق سيارة الكونت دي فيلاسربوري . فذهب بروسبر الى مكتب رئيسه لاحضار ما طلبه منه فقال نوما : لما قبضنا على ذلك السائق طلبت من ادارة التحقيق الشخصي اخذ تشبيهه لعلنا نحتاج اليه يوماً ما وسترى اني لم اخطىء في فكري . . . وقد اخذت تشبيه خصم السفاليه ايضاً . . .

ـ هل تظن يا نوما . . .

ـ انا لا اظن ولا افترض شيئاً وانت ادرى بعدم وثوقي بالظواهر فاني احب من كل امر صريحه وما يطابق المعقول ولهذا طلبت من رئيس التحقيق ان يشبه القتيل المجهول . . .

ـ كيف تقول انه مجهول

ـ لانه كذلك

ـ الا تذكر انه ذكر اسمه للشفاليه قبل ان ابتدأ في البراز

ـ نعم . . . وانت تعلم قوة حافظتي . . . قد ذكر الرجل اسماً ولقباً . قال انه البارون بومباري فمن يضمن لنا صحة ما قاله . . . من يمكنه ان يفيدنا هل يوجد حقيقة رجل اسمه البارون بومباري واذا وجد من يثبت ان القتيل هو البارون بومباري

ـ انت مبالغ في ظنونك

ـ كلا يا كورفيل ... ان الرجل شرير قاتل ادعى انه البارون بومباري وقد كان بامكانه ان يقول انه الكونت دي فيلاسربوري او غير ذلك فهل قوله كافٍ لتصديقه .

ـ قد صدّقه الشفاليه فونتيس

ـ عفواً ان الشفاليه لما سمع ذلك الاسم ذكر ان صاحبه صديق لألفيرا فوكامور ولكنه لم يقل انه يعرف البارون اذ لو عرفه لما سأله عن اسمه

ـ صدقت

ـ وعليه فانا لا اصدق ان الرجل هو بومباري وانه بارون الا بالادلة والحجج القاطعة

ـ ما الذي ترتئيه اذاً

ـ لا تنسَ يا عزيزي ان كل ما حدث لنا سرّ غامض واننا لا نعرف ممن لهم علاقة به سوى شريفين حقيقة ...

ـ الشفاليه فونتيس والكونت دي فيلاسربوري

ـ نعم هما فقط . اما البارون بومباري والامير رومالينو ومن على شاكلتهما فليس لنا معرفة حقيقية بهم . اننا لا نعلم عنهم سوى ما يعلمه باقي الناس اي ما اشاعوه عن انفسهم امام اولئك الناس ليس الا ... والجميع يعتقدن انهم من الاشراف اما انا فلا اعدّهم الا لصوصاً ... فهل لك انت ان تقول لي من هم هؤلاء القوم ومن هي الفيرا فوكامور

ـ ليس الجميع كما تقول يا نوما فان بينهم رجل هو شريف الطرفين ...

المركيز بريغودي سنتوشي

ــ ما احسن هذه النكتة يا كورفيل وهي حقيقية اذا صح ان المركيز اثنان وهذا من اهم الاسرار التي يجب علينا اماطة النقاب عنها

وعاد بروسبر يحمل اوراق رئيسه فاخذها نوما وسألني : لما طرد الكونت سائق سيارته الى من ذهب هذا وطلب استخداماً

ــ ذهب الى الشفاليه فونتيس

ــ هل ادركت سر هذا الشرك . ان الاشقياء لما يئسوا من قتل الكونت حاولوا الايقاع بصديقه الشفاليه فارسلوا اليه السائق لينخرط في سلك خدمه ... ارسلوا ذلك الشقي الذي اهتم ساعة اجتماعنا بالكونت في اصلاح خلل السيارة ... اصلاح لم تظهر لنا ضرورته ...

وقلب نوما الاوراق وانتقى بينها اثنتين واخذ يقابل بينهما بامعان ثم صاح : لقد صدق ظني

ــ ماذا ... ماذا ...

ــ ان التشبيهين متساويان

ــ يا للفظاعة

ــ ان سائق سيارة الكونت دي فيلاسربوري هو نفس الرجل الذي قتله فونتيس ... البارون بومباري وسائق السيارة شخص واحد ...

الفصل الثالث والثلاثون

« استقبال زائرة »

وصمت نوما قليلاً ثم تابع الحديث فقال : اما وقد تأكدنا ان

البارون الدعيّ ليس سوى سائق الكونت فعلينا اذاً بمتابعة نفس الخطة التي سلكناها في بحثنا إذ ان الاعداء وان اختلفوا في الاسماء والألقاب والوصف ليسوا سوى اعضاء عصابة واحدة تسعى الى أمر مريب قد ابتدأت ان تجلي لي حقيقته ... ان ما يقصدونه واضح ... يريدون اجبار الكونت دي فيلاسر بوري والمرجلينا على السكوت وينوون نفس الأمر مع الشفاليه فونتيس و بيستّ ولكن ما هو الشيء الذي يسمون الى كتمانه بهذا الالحاح وهذه الطرق الفظيعة ...

و بعد ان اطرق نوما قليلاً سألني اين اقضي بقية نهاري ولما اعلمته انه ليس عندي ما يشغلني سألني ان اذهب معه لزيارة الشفاليه فونتيس فاستغربت هذا الأمر وظهرت عليّ الدهشة فقال لي صديقي ان ليس في الامر ما يدهش فانه من واجب اللياقة ان نذهب للسؤال عن صحة الشفاليه فاجبته ان عملنا هذا يفضح السرّ الذي تريد كتمانه

— كلاَّ يا عزيزي ان ما حدث في بيت الشفاليه سيبقى أمراً مجهولاً لدى العموم ولكننا واخصامنا عالمون بهِ وعليه فانا اقصد ان يروني زائراً لفونتيس على أثر رجوعي من السفر الموهوم لديهم ... وعدم زيارتي له اخلال بالواجب يدعو الى استغرابهم

— صدقت

وبقيت في بيت نوما حيث تناولنا الغداء مع بروسبر ولما نهضنا عن المائدة استأذن الشاب رئيسه في الانصراف قائلاً اني ذاهب لاعداد اللازم فلا تهتم بشيء ما ايها الرئيس

و بقيت مع نوما اتمتع بلطف حديثه وفكاهة روايته فانه كان واسع

الاطلاع لذيذ الحديث ... ولما عدنا الى الكلام عن الشفاليه اكد لي نوما ان الراحة التي ذاقها في مدة الاربعة الايام التي قضاها في المستشفى قد جددت قواه واحدثت فيه نشاطاً يفوق ما كان عليه قبل الجرح واستعداداً لمنازلة اخصامه بشدة لم يعهدوها فيه. ثم ذكر لي اننا ان نكون عرضة لاقل خطر في بيت الشفاليه اليوم بل بعكس ذلك ستؤنسنا فيه سيدة جميلة اذا شئنا ... ووقف نوما عند هذا الحد من الكلام ونزلنا فمشينا في شارع لبيك ونوما مستند الى ذراعي لاخفاء ما به من العرج الخفيف والتقينا بعربة تسير الهوينا فاشار نوما الى السائق بالوقوف وركبنا واذا بالسائق ينظر اليَّ مشيراً بطرفه اشارة خفية فعرفته انه بروسبر نفسه وسارت بنا العربة مجتازة شارع لبيك فشارع بلانش وهناك قال لي نوما: انظر يا كورفيل من الثقب الذي في مؤخر العربة هل الرجل الاسمر مستمر على ترصدنا

فنظرت ورأيت وراءنا عربة تتبعنا وقد اطل من احد ابوابها الجاسوس الاسمر الذي كان يتبع نوما اينما سار ورأيت في الباب الثاني الرجل الاشقر الذي ناب بعض المرات عن الاسمر في مراقبتنا فاطلعت نوما على ذلك فضحك قائلاً: ان اخصامي ضاعفوا المراقبة ويسرني تقصيهم لنا الآن لاني اريد ان يرونا داخلين بيت الشفاليه فونتيس

ولما وصلنا الى بيت الشفاليه قفز نوما عمداً الى الرصيف ودفع للسائق اجرته ... ثم قرع الجرس الذي على باب الحديقة ودخلنا واختبأنا وراء غيضة فرأينا العربة التي فيها الجاسوسان قد وقفت امام البيت القائم تجاه منزل الشفاليه اي البيت الذي سبق واخبرني نوما ان اخصامه قد اقاموا

فيه بعض رجالهم ونزل الرجلان ودخلا البيت المذكور وبعد قليل نظرنا ستار احدى النوافذ يتحرك وظهر من وراء الزجاج وجوه تنظر الى بيت الشفاليه فقال نوما : ان القوم مثابرون على مراقبة بيت فونتيس ... وزيارتنا له اليوم قد اقلقتهم كما يظهر لنا من اهتمامهم بالتطلع من وراء زجاج النافذة ولكن لندعهم وشأنهم .....

وجاء الخادم فادخلنا غرفة المكتبة حيث وافانا الشفاليه وذراعه اليسرى مشدودة الى عنقه فتقدم الى نوما وضمه الى صدره بلهفة فقابله نوما بالمثل وقال فونتيس : يا صديقي العزيز اما وقد اظهرت لك الآن ما يكنه فؤادي لك من الوداد فدعني اشكرك على صنيعك واقدم لك اعتذاري عن الاهانة التي لحقت بك من كلامي يوم جرى ما جرى في بيتي وارجو ان تنسى ما ما فرط مني . . . اني معتذر لك باخلاص فاقبل العذر بالمثل

فقبض نوما على يد الشفاليه وقال بصوت متهدج من شدة التأثر : انا لا اذكر انك اهنتني . . . ولم يكن بامكانك ان تهينني لان ما فعلته ما كان ليلحق بك الاهانة وانت كنت واثقاً اني ما تداخلت في شؤونك الا قياماً بواجب وظيفتي ... وعليه فانت لم تهني

— انا مديون لك بحياتي يا عزيزي نوما ... لاني غُررت بقوتي وشجاعتي وشدة تيقظي ولكن كل ذلك ما كان ليفيدني لاتقاء غدر اعدائي ولولاك لما تغلبت عليهم ... ولولاك لكنت اليوم في الاموات ... ولنجلس الآن وندخن فاني أؤمل ان خيالات الثلج او بالاحرى خيالات الجحيم لن تأتي بيتي فيما بعد فاجاب نوما : ربما امتنع من ذكرت عن زيارة بيتك ولكن ابليس سيأتيك زائراً

فنظر الشفاليه اليه مستفهماً وتشاغل نوما بلفافته فلم يجب على سؤاله بل قال : ان اخبارك كانت تصل اليّ كل يوم مدة غيابي والحمد لله قد خرجنا من ذلك القتال سليمين اما اخصامنا فاحدهم قد كسرت ذراعه والثاني قد مات وبهذه المناسبة اخبرك ان البارون بومباري ليس سوى سائق سيارة الكونت دي فيلاسربوري

فصاح فونتيس :يا للهول ...

— نعم ان من ادعى انه بارون قد جاءك يطلب الدخول في خدمتك بعد ان طرده صديقك الكونت فلما جاء فحص بيتك ومركز الغرف منه ليسهل عليه الدخول والوصول اليك واغتيالك بينما انت نائم اما الآن وقد قضي عليه فلا بد لنا من البحث هل يوجد حقيقة رجل اسمه بومباري اوَليس يوجد بارونان بهذا الاسم كما انه يوجد مركيزان باسم واحد ... فارجو منك مساعدتنا في التحري والبحث

— مرني بما شئت يا نوما فقد آن وقت الانتقام

— عليك ايها الشفاليه بالاهتمام لا بالانتقام بل بحماية من هم غافلون عما يتهددهم من اولئك الاشقياء الذين سيقاتلونهم بالحيلة والخيانة لا كما قاتلونا نحن

— ومن هم المهدّدون

— الصديق بيستّ اولاً ثم لامارجلينا وهناك ايضاً فتاة غضة الصبى ربما ارداها القتلة واعني بها الآنسة حنة كاستنيه ... اما بيست فبعيد عن باريس في مأمنٍ من غدر اعدائه وحنة لا يتهددها خطر عاجل ولكن لامرجلينا حزينة وربما قضت نحبها ... فاصغ اليّ لاوضح لك الامر : بعد

ان طعنت المغنية تلك الطعنة التي كادت تودي بحياتها حملناها الى المستشفى واعتنى بها الاطباء جهدهم فدخلت منذ ايام في دور النقه ولكن الضعف عاودها فجأة وبدون مسبب مما حيّر الاطباء ... وكنت قد اقمت بجانبها ممرضين من رجالي كالذين يلازمون صديقك الكونت دي فيلاسربوري فاخبروني ان كثيراً من الممثلين والمغنين زاروا الجريحة في اول دخولها المستشفى وجاؤا اليها بالازهار وانواع الحلوى والكتب وتحسنت حالتها تحسناً بيّناً مُرضياً وقرر الاطباء ان كل خطر على حياتها قد زال ... ولكن في المدة الاخيرة زارها المغني الذي سمعناه عند الامير روماليتو اعني به الموسيو بالستريني فحادثها طويلاً في امور مختلفة وتودد اليها ثم انصرف فلما جاء المساء اصاب المغنية حمى شديدة وهذيان فقلبت على سريرها ووقع من تحت وسادتها كارت بوستال مصوّرة رآها الممرض واتاني بها وها هي ...

واخذ نوما الكارت من جيبه ودفعها الى الشفاليه فنظر اليها وارتعد ولم يكن في الكارت سوى صورة صبي في الثالثة او الرابعة من عمره تقريباً يلاعب كلباً من الورق المقوى ولكن ختم البوسطة الذي على الكارت كان بهيئة صليب منحرف وعلى جنبه نقطتين هكذا ٠X٠ فنظرت الى الكارت ولم ادرك ما المقصود منها وكان الشفاليه في نفس الحيرة فقال نوما : الم تفهما مغزى ما في الصورة ... ها اني اطلعكما عليه ... ان لامارجلينا احبت احد اشراف بلدها ولست اعرف اسم الشريف بل ليس بامكاني ان أذكره وحملت الفتاة من عشيقها ووضعت هذا الصبي الذي تريان صورته على الكارت ولما وضعت تركها من اغواها فاضطرت الى تسليم ولدها الاحد اقاربها

السؤال التاسع

هل تتمكن لامارجلينا المغنية
من اذاعة السر ؟

وان تسافر للارتزاق من مهنتها ولم يكن لها ساوى الا بالذهاب الى ايطاليا مدة شهر في كل سنة لرؤية ولدها وجاءت باريس بمعاهدة مع احد مديري الاجواق ولم يمضِ على وجودها فيها وقت طويل فحل بها ما تعلمان . . . فمما تقدم أستنتج ان المرجلينا مطّلعة على السر المائل . . . وغني عن البيان أن ما حدث لها لم يقصد منه سوى اخفاء ذلك السر بقتلها ولكن لما رأى الاشقياء انهم لم يفلحوا ارسلوا اليها صورة ولدها يقصدون بذلك اشعارها انها اذا باحت بالسر قتلوا الولد

فانتصب الشفاليه ولطم الطاولة بيده صائحاً : يا لهم من انذال . . . يقتلون النساء ويتهددون الاطفال . . . صدقت يا نوما ان اولئك القوم ليسوا اسوداً ولا ذئاباً فاهم الاّ افاعي ومن الواجب سحقهم . . .

ـ نعم ايها الشفاليه . . . وهذا ما اعلمه قد اطلعتك عليه ولكن لا بدّ لي من معرفة شيء آخر وساعرفه بواسطة هذا الطفل الصغير

ـ وكيف ذلك

ـ بطريقة بسيطة معقولة لا تقبل الغلط

ـ هل لك ان تطلعنا عليها

ـ متى تم شفاؤك ايها الشفاليه نذهب معاً الى صقلية ونأخذ الطفل فنضعه في مأمن من الاعداء ثم نبحث عن والده . . . عن الرجل الذي احبته لامارجلينا . . . فمتى عرفناه ربما عرفنا ايضاً ما هو سبب الايقاع بالام وتهديدها بقتل الولد

ـ سأذهب معك متى شئت فان لي في صقلية اصدقاء مخلصين وليس جميع السكان كمن عرفت من الصقليين بل اكثرهم ذوو مروءة وكرم

وسيساعدوننا على الانتقام من هؤلاء الاشقياء ...

ثم سمعنا قرع جرس الباب فقال نوما للشفاليه بعجلة : استقبلها .. واصغَ الى حديثها ...

فسأله الشفاليه من تعني

— المرأة القادمة لزيارتك

— وكيف عرفت ان الزائر هو امرأة

— انا اعرف ذلك لا بل اعرف اسمها ...

— ومن هي

— هي ألفيرا فوكامور

— ألفيرا فوكامور ... اذاً ساطردها من بيتي بضرب العصا كما يفعل بالكلاب الكلبة

— بربك لاتفعل بل احسن استقبالها وابدِ لها كل لطف ومؤانسة ... استقبلها مظهراً انك ذاكر ما لمّحَتْ اليه من حبها لك يوم التقيتما في الغرفة التي فيها الكونت دي فيلاسربوري في مستشفى سان جرمن ... تظاهر بان ذلك الكلام قد علق بذهنك ... حادثها كما يستحق من كان بمكرها وخداعها . . . استقبلها كما يجب ان تستقبل من هي مثلها اي بالتظاهر بعكس ما في ضميرك

— وهل يمكنني الصبر على ما تطلبه مني يا نوما

— ذلك واجب عليك لازم لنجاح مسعانا . . . فلا تتردد . . . ادخلها ردهة الاستقبال وانا اختبيء مع كورفيل وراء الستائر لنراها ونسمع ما جاءت به بربك اعمل ما اقوله لك

— صبراً جميلا . . . ادخلا اذاً الغرفة المحاذية للمكتبة فان لها باباً يدخل منه الى الردهة وعليه ستار يخفيكما عن نظرها . . .

ولم يتم الشفاليه كلامه حتى دخل خادمه الشيخ بيترو وكان اصفر الوجه يرتعد وقال لسيده : يا رافائيل . . . اتعلم من بالباب

فتجلد الشفاليه واجاب : نعم اعلم

فنظر بيترو اليه بدهشة واعاد سؤاله : هل تعلم من بالباب . . .

— نعم

— اتعلم ان هناك امرأة . . .

— نعم وأعلم من هيَ

فتحول نظر بيترو من الدهشة الى الذهول وقال الشفاليه : أليست الزائرة هي الفيرا فوكامور

— نعم هي . . . هيَ . . .

— استقبلها اذاً . . . وادخلها الردهة

فخيل لبيترو انه لم يفهم ما يقوله سيده لغرابته ولبث واقفاً لا يتحرك فقال سيده : لا تدع سيدة تنتظر على باب فونتيس . . . اذهب يا بيترو ولتدخل الفيرا فوكامور الردهة

فسار بيترو يتمايل كأنه اصيب بضربة شديدة على ام رأسه فافقدته قواه ورأيناه ماشياً في الحديقة يكلم نفسه ويبسط ذراعيه من غير وعي وسمعه نوما يقول : مسكين انت يا سيدي رافائيل . . . هذه المرأة في بيتك . . . ليس دخولها سوى مصاب جديد يتهددك

وقال لنا فونتيس متأثراً : ان بيترو بمقام الوالد لي وقد رآني عرضة

للآلام في حياتي كلها وهو دائم الخوف من طرؤ مصاب جديد عليّ ولا غرابة فيما ظهر منه فانه يحبني كولده

ودخلنا الغرفة المحاذية للمكتبة فجلس نوما على كرسي ووقفت وراء ستار الباب فقال لنا الشفاليه سأجلس والمرأة بحيث تتمكنان من رؤيتنا ثم ضغط على الازرار الكهربائية فانبلج النور في الردهة . . . وجاء بيترو معلناً دخول السيدة الفيرا فوكامور

الفصل الخامس والثلاثون

« الماضي المحزن »

دخلت الفيرا الجميلة ببطء وتمهل ونظرت الى اطراف الردهة كأنما هي توجس خيفة من ان يكون هنالك ما يتهددها وكانت نظراتها اشبه بنظرات النمر حينما يزحف متأنياً ليباغت فريسته ولما رأت المرأة ان ليس هنالك ما يدل على خطرٍ ما وجهت نظرها الى الشفاليه وكان هذا واقفاً بالقرب من الستار الذي كنا وراءه فتقدم اليها وانحنى امامها بسكون ورصانة فائقة ثم اشار الى كرسي جميل بدون ان ينبس ببنت شفة فجلست الفيرا على الكرسي الذي اشار اليه الشفاليه وجلس هو على آخر ولبث ينتظر ان تفتتح الزائرة الحديث . . . وكانت اشد انفعالاً مما كانت تتظاهر به فقالت بصوت مرتجف : عفواً يا حضرة الشفاليه عن ازعاجي اياك اليوم

فاجابها فونتيس : ان سيدة تأتي بيتي زائرة لن تزعجني . . . ولا حاجة بها الى الاعتذار لان زيارتها تسرّني

— شكراً لك . . . ان حسن مقابلتك لي يشجعني على اتمام المهمة

التي جئت بها اليك

ـ ان كل مهمة انت الواسطة فيها مقبولة عندي .

ـ انا قادمة اليك من قبل الكونت دي فيلاسر بوري

ـ العزيز انجليو

ـ نعم وهو مغموم لعدم زيارتك اياه منذ بضعة ايام

ـ لم يكن بامكاني الذهاب اليه

ـ لم تكن زياراتك تسليه فقط بل كانت ايضاً خير مساعد على تعجيل شفاءه

ـ لو ثبت لديّ ان رؤيتي تقدمه الى الشفاء لما فارقت ذلك الصديق الحميم بل الاخ العزيز

ـ قد وصل الى انجليو كتاب منك تخبره فيه انه قد حدث لك حادث ...

فاشار الشفاليه الى ذراعه قائلاً : ترين ايتها السيدة اني صادق في ما قلته

ولما تعذر عليّ الخروج من بيتي كنت ارسل في كل يوم من يستعلم عن حالة الكونت صديقي ويريح بالي عليه

ـ انه شاكر لك ولكنه قلق جداً لانك لم تذكر له ما الذي اصابك ولهذا كلفني المجيء اليك والاستفهام منك عن تفصيل ما توقع لك

ـ ان ما حدث لي غريب مضحك الى حدّ اني تحاشيت ذكره لانجليو

ـ ولكنك ذكرت له انك مجروح في ذراعك

ـ نعم في ذراعي اليسرى وهذا من جملة حوادث الطالع المنكود

ولكن الامر ليس بذي بال فاريحي بال صديقي

ـ انه سيلح عليَّ بالسؤال

ـ قولي له انك رأيتني متمتع بصحة جيدة . . . وان جرحي قارب الشفاء

ـ ولكن كيف جرحت

ـ قلت لك ان السبب بسيط مضحك . . . وخزة بسيطة

ـ من سيفٍ . . .

فانحنى الشفاليه امام الفيرا قائلاً : انتِ مطلعة على كل شيء . . .

فعضت السيدة شفتها وادركت انها تسرعت في الكلام ولكن نوما كان قد اوصى الشفاليه الاّ يتظاهر بمعرفته ان لالفيرا يداً فيما جرى فاردف فونتيس كلامه بقوله : انك ذكية الفؤاد تدركين الغيب فلا ينطق محدثك بكلمة حتى يسبق فكرك النير الى فهم ما يقصد قوله لك . . . فقد قلت لك اني اصبت بوخزة في ذراعي فادركتِ لشدة توقد خاطرك ان الوخزة هي طعنة سيفٍ فانا اهنئك على هذا الذكاء النادر المثال

فكان ما قاله الشفاليه في آخر حديثه داعياً لاطمئنان محدثته فقالت : لا فضل لي يا سيدي الشفاليه في ادراك ما ذكرت وقد كان بامكان من هو اقل ذكاءً مما نسبته اليَّ ان يفهم بديهاً سبب جرحك

ـ وكيف ذلك ياسيدتي

ـ اني اعلم انك تتعاطى لعب السيف وان لك في هذا الفن براعة فائقة وشهرة عمومية فاذا قال احد المولعين بلعب السيف انه قد اصيب بوخزة تبادر للحال الى الذهن ان الوخزة هي طعنة سيف

ـ صدقتِ . . .

- انما انجليو سيطلب مني ان اشرح له كيف جُرحت

- كنت ألعب بسيوفي فاصابني احدها

- ان ما فعلته كان مجازفة

- نعم اذ لا يجوز لاحدنا الوثوق الا بالسيف الذي في يده . . . ولا أمان له من الذي في يد غيره فلا يؤمن شرّ سيفٍ الاّ اذا كان ممسكاً من قبضته . فاني اخذت سيوفاً من مجموعة الاسلحة التي عندي ولا يخفى عليك ان للسيوف نفس ابية حساسة كالنساء فان احدها ساءه انزالي اياه من مكانه السامي الذي كان فيه ووضعه في مكان آخر فاظهر لي حقده . . . ظن ذلك السيف اني احتقره فعدّ ذلك خيانة مني وبعد ان كان سلاح الاشراف اصبح سلاح الخوَنة وانتقم مني غدراً . . . دفعه حنقه الى الخروج من المعتاد فبعد ان كان سلاح القتال الحرّ الصريح تبدّل سريعاً فصار سلاح القتل والغدر نخرق ذراعي . . . هذه هي حكاية جرحي يا سيدتي . . . وهي مضحكة كما ترين . . .

قال الشفاليه ما تقدم بين مازح ومجدّ وقال الحقيقة بدون ان يفضح الامر . . . واجاب الفيرا على سؤالها واطلعها على ما جرى له اي على ما كانت تعلمه . . . فكان كلامه مبهماً والمعنى جلياً .

عرفت عصابة الاشقياء كل ما حدث في بيت فونتيس فان الرجل الذي صرعه نوما حمل اليهم يد قتيل الشفاليه وقص عليهم الواقعة فذعروا وزاد ارتباكهم لوجود جثة صاحبهم تحت تصرف مارتين نوما وودّوا الوقوف على ما آلت اليه تلك الجثة فاخذوا يراقبون منزل فونتيس مدة اربعة ايام فعرفوا ان الجثة خرجت منهُ وظنوا انها دفنت في حديقة البيت

ولكنهم عدلوا عن هذا الفكر اذ انه لو جرى ذلك لسمعوا حفر الارض فرتأى بعضهم ان الشفاليه رمى الجثة في احد الاقبية فسخه رفاقه برأيه لعلمهم ان من كان كنوما لا يرضى بذلك لما فيه من مخالفة النظام والتعرض لما لا تحمد عقباه . . . وبلغ الرعب حده من قلوب القوم وكان لا بد لهم من الوقوف على ما جرى للجثة فيطبقوا اعمالهم على مقتضيات الحال ... وتحاشوا عمداً اعلان ادارة البوليس ان فلاناً قد فقد وعزموا ان لا يقدموا على هذا الامر الا بعد ان تنفد جميع حيلهم ولم يكن من مصلحتهم ان يذهب احدهم ويسأل الشفاليه اونوما عن القتيل فكلفوا بذلك الفيرافوكامور مع معرفتهم كره فرنتيس لها غير انهم فعلوا ذلك لعلمهم ما هو منطوٍ عليه من كرم الاخلاق وكمال الآداب وانه محافظ على تقاليد اجداده الصقليين النبلاء : منها ان الضيف من عند الله . وان شخصه مقدس في عين مضيفه . واذا دخل العدو بيت عدوه اصبح في ملجإٍ امين وان على كل شريف اذا دخل عدوه بيته ملتجأً ان يكرم مثواه ويقوم بجميع طلباته . ومتى مس العدو باب بيتك بيده افتح له ذلك الباب واكرمه كاعز اصدقائك . فاعتماداً على رسوخ هذه المبادي في قلب الشفاليه ارسلوا الفيرافوكامور الى بيته لانه لو لقيته في غير منزله لرفض محادثتها بتاتاً ولكنها متى مست بيدها باب بيته اصبحت في عينيه وبموجب تقاليده ضيفاً يجب ان يفتح له المنزل ولم ترضَ الفيرا بالذهاب الى فونتيس مباشرة من نفسها بل اخذت تحدث عشيقها الكونت دي فيلاسربوري عن صديقه الشفاليه وتحتال عليه في الحديث مبالغة خوفها من ان يكون جرح الشفاليه ذا بال حتى اضطرب الكونت وسألها ان تذهب اليه من قبله للسؤال عن

حالته . جرى ذلك بحضور الممرض الذي اتاه نوما بالقرب من الكونت فاسرع الى إبلاغ رئيسه بموعد ذهاب الفيرا الى منزل الشفاليه فجاء نوما كما مرّ بنا واختبأ وسمع حديثها مع فونتيس فلم يقل الشفاليه الاّ ما عنّ له وما هو موافقاً لمصلحته متبعاً بذلك رأي نوما . ولما انتهى من حكاية جرحه قال باسماً

– متى عدتِ الى صديقي انجليو اخبريهِ ان جرحي قريب الشفاء واني ساذهب غداً لعيادتهِ ... انا اعرف كثيرًا من الناس الذين يفتخرون اذا جُرحوا في المبارزة . . . لان ذلك يُعلي شأنهم في اعين الجميلات من السيدات . . .

فانتفضت مدام فوكامور عند سماعها الجملة الاخيرة ونظرت بامعان الى الشفاليه فاذا بهِ يضحك فاحسَّت انه يسخر منها . . . ادركت انه جرى معها في الحديث على ما كانت تشتهيهِ ففلبها بنفس السلاح الذي جاءت مسلحة به ولكن فونتيس اراد الوقوف عند هذا الحدّ من الايضاح بانه عالم بسبب مجيئها وانه يخاتلها في حديثه فصمت قليلاً ثم قال بصوت حزين: ان طعنة سيف تساوي حب جميلة كما ان بعض الجميلات يساوين التعرض لطعنةٍ غراماً بهنّ . . . ولكن من كان مثلي لا يمكنهُ استعمال سيف ولا مداعبة جميلة

فانحنت الفيرا الى الامام ونظرت الى الشفاليه بغرام وقالت : لماذا ...

ولم يجب فونتيس للحال كانما هو يزن لفظه قبل الكلام والحقيقة انهُ يتكلف التأني والتروّي فيما يفعله لحمل محدثته على الاباحة بما في ضميرها وقال متلطفاً : آه ما هذا السؤال الذي تسألينه يا سيدتي . وادهش السؤال

الفيرا ولربما انها احست بمكر فونتيس فلم تجب قاصدة بذلك ان يتكلم الشفاليه لعلها تفهم ما يقصده من خلال حديثه فعاد الى سؤالها قائلاً بتودّدٍ: ارجو منكِ يا سيدتي ان تفسري لي ما المقصود من قولك « لماذا » فباي جواب وعلى اي موضوع اجيب على هذه الكلمة

فاثرت لهجة فونتيس الحنونة بالفيرا وهزتها عاطفة قديمة كانت لم تزل باقية في قلبها فاجابت :

ـ قلت لي ايها الشفاليه انه لم يعد بامكانك استعمال سيف ولامداعبة جميلة فسألتك لمَ ذلك . فحنى الشفاليه رأسه وقال كمن يناجي نفسه : لماذا لا جميلة ولا سيف ؟ . . .

ـ نعم . . . لماذا

ـ لان سيفي معلق في مجموعة الاسلحة الى جانب سيوف كانت جميلة بل حيّة في الماضي ولكنها ليست تصلح الآن الاّ للزينة او لتذكار ماضٍ بعيد . . . ولان قلبي المّ به الهجر والنسيان فهو كتلك السيوف لا حياة فيه . . . فلا يمكني ان امسّ شيئاً من الاشياء التي مضى عليها الزمن . . . اردت استعمال السيف ولكنهُ جرحني لطول اهمالي هذا الاستعمال ولهذا فانا احاذر احياء قلبي لئلا يُدمي . . .

ونهض الشفاليه فمشى في الردهة مضطرباً وكانت الفيرا تنظر اليه بعينين لامعتين كانها تريد ان تسحرهُ وكانت جميلة بديعة في تلك الساعة وادركت انا ونوما اي عضدٍ هي لحلفائها واي خطر على اعدائها . . . وعاد الشفاليه فجلس بالقرب منها وقال : دعينا يا سيدتي من هذا الحديث وسامحيني على ما سببتهُ تذكاراتي الماضية من الحزن في حين انه وكان

يجب عليَّ ان لا اهتم الاَّ بما سببه جمالك من الزهو بدخولك هذا البيت الذي لا يأتيهِ الا بعض الاصدقاء من العلماء وارباب الصنائع . . . وكان الاولى بي ان لا انسى واجب الضيافة فأحزنك بحديثي بل ان اطلب منكِ ان تحدثيني عن سعادتك وهنائك . فهزَّت رأسها وقالت بصوت حزين: سعادتي وهنائي . . . آه لو تكلمت عنهـا لكان حديثي اجلب للحزن مما قلته انت

فقال الشفاليه متظاهراً بالدهشة : اسمحي لي يا سيدتي ان اسألك انا ايضاً لماذا

ــ لاني غير قادرة مثلك على ترك سلاحي الذي هو الابتسام ولمعان العينين ولكني لا اقدر ان اصغي الى حديث قلبي واطاوعهُ على مرغوبه لئلا يدمي بغزارة تفوق غزارة دم قلبك . . . فنحن متعادلان بالاحزان والآلام . . . لاسبيل الى الهرب من القدَر ان المركب مهما بلغ من نشاط قبطانه وحذقـه يتحطم اذا هبت زوبعة شديدة وكان قد قدّر له الهلاك فلا ينفع الحذر ولا يجدي النشاط . . . قد داهمتك الزوبعة فاسرعت الى الهرب ولجأت الى ميناء امين ساكن هو ميناء العلوم والصنائع ثم ضربت في عرض البلاد فنزلت على قلبك آيات العزاء وعقبهـا السلوان . . . اما انا فاني امرأة وعليـهِ فانا اقل منك قوة على احتمال العاصفة . . . فكنت كالمركب المكسور لم يمكني الهرب فحملتني الامواج المتـلاطمة ورمت بي . . . لا على صخر لأُحطَّم بل على شاطيءٍ من الرمل الذهبي فاخذت الى حيث انا . . . ولكن ايًّا كنت واي طريق اسلك الآن فاني ذاكرة دائمًا الميناء الذي خرجت منهُ والقبطان الاول الذي قادني في ذلك البحر

الهائج ... اذكر دائماً ذلك النجم الذي كان يهديني في سيري ... يظن الناس اني محاطة بالهناء ... اني سعيدة ... ولا غرابة فيما يظنون فاني محاطة بكل ما تقوم به السعادة في اعين الناس ... والآن اني مضطرة الى موافقة الناس على اعتقادهم مرغمة على التظاهر بالهناء والسعادة ... فيرى الجميع ما عليَّ من الحلى والجواهر وما يحيط بي من اسباب الرفاه ويخفى عليهم ما اذرفهُ من الدموع السخينة ... ان ما قلتهُ لك لم اطلع عليهِ احداً قبلك لانه ما قرأ ولن يقرأ احدٌ ما في قلبي ... مثلما قرأ ويمكنه في كل آن ان يقرأ فيهِ من كنت ادعوهُ رافائيل ...

عند ذكر المرأة هذا الاسم ارتعش الشفاليه وتابعت الفيرا قائلة: انا ابوح بما في ضميري الآن لعلمي انه يجب على رافائيل الشفاليه فونتيس الاصغاء الى كلامي اتباعاً لعادة آل صقلية التي تقضي بسماع كل ما يفوه به الضيف ...

فحنى الشفاليه رأسهُ موافقاً وتابعت

ابوح ايضاً لعلمي انه لن احظى بساعة موافقة كهذه فيما بعد ... لان ألفيرا لن تلتقي برافائيل في خلوة كما هما الآن ... ولانهُ لن يتفق ان يكون رفائيل كما هو الآن مضطر بواجب الضيافة الى الاصغاء كما يفعل الآن الى ما تقولهُ له الفيرا ...

لما التقيت بك في مستشفى سان جرمين فهمت اي مقابلة ستقابلني اذا التقيت بك في غير بيتك ... وكنت في اشدّ الحاجة الى رؤيتك ومحادثتك ... لا اجسر ان احمد الله على ما اصابك لانهُ كان سبباً لمجيئي اليك ... ولكني اؤكد لك اني اسرّ بان يكون الجرح في ذراعك والألم

فيَّ انا اذا كان ذلك يسهل عليَّ الاجتماع بك ... لاني جئت بيتك مدفوعة من قلبي لا لسبب آخر ... لاطمئن ان ما ذكرتهُ في تحريرك صحيح وانك لا تخفي الحقيقة بقولك ان جرحاً طفيفاً يضطرك الى ملازمة بيتك

— قد تأكدتِ الآن يا سيدتي اني لم اقل الاَّ الحقيقة

— نعم لهذا تراني فرحة برؤيتك ... وسماع صوتك ... وأن اعتقد ولو وهمياً اننا كما كنا سابقاً الفيرا ... ورافائيل ...

ونهضت ودنت من الشفاليه ووضعت يدها على كتفه قائلة بصوت عذب : شكراً لك على ما مننت عليَّ بهِ اليوم من السرور والسعادة ... شكراً لك لانك تكرمت واصغيت الى حديثي ... فانا أبتعد الآن وقد زال ما بي من الألم ... لاني اطلعتك على تلك العاطفة التي لم تزل في قلبي دعني اذهب آملة انهُ قد زال ما كان بيننا من البغض الذي سببهُ القدر فقضى على سابق حبنا »

ثم انحنت فوق فونتيس حتى لصق جسمها بهِ وتابعت : انقشعت الغيوم ولم يبقَ سوى صفاء السماء ويخال للقلب ان ساعات الحبّ اصبحت قريبة لانك تعلم الآن ما يكنه فؤادي تعلم اني لم اجسر على زيارتك الاَّ سعياً لنيل عفوك ... وشوقاً الى رؤيتك واملاً ان نعود الى ما كنا عليهِ ...

اني افصح لك القول واقسم لك اني لم احب سواك ... واني مقيمة على ولائك ... رفائيل رفائيل ليس بامكاني ان احب سواك ... »

وقالت آخر جمل حديثها بصوت منخفض كاد يخفى علينا ورأيناها قد قبضت على رأس الشفاليه وقبلته في جبينه ... فانتصب الشفاليه

كأنما لمسته افعى وظهر في عينيهِ من الاحتقار والبغض ما لا يمكن وصفهُ وصاح بغضب : اينها السيدة !

ثم رفع يده مضمومة كأنه ينوي سحق تلك المرأة . . فاطل نوما رأسه من وراء الستار واشار بيده الى فونتيس يفكره بما قاله له قبل دخول مدام فوكامورو ولم ترهُ هي لاشتغالها بما ظهر من الشفاليه ... واختفى نوما

رأى الشفاليه حركة نوما وادرك معناها فردّ يده بعنف وقال : عفواً يا سيدتي ... انك قد سببت لي اعظم ألم كنت اخشاه

فصاحت : رافائيل ...

ـ ليت السيف الذي جرحني اخترق صدري وقتلني ... لان ذلك افضل عندي من ان ينفتح جرح قلبي الحزين ...

فتقدمت اليه ومدّت ذراعيها لتعتنقه وقالت : اذا شئت محوتُ كل ألم فيك . . . فلا يبقى سوى فرح أعظم وأثبت من جرح قلبك المؤلم ... اني احبك يا رافائيل ... احبّك .

فابتعد فونتيس عنها واجابها : دعيني ... ان ذلك ليس بالامكان . . . قضي عليّ ان لا يفارقني ما بي من الالم وان يكون سبباً لموتي

ـ ستعيش اذا اردت الحياة لان من تحبك هي طوع هواك ...

ـ الفيرا ... الفيرا اسكتي لا تزيدي في عذابي ... بربك لا تتكلمي ليس بامكان الفيرا ان تكون لرفائيل ... لانها لانجليو

ـ وما شأن انجليو ... اني لا احبه واهواك يا رافائيل ... وانا لك اذا رضيت

ـ ان انجليو دي فيلاسر بوري صديقي وخير لي ان اموت من

ان اسبب شقاء من احبه كأخ لي ... بحق ماضينا يا الفيرا ارحميني وكفي عن تعذيبي ... اني أتعذب يا الفيرا ... جرحي يؤلمني وقراي اضعف مما ظننت فارفقي بي ... وابتعدي عني

— رحماك يا رافائيل لاتبعدني عنك عارية من الامل ... قل كلمة واحدة حلوة احملها في طيات قلبي كما تحمل الخطيئة الخاتم عربوناً على ما تؤمله من السعادة ... قل فابتعد للحال

— انت عالمة اني شريف... فما دمتِ لصديقي انجايو لا يمكنني ان اقول لك الآن الاّ ما لا استحي من قوله امام صديقي ... اكتفي بهذا . افهمي ما اعنيه ارحميني يا الفيرا ... استودعك الله

ومدّ الشفاليه يده الى محدثته وسار بها الى باب الردهة فحاولت أن تقترب منه وادنت شفتاها طالبة قبلةً من فمه فتظاهر بعدم رؤيتها وأدار وجهه الى ناحية الباب وفتحه وخرج امامها الى الغرفة المحاذية فاذا فيها بيترو الشيخ واقفاً قلقاً مضطرباً فلما رأهما اسرع الى فتح الباب الخارجي فسار فونتيس برفيقته قابضاً على يدها واجتاز الحديقة ووصلا الى امام بابها وهناك كانت عربة الفيرا فساعدها الشفاليه على الصعود اليها ثم انحنى امامها بملء الاحترام قائلاً : استودعك الله يا سيدتي ولم يرفع رأسه الاّ بعد ان سارت العربة فعاد الى منزله ولما وصل الى الباب صاح بخادمه : سرّ وافرح يا بيترو . . . لم يبق اثر من هذه المرأة هنا . . .

ثم دخل الى حيث كنت ونوما فرأينا في يده منديلاً اخذ يمسح به جبينه قائلاً : يا لها من شقية . . . ان قبلتها أثرّت في جبيني تأثير الحديد المحمى فكأنه قد لصق بي بعض ما في تلك المرأة من الخيانة والغدر

وكرر مسح جبينه ثم ألقى منديله في الموقد ونادى بيترو وقال له : احرق هذا المنديل لتطهر النار ما لصق به من الخيانة ولكي لا يبقى في بيتي اثر لهذه المرأة

وقنا الى المكتبة وجلس الشفاليه صامتاً واذا برائحة تزهق النفس قد عبثت بالغرفة فقال فونتيس : ليس ما تشعرون به الا نتيجة حرق الكبريت فان بيترو يفعل الآن بموجب عادة بلادنا اذ يحرق الصقليون الكبريت في بيتهم اذا دخله خائن لتقتل كل جرثومة من الخيانة . . .

الفصل السادس والثلاثون

« لاجل الولد »

وقال نوما : ان هذه المرأة لأدهى ما وقعت عليه عيني فان ما ابدته كان بالغاً حد الاتقان والتأثير ولا حق لي ان ابحث هل كان ما قالته واقعياً ام لا فان ذلك من خصائصك يا عزيزي فونتيس ... وعلاقته بماضيك

فاجاب الشفاليه بصوت كئيب : نعم ... لنجتنب هذا الموضوع فلا نذكره ابداً لان ذكره يؤلمني لما فيه من الدنايا ...

— لا فائدة لنا من ذكره ايها الشفاليه

— انك كلفتني تمثيل دور عظيم الصعوبة يا نوما

— وقد اجدت التمثيل

— فعلت ذلك لمرضاتك ولمصلحة صديقي انجليو فتظاهرت بما ليس في ضميري وكتمت ما بي من عواطف البغض والاشمئزاز ... لم قل

الاَّ ما اوحيتهُ اليَّ ولم اقصد سوى التوصل الى الانتقام

ـ ان مساعدتك لنا عظيمة الفائدة

ـ هذا ما ارجوه ولولا ذلك لما تنازلت لعمل ما فعلتهُ ولما قمت بما هو مخالف لطباعي ومبادئي ولكني راضٍ بما يرضيك يا نوما وسأفعل كل ما تأمرني به لانقذ انجليو وانتقم لهُ

ـ لن اكلفك امراً يخجلك

ـ لاشك عندي في ذلك

ـ ان ما فعلتهُ مع هذه المرأة لايحط من قدرك لانك تحارب اعداءك بنفس السلاح الذي يحاربونك بهِ فانت لست بغادر فضلاً عن ان الضرورة تقضي علينا بسلوك نفس الخطة التي يسلكونها

ـ هذا ما يمهد لي العذر في عيني نفسي

ـ لاتعتذر يا فونتيس فما من احد يجسر على لومك لاستعمالك المكر والدهاء مع تلك الداهية وانت الذي رضيت بمنازلة الاعداء كما نازلتهم يوم دخلوا بيتك

ـ نعم ... ولكن في كلا المبارزتين قد جُرحت

ـ جرحت في ذراعك اول مرة ولكن في الثانية

ـ في جبيني ... لان فم تلك المرأة اللعينة مسني وألمني اكثر مما ألمني سيف الغادر الذي خرق ذراعي

ـ على كل قد عادت تلك الشقية خائبة لان رفاقها ارسلوها لاستطلاع ما جرى في جثة القتيل فلما جاءت الى هنا تغلبت عواطفها على واجباتها فنسيت ما قدمت لاجله ... ولم يكن اعداؤك ينتظرون ان تقضي

مقابلتك مع مدام فوكامور الى ما آلت اليه لاعتقادهم أني بعيد عنك ...
اذ انهم ارسلوها قبل مجيئي اليك ولم يعلموا بوجودي عندك الآن .
الرقيبين اللذين لحقا بي الى هنا فلما عادا واخبرا بحضوري كانت الفيرا
قد وصلت الى هنا فلم يعد بالامكان تلافي ما حصل

وانصرفنا بعد قليل فذهب نوما الى منزله وسرت الى ادارة الجريدة

وفي اليوم الثاني ذهب فونتيس الى مستشفى سان جرمين لعيادة صديقه الكونت دي فيلاسربوري فوجدهُ جالساً في سريره مسنداً بالوسادات فتعانقا وهنأ كل منهما رفيقه بتقدمه الى العافية

وقال الكونت : قد اخبرتني الفيرا انك بينما كنت ترتب اسلحتك وقع منها سيف وجرحك ...

ـ هذا ما حصل تماماً فلا حاجة للاهتمام بي واني اشكر الله على تحسن حالك يا عزيزي انجايو فانت اليوم جالس وعساي ان اراك بعد قليل منتصباً على قدميك

ـ نعم لم يبقَ الاَّ القليل حتى يسمح لي الاطباء المخلصون الذين اعتنوا بي بالخروج من المستشفى فاعود الى سابق معيشتي ... ومتى عدت الى بيتي ساحدثك بامور يمنعني الحذر عن التلميح اليها في هذا المكان وأود ايضاً مقابلة رجل فاضل غيور لاطلاعه على امور ذات بال وستكون معي في اثناء حديثي معهُ ان الرجل المقصود فهو مارتين نوما ...

ـ مارتين نوما

ـ نعم بعينه ولا يمكنني الآن ان اذكر لك شيئاً من مدار حديثنا المنتظر ولكنك ستطلع على ذلك في حينه لانك ستكون معنا كما قلت

لك ... قد استمنت بنوما يوماً ولكن بينما كنت احادثه طرأ ما اجبرني على قطع الحديث واصابني الحادث الذي كادت عاقبتهُ تودي بحياتي وتراني الى الآن جاهلاً أسباب ذلك المصاب . ولكنني ساجتهد لمعرفتها متى شفيت ولم يمكني اتمام ما كنت قد بدأت بذكره لنوما في الفندق الذي التقينا فيهِ ولم يمنعني المرض وحده عن الكلام بل هناك سبب اهمّ من موتي يضطرني الى لزوم السكوت ولكنني متى شفيت سردت لنوما ما هو مشتاق الى معرفته وانتقمت كما اريد ... ولا اقول لك اليوم اكثر مما قلت لاني اخاف لا على حياتي بل على شخص هو لديَّ اعزّ من الحياة فلا تلمني على سكوتي وانتظر بضعة ايام ريثما يتمّ شفائي واخرج من هنا ... وحينئذٍ اصبح قادراً على مناهضة عدوّي ايًّا كان ... وحينئذٍ اطلب اليك ان تعضدني ايها الصديق الحبيب

ـ انا لك في كل آن يا حبيبي انجليو ويا حبذا لو قدّر لي مقاسمتك الاخطار ومساعدتك على الانتصار

جرى ما تقدم من الحديث والكونت يتكلم همساً وينظر يميناً وشمالاً في اطراف غرفته كانما هو يخشى ان يكون للجدران اذان تسمع ما يقوله وتتم به فانه كان يشعر انه مهدد وانه عاجز عن الدفاع فلازم جانب الحذر ريثما يصبح قادراً على ذلك

وتعانق الصديقان وسار الشفاليه فونتيس للخروج فلما وصل الى باب الغرفة سمع حفيف ثوب فادرك ان الفيرا قادمة واسرع يقصد الخروج من الغرفة قبل ان تدخلها ففاجأته قبل ان يخرج ونظرت اليه بانعطاف وقالت : اني سعيدة برؤيتك ايها الشفاليه ... واشكرك كثيرًا

على مجيئك الى حبيبي انجليو لان وجودك بالقرب منه يسره ويساعد على شفائه

وقدمت اليه يدها فلم يسعه الا مصافحتها ثم افسحت له الطريق وركضت الى الكونت واعتنقته صائحة : انجليو ... حبيبي انجليو ... ما اعظم حبي لك

اما الشفاليه فوقف عن المسير ولبث جذاء الباب ينظر ما يجري فرأى الكونت وقد طفح وجهه سروراً وضم الفيرا الى صدره بحنوّ وقال: هذه هي سعادتي يا فونتيس ... هذه سبب حياتي وهنائي ... فلم يصبر الشفاليه على ما رآه من غرور صديقه فسلم وخرج يناجي نفسه قائلاً: يالتعاستك ياعزيزي انجليو انت تعتقد ان هذه المرأة هي سبب سعادتك... ولكنها سبب شقائك تظنها سبباً لحياتك وما هي الاَّ سبب لموتك ... ولكني لها بالمرصاد مع ذلك الرجل الذي تثق به ... مع نوما الشجاع وسنقف في وجوه اعدائك ونردّ كيدهم في نحرهم ان شاء الله ...

وركب الشفاليه عربته فحملته الى منزل مرتين نوما واطلعه على ما رآهُ من امر الكونت والفيرا فقال نوما : لا بأس مما جرى ... لندع الكونت في غروره خوفاً من ان يسبب له كشف الحقيقة من الاضطراب ما يؤخر موعد شفائه فنكون قد اضررنا به على غير جدوى ... خلّ الفوكامور آمنة تعتقد بعظم حبه لها واتساع نفوذها عليه فسيأتي يوم ينكشف فيه سترها وينبلج الحق فيحلّ القصاص بالمجرمين ويتم الانتقام..

مضى على ما تقدم ذكرهُ بضعة ايام كان نوما في خلالها قد عاد الى الاهتمام بامور مختلفة تتعلق بوظيفته وفي جملتها حادثة سرقة بالغ في

التظاهر بالاهتمام بها ليوهم اخصامه انه في شغل شاغل عنهم . وتحسنت حال الجرحى في اثناء تلك المدة فصار نوما قادراً على المشي بدون عناء وترك الشفاليه الرباط الذي كان يحمل ساعده والكونت دي فيلاسر بوري تمكن بمساعدة ممرضيهِ من ان يخطو بعض خطوات داخل غرفته كذلك تحسنت حالة المغنية لامارجلينا تحسناً بيّناً وزارها نوما ليلاً بعد ان احتاط لذلك بما يلزم فأخليت الغرف المحاذية لغرفة المغنية واقام في قسم منها رجال نوما والقسم الآخر لبث في مدخل المستشفى ووراء باب غرفة المغنية لمراقبة من عساه يدخل

وظنت المغنية ان نوما احد اطباء المستشفى لانه بدأ حديثه بالاستعلام عن حالة جرحها وشفعه بالكلام عن قرب شفائها ثم انتقل الى الكلام عن فن الغناء فذكر بعض ما كتبتهُ الجرائد عن المغنية فلما استأنست به طرق الموضوع الذي جاء لاجله فقال : قد لقيت مربيتك مراراً وكنت استعلمها عن حالك ولكني اطعت عامل ميلي فجئت استفهم بنفسي عن جرحك... ولزيارتي غرض ثانٍ هو محادثتك في امور اذا ذكرناها هنا لن يعاد ذكرها في الخارج ولا يعلم الاّ الله بما دار بيننا من الحديث

فنظرت المغنية اليه بحذرٍ ولكن ما في وجهه من دلائل الاخلاص والولاء ازال ما ألمّ بها من الخوف فتابع نوما : وليكون لحديثنا ما ارجوه من الفائدة . اذكرك باليوم الذي وجدت فيه مطعونة تلك الطعنة التي كادت تقضي عليك

ــ آه ما امرّ هذا التذكار

ــ ان الذي ادرك يومئذٍ ان في جسدك بقية من الحياة وانت مديونة

له بحياتك هو الذي يحدثك الآن .

فمدت المغنية يدها وصافحت نوما قائلة : ان شكري لك واجب يا سيدي ولكني اعتقد ان الموت كان انفع لي من الحياة ...

ـ لم اذكر لك ما فعلته الآ لا علمك ان انقاذي اياك من الموت يحتم عليّ القيام بما تحتاجين اليه في المستقبل من هناء وسرور

ـ قل يا سيدي فاني صاغية اليك

ـ قد تركتِ في احدى قرى صقلية ولداً . . .

فانتفض جسم المغنية وصاحت مذعورة : كيف عرفت ذلك

ـ واعلم ان ولدك جميل وانك تحبينه حباً شديداً كما انه يحبك

فنظرت لامارجلينا الى محدثها تتساءل هل جاء ليهددها بقتل ولدها كما فعل غيره وأدرك نوما ما يجول ببالها فقال متلطفاً : سكني روعك يا سيدتي فما جئت لأزيد على مجموعة الكارت التي وصلتك كارتاً كالتي كانت تحت وسادتك منذ بضعة ايام . . . وليس قصدي اعلامك ان حياة ولدك مهددة بل جئتك لاستعلم منك عن الطريقة التي تمنع وصول الأذى الى ولدك

ـ لم افهم ما تعنيه يا سيدي ...

ـ اني اطلب اليك ان تطلعيني عن محل وجود ابنك

ـ لا لا ... لن اقول لك ذلك ... كلاّ كلاّ

ـ لا خوف على ولدك مني ولو كنت انوي له شراً لعرفت محل وجوده كما يعرفه من تهددوكِ بقتله ... غايتي حماية ولدك ليس الا فاذا لم تطلعيني اين هو تعسر عليّ صيانته من اعدائك ... ومن البديهي ان سبب محاولة

قتلك وتهديدك بقتل ولدك هو اطلاعك على سرّ هائل

ــ انا لا اعلم شيئاً لا يا سيدي لا علم لي بشيء ما

ــ ربما لم يحن بعد الوقت الذي يمكنك فيه افشاء هذا السر وانا لا ألحّ في طلب معرفته الآن لعلمي انك لا تطلعيني عليه

ــ نعم لن اطلعك عليه ... لن اتكلم ...

ــ انا اعلم انك لن تتكلمي الامتى اثبتُّ لك انك وابنك في مأمنٍ من شرّ الذين يأمرونك بكتم السر ولكي اثبت لك ذلك عليك ان تخبريني اين هو ابنك لأكون على بصيرة في عملي

ــ كلاّ كلاّ

ــ اعلمي اني مارتين نوما وما جئت الا لأخبرك ان الكارت الذي فيه صورة ولدك يلاعب كلباً موجودة عندي واني عالم ان الموسيو بالستريني هو الذي جاء بها اليكِ فثقي بي واني اقسم لك ان ما تقولينه سيبقى مكتوماً في صدري لا يعلم به احد

ــ انت ذو سطوة واقتدار في فرنسا يا موسيو نوما ولكن اي نفوذ لك في صقلية ... اني اشكرك على انقاذك اياي من الموت ولكني لن اطلعك على محل وجود ولدي اذ لو فعلت لقتل للحال فاعذرني على سكوتي ولا تفتش عن ولدي لئلا يعلم اولئك انك تهتم به فيقتلوه وهو طفل بريء . بربك لا تهتم بنا دعنا وشأننا في قبضة اعدائنا اذ ليس لاحد قدرة على انقاذنا من ايديهم الاّ الله . . .

فلم يلحّ نوما لتيقنه ان لا مارجلينا لن تتكلم فان خوفها من اعدائها كان متأصلاً في قلبها ولا يمكن اقناعها بانهم كغيرهم من البشر يُغلبون

السؤال العاشر

هل ينطبق أثر الابهام الظاهر في مفكرة كاستنر على شكل ابهام القتيل ؟

ويقهرون نقال لها : انتِ يا ولدي مبالغة في اعتقادك بسطوة اعدائك وما هم ذوو قوة و بطش كما تظنين اذ لو كانوا على شيء من ذلك لما حملوا على امرأة وطفل . . . ولكني لم اطلب منك افشاء سرك فاكتميه كما واني اوصيك ان لا تطلعي احداً على زيارتي لك . . . واعتقدي انك لست فريدة وحيدة في باريس بل ان فيها كثيراً من ذوي المروءة يهتمون بامرك فلن تصل اليك يد سوء وان تكوني في عوز فاطمئني بالاً ولا تهتمي بما يصلك من التهديدات بل اصرفي جل عناياتك للشفاء حالاً عساك حين تتمكنين من ترك هذا المستشفى تجدين اول المسلّمين عليك طفلاً صغيراً . . .

الفصل السابع والثلاثون

« العشيق المهمل »

لما اعلمني نوما بما دار بينهُ و بين المغنية لامارجلينا قال في ختام حديثه : لم افاتح في زيارتي لها ولكني بعثت في قلبها نور الامل . . . وفي نيتي احضار ولدها اليها عن قريب

فقلت : انّى لك العثور عليه وانت لا تعلم البلد الذي هو فيه وصقلية بلاد متسعة . . .

ـ اني عالم بمكان وجوده

فنظرت الى نوما مدهوشاً من كلامه فضحك وقال : يدّعي الناس اني ساحر ولو تروّوا فيما افعلهُ لعلموا اني عاقل حازم ليس الا اتتبع الامور متحرياً باحثاً حتى اصل الى الاسباب فادرك النتيجة وما فعلتهُ لمعرفة

وجود ابن المغنية يمكن ايًّا كان من الناس ان يفعله اذا توفرت فيه الشروط التي فيَّ انا

ـ بالله يا نوما اطلعني على ذلك

ـ قلت محدثاً نفسي لابد من ان الوالدة كانت تتلقى اخبار ولدها قبل ان يطعنها اعداؤها اذ لم يكن من موجب لحرمانها اخباره قبل ان يحدث ما دعاهم الى محاولة قتلها فذهبت الى مربيتها وهي تعتقد بي اني من عالم الجن لاني أحييت سيدتها بعد ان كانت علامات الموت قد بدت على وجهها واستقبلتني الخادمة باكرام زائد ولما سألتها عن ماضي لامارجلينا اخبرتني ان سيداً عظيماً أحبها فولدت منهُ صبياً ووعدها حبيبها بالاقتران بها وحاول اقناع ذويه بذلك فقامت قيامتهم ولعنوهُ وتهددوه فسافر الى بلاد بعيدة آملاً ان مرور الايام يلطف من عواطف والديه فيوافقاه على طلبه او انه يدعو حبيبته وولده الى اللحاق به اذا لم يفلح . ثم مات الوالدان في غياب ولدهما ولم يعد الى وطنه ليقوم بوعده بل انقطع عن مكاتبة حبيبته بعد ان ارسل اليها مبلغاً من الدراهم ولم يذكر لها محل وجوده. فاثر بها عمله فرفضت قبول المال ووزعته على الفقراء لانها ما كانت ترغب في سوى حبه . ثم سافرت مع مربيتها الى اميركا لتفتش عن حبيبها وكانت تتعيش من الغناء بجابت البلاد واقامت مدة طويلة في البلد الذي وصلها منهُ آخر كتاب يعلمها بارسال الدراهم وكانت تقضي الوقت بالسؤال عنهُ فلم تقف لهُ على اثرٍ ولم تيأس ولم يضعف عزمها بل تابعت التحرّي وفي اثناء ذلك عقدت اتفاقاً مع احد اصحاب الملاعب في باريس على ان تغني في ملعبه

ـ اذاً يجوز لنا افتراض انها وقفت على اثر حبيبها في اوروبا لا في

اميركا فأملت ان تلقاه في باريس

— احسنت يا عزيزي كورفيل وقد ضارعتني في حسن استنتاجك ... لا ريب في ان لامارجلينا جاءت الى باريس لتفتش عن حبيبها وعلينا الآن ان نعرف أكان سبب طعنتها اجتماعها به ام لا

— يلوح لي ان وجود الكارت المصورة وسكوت المغنية وخوفها على حياة ولدها ادلة كافية . . .

— سنرى ذلك يا كورفيل سنرى

وقطع نوما الكلام منتقلاً الى حديث آخر حسب عادته وبقيت معهُ الى ما بعد الظهر فسرنا الى زيارة الشفاليه فونتيس فاطلعنا على ما كان يعلمهُ من امر الكونت دي فيلاسربوري وقد فاته ان نوما واقف على ما يجري له ... ثم اظهر الشفاليه خوفه من ان يغتاله اعداؤه عند خروجه من المستشفى اذ لا يكون معهُ في بيته من يسهر على حياته كما يفعل رجال نوما في حالة مرضه

فقال نوما : ولماذا تراهم يقتلونه

— لانه لن يطيعهم فيكتم ما يعلمه فهو ممن لا يرهبهم الوعيد ... آه اني اخشى ان تسقيهِ الفيرا الشقية كأساً من الشراب يلقى فيهِ حتفه

— كن مطمئناً يا عزيزي فونتيس فان في نية الكونت ان يبقي عندهُ الممرضين الذين اعتنوا بهِ مدة مرضه وهؤلاء الممرضون يظهرون لمدام فوكامور كل تجلة واكرام وهي تحبهم وقد كانت تهديهم هدايا نفيسة كلما جاءت لزيارة الكونت وهي تعتقد الآن انهم سيطيعون امرها في كل ما تأمرهم به ولكن ساء فألها فان رجالي لا يطيعون سواي وعليه فلا خوف

الآن على حياة الكونت ... وصمت نوما قليلاً ثم قال : قد قابلت بين اثر اليد الذي وجدناه في بيتك ايها الشفاليه والاثار التي وجدناها في بيت المغنية في مكتب كاستنيه فوجدتها متشابهة تماماً فلا شك ان يداً واحدة طبعت تلك الاثار . . . لكن يد الرجل الذي قتلته قد قطعها رفيقه الذي كسرت انا ذراعه . . . او بالحري جاء احد رفاقهم فقطع يد القتيل وحمل الرجل المغمى عليه

ـ اذاً من البديهي ان الرجل الذي قطعت يده هو الذي قتل ابنة كاستنيه وطعن المغنية . فلم يجب نوما واطرق قليلاً ثم قال : ان اخصامنا يتبعون في اعمالهم طريقة واحدة مهما اختلفت الظواهر وليس لهم سوى غاية وهي تضليل مارتين نوما ليسخروا به

ـ واي علاقة لقطع اليد بما سبق من الفظائع

ـ لما كنت ابحث عن الحذاء المقشور لقيته في الشارع الذي امر منه يومياً وما انا ممن يعتقدون بالمصادفة والاتفاق فعثوري على الحذاء لم يكن عرضاً بل حيلةً من اخصامي ارادوا بها ان اضيع وقتي في التفتيش عن صاحب ذلك الحذاء وهو لا صاحب له والجلف الذي فيه مُصطَنَع وقطع يد القتيل هو تتمة فصل الحذاء . . . نعم نعم . . ان طبعة اليد التي عثرنا عليها في بيتك هي كالتي وجدناها من قبل عند لامارجلينـا وكاستنيه ولهذا قطع اخصامي يد الرجل ليحملوني على الاعتقـاد بانه هو الذي طبعت يدهُ في المرات الثلاث اي هو المجرم ... ولكن مارتين نوما لا يغتر بالظواهر ولا يأخذ الامور على علاتها ولا يعتقد ان اليد المقطوعة هي التي سببت الاثر الذي رآهُ في ثلاثة امكنة مختلفة اذ لو كان ذلك لقطعوا كلتا يدي الرجل

وقد فحصت يده الباقية ووجدت انها اقل حجماً من التي سببت الآثار الثلاث اذاً هم قطعوا اليد ليغشوني ولكنهم لم يفلحوا

فصاح الشفاليه : قد ذهبت اتعابنا ادراج الرياح فسُفك دم صديقي انجليو رلامارجالينا ودمك ودمي وقتل ذلك الرجل والامر باقٍ على ما كان عليهِ من الغموض

ـ هذا هو ظاهر الامر وهذا ما يعتقده اخصامنا اما الحقيقة فهي اننا قد اطلعنا على ما يفيدنا في عملنا . علمنا ان عرض الحذاء عند البائع وقطع يد الرجل يقصد منهما تضليلي ولكني لن اقع في الفخ الذي نصب لي ولن اكون سخرية للناس كما يقصد ان يجعلني اولئك القوم فان ابن المغنية سيكون خير واسطة لي لحل هذا المعمى اي « ان المركيز بريعودي سنتوشي شخصان »

ـ ستفلح ايها الصديق

ـ ليس علينا سوى الاهتمام باشخاص معدودين اعني المركيز والامير والمغنية وكل هولاء الذين طرأوا باريس بالقاب رنانة وثروة عظيمة تساعدهم على البذخ والترف هولاء هم الذين يجب علينا مراقبتهم فهم اعداؤنا ولا بد لنا من الفوز عليهم

واثرت عليَّ لهجة نوما لانه لم يسبق لي ان سمعته يتكلم بهذه الحدة والصراحة عما يقصد عمله . ولا شك انه ادرك سبب دهشتي وما جال بخاطري لانه بادرني قائلاً : لا تستغرب ما تراهُ بي من الحدة يا كورفيل ولا ما تظنهُ تهوّر في الحديث بالنسبة لما اعتدت ان تراهُ فيَّ من الرزانة والتكتم في اعمالي فاني والشفاليه يدٌ واحدة منذ الآن لاغرض لنا سوى

حل هذا اللغز ورد كيد الاعداء في نحرهم

فمد الشفاليه يده وصافح نوما قائلاً : صدقت يا عزيزي وان غايتنا حميدة شريفة لاننا نسعى الى الانتقام العادل ...

الفصل الثامن والثلاثون

« الضابط الطروب »

ولما خرجنا من عند الشفاليه ركبت مع نوما في عربته وسارت بنا حتى انتهينا الى ادارة جريدة الجورنال فاستأذنت من صديقي في الانصراف ولما هممت بالنزول من العربة قال لي : اذا لم يكن عندك ما يشغلك غداً صباحاً حين وصول قطار الصباح P.L.M. فاذهب الى محطة ليون وتأكد بنفسك مجيء او عدم مجيء رفيق القبطان ألري وصديقه الذي ينتظر قدومه الى باريس وتكرّم بافادتي عن ذلك

فذهبت صباح اليوم التالي الى المحطة ورأيت هناك القبطان الري بين منتظري القطار القادم عن طريق ليون واستغربت معرفة نوما امور ألري الشخصية اي علمه ان الرجل ينتظر قدوم صديق وان ذلك الصديق هو رفيقه في الجيش ...

ولما وصل القطار رأيت في نافذة احدى المركبات ضابطاً شاباً مطلاً يحرك قبعته فتقدم ألري بعد ان رفع قبعته ولما وقف القطار نزل الرجل القادم واعتنقه ألري قائلاً : اهلاً بك يا عزيزي بودا فاجابه صديقه ان شوقي اليك عظيم يا عزيزي ألري

وساعد ألري صديقه في حمل بعض الامتعة الخفيفة وتركا للجندي

خادم بودا الاهتمام بالصناديق وغيرها ثم ركبا عربة فاعلم ألري رفيقه انه قد استأجر له بيتاً صغيراً بالقرب من بيته وفرشه بما يوافق ذوق صديقه فشكره هذا مظهراً سروره بجواره الذي يمكّنه من الاجتماع به في غالب الاوقات

وفيما هما سوية كان يظهر احياناً على وجه ألري شيء من الحزن كانه تذكار شيء فاجع يطرأ على باله فينكس رأسه اما صديقه فكان لا ينقطع عن الكلام والضحك ويسمي الشوارع والقهوات التي يمرون بها باسمائها وسلم على كثير من السيدات اللواتي اتفق مرورهنّ في طريقه وكان السرور والابتهاج ظاهرين على وجهه لعودته الى باريس وقص على رفيقه كثيراً من حوادث رفاقهما في الجيش فكان استئثاره بالحديث سبباً لعدم ملاحظته في بادىء الامر ما كان عليه ألري من الغم ولما وصل الصديقان الى بيت بودا اخذ هذا يجول في الغُرَف مغنياً صافراً ثم اخذ يقفز من الارض الى السرير ويرقص ... وخلع ثيابه واستحم في الماء البارد وشرع في تقليد اصوات البط والأوز والحمير الخ ولما انتهى من الاستحمام عاد الى الغرفة التي فيها ألري : وقال لا تستغرب ما تراه مني يا عزيزي فانه يخيل لي اني تلميذ ترك المدرسة وما فيها من الأسر فهو فرح بالحرية

ولاحظ بودا اخيراً ما كان يبدو على وجه صديقه من الكآبة فانتهره قائلاً : ما بالك ايها الصديق فان عهدي بك طروباً فرحاً وكنت لا تفترّ عن المزاح والغناء الا اذا اصابتك طعنة سيف او رصاصة بندقية تتعرض لهما بما اشتهر عنك من الاقدام والشجاعة فما الداعي اليوم الى هذه الرزانة

فانكر ألري على صديقه ما نسبه اليه من الحزن وحاول مجاراته في سروره ومزاحه فلم يفلح ولم ينتبه بودا الى ذلك لانه كان لا يطيل الاهتمام

في أمر ما. ولما انتهى من لبس ثيابه اخذ بيد ألري ونزلا سلم البيت عدواً وبودا يقلد الخيل في مشيتها ... وذهبا الى مطعم فأكلا واكثر بودا من شرب الخمر فلما انتهيا من الاكل وضع قبعته على جانب من رأسه وفتل شاربيه وقال هيا بنا يا ألري نمشي في الشوارع الفخيمة لان المشي ورؤية الحسان يساعدان على الهضم وسارا في شارع المادلين وشارع ريشليو وكان بودا يبسم متلطفاً لكل من يراه في طريقه خصوصاً من الجنس اللطيف ثم عادا الى بيت بودا ليرى هل جاء خادمه بمتاعه فيخلع الثياب العسكرية ويرتدي ثياباً ملكية

كان القبطان بودا في مقتبل العمر قويّ البنية شجاعاً طيب القلب قضى سنيّ دراسته مع ألري في المدرسة العسكرية وخرجا منها سوية وأرسلا الى افريقية كل في فرقة وكان ألري السابق في دروسه كما انه سبق في احتكاكه بالثوّار حين وصولهما الى افريقية فجرح ولم يمضِ القليل من الزمن حتى جرح بودا ايضاً فالتقيا في المستشفى العسكري وسألا من الذي جرح اولاً فكان ألري فاخذ كل يفكر فيمن منهما ينال الوسام اولاً وكأن امر التقدم والترقي كان موكولاً الى ألري فانهُ خاض معارك هائلة اظهر فيها من الشجاعة ورباطة الجأش ما حمل قائد فرقته على شكره مرّتين علناً امام الجنود والانعام عليهِ بنيشان شفاليه جوقة الشرف في ساحة الحرب ولما كان مساء اليوم الذي سمي فيه ألري شفاليه اخترق فارس صفوف الاعداء قادماً الى معسكر الفرنسا ويين فاطلق هو عليهِ الرصاص لان مواجهته ليلاً حالت دون معرفتهم اياه ولكنهُ لم يصب بأذى وتابع جريه حتى وقع جواده امام خيمة كان فيها بعض الضباط فبادروا اليه واذا به

بودا وقد جاء لتهنئة صديقه ألري ... وبعد مضي سنة من ذلك ردّ الري زيارة صديقه مهنئاً اياه بوسام جوقة الشرف ....

وعلى هـذا النمط سمي ألري اولاً قبطاناً فرقي بودا الى نفس الرتبة بعد سنة من ذلك العهد ولم يفز الري الاّ بعد جهـاد شاق فاعطي اجازة للراحة وكان قد مضى منها ستة اشهر فلم يسع بودا الاّ التمثل بصديقه في هذا الامر ايضاً كما كان يتمثل به في دروسه واعماله فطلب اجازةً للراحة فأعطيها ولحق بصديقه في باريس ...

لما وصل بودا الى بيته اظهر لخـادمه رضاه من ترتيبه بالصراخ كما كان يظهر له استياءه بالصراخ ايضاً لان ذلك كان من لزوميات حياة بودا فانه لم يكن له مندوحة عن الغناء والرقص والصياح وما ذاك الاّ لما كان عليهِ من غزارة القوة الحيوية التي كانت تدفعهُ دائماً الى الحركة بنوع من الانواع وكان الجندي الخادم قد اعتـاد ذلك من رئيسه فكان يجيبه دائماً بقوله حاضر ... لا بأس . ولما انتهى بودا من الصياح قال لخادمه : أليس اهلك في باريس

فرفع الجندي يدهُ مسلّماً السلام العسكري قائلاً : بلى هم فيها

— أعندك عنوان مسكنهم

— نعم

— هل هم بعيدون من هنا

— كلاّ

— انت حيوان في صورة انسان ... ! انت قليـل الاحساس ... تُقدم من افريقية من اطراف المعمور واهلك على خطوتين من هنا وانت

لم تذهب بعد لرؤيتهم ... ما هذا الوحش الذى يرافقني يا قوم

ـ لكن يا سيدى ... الصناديق

ـ ليس هذا عذراً مقبولاً

ـ وما يلزم من الترتيب وَ ...

ـ ولا هذا ايضاً

وخدمة حضرتك ... والواجبات التي تقتضي ...

ـ يا هاذا هل تعني ان رئيسك قليل الاحساس عادم الفهم الى حدّ انه يقاص فتى عائداً من اطراف الدنيا حيث قاسى الاهوال لذهابه الى والديه تاركاً صناديق ضابطه غير مبالٍ بالقانون العسكري الخ

ـ ولكن يا حضرة القبطان

ـ هل كان ضرورياً ان اذكرك بهذا الواجب ألست ذا عقل كافٍ لادراك هذه الامور ... انك تعرفني منذ مدة طويلة وقد قضيت سنين في تنظيف ثيابي وترتيبها افلم تعلم ان تحت سترتي قلباً يحس ويشعر

وكان الجندى باقٍ على حاله اى يده مرفوعة للتحية العسكرية يجيب متأثراً : ايها الضابط ... القانون ... الاذن الصناديق ... الامتعة فوضع بودا يده على كتفه وقال : تحرّك ... اذهب الى اهلك ولا ترني وجهك الاّ في المساء والاّ ....

ـ طوعاً يا سيدى .

ـ قل لوالديك ان الضابط بودا مسرور جداً من ابنهما ... سر

ـ شكراً لك ايها الرئيس

ومشى الجندى فلما انتهى الى الباب صاح به بودا : قف ... تعال هنا ..

هنا ... يظهر ان اقامتك في افريقية قد انستك اموراً كثيرة انت الآن في وطنك ذاهب للقاء اهلك واصدقائك وفي جملة هولاء كثيرون من اصحاب الحانات ولا بد لك ان تشرب نخب اهلك ونخب ضابطك والضابط ألري وقائد فرقتك والجيش الفرنساوي فكيف تأتي كل هذا وليس لديك درهم . وهل تعتقد ايها الغبي ان القبطان بودا يرضى ان يكون خادمه خالي الجيب... هذه مئة فرنك خذها فانك تستحقها واذهب ... انما اوصيك ان لا تموت من السكر ... سر

وترقرق الدمع في عيني الجندي فلم يدرِ كيف يشكر رئيسه واخذ يردد قائلاً : ايها الرئيس ايها الضابط فامسكه بودا من كتفه ودفعهُ الى الباب بلطف قائلاً : اذهب يا عزيزي وسرّ وافرح

ثم عاد بودا الى ألري وصاح به : ما هذا الوجه الكئيب ما الذي جرى لك ... قص عليّ ذلك فان ما اراك عليهِ اليوم غير ما اعتدتهُ منك فاجاب ألري : لديّ امرٌ خطير يجب ان اطلعك عليه

— قه قه قه انت عاشق

فانتفض ألري وعلا وجهه الاصفرار واجاب بصوت مرتجف : كلاَّ ... ان ما اعنيه هو غير ما ذكرت وهو اكثر خطارة ولا علاقة لاحد سواي به

فتأثر بودا من لهجة صديقه ودنا منهُ باهتمام وقال : تكلم فاني مستعد لمساعدتك في كل حادث ... هل لك عدوّ يتهددك قل فاني لك بكايتي

— لا يا عزيزي بل اتيت عملاً قد ادركت الآن اهميتهُ فخزنت ... ان عملي معيب وقد أشركتك فيه بدون ان تعلم

فنظر بودا الى صديقه وقد ادهشهُ كلامهُ فتابع ألري حديثهُ : قد استعنت باسمك لدخول بيت لا يقبل اصحابه دخولي فيه ...

ـ ما الذي تقولهُ

ـ كنت في حاجة الى مقابلة شخص لو علم اني انا الزائر لأمر خدمه بطردي ولكن مقابلتك كانت تسرّه وتفرحه

ـ صرّح

ـ انتحلت اسمك ودخلت ....

ـ بيت مَن

ـ واتفق ان في مساء اليوم الذي زرت الرجل فيه وجد مقتولاً هو وابنتهُ

ـ هل تعني الصراف كاستنيه وابنتهُ ايرما المسكينة

ـ نعم

ـ ان اسرتي كانت مصادقة لاسرة كاستنيه وكان الميت يميل اليَّ كثيراً ويعاملني معاملة الوالد لابنه ومثله اهل بيته

ـ انا عالم ذلك ولهذا السبب ...

ـ انتحلت اسمي لدخول ذلك البيت ... انَ عملك هذا مشين ... ولكن كيف نجحت في عملك والخدم ومستخدمو المصرف يعرفونني تمام المعرفة ... لا بدّ انك لجأت الى حيلة ما ...

ـ استعنت باحدى بطاقاتك

ـ وكيف وصلت اليك ...

ـ اخذتها من محفظتك يوم كنا معاً في افريقية

ـ اذاً انت سارق لاخذك اياها من غير علمي ومزوّر لاستعمالها في سبيل غايتك بدون استئذاني ... نعم انت مزوّر وعملك هذا مشين... جئت فرنسا للراحة والنزهة فاذا بي واقع في ورطة في جريمة بدون ارادتي وعلمي وستنشر الجرائد اسمي ويصبح مضغةً في افواه الناس فيختلقون الاحاديث ناسبين اليّ اموراً عشقية لوجود فتاة مقتولة والسرقة لكون الخزانة وجدت مسروقة وان يعتقد الناس ببراءتي ولو برأتني المحكمة لانهم سيتشبثون بالمثل القائل (لا دخان بلا نار) وهكذا اني سرت سيدلّ عليَّ بالاصابع ويعرقل مستقبلي وتسوء سمعتي وانت انت السبب في كل ذلك

ـ عفواً . . . عفواً

ـ كيف اعفو وكيف اعذر . . . ما هو عذرك . . . لا ادري ما الذي كنت أفعله الآن لولا محافظتي على ماكان بيننا من العلاقات في الماضي

ـ بودا . . . برّنك

ـ لا يسعني الا ان انكر صداقتك جزاء عملك هذا فاذا التقينا في الطريق . . . فلا تحييني ولا تكلمني فقد انقطعت من بيننا كل علاقة

ـ اني مقر بذنبي يا عزيزي بودا وقد اطلعتك عليه حال وصولك . . . وكنت اعتقد انك كصديق حميم ستسألني عما دفعني الى ذلك العمل وتصغي الى حديثي وتفهم فحواه وترحمني . . . ولكن قد خاب ظني وها اني ابتعد عنك مسحوق القلب ولكن اذا كنت تعتقد ان عملي مهين لك الى هذا الحد الذي ذكرته فانا مستعد لان اكفر عنه بما يروقك والسلام . قال ألري ذلك وخرج

ولم يسمع بودا هذه الكلمات الاخيرة فاجاب بما يعهد فيه من العنف وسرعة الغضب : اذهب ثم اقفل الباب وراء صديقه بعنف

السؤال الحادي عشر

هل تُخطَب انطوانيت ألري؟

الفصل التاسع والثلاثون

«اعتذار كريم»

كانت انطوانيت ألري جالسة في ردهة الاستقبال تعزف على البيانو ووالدتها مصغية اليها وكانتا تنتظران قدوم القبطان ألري للعشاء وقد تأخر عن الحضور في الوقت المعتاد فظنتا ان صديقه بودا شغله عن الحضور . وبينما هما كذلك اذا بالباب يقرع فنهضت انطوانيت قائلة : هذا لا شك تلغراف من اخي روبرت ينبئنا فيه عن سبب تأخره لانه لو كان هو القادم لدخل بدون ان يقرع الباب لوجود مفتاح معه

واسرعت الفتاة وفتحت الباب فاذا بشاب جميل الطلعة حسن الزيّ سألها بصوت مرتجف هل القبطان ألري موجود في بيته وهل يمكنه مقابلته فاجابته ان اخاها غائب ورجت الزائر ان يدخل وينتظره ريثما يحضر ثم سارت به الى ردهة الاستقبال حيث كانت والدتها فحياها ثم قال متردداً في حديثه : ارجو عفوكما لقدومي في مثل هذه الساعة غير اني جئت لاطلع ألري على امر خطير لا يحتمل التأجيل وكنت اظن اني سأجده هنا في وقت العشاء فانا ارجو منكما العذر ثانية

فاشارت مدام ألري الى الشاب بالجلوس قائلة : لا بأس من حضورك وانتظارك يا سيدي فان ابني لا يتأخر عن الحضور

— هل تعتقدين انه سيحضر قريباً

— لا شك عندي في ذلك ولو كان في نيته عدم الحضور لاشعرنا ونحن الآن بانتظاره لتناول العشاء معاً

ـ ألم تريه ... منذ نصف ساعة

ـ كلا ... انه ذهب في الصباح لملاقاة احد اصدقائه الذي كان رفيقه في الجزائر وقد قدم الى باريس ولم يعد بعد حتى الآن

ـ نعم حسن ... حسن

ـ ولكن نظراً لمابين ابني وصديقه من الالفة والمحبة الاخوية لن اتكدر لغيابه بل أسمح له ان يهتم بصديقه وباظهار فرحه بقدومه حتى ولو شغله ذلك عن اشعارنا بانه سيتأخر في الحضور ولن نقلق اذا امسكه صديقه ليقضيا السهرة سوية

فاجاب الشاب متمتماً

نعم ... نعم ... وحاول الكلام فلم يستطع الافصاح عما في ضميره وكان مرتبكاً ينظر تارة الى مدام ألري وطوراً الى ابنتها ثم قال فجأة:

ولكن يا سيدتي ... انا هو اليوزباشي بودا

فانتفضتا وصاحتا: اليوزباشي بردا ... اذاً انت لم ترَ روبرت ... لم يذهب الى ملاقاتك على المحطة

ـ عفواً سيدتي ... قد ذهب ... نعم ايتها الآنسة ... رأيت ... نعم رأيت ألري رأيت عزيزي روبرت وقضينا قسماً من النهار معاً

فقالت انطوانيت: قد ذكر لنا اخي انه قد استأجر لك بيتاً جميلاً واخبرنا ان في نيته ان يتردد اليك فيه كانما هو ساكن معك

ـ نعم ان روبرت قد اختار لي بيتاً موافقاً لمطلوبي تمام الموافقة ... وكان معي بعد الظهر ثم خرج وبقيت في البيت ... ولكني اسفت بعد خروجه وندمت على عدم منعه عن الانصراف ...

ثم نظر الى مدام ألري وقال : بما ان ابنك يا سيدتي . . . جندي مثلي وبنفس الرتبة التي انا فيها وقد جرح قبلي ثم سمي ضابطاً قبلي . . . لا يخفى عليك اننا نحن رجال الجندية شديدو اللهجة سريعو الغضب . . . انا اسف جداً . . . متألم لعدم منعي رفيقي عن الانصراف . . . من بيتي

فاضطربت مدام ألري وانطوانيت لحديث بودا ولم يفهما شيئاً مما قاله اما هو فتابع حديثه قائلاً : ونظراً لاستيائي من ذهابه . . . وهو ايضاً سريع الغضب . . . قد تناولنا الغداء سوية وشربنا كثيراً من الخمر . وبما ان ولدك جندي مثلي فلا بد ان تدركي . . . وقد جئت لاستسمح منه عما سببه الخمر . . .

فقالت مدام ألري : قد شغلت بالنا يا سيدي . . . فقل لنا اي خبر تحمل الينا . . . هل اصاب روبرت مكروه بربك قل ما تعلمهُ

ـ كلاً يا سيدتي لم يصب روبرت أدنى مكروه ولكن حصل بيننا امر بسيط . . . وجئت لاعتذر اليه عن صياحي في وجهه فاما سبب ذلك هو فرحي بالعودة الى الوطن والسرور . . . حدث ذلك في بيتي لاجل بطاقة فان روبرت اخذها سهواً وعظم الامر لديَّ اكثر مما هو حقيقة . . . وكنت قد رأيته كئيباً فاردت ان اسري عنه فتماديت ووقعت في الشطط . . . وعليه فلم نتروَّ نحن الاثنان . . . وقد جئت لاقول لهُ انني رأيت بعد ذهابه انه مخطئ وانا كذلك فلا اريد ان تضعف ثقة كل منا برفيقه لا اريد ان تزول تلك الصداقة التي جعلتنا اخوين

ـ ان روبرت كان يذكرك امامنا كانما انت ولد آخر لي واني اغتنم فرصة وجودك الآن واطلب اليك ان تعتبر بيتنا كبيتك وتعتقد ان

منزلتك عندنا هي منزلة اخ لروبرت ...

فنهض بودا وقبض على يديّ مدام ألري قائلاً : شكراً لك ياسيدتي بل الف شكر

ثم ادار وجهه وقال بصوت مرتجف : عفواً ... عفواً لم يعد بامكاني الصبر فقد كاد صدري يتمزق ثم اخذ منديله ووضعه على فمه ليخفي صوت بكائه

وفتح اذ ذاك باب الردهة واطل روبرت ألري وكانت مدام ألري وانطوانيت مدهوشتين من بكاء القبطان بودا فلما نظرتا روبرت صاحتا.. هذا هو واسرعت انطوانيت الى اخيها قائلة : ان القبطان بودا بانتظارك

وانتبه بودا عند سماعه اسمه فمشى الى ألري وقال له : لا لزوم للاخذ والرد ما بيننا ... انظر دموعي وافهم ...

ففتح ألري ذراعيه لصديقه واجابه : يسرني ان اراك في بيتي

فرمى بودا بنفسه على عنق صديقه يقبله مردداً : عزيزي روبرت .. عزيزي روبرت ثم قاده الى امام مدام ألري وقال لها بحريته المعهودة : سيدتي اني قبل حضوري الى هنا قد اهنت صديقي بل اخي روبرت ثم رأيت ان خير طريقة لمحو ما صدر مني هو ان اطلب منهُ الصفح امام والدته وشقيقته وان ارجو منهُ نسيان ما حدث بيننا والاعتقاد باني ما زلت وان ازال صديقه المحب واني مستعد لسفك دمي لاجله عند الحاجة

ثم تبادل الصديقان عبارات الوداد والاخلاص وقررا عمل ما يجب لكي لا ينتج عن وجود بطاقة بودا ما يلحق به ادنى ضرر ادبياً كان أو مادياً

وطلبت مدام ألري من بودا ان يتناول العشاء معهم فاعتذر ولكن الحاح انطوانيت دفعهُ الى القبول فامضى قسماً من الليل عندهم وحدثهم عما جرى له ولروبرت في افريقية وكان لحديثه طلاوة غريبة سببت لسامعيه السرور والابتهاج فنسوا ما كان يزعجهم من الافكار وطاروا على اجنحة الامل بالمستقبل

وفي صباح اليوم الثاني جاء بودا الى بيت ألري بدعوى انه محتاج الى مساعدته في مشترى بعض الحاجات وسار به الى بيته ولما وصلاهُ قفل بودا الباب وقال : يا عزيزي روبرت اني لم اقول لك البارحة امام والدتك وشقيقتك بعض ما كان يجول ببالي لان النساء لا يفهمنَ معنى كلام من كان مثلنا ينطق بلهجة العسكريين واصطلاحاتهم وعليه فانا اصرح لك الآن مختصراً باني حيوان . . . اني غليظ ثقيل متوحش . . . فهل انت راضٍ . . . لما ذكرت لي أمر البطاقة استفزّني الغضب لغير داعٍ وكان الاولى ان نضحك من ذلك الامر لا ان اغضب كما فعلت . وقد ذكرت لوالدتك ان شرب الخمرة وتأثير شمس افريقية هي سبب ما بدا مني نحوك فقلت لك كلاماً تراني الآن نادم على قوله ولا شك انك نسيته كما وعدتني فانا اعيد طلب السماح منك في نفس المكان الذي اهنتك فيه آملاً ان لا يبقى لهذا الحادث ادنى أثر بيننا فاجاب ألري : لم افعل ما ذكرته لك البارحة الاّ قياماً بواجب مقدس . نعم كان واجب ان يذهب من اسمه ألرَي الى كاستنيه وينغص فرحه بزواج ابنته ويذكره انه يوجد اناس قد سبب هو شقاءهم

— فهمت ما تعنيه فقد سمعت بقضية ألرَي وكاستنيه ولكني كنت

جاهلاً ان والدك الري هو خصم كاستنيه . والآن اقر لك ان أسرتي كانت وما زالت تعتقد ان والدك مظلوم . ان والدي كان صديقاً لكاستنيه وكانت أسرة هذا تحسن وفادتي كلما جئتها زائراً . وبلغني مصابها بينما كنت قادماً الى باريس وسأذهب غداً لتقديم واجب التعزية لمدام كاستنيه . واذا ذكر اسمي في هذه القضية فان اسمك لن يذكر . . . . فلا تخشى شيئاً يصدر مني واعلم انه اذا كانت بطاقتي قد وصلت الى القضاة ساجد متحجلاً لوجودها عند كاستنيه في ذلك اليوم فلا تضطرب وكن ثابت الجأش مطمئن الخاطر

ـ شكراً لك يا عزيزي على حسن ظنك بوالدي وان ما رأيته من احترامي وحبي لوالدتي يدلك على احترامي ذكرى والدي فلا غرابة اذاً في استعمالي الحيلة لاقوم بما كلفني اياه ذلك الوالد قبل مماته

ـ انما اعرفه عنك وما رأيته من والدتك وشقيقتك الفاضلتين يزيد في اعتقادي بفضل والدك وصدقه يا روبرت

ـ ان والدي يسرّ الآن لانتصار ذوي الفضيلة من امثالك له

ـ لم يكن كاستنيه متمتعاً بهناء العيش كما كان يظنه الناس فان قصاصه ابتدأ قبل ان تأتيه انت وتذكره بالماضي فقرينته متعجرفة غليظة الطباع قاسية القلب اما ابنه شارل فهو تعيس ظُلم منذ حداثة سنه ولم تحسن تربيته فاصبح من اسوإ الناس سيرة وكانت ايرما جميلة لطيفة لكنها تطبعت بطباع والدتها فلا حاجة الى الاسهاب في وصفها . . . ولكن الطبيعة يسرها المعاكسة فان ذلك الوالد وتلك الوالدة بعد ان قذفا شارل الى محلات القمار والدعارة وعرضا في المجتمعات فتاة قليلة الادراك محبة لذاتها كايرما انتجا فتاة

لطيفة فتانة طيبة القلب طاهرة السيرة بارعة الحسن وهي حنة

وانتفض القبطان ألري عند سماعه اسم حنة واشتد اصفرار وجهه ولاحظ بودا ذلك ونظر الى صديقه مدهوشاً ثم تابع حديثه فقال : ان حنة هي خلاصة الصفات الطيبة وهنيئاً لمن ستكون زوجة له هنيئاً لمن تحبه لانه بوجودها معهُ ستكون حياته سلسلة هناء وافراح

ولما لم يكن بامكان بودا الثبات في مكان واحد اخذ يتمشى في الغرفة ويصفّر ناظرًا خلسة الى صديقه ثم اخذ قبعتهُ وقال : اما وقد انتهينا من حديث الاشرار والملائكة فلنخرج للنزهة

ولما افترقا عاد بودا الى بيته وهناك ناجى نفسه قائلاً : قد ساعدت بطاقتي روبرت على مقابلة كاستنيه بخشونة وربما كانت ايضاً واسطة لرؤيته حنة الجميلة . . . هل يا ترى صديقي مغرم بتلك الدرة اليتيمة . . . واي غرابة في ذلك ان حنة وروبرت اذا اجتمعا كانا ابهى واجمل عاشقين وجدا في هذا العالم . . . ولا بد لي من الوقوف على حقيقة هذا الامر . . . وما ادراني ان سعادتهما لم تكتب منذ الازل في بطاقتي . . .

الفصل الاربعون

« سيعشق »

وجاء بودا لزيارة مدام كاستنيه في اليوم الثاني وكانت مع ماشطتها فارسلت ابنتها حنة لاستقباله ريثما تحضر هي فلما نظر الشاب حنة صورت له مخيلته انه يرى بالقرب منها روبرت وتذكر ما بدا على وجه صديقه حينما

ذكر امامه اسمها فبعد ان تكلم بما تقتضيه الحالة جرى بالحديث عمداً الى ما اصبح منذ البارحة موضع اهتمامه وبينما هو يقص على الفتاة شيئاً من حوادث الميشة العسكرية وقف في حديثه وقال بغتة : ان الفضل بتمتعي برؤيتك اليوم عائد الى احد رفاقي الذي هو عنوان الشرف ومثال البسالة والاقدام واطيب من على وجه البسيطة قلباً وانقاهم ضميراً . . . اعني به القبطان روبرت آري . . . فانتفضت حنة لسماع ذلك الاسم . . . كما اصفر وجه روبرت البارحة عند ذكرها فادرك بودا ان الفتاة تحب صديقه كما هو يحبها واراد التثبت من الامر فاخذ يمدح روبرت ذاكراً ما ابداه من البسالة والاقدام في ساحة الحرب وامتيازه على اقرانه بجميل صفاته وكانت حنة تصغي الى حديثه ووجهها يتدفق بشراً وحبوراً . . . ولم تقو على امتلاك عواطفها فصاحت : اني اعرف الضابط آري

— اذاً تعلمين اني قد قصرت في وصفه

— انه لم ينقطع عن حسن العمل في باريس ايضاً

— في باريس . . . هل هاجم هنا ايضاً جموعاً من البدو . . . فشتت شملهم ان ذلك لا يستغرب ممن كان مثله . . .

قهقهت حنة ضاحكة واجابت : انه لم يهاجم ولم يقتل بل فعل عكس ذلك

— ما الذي فعله

— ساعد كسيحاً على ركوب عربته

— روبرت . . .

— نعم وانا هو ذلك الكسيح

— انت . . . وكيف جرى ذلك

فقصت حنة على بودا ما جرى لها مع روبرت . . . في المقبرة يوم انصدعت رجلها وختمت كلامها قائلة : والحق يقال اني حينما استندت الى ذراعه زال ما كان برجلي من الألم فكأني شفيت . . . أليس ذلك امراً غريباً

— نعم نعم ... ثم ماذا

— ولما ركبت شكرته والدتي على اهتمامه بي وشكرته انا ايضاً ولما مشت العربة اذا برجل طويل القامة سبق لنا معرفته واسمه مارتين نوما وهو على ما اظن من اهل القضاء ... تقدم الينا وكان قد رآني حين انصدعت رجلي فجاء يسأل عن حالتي وذكر لنا ان الشاب الذي ساعدني على المشي هو من خيرة الضباط ومن ابطال افريقيه وان اسمه روبرت ألري

— يا لغرابة الاتفاق ذكرت لك اسم بطل هو صديقي واذا بك تعريفينه ... اوَ لم تري صديقي روبرت بعد ذلك اليوم

— كلا لم نرهُ ولما اردت ذكره فيما بعد انتهرتني والدتي وامرتني بالسكوت وانا لا اعلم سبب ذلك الانتهار وجلّ ما اعرفهُ هو ان والدتي تغضب ممن يلفظ اسم ألري ... ان لوالدتي اعتقاداً في بعض امور هي اقرب الى الخرافات ولا يمكن حدوثها الاّ في القصص والحكايات الخيالية . . . مثلاً انه اذا انتشل شابٌ فتاةً من خطر عظيم . . . يكون نصيبها الاقتران بذلك الشاب

— هذا ما نراه في الحكايات

— ولكني لم اكن مهددة بخطر ما فلا باعث لخوف والدتي لو صح اعتقادها

— صدقتِ

— وكان بودي ان ارى القبطان ألري لاشكره على صنيعه او اعلمهُ

اني شفيت مما اصابني ولكنني لم اجد سبيلاً الى ذلك وتراني سعيده الآن اعلمي انه صديقك اذ يمكنك ... اذا شئت ... ان تنقل اليه اني سررت جداً لوجوده بالقرب مني حين اصابني ذلك الالم في رجلي

— سأقوم بهذه المهمة

— قل له اني سررت بل افتخرت بان يكون الذي قادني الى عربتي بطل مجيد شهير . . . وانيس لطيف مثله وكرر بودا وعده بابلاغ كلام حنة الى روبرت وفتح اذ ذاك باب الردهة ودخلت مدام كاستنيه فقالت حنة : دع هذا الحديث فان والدتي تكره سماع اسم الموسيو ألري

عرف بودا ما كان يتوق الى معرفته . فلما دخلت عقيلة كاستنيه وعلى وجهها امارات الكبرياء وفي يديها الخواتم المرصعة حياها بفتور . . ثم ذكر داعي زيارته وتكلم مختصراً عما جرى له منذ غيابه لعلمه ان ذلك لا يهم تلك السيدة ثم انصرف وهو يقول في سرّه : لا بد لي من ان ازوج روبرت بحنة فيكون سروري عظيماً اولاً لان ذلك يسبب سعادتهما وهما اهلاً للسعادة ثانياً لما في اقترانهما من كيد مدام كاستنيه التي تكره ذكرَ اسم صديقي ألري

ثم اخذ يفكر في ما يمكنه عمله لاتمام ذلك فطرأ له فكر جديد وقال: ويك يا بودا ان علاقتك في حب هذين الشخصين شديدة . . نعم شديدة جداً فقد سرت وروبرت على قاعدة لم تتحمل الشذوذ فكان السابق وكنت اللاحق . . . . فقد سُمّيت يوزباشياً بعد ان سمي هو كما انك جرحت بعد ان جرح ونلت الوسام بعد ان ناله الخ . . . وبما انه عاشق الآن فمن المحتم عليك اتباعاً لتلك القاعدة ان تعشق انت ايضاً . . .

وذهب بودا الى بيته ولما اصبح عاوده نفس الفكر : بما ان روبرت عاشق من المحتم ان اعشق انا ايضاً. وقد استغرق هذا الفكر جميع حواسه فلم يشعر بالمسافة التي اجتازها بصعوده السلم ولم ينتبه الى نفسهِ الاَّ وهو يقرع باب ألزي . . . وفتحت له انطوانيت

الفصل الحادى والاربعون

« السارق الظريف »

لما اطلعت صديقي نوما على وصول الضابط بودا الى باريس فأجابني لندع الحب ينبت ثم يزهر مزدوجاً يا كورفيل ولنذهب الآن الى غرفة قاضي التحقيق حيث ترى سائق المربة الذى قبض عليه بروسبر حينما كان يهيج الكلاب امام منزل الشفاليه فونتيس في تلك الليلة الهائلة

وبعد ان دخلنا على الموسيو كابستين جيء بالحوذي وكان شاباً غليظ الجسم تلوح على وجهه البلاهة فسأله القاضي عن اسمه ومحل ولادته وهل لديه رخصة بتعاطي مهنته فاجاب انه يدعى بيدار جوزف ولد في تول وغير حائز على رخصة وانه كان يوم التي القبض عليه نائباً عن حوذي مريض من اصدقائه فسأله القاضي ثانية عن الوجهة التي سار فيها منذ استلم عربة صديقه المريض فقال : اني نقلت كثيرًا من الناس الى محلات مختلفة وركب معي بعضهم فاوصلتهم الى شارع مالرب وفيما انا عائد ركب معي رجلان وطلبا ان اسير بهما الى باسي فرضيت بذلك مع ما كان عليه جوادي من التعب واوصلت الرجلين الى حيث امراني بالوقوف ونزلا ثم سرت

بالعربة قاصداً المربخانة فسقط الجواد من الاعياء وكثرة الجليد الذي كان يغطي الطريق وحاولت انهاضه بالرفق و بدون ان اضربه واذا بكلب ينبح فازعجني صوته واردت اسكاته وفيما انا مشغول بذلك هجم عليَّ بعض الرجال وحملوني الى العربة وانهضوا الجواد وساروا بي الى محل التوقيف وقد مضى عليَّ فيه عدة ايام اسأل فيها عما تسألنيه فاجيب كما اجبتك الآن

— ما اسم اللذين ركبا معك

فانتفض الحوذي لهذا السؤال واجاب : لم تجرِ العادة بان يسأل الحوذي عن اسم وعنوان من يركب معهُ

فقال القاضي لا حاجة الى السؤال متى كان الركاب كباقي الناس لا غاية لهم سوى الانتقال من محل الى آخر والسائق لا رغبة له سوى قبض اجرته ولكن هذه القاعدة لا تنطبق على من كان مثلك ومثل الذين ركبوا معك

— لا افهم ما تعنيه يا حضرة القاضي

— ها اني افصح لك عما اعني : فانت شريك الذين ركبوا في عربتك

— شريكهم ... في اي شيء ... وهل نحن مسؤولون عما يأتيهِ من يركب معنا

— لا ريب في ذلك اذا اختارك الركاب لنقلهم الى مكانٍ ما ومساعدتهم على ما يعملونه فيه

— ان ما تقوله يا حضرة القاضي مطابق للعقل ولكنهُ ليس له علاقة فيما يخصني اسأل شركة العربات فتفيدك عن الساعة التي استلمت فيها العربة وعن اسمي وصدق قولي باني انوب عن صديق لي فيظهر لك اني

لم اكن مع الذين ركبوا معي الا اتفاقاً فاذا كانوا قد اتوا ما يهمك فانا بريء مما فعلوه

واطرق القاضي قليلاً ثم سأل : انت تدعى بيدار جوزف من بلدة تول

— نعم

— اذاً لا شك انك تعرف رجلاً يدعى ماتياس لوبيار

فارتعد الحوذي لسماعه هذا الاسم. ولكنه هزّ رأسه قائلاً : لا اعرف من ذكرت ... فهل هو احد الذين ركبوا معي

— انما هو نفس الحوذي الذي ركبوا معه

— ما الذي تعنيه

— ان عربتك التي حملت الرجلين الى باسي كان سائقها ماتياس لوبيار

— لم افهم بعد ما تقصده يا حضرة القاضي

— بعبارة اوضح اقول لك ان اسم بيدار جوزف وماتياس لوبيار هما لشخص واحد له سوابق عديدة وتشبيهه محفوظ عندنا فلا يمكنه الانكار والخلاصة انك انت هو ماتياس لوبيار

فصاح الحوذي : انا بيدار جوزف ولا معرفة لي بلوبيار

— هذه اوراق تشبيهك وهي موافقة لتشبيه لوبيار وعليه فانت هو بعينه ولا فائدة من انكارك

فصرخ الحوذي بحنق ونهض كمن يتهدد القاضي فبادر اليه بعض انفار البوليس وحاولوا ان يجلسوه عنوة وبينما هو يمانع وقد ظهر في وجهه الرعب وقع نظره على مارتين نوما فصاح : آه قد ادركت السرّ . . . صدقت

يا حضرة القاضي لم يبقَ لي فائدة في الانكار ما دام لمارتين نوما دخل في هذه القضية

ثم جلس صاغراً وقد بدت على وجهه علائم الانكسار والفشل فسأله القاضي : هل انت عازم الآن ان تقول الحقيقة

— لا مندوحة لي عن ذلك ... وهل يمكن الكذب واختلاق الاحاديث امام مارتين نوما ... فسلني أجبك

— هل تعرف الذين ركبوا معك

فاجاب الرجل وهو ينظر الى نوما في خلال حديثه : ها اني اقص عليك كل ما اعرفهُ واذا خيل لك ان ما اقوله غريب غير ممكن الحصول فالمسيو نوما يصادق على اني صادق في كلامي . قد سقط في يدي ولا سبيل لي الا اخفاء ما اعلمه فضلاً عن ان علاقتي بهذه القضية بسيطة فلا حاجة لي الى الكذب فانا لا اعرف جميع الذين ركبوا معي وانما اعرف احدهم وهو اسباني الجنس ورفيق لي قديم زرت انا وهو بعض البيوت ... للتفرج على ما فيها من الحلى والاواني وكل ما يسهل بيعه . والموسيو نوما يفهم ما اعني ... وقد جاءني الاسباني منذ بضعة ايام وطلب اليَّ الاشتراك معه وبعض اصدقائه في دخول بيت سيد عظيم في باسي ليس في خدمته سوى شيخ ضعيف وبعض الكلاب وان عليَّ احضار عربة لركوبهم واشغال الكلاب من جهة معلومة ليتمكن الرفاق من الدخول الى البيت من جهة اخرى فجئت بالعربة الى حيث كان ينتظرني الاسباني

— اين كان ينتظرك

— في شارع هوسمن وركب بالقرب مني ثم ذهبنا الى حيث ركب

معنا رفاقه وهم ثلاثة لا اعرفهم

— أصادق انت فيما تقوله

فالتفت الحوذي الى نوما وقال : يا موسيو مارتين نوما انت عالم بصدق ما أقول او كذبه فقل ذلك لحضرة القاضي فقال القاضي : تابع حديثك

— ولما انتهينا الى باب حديقة البيت الذي كانوا ينوون سرقته اوقعوا الجواد الى الارض وربطتُ رجليه لمنعه عن النهوض ثم اخذت بالصياح كما كان الاتفاق

— ألم يكن معك سوى الرجال الاربعة الذين ذكرتهم

— ركب معي اربعة ولكننا لما وصلنا الى الشارع الذي فيه البيت كان هناك في انتظارهم بضعة اشخاص فتبادلوا الحديث

— وبعد

— لما ابتدأت بالصياح ونبحت الكلاب اتجه الاسباني ورفاقهُ الى بيت هناك وغابوا عن نظري ووصل اذ ذاك رجال لا اعرفهم وانتهروني فزدت في الصياح قصد تنبيه رفاقي الى الاحتراس فحملني الرجال في العربة واتوا بي الى السجن هذا كل ما اعرفهُ

ونظر القاضي الى الحوذي يتفرسهُ بامعان كانما يحاول ان يقرأ ما في ضميره فقال الحوذي : اني لم اكذبك الحديث وما فعلتهُ لا يوجب الكذب ومسيو نوما يعلم ان ما قلته هو الحقيقة ... لان رفيقي الاسباني كان اخبرني ان تلك السرقة مدبرة احسن تدبير ومنذ عهدٍ بعيد وعليهِ فاني اعتقد انه لولا تداخل المسيو نوما فيها لما امكن احداً من رجال البوليس ان يكتشفها فهو اذاً عالم بتفاصيلها

ـ اين كنت تجتمع بصديقك الاسباني

ـ كنا نتردد الى مواضع مختلفة لكي لا ينتبه رجال البوليس الى ما نعمله

ـ ولكنك اتفقت مع رفيقك على الاجتماع في مكان بعد اتمام السرقة لتأخذ نصيبك منها

ـ انه وعدني بمبلغ معلوم من المال يدفعه لي يداً ليدٍ جزاء اتعابي نجحوا في عملهم اولم ينجحوا قائلاً ان اخذ المال اوفق لي اذ ربما لا يسهل بيع المسروق حالاً فحال القاء القبض عليّ دون قبضي المال

ـ ألم ترَ رفاق الاسباني أوَلا تعرفهم اذا رأيتهم الآن

ـ كلاّ فانه لشدّة برد تلك الليلة كانوا يلبسون قبعات تغطي قسماً من وجوههم وكان القسم الثاني ملفوفاً بلفاعات

ـ والاسباني ألا تعرفه اذا رأيتهُ

ـ نعم اعرفه مع اني كثيراً ما استحالت عليّ معرفته في بدء علاقتنا لانه كان تارةً يأتيني بشكل خادم وطوراً بهيئة سيد عظيم ولا بد لي من سماع صوته لمعرفته

ـ ضع توقيعك على هذه الاوراق التي فيها قرارك

ـ عفواً يا سيدي . . . اني قلت ما اعلمه بسبب وجود الموسيو نوما الذي لا تخفى عليه خافية ولكني اودّ ان لا يعلم رفاقي اني صرحت بما اعلمهُ لان ذلك يعود عليّ بالخزي امام الجمعية ويضرّ بمصلحتي وربما قتلوني . . او امتنعوا عن مشاركتي في اعمالهم فاموت جوعاً . . .

قال لو بيار ما تقدم بصراحة وخرية مدهشة فنهض مارتين نوما

وتقدم اليه قائلاً : يا لو بيار ساطلب من حضرة القاضي ان لا يذيع اقرارك وقت المحاكمة فلا يطلع رفاقك على ما قلته

ــ اذاً انا اوقع بطيبة خاطر

ولما انتهى الحوذي من كتابة اسمه سأل هل قُبض على رفقائهِ فاجابه القاضي انه سيعرف ذلك فيما بعد

فقال الحوذي : والاسباني

ــ ستعرف ذلك ايضاً في حينه

ــ احب معرفته الآن لما لي من المصلحة مع المذكور فانه وعدني بدفع ما اتفقنا عليه من المال سواء تمت السرقة او لم تتم فاجابه نوما باسماً : هذه حسابات تنهى فيما بعد

ــ لا باس من ذلك ما دمت انت كافلها

ولما سار الجنود بلو بيار ضحك القاضي وقال لنوما : كنت اجهل يا عزيزي نوما انك موضع ثقة السارقين

فاجاب نوما : ان لو بيار أقر لك بالحقيقة وهو جاهل تماماً ما كان ينويه رفاقه ولا علم له اذا كان الاسباني هو نفس الذى كان يرقص مع الفتاة او كتافي او احد الاشراف المنتمين الى الامير رومالينو وعليه فاننا لم نتوصل الى ما نريد معرفته لان الجثة التي هي بين ايدينا لا فائدة منها الا اذا طلبها احد وترى انه الى الآن لم يهتم بشأنها احد ولم يحدث ادنى تأثير في جماعة الايطاليين هنا لما اصاب البارون بومباري ... اما الحوذي فلا فائدة ترجى منه الا اذا سهلنا عليه الاجتماع برفيقه الاسباني فنقبض عليه ونعلم منه ما نود معرفته

ـ ما الذي ترتأي اجراؤه يا موسيو نوما

ـ ارى ان نبقي لوبيار تحت تصرفنا حتى اذا جاء من يطلب بومباري قابلناه به لعله يجد الاسباني بين طالبي الجثة من اقرباء الميت او من يدعون قرابته او اصدقائه والاوفق على ما اظن هو ان نطلق سراح لوبيار ليفتش عن الاسباني المذكور ويطالبه بالمال الذي وعده به فابث عليه الارصاد حتى اذا اجتمعا سوية القينا القبض عليهما

ـ سأعمل بما تشير عليّ به يا موسيو نوما

ثم خرجت ونوما فالتقينا ببروسبر فاشار هذا الى رئيسه اشارة خفية تظاهر نوما بعدم الانتباه اليها ولكننا لما ابتعدنا قليلاً قال لي : استودعك الله الآن يا عزيزي كورفيل فاني ذاهب الى بروسبر اذ هو في حاجة اليّ وساقابلك في هذا المساء او غداً صباحاً

لما ابتعد نوما عني سار الى موقف الاومنيبوس الذي يسير الى محطة الشرق وقطع تذكرة للركوب ولبث ينتظر قدوم الاومنيبوس كمن ليس لديه شغل يشغله او عمل يدعوه الى الاسراع ولما جاء الامنيبوس صعد الى سطحه وجلس بالقرب من رجل هو بروسبر فقال هذا : قد حدث في بيتك أمر غريب

ـ في شارع لبيك

ـ كلاً بل في باسي واذا ذهبت الى هناك فحسناً تفعل

ولما وقف الاومنيبوس نزل نوما وركب عربة وسار الى المنزل الذي كان يسكنهُ تحت اسم الموسيو دوران وهناك قابله خادمه وهو احد انفار البوليس كما سبق لنا الاشارة ودفع اليه رزمة مربوطة قائلاً ان فتى جاء

بها للموسيو دوران المصوّر ففتح نوما الرزمة فاذا فيها اطار مذهب فتفحصه جيداً لعله يرى عليه كتابة ما او اشارة يستدل منها عن مرسله وعما يقصد بارساله اليه فلم يرَ شيئاً وسأل خادمه ألم يطلب ثمن الاطار الرجل الذي جاء به فاجابه نفياً وقال نوما ان هذه الرزمة حملت اليّ غلطاً لان اسم دوران شائع جداً فهي لدوران غيري

ولفّ نوما الاطار في الورقة التي كان فيها وربطهُ ثم دخل معمله ووضعهُ هناك واخذ يمشي مفكراً في حل هذا اللغز الجديد ...

ومضت ايام فتش في خلالها خادم نوما في معامل صانعي الاطارات عن الفتى الذي جاء بالرزمة الى بيت رئيسه فلم يقف لهُ على اثر واخيراً امره نوما بالكف عن التفتيش ونبههُ انه اذا جاء احد برزمة ثانية باسم المسيو دوران ان يأخذها ثم يرسل وراء حاملها من يتأثره ولما رأيت نوما اخبرني بحادثة الاطار وانه يظنه مرسلاً من اخصامه لينبهوه انهم اهتدوا الى مسكنه السرّي

فقلت وهل تعتقد انهم توصلوا الى ذلك

— ليس هذا ببعيد عن ذكائهم واذا كان جواسيسهم لم يتصلوا بعد الى ذلك مع مراقبتهم لي وتجسسهم حركاتي وسكناتي فهم اذاً غير اهل لما كلفوا فعله

— اذاً هم ارسلوا لك الاطار كانذار بالسكوت او بالانقطاع عن البحث عنهم

— كلا يا عزيزي كورفيل لانهم يعلمون ان نوما لن يطيع امرهم وهم يقصدون بعملهم تأكيد وجود رجل يدعى الموسيو دوران في هذا البيت

فارسلوا الاطار باسمه حتى اذا كان مقيماً هناك اخذ الاطار وحفظه مسروراً

ـ وانت قد حفظته ...

ـ نعم ولكن بقي على اخصامي ان يثبتوا ان دوران هو نفس مرتين نوما وهذا ليس بالسهل

ـ وما هو وجه الصعوبة

ـ قد فاتهم امر ضروري للنجاح في ما يقصدونه

ـ ما هو

ان غلطهم قائم بارسالهم الاطار الى الموسيو دوران ولم يكتبوا على الرزمة اسم المرسل

ـ اني لا ارى ضرورة لذلك

ـ بئس الرأي ... فربما الذي يسمي نفسه دوران ليس هو دوران حقيقةً وعليه فلا يمكنه ارجاع هديتهم فلا يعلمون ما كان لها من الوقع فيضطرون اذ ذاك الى ارسال اطار ثانٍ مصحوب بعنوان المرسل لاعيده اليه اذا كان قد وقع خطأ بارساله اليَّ

بعد مضي ثلاثة ايام من حديثي هذا مع نوما جاءني في بيتي واعلمني انه قد وصله اطار من نوع الاول ولكنه مصحوب باعلان فيه عنوان البائع وانه يعتقد ان البائع وضعه سهواً مع الاطار من باب العادة فارسل اليه بروسبر متنكراً بهيئة المصورين منتحلاً اسم الموسيو دوران فرد الاطار قائلاً انه لم يطلبه وانه لاشك ارسل اليه غلطاً اذ يوجد كثير من المصورين باسم دوران فاخبرهُ البائع ان رجلاً يظهر من كلامه انه اسباني امره ان يعمل ذلك الاطار ويرسله الى الموسيو دوران المصور

السؤال الثاني عشر

هل يدخل اعضاء جمعية X
بيت نوما السرّي ؟

بباسي بشارع كذا ... نمرة كذا وانه لا يحب اظهار اسمه لان المسيو دوزان قد صوّر امرأته فهو يرسل الاطار سراً ليضع صورتها فيه بدون ان يعلم من هو مرسله فاكد له بروسبر انه لم يصوّر سيدة منذ مدة بعيدة لتغيبه عن فرنسا وسأله ان يعرض الاطار على باب دكانه حتى يراه الرجل الذي كلفه ارساله فيعلم انه أعيد

ومضت ثلاثة ايام وانتهى الى نوما اطار ثالث مرسل بواسطة احدى قومبانيات توريد البضائع في باريس فحمله بروسبر الى محل تلك القومبانية ورجى من مديرها ان يبحث عن مرسل الاطار ويعيده اليه .

اعاد نوما الاطار في كل مرة ليوقع الشك في عقول اخصامه في هل ان الذين يرسلون اليه هديتهم هو نفس الموسيو دوران الذي يبحثون عنه فيضطرون للوقوف على الحقيقة ان يلجأوا الى حيلة جديدة يقابلها باعظم منها فيقتنعون انهم مخطئون في اعتقادهم انه يسكن هذا البيت تحت اسم دوران وان دوران هو اسم رجل مصور حقيقي غيره ولزيادة التثبت يأتون الى منزله او يرسلون اليه احد اتباعهم ليقف بنفسه على حقيقة الامر وهذا ما كان يطلب نوما وقوعه

الفصل الثاني والاربعون

« صورة متقنة »

تغاضى نوما عن ذكر الاطار واسم دوران مدة طويلة ولكنه جاءني في أحد الايام ودخل ضاحكاً ولما سألته عن السبب قال : قد لجأ أصحاب الاطار الى الحيلة التي كنت انتظرها فانهم نظموا حفلة لاغاثة عائلة بائسة

ووزعت فيها اوراق اليانصيب واحداها تخوّل صاحبها الحق بان يتصور صورة بالزيت عند الموسيو دوران بباسي شارع كذا . . . ونمرة كذا . .

ـ اي عنوانك بالذات

ـ نعم وربح الورقة أسرة جاءت تطلب ان نصوّرها باسرها فافهمهم الموسيو دوران

ـ اي انت

ـ كلاّ بل احد الانفار اسمه فيليب يهتم بالتصوير في اوقات الفراغ ويحسن العمل وهو ذو جسم كجسمي ووجه كوجه بروسبر ... وقد كلفتهُ ان يقوم مقام المصور بينما كنت اتفرّج . فاعلمهم ان الورقة الرابحة تخول شخصاً واحداً حق التصوير مجاناً. وبعد جدال طويل قر قرارهم على تصوير ابنتهم وهي فتاة جميلة فاظهر فيليب سروره بذلك قائلاً انه لم يكن له علم بوجود تلك النمرة وان ذلك لا شك من مزاح احد اصدقائه ولكنه مسرور بعمل ذلك الصديق اذ ان الفتاة جميلة فسيعرض صورتها في معرض الصور

ـ وأين تكون جلسات التصوير

ـ في معملي فهو كباقي محلات التصوير لا يعلم ما فيه من الخبايا الاّ من أطلعتهُ على ذلك مثلك يا كورفيل وسيبدأ فيليب في عمله غداً . . . قه قه لا يسهل السخر بنوما بل هو يسخر باخصامه لانهم سيدهشون من سماحه للفتاة وذويها بدخول بيته السري ولا يدرون كيف يؤولون فعله

ـ اما انهم يعتقدون ان دوران ليس هو نوما او انه هو بعينه ولكن ذلك البيت ليس هو بيته الذي يلجأ اليه لتدبير اعماله وحيله فيعودون الى التفتيش عن بيتك السري

ـ ولكنهم سيقعون في الارتباك لوجود رجل فيه اسمه دوران حقيقة وهو مصور حقيقي وسيترصدونه حين خروجه ودخوله البيت فيرونه متحفظاً كما كنت اتحفظ ومشابهاً لي في الهيكل وملامحه مطابقة للتعليمات التي اعطاهم اياها بائع الاطارات عن المصور دوران الذي اعادها اليه أي بروسبر فيزيد ارتباكهم

ولما انتهى فيليب من تصوير الفتاة طلب منها عملاً بامر نوما ان تطلب من اهلها ومعارفها ان يحضروا للتفرج على الصورة فجاء كثير منهم واعجبوا باتقانها ثم اعلم فيليب الفتاة انه سيقدم لها اطاراً جميلاً لصورتها وذهب الى البائع الذي كان ارسل الاطار لنوما فطلب اليه ان يصنع له اطارًا كالذي كلف ارساله الى نوما واعيد اليه فصنع الرجل ما طلب منه ووضع فيليب الصورة ضمن الاطار واستأذن من الفتاة ان يعرض صورتها عند ذلك البائع كاعلان يجلب له الزبائن فسمحت ووضعت الصورة في الواجهة التي امام دكان بائع الاطارات وكان في اسفلها اسم « دوران المصوّر » مكتوب بخط احمر . . .

وكان نوما وفيليب وبروسبر يكثرون من المرور امام الدكان الذي عرضت فيه الصورة ليروا المتفرجين عليها فلاحظ فيليب بينهم رجلاً ذا شارب كثيف اسود وآخر ذا شارب كثيف احمر فتبع الاول وسار بروسبر وراء الثاني ولكن الرجلين كانا صاحبي مكر ودهاء صنعتهم التجسس فكانا يدركان انهما مراقبان فيذهبان الى حانة ما ويجلسان فيها طويلاً فينصرف رجال نوما اذ ان مهام وظيفتهم لا تسمح لهم بتضييع الوقت عبثاً في مكان واحد فضلاً عن اقامة خصميهما الطويلة كانت تدلهم على

انهما عالمان بانهما مراقبان فلا امل في اكتشاف ما يقصدانه غير ان نوما كان قد بلغ الغاية التي يرمي اليها فانهُ ألقى في عقول اخصامه الشك بصحة اعتقادهم انه يسكن ذلك البيت تحت اسم دوران فانقطعوا عن مراقبة البيت المذكور

لما امر نوما فيليب ان يطلب من الفتاة دعوة اهلها واصدقائها للتفرج على صورتها كان يؤمل ان يأتي احد اخصامه باعتباره قريباً او صديقاً ليدرس هيئة البيت ويرى بنفسه المصوّر دوران ولكن لم يحضر احد منهم خوفاً من الدخول الى عرين الاسد والوقوع تحت مخالبه ولم تتمدَّ حكاية الصورة ما تقدم ذكره

وبعد ايام قلائل وافاني نوما الى القهوة التي كنا نتردد اليها ودفع اليَّ جريدةً واشار الى محل معلوم منها قائلاً اقرأ هذا فنظرت الى حيث اشار وقرأت ما يأتي: « قد نال البارون بومباري الصياد المعروف الجائزة الثانية في صيد الحمام في مدينة جِن » ونظرت الى نوما مدهوشاً فابتسم ثم نهض وخرجنا نقصد بيته واخذ المطر في السقوط وكانت عربة واقفة في اول شارع شامودين فاشار نوما الى الحوذي فتقدم منا وركبنا وسارت بنا في وجهة شارع لبياك ولكن لما وصلنا الى شارع شابتال عطف الحوذي على يمينهِ بدون ان يطلب منهُ أحد منا ذلك واستحث الجواد فأدركت للحال انني في عربة نوما الخصوصية وظهرت وراء ظهر الحوذي الدائرة التي معناها « قد تركنا الرقباء والجواسيس بعيداً عنا » فاخذ نوما لفافة واشعلها قائلاً يمكنني الآن ان ادخن هذه اللفافة ريثما نصل الى بيت الشفاليه فونتيس لانه في انتظارنا لتناول العشاء معه

ولما وصلنا الى بيت الشفاليه ادخلنا الخادم الى مكتبته فاحسن استقبالنا ولما جلسنا اطلعه نوما على الفقرة التي ورد فيها ذكر البارون بومباري في الجريدة فانتفض الشفاليه وقال : ما معنى هذا الخبر

فاجابه نوما : انه يحتمل معانٍ كثيرة احدها ان الذي قتلته هو البارون بومباري او ليس هو . . . وثانيها انه يوجد بومباري غير الذي قتلته وثالثها ان اخصامنا خشوا عاقبة وجود الجثة بين ايدينا فاختلقوا رجلاً باسم البارون بومباري كي لا يبقى صفة للذي قتلته

— ما الذي تستنتجه من ذلك يا عزيزي نوما

— ان اخصامنا يقصدون تضليلنا وتضليل الناس الذين يعرفون البارون ولم يروه منذ تلك الليلة وللحصول على هذه النتيجة اشاعوا ان البارون بومباري في مدينة جن . هذا اعتقادي الآن سابقى عليه الى ان اثبت ان البارون بومباري لم يقتل بيدك

— لا بد لنا من الوقوف على حقيقة هذا الامر فاني وان كنت اعرف اسم البارون بومباري فانا اجهل شخصه ولم اره قط في حياتي

— ان هذا الامر موكول اليَّ غير ان بعض الاحوال تستوجب انتباهنا فان بروسبر قد لاحظ عدم وجود الرجل الذي كان يرقص دائماً مع اوكتافي ويدعي انه اسباني الجنس

— وهل تظن انه ارسل الى جن تحت اسم البارون بومباري

— قد لاحظت ان اخصامنا تشتتوا بعد قتل الرجل الذي ادعى انه البارون بومباري فلربما ذهب احدهم الى جن وانتحل اسم الميت كما انه من الممكن ان يوجد في جن رجل اسمه حقيقة بومباري وعليه فيكون الذي

قتلته قد انتحل اسم هذا الصياد الماهر

وانتقلنا في الحديث الى غير ذلك الموضوع واعلمنا الشفاليه انه ينتظر حضور فتاة جميلة عرفها وهي صغيرة لتناول العشاء معنا وانها تجيد العزف على البيانوا وقد جاءت باريس لعمل ثياب متقنة تظهر بها في روسيا والمانيا حيث هي مدعوة ولما ذكر الشفاليه جمال الفتاة ابتسمت فقال لي ان ظني في غير محله وان علاقته بالفتاة علاقة وداد و إخاء وانها طلبت منه ان يكون دليلها في باريس فقبل طلبها مسروراً وانها ذات ادب باهر . و بينما كان الشفاليه يتابع وصف الفتاة قرع الجرس ورأينا الخادم الشيخ بيترو قد خرج مسرعاً فرحاً وفي يده شمسية فجرى في الحديقة حتى انتهى الى الباب وفتحه وظهرت السيدة والتجأت تحت شمسية بيترو وقدمت له وجهها فقبّلها على الخدين بحنو ظاهر وسمعناه يقول لها : اهلاً بك يا جينيتا ان وجودك هنا يسبب لنا مزيد السرور

وسار بيترو بالزائرة وكان الشفاليه قد فتح باب المكتبة ووقف على السلم ينتظرها فلما انتهت الى الشفاليه قبّلها ايضاً وامسكها من يدها ودخلا وقال : تجدين هنا اصدقائي وقد ذكرتك امامهم ولكنهم لم يدركوا ماانت عليه من اللطف يا عزيزتي مع ما بذلتهُ لافهامهم ذلك

وعرّفنا الشفاليه بجينيتا ماجيو وكانت سمراء جميلة العينين طلقة المحيا مشرقة الوجه يلوح عليها اللطف المتناهي وطيب السريرة

وبعد ان تناولنا الغداء جلست جينيتا الى البيانو وعزفت بمهارة ورشاقة مدهشة ثم قالت لفونتيس : اما وقد اظهرت لك بعزفي هذا تقدمي واتقاني لهذا الفن فها انا اوقع لك الحاناً قديمة العهد الحاناً طالما سمعتها في الوطن

العزيز وضربها على البيانو أسهل مما اسمعتك اياه ولكن انغامها اشجى واحلى ولاشك ان اصدقاءك سيدركون مثلك حلاوة هذه الانغام

ثم عزفت انغاماً قديمة لا يعرف اسم مؤلفها بل تتداولها الالسنة من قرن الى قرن فكان الشفاليه يهز رأسهُ طرباً وقد اشجتنا تلك الانغام مع جهلنا ما كانت تسببه لفونتيس من الذكرى

وكان لتلك الالحان من التأثير ان ابكت فونتيس ثم لما انتهت جينيتا من العزف على البيانو دنت من فونتيس وسالته هل هو مسرور فاجابها ان سروره لا يوصف ولذلك يهديها تذكاراً لطيفاً ثم خرج من القاعة فقالت جينيتا : لم يكن لما وقعته من الالحان وما رأيتماه من التأثير على صديقي الاَّ لانها تذكره ماضياً عزيزاً كان هناؤه فيه تاماً. وكنت يا سيديَّ فقيرة اتعيش من الغناء على ابواب الاغنياء فجئت يوماً الى بيت فونتيس وغنيت له ما اعتدت غناءهُ وهي الحان قديمة العهد فسرَّ بي جداً واظهر ارتياحه الى تلك الانغام وكانت يومئذٍ بالقرب منه سيدة جميلة فارادت ان تغني نفس الاغاني فمنعها قائلاً انها مغنية مشهورة فلا يليق بها تحقيري والاولى بها ان تبقي لي ما عندي من الاعتداد بحسن صوتي ونظرت المرأة اليَّ نظرة الغضب فهربت من امامها وامتنعت عن العودة الى بيت الشفاليه لكنه ارسل خادمه بيترو في طلبي فجئت وامرني ان اوافيه كل يوم لاغني له فاطعت وكان يحسن اليَّ كثيراً ثم مرضت فجاء هذا السيد العظيم الى الكوخ الحقير الذي كنت فيه أنا المسوّلة وعزّاني وشجعني وبعد ايام قليلة جاء بيترو وحملني في عربة سيده وسار بي الى احدى عزبه وهناك تم شفائي فاردت ان اكافي من احسن اليَّ بان اغني له ما كان يستحسنهُ من غنائي واذا

بصوتي قد فقد كل طلاوة بسبب المرض فحزنت حزناً شديداً وكان في بيت فونتيس بيانو قديم سمح لي بيترو ان ألعب به وبما ان كل ايطالي هو موسيقي من طبيعته تمكنت بمداومة العمل والصبر أن أعزف على البيانو الالحان التي كنت اغنيها سابقاً فسلمني الشفاليه الى موسيقيين شهيرين اخذت عنهم هذا الفن فاصبحت كما تروني الآن بعد ان كنت فقيرة متسوّلة اقضي حياتي في الطريق ولم اذكر لكما ذكرت الا اقراراً بفضل هذا السيد واظهاراً لما هو عليه من كرم الاخلاق وطيب السريرة وعمل الخير وهو يكتم كل ما يعمله من الاحسان شأن كل محسن كريم . ومرِض الشفاليه فمرّضته وكنت اعزف له الالحان التي سمعتماها الآن فاحول فكره عما كان يشغله من الامور ...

ودخل اذ ذاك فونتيس يحمل سواراً بديع الصنع مرصعاً بالألماس غالي الثمن وقال لجينيتا : ان والدتي كانت تلبس هذا السوار فتصوّري معزته عليّ . . . البسيه الآن تذكاراً لليالي السالفة ولهذه الليلة

فصاحت جينيتا : ما هذا الكرم يا عزيزي لقد غمرتني بفضلك فلا ادري باي لسان اشكرك

— بل الشكر واجب عليّ لكِ يا عزيزتي لان حضورك الى بيتي قد ازال ما كان قد بقي فيه من الميكروبات المضرة التي نشرها هنا شخص غادر منافق زارني

الفصل الثالث والاربعون

«الشخص المبرقع»

وذهب فونتيس بجنيتا الى محل اشهر خياطي باريس فلما وصلا الى القاعة التي يعرض الخياط فيها اقمشته لقيا فيها المفني بالستريني وامرأته وألفيرا فوكامور

وكانت جنيتا تتقدم الشفاليه فلما رأتهم تراجعت اليه مذعورة وقبضت على يده اما هو فانحنى بسكون امام ألفيرا التي كانت تسير في وجهته

ولما رأت الفيرا الشفاليه ورفيقته انتفضت وترددت عن المشي ثم تابعت سيرها وهي تحدج ببارق لحظها جينيتا المرتعدة... وسار بالستريني وزوجته في اثر الفيرا ولما ابتعد الثلاثة قالت جينيتا لفونتيس : لابد من وقوع مصاب اليوم لالتقائنا بهذه المرأة...مسّ بيدك هذا السوار الذي كانت تلبسه والدتك يا صديقي لتبعد عنك كل اذىً

فمس فونتيس السوار ثم جاء احد العمال فعرض على نظر جينيتا كثيراً من الاقمشة والاثواب فكانت تستشير فونتيس في انتقائها... وغلب عليها اعتقادها بالخرافات فسألت من هناك من العاملات : هل اختارت السيدة التي خرجت الآن شيئاً مما اخترته انا

— اتعنين الكونتة دي فيلاسر بوري

— نعم هل وقع اختيارها على ما اعجبني وهل وافق ذوقها ذوقي

— كلّا يا سيدتي فان الكونتة دي فيلاسر بوري لم تأت بقصد مشترى ثياب بل لترى هل انتهى عمل الثوب الذي اوصتنا بعمله لتتنكر به يوم مرقص الاوبرا

فقال الشفاليه : وهل في عزم الكونتة ان ترقص

ـ كلاّ بل هي لا تقصد بالذهاب الى الاوبرا الاّ مرافقة السيدة التي رأيتماها معها ورجلها وهما المغني بالستريني وزوجته

ولما انتهت جينيتا من اختيار ما تريده عادت مع الشفاليه الى بيته وهناك غادرها وسار الى مرتين نوما فلما رآه هذا سأله ما الذي جاء به وما الداعي الى ما يظهر على وجهه من القلق فلم يجب الشفاليه وعاد نوما الى سؤاله قائلاً : لعلك التقيت بالستريني وامرأته والكونتة دي فيلاسر بوري في طريقك او في محل احد باعة الجوهرات او الخياطات

فنظر فونتيس الى نوما بدهشة وقال : انك يا عزيزي نوما تعرف كل ما يجري في الدنيا على ما أرى

ـ هل جئت لتخبرني بما ذكرته لك

ـ نعم ولديّ شيء آخر

ـ هات ما عندك

ـ التقيت بالستريني وامرأته والكونتة بينما كنت داخلاً مع عزيزتي جينيتا الى محل خياط

ـ لا غرابة في ما تذكر فان مدام بالتريني قد شفيت الآن من التسمم الموهوم الذي كان قد الم بها

ـ ولم ترضَ جينيتا ان تلبس ما ربما تكون قد اختارته الكونتة من الألوان فسألت المستخدمين في ذلك فاجابوها ان الفيرا جاءت تسأل هل انتهى عمل الثوب الذي اوصتهم بصنعه لتتنكر يوم حفلة الرقص في الاوبرا

ـ ثوب تنكر . . ولمَ يا ترى هل تنوي الذهاب الى الاوبرا

ـ نعم ستذهب مع بالستريني وزوجته

ـ ان هذا أمر يوجب الاهتمام

ـ وهناك أمرٌ ارجو منك الانتباه اليه فان صديقي الكونت دي فيلاسر بوري ضعيف القوى حتى الآن فلا يمكنه الذهاب الى المرقص برفقة ألفيرا ثم هو ذو غيرة عليها فلا يسمح لها بالذهاب وحدها وعليه فهي ذاهبة الى مرقص الاوبرا بغير علم الكونت

ـ هذا هو الارجح

ـ ولكن ما تراها تعمل لترك بيت صديقي بدون ان يشعر بذلك وبدون ان يراها احد ... وما الذي تنويه بذهابها ليلاً الى الاوبرا .. اي مكيدة تكيدها ... اي مصاب ينتجُ عن عملها ... اني خائف على حياة انجليو يا عزيزي نوما فهل رجالك الممرّضون باقون بقرب الكونت وهل يمكنهم صيانته وحفظه اذا أحاق به خطر ما

ـ حسناً فعلت ايها الشفاليه باطلاعي على عزم الفيرا بالذهاب الى الاوبرا اما صديقك الكونت فهو في مأمن من كل خطر مفاجئ لان رجالي بالقرب منه وما داموا هناك فلا خوف عليه غير ان هذا لا يكفينا فان عمل الفيرا ينبهني الى اخذ الاحتياطات اذ لاشك بانها تدبّر امراً ما خطيراً ... آه قد آن اوان الجدّ فيجب علينا ان نضرب اخصامنا بيد من حديد

ـ اني ارى من الموافق ان ننبه الكونت الى ما تنويه امرأته من الذهاب الى الاوبرا حتى اذا كان يجهل هذا ساعدنا في عملنا على المحافظة على حياته

— نعم الرأي فاذهب الى صديقك واطلعه على ما تعلم اما انا فدعني وشأني ولا تهتم بما سأعمله وسأجدك متى احتجت اليك . . .

وخرج فونتيس الى بيته وتناول العشاء ولما جاءت الساعة التاسعة انصرفت جينيتا الى غرفتها اما هو فسار يقصد منزل صديقه الكونت دي فيلاسر بوري .

اعتادت الفيرا منذ يوم خروج الكونت من المستشفى ان تذهب الى فراشها في الساعة التاسعة لأخذ الراحة خوفاً من ان يؤثر السهر على جمالها وكان فونتيس عالماً بهذه العادة فما كان يزور صديقه قبل تلك الساعة فلما سار اليه عقيب محادثته مع نوما وجده وحده فقابله الكونت بهشاشة قائلاً اهلاً بك ايها العزيز اني فرح بحضورك اليوم لانك ستبقى معي وقتاً طويلاً من الليل لاني عازب

ـ ما معنى ذلك . . .

ـ أن ألفيرا قد اعتنت بي باخلاص مدة مرضي وانكرت ذاتها في خدمتي فهي الآن في حاجة الى الراحة واللهو وقد سنحت اليوم فرصة فاغتنمتها وامرتها ان تخرج من البيت لتتنشق هواء نقياً غير هواء غرفتي انا المريض فرفضت في بادىء الامر قائلة انها لن تخرج من البيت قبل ان اصبح قادراً على الخروج . . .

فقطع الشفاليه حديث الكونت قائلاً بما امكنه التظاهر به من الرصانة والجد : يا لها من امرأة محبة . . . انها تحبك يا انجليو

ـ نعم تحبني حباً لا مزيد عليه وانا اهواها ايضاً كما تهواني

ـ اني عالم ذلك . . . وحسناً فعلت بالحاحك عليها بالخروج للنزهة

ـ لم يبقَ لي من حاجة الى ملازمتها اياي فلما جاءتها اليوم دعوة من الموسيو بالستريني وامرأته . . . هل تعرفهما يا فونتيس

ـ اظن انهما مغنيان

ـ نعم ولي بهما تمام الثقة . . . وهما رفيقا الفيرا يوم كانت تغني على ملاعب ايطاليا وقد جاءا باريس للتفرج عليها وطلبا من الفيرا ان تقضي السهرة معهما وسمحت لها بذلك فذهبت لتناول العشاء عندهما

فقال الشفاليه : وبعد العشاء ترافقهما الى مرقص الاوبرا متنكرة بثوب اسود بديع الصنع

ـ كلاَّ يا عزيزي لم يجرِ بيننا حديث المرقص فمن اين جئت بهذا الخبر فضلاً عن ان الفيرا لا تذهب الى مثل هذه الامكنة وقد رفضت مراراً ان تذهب اليها برفقتي وعليه فلن تذهب اليوم اذ لا يخطر لها هذا الامر ببال وانا مريض الازم بيتي . . . على انك قلت ما قلته يا فونتيس بلهجة العارف فمن اخبرك عن عزم الفيرا

ورأى الشفليه ان صديقه قد قلق مما اخبره فاجابه : عفواً يا عزيزي فاني لم اقصد سوى المزاح ويسؤني ان يسبب لك مزاحي ما اراه فيك من الانزعاج

ـ ولكن كان لديك الف حيلة للمزاح غير هذه فاسمح لي ان اكرر عليك السؤال

ـ ان ما اعلمه من جهل بالستريني وزوجته لباريس حملني على الظن انهما سيغتنمان فرصة وجودها اليوم لاصطحاب الفيرا للتفرج على المرقص .

ـ انت تراوغ يا فونتيس وتحاول ان تخفي عني شيئاً

— أؤكد لك . . .

— لو سلمت جدلاً انك لم تقصد سوى المزاح بتاميحك الى ذهاب الفيرا الى الاوبرا بقي امر آخر لا اسلم انك ذكرته عرضاً وهو ان الفيرا ستذهب في ثوب اسود بديع الصنع فلِمَ عيَّنت لون الثوب وحسن صنعه

— قلت ذلك لعلمي ان النساء يفضلنَ مثل هذه الاثواب في احوال كهذه

فانتصب الكونت مرتجفاً وقال للشفاليه : يا رفائيل . . . قل لي الحقيقة

فتردد الشفاليه وقال الكونت : بحق صداقتنا القديمة العهد وما بيننا من روابط الاخاء منذ الصبا قل لي الحقيقة . . . قل كل ما تعلمه

ورأى فونتيس ان قد آن الاوان لكشف الستر عن اعمال الفيرا الاثيمة واطلاع الكونت على صفات من تعاشرهم من القوم الذين لصديقه بهم ثقة عمياء فاجاب : ستعلم فيما بعد ما الذي يدعوني الى اطلاعك على ما يؤلمك يا انجليو . . . وقد حلفتني باعز الاشياء لديَّ فلا بد لي من الكلام

فاصغَ اليَّ جيداً ... وافهم ما اعنيه . . . وتجلد ايها العزيز

فاثرت لهجة الشفاليه بصديقه وقال هذا بصوت مرتجف : قل يا رفائيل

— كنت اليوم مع جينيتا في محل خياط فالتقينا هناك بالفيرا وبالستريني وامرأته

— لا غرابة في وجودها هناك

— اصغَ الى تتمة الحديث بربك ... وسألت جينيتا الخياط عما اختارته الفيرا من الثياب فاجابها انها لم تأت لتفصيل اثواب بل لتسأل هل انتهى عمل ثوب التنكر الاسود الذي اوصت ان يصنع لها لتلبسه في

مرقص الاوبرا

ـ هذا محض كذب وبهتان

ـ انجليو... انا اكلمك الآن ... ولا يمكنك ان تنسب الكذب الي

ـ عفواً يا صديقي الحبيب انا لا اشك بصدقك انما قصدت الخياط بقولي فهو كاذب ... نعم كاذب ...

ـ يا عزيزي انجليو قد رأيت بعيني رأسي ثوب الفيرا

ـ رأيته ... انت رأيته ...

ـ نعم رأيته ولكن ليس ذلك مما يثبت ان الفيرا اوصت بعمله الذهاب الى الاوبرا . . فربما كانت تقصد لبسه يوم يتم شفاؤك وانما قالت للخياط انها ستلبسه في مرقص الاوبرا لكي ينجز عمله حالاً . . . ولم اسأل الخياط لان هذا الامر لا يهمني ولكنك لما ذكرت لي ان الفيرا ذهبت الى بالستريني ولامامي انها لا تأتي عملاً بدون ان تطلعك عليه ظننت انك سمحت لها ايضاً بالذهاب الى الاوبرا فقلت ما قلته مازحاً ولكني قد تأكدت الآن انها لن تذهب الى المرقص لانها لم تطلب منك ان تسمح لها بذلك ولا شك انها ستحضر عن قريب فاذكر لها ما قلته لك تطلعك على الحقيقة ... ولكن دعنا من هذا الحديث الذي لا طائل تحته

فمد الكونت يده للشفاليه وتظاهر بالضحك وقال : قد صدقت بقولك انك لم تقصد سوى المزاح

وحاول الصديقان الكلام في موضوع آخر فلم يسهل عليهما ذلك فان الكونت كان مضطرباً يفكر بما اخفتهُ عنه الفيرا من امر ذهابها الى الاوبرا ولم يشك بصدق الشفاليه واخذ يتساءل عما يحدوا بالفيرا الى الذهاب

بدونه الى تلك الحفلة ونهض الشفاليه قائلاً: قم ياعزيزي انجليو الى سريرك وارح جسمك

فاجاب الكونت : نعم انا ذاهب الى فراشي ... تعال غداً اليَّ فاني اسرّ كلما رأيتك. وخرج فونتيس من بيت الكونت وهو معتقد ان صديقه لن ينام فان حبه لألفيرا وغيرته عليها يمنعانه عن النوم وانه متى عادت سيحدث بينهما امر ذو بال

الفصل الرابع والاربعون

« المهرّج »

وعاد فونتيس الى بيته يتساءل عما تقصده الفيرا بذهابها الى المرقص من دون علم الكونت وقد خاف ان تكون ساعية الى تدبير مكيدة تقضي بها على حياة عاشقها ... ولكن الشفاليه سرّ لأطلاعه انجليو على حقيقة تلك المرأة وكشفه الستر عما كانت تخفيهِ من المكر والدهاء والبغض تحت ظواهر الحب والغرام

لما انتهى الشفاليه الى غرفته رأى على طاولته كتاباً ففض غلافه واذا به ما يأتي : « اسرع ما امكنك الى الحانة التي بجانب الأوبرا »

فبادر الشفاليه للخروج بعد ان اوصى خادمه بيترو بالانتباه والسهر على جينيتا. وفي الساعة الحادية عشرة مساءً كنت في ادارة الجريدة أصلح مسودات مقالتي فجاءني خادم قهوة بكتاب فيه هذه الكلمات « هذا المساء . . . منتصف الليل ... مرقص الأوبرا ... » اما الامضاء فكان علامة قد اصطلحت مع نوما على استعمالها وكان ضمن الغلاف تذكرة

لدخول الاوبرا فاسرعت وارتديت ثوبي الرسمي وسرت الى المحل المعين وكان غاصاً بالجموع حتى تعذر السير فيه ولما لم ارَ نوما لم يخطر لي انه تخلف عن الحضور بل ادركت انه لم يرضَ بعد بان أراه وبينما انا سائر اتفرج على المتنكرين تقدم اليَّ شخص بزي رجال المطافىء واخذ يرقص امامي ثم انحنى امامي كمن يحييني باجلال وقال بسرعة: «سلام يا موسيو كورفيل.. هو هنا» ثم ابتعد مكاني ولم اعرفه ولكني كنت واثقاً من انه احد رجال صديقي نوما وان في المرقص كثيراً من زملائه يعاونون نوما في عمله

ولقيت كثيرين من اصدقائي ومعارفي فكنت اجتنبهم لاكون حراً وطالت مدة وجودي هناك ومللت مع ما كان هناك من دواعي الفرجة على المتنكرين ... وتقدم اليَّ رجل حسن البزة في لباس اسود رسمي (سموكن) وقال لي بلطف: الموسيو كورفيل

فاجبته نعم

فقال: هو يرجو منك ان تسير اليه فاتبعني وكن حازماً وحادثني كاني صديق قديم لك فانا سائر بك اليه ... انا بروسبر

— والله لم يكن بامكاني معرفتك

وقادني بروسبر بين الراقصين فكانوا يمسكون بنا ويجتهدون في اشراكنا معهم في الرقص فنعتذر ولم نعرف منهم احداً لانهم كانوا متنكرين وانتهينا الى لوج كان فيه ثلاثة اشخاص بلباس اسود وغطاء على الوجه اسود ايضاً ولما دخلت التفت اليَّ احدهم وهو الذي كان جالساً وراء رفيقيه ومدَّ يده للسلام عليَّ فاذا بها في قفاز ابيض نسائي لكنها غليظة قوية كيد الرجل اما اللذان معه فلم يبديا حركة بل كانا ينظران الى من في القاعة من

الراقصين كما ان هؤلاء كانوا يمرون من امامهم ويشاغلونهم بالكلام والاشارات وقد رابهم ما كانا عليه من الرصانة والجمود وسط تلك الضوضاء والحركة العظيمة

ولما سلم عليَّ الرجل المتنكر ضغط على يدي فعرفته للحال وقمت بما يجب صنيعه اذ كان يترتب عليَّ التظاهر بان محدثي هو امرأة فاخذت يده وقبلتها .. ورأى بعض المتفرجين صنيعي وكانوا يراقبون اللوج منذ مدة فقالوا بصوت عالٍ : يالحسن حظك يا كورفيل

فشكرني نوما على تلبيتي دعوته وقال لي انه في حاجة اليَّ ثم انزوى في اللوج لمحادثتي بصوت خافت ولم يكن عمله من باب الخوف من ان يسمع احد حديثنا بل مبالغة في التحفظ اذ لم يكن بامكان احدٍ ان يدنو منا لوجود رفيقيه ولقيام بروسبر على باب اللوج ولكن نوما كان حازماً فلم يكتفِ بوجود رجاله الاشداء الاذكياء ...

وقال لي نوما : هل تعلم لِمَ انا هنا هذه الليلة ولِمَ لبست هذه الثياب

— كلّا :

— جئت لمثل حاجتنا ذلك اليوم الذي لبست فيه انا وانت ثياب وقادين لنرصد خيالات الثلج

— هل تعني تجسس اصحاب الملامة . X .

— نعم ولمجيئي سبب آخر وهو حماية الكونت فيلاسربوري

— واي خطر يتهدده وهو في بيته ... وانت هنا

فاخبرني نوما ما قصهُ عليه فونتيس من التقائه بالفيرا و بالستريني عند الخياط وان رجاله اعلموه ان الشفاليه زار الكونت ودار بينهما حديث طويل فلما انصرف الشفاليه لبس الكونت ثيابه قائلاً انه ذاهب الى الفيرا

السؤال الثالث عشر

هل يتزوج المركيز حنة ؟

ليعود واياها الى البيت و رفض ان يرافقه احد من رجالي الذين عنده بوظيفة ممرضين ثم ركب عربة . . . وختم نوما قائلاً ولا شك عندي انه الآن هنا يفتش عن الفيرا و بالستريني . . . ولهذا جئت الى هنا مع الشفاليه فونتيس

ـ وارسلت في طلبي فتشكراً لك

ـ اني في حاجة اليك يا عزيزي كورفيل

ـ مرْ بما تشاء . . . فما الذي يجب ان افعله

ـ ان تتنزّه

ـ واين اسير

ـ سر في الاوبرا ما بين الجموع

ـ ولأي غاية اسعى

ـ نحن مضطرون الى ان نبقى مقنعين وان لا نبرح من هذا اللوج لاني اظن اعدائي (الذين لا اعرفهم) قد جاؤوا الى هنا ومعهم عدد غفير من رجالهم كما فعلت انا . . . وانهم ساهرون يراقبون ويتجسّسون فاذا كان هناك مكيدة قد دُبرت لاهلاك سربوري لا يمكننا الخروج من هنا بدون ان تتنبه افكار اخصامنا الينا فيفلتون من ايدينا كما فعلوا في ڤيلان يوم حادث الكونت . . . اما انت فلا دخل لك في اعمالهم مع صداقتك لي فلا يقلقهم وجودك هنا

ـ ما الذي تطلب مني فعله

ـ انك تعرف الفيرا فوكامورا

ـ نعم اعرفها من صوتها وطول قامتها مهما تنكرت

ـ انها ولا شك في احد اللوجات . . . وهل يمكنك معرفة احد

الجواسيس الذي كان يراقبنا دائماً

ـ ربما عرفته

ـ ان اولئك الجواسيس هنا ايضاً على ما اعتقد .. واظنهم لم يتحفظوا مثلنا لاعتقادهم انه ليس بالامكان معرفتهم فجاؤوا في ثيابهم السوداء الرسمية ولم يتقنعوا امثلنا

ـ اذا كان ذلك سهلت عليَّ معرفتهم

ـ وهناك شخص آخر وهو الكونت دي فيلاسر بوري فهو غيور وقد جاء على غرةٍ من اخصامه يفتش عن زوجته ليعلم ما سبب مجيئها الى هنا وما الذي دعاها الى الكذب بقولها انها ذاهبة الى عند بالستريني ولم تذكر عن مجيئها الى الاوبرا شيئاً والكونت لن يتنكر لانه يعد هذا العمل تجسساً يأنف منه كرم طبعه ونفسه الابيَّة وسيتظاهر اذا التقى بها بانه كان عالماً بوجودها هنا فلا يعاتبها امام الحضور حفظاً لكرامته بل يؤجل العتاب والخصام حتى يختلي بها في منزله اما نتيجة العتاب فمعروفة وهي ان الفيرا ستسخر به وتختلق ما تشاؤه من الاعذار فيقبلها هذا العاشق ويعتذر لمحبوبته عما فعل . . . فسر يا كورفيل بين الجموع فاذا عرفت احداً ممن تفتش عنهُ ارفع قبعتك وامسح جبينك فيوافيك احد اتباعي للحال فيرفع هو ايضاً قبعته ويمسح جبينه قائلاً : ان الحرّ شديد فتجيبه واحد ام اثنين ام ثلاثة فعدد واحد يعني انك وجدت الكونت دي فيلاسر بوري واثنين لألفيرا والثلاثة للجاسوس الاسمر . هذا كل ما اطلبه منك ومتى فعلت ذلك أتخذ انا التدابير اللازمة . . . واذا لقيت المركيز دي بريوسنتوشي تشير الى ذلك بذكر العدد اربعة

ـ هل تظن ان المركيز يأتي المرقص وهو مضطر الى الحداد على خطيبته

ـ اني اعتقد ان اخصامنا تفرقوا بعد ان قتل احدهم في منزل الشفاليه فونتيس ولم يجسروا على المخابرة فيما بينهم بالكتابة ولما لم يكن لهم بد من الاجتماع لتقرير خطة يجرون عليها ارتأوا ان مرقص الاوبرا هو خير مكان يمكنهم الاجتماع به بدون ان يعرفوا او يظهر لاحد انهم هناك للمؤامرة فسر اذاً واعمل كما اشرت لك

وخرجت اتساءل كيف يمكنني معرفة الكونت وانا لم أره سوى بعض مرات حينما كان مريضاً وانّى لي معرفة الفيرا وهي متنكرة فضلاً عما هناك من الوف المتفرجين والراقصين واكثرهم في ثياب التنكر . . .
ولكن هزّني ما في الأمر من الصعوبة والخطارة فطفت في جوانب الاوبرا ورأيت في احد المعابر رجلاً مهزولاً جالساً على مقعد خشبي عرفته انه الكونت فيلاسربوري ورآني هو ايضاً وعرفني لكنه حول وجهه وقد علته حمرة الخجل فادركت انه لن يسرّ بمحادثتي له فتابعت سيري ورفعت قبعتي ومسحت جبيني واذا برجل بلباس اسود بالقرب مني فعل فعلي قائلاً :
ما أشدّ الحرّ

فاجبته نعم انه حرّ نمرة واحد

فابتعد رفيقي عني وعدت انظر الى الكونت فرأيت على طرف المقعد الذي كان جالساً عليه شخصاً قوي البنية في زي امرأة لبّانة يحادث آخر في زيّ فلاح فعلمت انهما من رجال نوما وقد كلفا حراسة الكونت وعدت الى المشي فبينما انا في معبر يدخل منه الى اللوجات فتح باب احدها ورأيت فيه رجلاً حسن البزّة واقفاً قد ولاني ظهره وانحنى يقبل يد سيدة

كانت معه وهمّ بالخروج غير ان السيدة نظرتني لما انحنى الرجل على يدها فتراجعت الى الوراء وصاحت اقفل الباب فذعر الرجل ونظر الى الخارج ليرى ما الداعي الى ارتعاد السيدة فرأيت وجهه وكان المركيز دي سنتوشي وكانت رفيقته تلبس وجهاً اصطناعياً ولكن لم تخفَ عليَّ حقيقتها وعرفتها انها الفيرا وكانت مرتدية وشاحاً مربوطاً الى عنقها بشريط احمر له ابزيم بهيئة . ✗ . تتألق تحته حلية من الالماس واللؤلؤ مرصعة حجارتها ايضاً بهيئة العلامة السرية . ✗ .

وتظاهر المركيز بعدم معرفته اياي . . واطمأن لعلمه اني مخبر جريدة ولست من رجال البوليس مع صداقتي المعروفة لنوما وظن انني ما جئت الآ لاتنسم اخبار الرقص واذكرها في الجريدة ليس الاّ

ثم عدت انظر الى داخل اللوج بهيئة المتفرّج فرأيت فيه كثيرين غيره وفيهم رجال باللباس الاسود الرسمي ونساء متنكرات وشخص في ثوب ماجن (مهرّج) ابيض اللون وعدت الى السير ورفعتُ قبعتي فرفع رجل بالقرب مني قبعته ايضاً قائلاً : اظن ان الحرّ قد اشتدّ عن الاول

فاجبته : نعم قد زاد اكثر مما كنا ننتظر فبلغ الدرجة الثالثة اوالرابعة وربما الخامسة اكثر من المعتاد

فتركني ارجل وانخرط بين الجموع . واخذت افكر في ما لأخصام نوما من الدهاء وحسن التدبير فان جميع النساء اللواتي كنَّ مع الفيرا في اللوج كان على صدورهنَّ هذه العلامة . ✗ . كذلك رباطات عنق الرجال بما فيهم المركيز دي سنتوشي كانت بتلك الصفة ايضا بما يدل على ان نوما صدق في ظنه ان تلك الجمعية التأمت في الاوبرا . وبينما انا افكر في هذا

جاءني بروسبر وسار الى جانبي وسألني . هل انت واثق من انك عرفت النمر كلها من واحد الى خمسة فاخبرته بما رأيته في اللوج وبمحل وجود الكونت دي فيلاسربوري فاجابني انناعالمون بوجود الكونت ورجالنا تحرسه . . . ولكن ذاك ارسلني لاسير بك اليه وتفصل له ما تعلمه . وقادني بروسبر الى معبر ضعيف النور على بابه اثنان من بوليس البلدية يمنعان الناس عن دخوله ورأيت في أحدى زواياه مقعداً خشبياً بين بابين وعلى المقعد رجلاً متنكراً وعدة رجال باللباس الرسمي يحيطون به لكي لا يُرى وهو نوما فلما وصلت اليه نهض وقادني الى معبر ثان يؤدي الى محل ادارة الاوبرا ففتح باب احدى الغرف ودخلناها فعلمت انها مخصصة له لما رأيته فيها من الثياب المختلفة والقبعات لتغيير زيّه وزي رجاله حسب مقتضيات الاحوال واقفل نوما الباب وفتح زجاجة من الشمبانيا وصبها في كاسين قائلاً : قد اشتد بي الظماء فاشرب انت ايضاً ولما شربنا قال : لنعد الآن الى العمل . . . فهل انت واثق تمام الثقة من انك رأيت المركيز بريو دي سنتوشي في لوج الفيرا ألم تفترّ برجل آخر يشابهه

ــ اني متأكد ذلك تأكدي من اني انا كورفيل

ــ يجب عليّ الالحاح في هذا الصدد لان لوجود المركيز مع الفيرا من الخطارة ما لا يخفى عليك

ــ انا عالم ذلك واكرر لك التأكيد باني رأيت المركيز مع الفيرا

ــ ان اجتماع الزمرة كلها هنا دليل على شدة تحفظهم ودهائهم ولو لم يصادف الشفاليه الفيرا عند الخياط وعلم منه انها ستأتي الى هنا لخفيت علينا حيلتهم

ــ وما الذي تنوي عمله

ــ ان الشفاليه اشعر الكونت بعزم الفيرا على المجيء الى هنا فجاء يفتش عنها ومتى التقى بها يتجلد فلا يُظهر ما في نفسه خوف الفضيحة بل يعود معها الى منزله وسيؤثر فيه هذا الامر وعليه فاني ارى وجوب ارشاد المركيز الى محل وجود امرأته فيقوده الى هناك احد رجالي وسأكون مع الشفاليه بالقرب منه متى التقى بها ... ويقيني ان الكونت يتخلص بهذه الطريقة من سلطة تلك المرأة وسيصغي من الآن فصاعداً الى نصائح صديقه فونتيس ويصدق ما اخبره اياه من امرها وربما اطلعني على معنى هذه الكلمات التي سبق وقالها لي « ان المركيز دي بريمو سنتوشي هو شخصان »

ثم نهض نوما وخاط على صدر ثوبه شريطاً ابيض بهيئة العلامة ✗ . وقال : قد فحصت لوج الفيرا فوكامور فرأيت فيه شخصاً في زي ماجن رداؤه ابيض وقد لحظت اثنين او ثلاث غيره بين الجمع لهم نفس الزي

ــ ربما كانوا من جواسيس الجماعة وهذا الذي يساعدهم لمعرفة بعضهم بعضاً .

ــ وهناك داعٍ آخر للبس مثل هذه الثياب فان صاحبها يمكنه نظراً لاتساعها ان يلبس تحتها ثوباً رسمياً فاذا اضطر الى الظهور بمظهر ما خلع زي الماجن وبدى في الزي المعتاد .. ان الشفاليه في احدى القهوات المجاورة وقد ارسلت استدعيه ليكون حاضراً عند مقابلة الكونت بالفيرا وبما ان ظهوره في الثوب الرسمي يظهر امره وينبه الفيرا اليه قررت ان يتنكر

ــ هل يضع وجهاً اصطناعياً

ـ كلاّ فان هذا الزي كثير ربما سبب لنا الخطأ ولم نهتد الى معرفة بعضنا بعضاً بل هو سيلبس ايضاً ثوب ماجن ابيض . . . ويقف في الممرّ

ثم قرع الباب فاجاب نوما مؤذناً بالدخول فدخل الرجل الذي قابلني سائلاً عن درجة الحرارة فعلمت انه المصوّر فيليب وكان الشفاليه يصحبه فالبسه نوما الثوب المعدّ له وقال : ان علامة اخصامنا هي الصليب المنحرف على ثيابهم وبها يهتدون الى معرفة بعضهم بعضاً اما نحن فلتكن علامتنا فتح اليد واظهار باطنها فان هذه العلامة لا تنبه الافكار لانها طبيعية . . . اما انت يا كورفيل فقد انتهت مهمتك فعد الى النزهة بين الراقصين ولكن لا تبتعد كثيراً عن اللوج الذي فيه الفيرا وسأشعرك متى احتجت اليك أو أفيدك عن المكان الذي يجب ان نلتقي فيه

وسار بي فيليب واخرجني من الممر حتى اختلطت بالناس ثم انصرف

وبينما كنت مع مارتين نوما حدث في لوج الفيرا فوكامور حركة دلّت على قلق شديد عند الموجودين فيه فان الماجن الذي رأيته هنالك قال لالفيرا : ان الكونت دي فيلاسربوري جالس على مقعد في الممر المؤدي الى اللوج وانه اذا نظر من ثقب الباب او مرّ من امام اللوج رأى من هم داخله

فنهض المركيز بريعودي سنتوشي وقال : اني ذاهب اذ لا حاجة ان يراني معك يا عزيزتي الفيرا

ـ نعم ذهابك اولى وأحزم فضلاً عن انني اطلعتك على كل ما تهمك معرفته فاذهب

وخرج المركيز مسرعاً فقال الماجن : اني لم اطلعك على أمر مهم . . .

فان مارتين نوما في الاوبرا ايضاً

فقال الجميع بدهشة : مارتين نوما

ـ نعم . . . هو هنا . . .

ـ هل جاء لاجلنا . . . يستحيل ذلك فهو جاهل وجودنا هنا

ـ بل هو لا يقصد بمجيئه سوى مراقبتنا

ـ كيف عرفت ذلك

ـ قد تبعنا الشفاليه فونتيس طول نهارنا فذهب بعد ظهر اليوم الى الخياط الذي صنع لك هذا الثوب وكانت تصحبه فتاة . . .

ـ نعم قد رأيتهما ولكني لا ارى لمصادفته لي عند الخياط شيئاً من الاهمية

ـ انه رأى ثوبك هذا وفي المساء زار الكونت دي فيلاسر بوري

ـ أذهب الى بيتي

ـ نعم

ـ ان هذا الرجل اصبح عقبة في سبيلنا فويل له

ـ وسمعه خادم الكونت يخبر سيده انك ستحضرين الى هنا في هذا المساء

ـ وما الذي قاله الكونت

ـ حاول ان ينكر على الشفاليه ما قاله له

فقال احد الموجودين مع الفيرا : ان الكونت كان عالماً بان الفيرا ستقضي السهرة معنا

ـ نعم ولكن رابه امر التنكر ولما خرج الشفاليه أمر خادمه باعداد ثيابه ولبسها ثم خرج وجاء الى هنا وقد انهكه التعب فاضطر الى الجلوس

على مقعدٍ في هذا المعبر

ــ والشفاليه فونتيس

ــ بعد خروجه من منزل الكونت سار الى بيت مارتين نوما وكنا نتأثره ثم عاد الى بيته ولبس ثوبه الاسود وهو الآن منتظر في قهوة قريبة من الاوبرا

ــ وما الذي فعله نوما

ــ خرج من بيته وسار الى اماكن مختلفة في باريس ثم جاء الى الاوبرا وهو متنكر في ثوب اسود وجالس مع بعض الرجال في احد اللوجات

فقال الجميع ان هذا الرجل المخيف يراقبنا . . . فلنفترق اذاً

فاجاب الماجن ولمَ نفترق أي جريمة نرتكب باجتماعنا أفلا يجوز الاجتماع مع الاصدقاء فضلاً عن ان نوما لم يأتِ لاجلنا بل جاء بناءً على طلب الشفاليه ليكون شاهداً على خيانة الفيرا

ــ ان هذا وحده كافٍ فان فيلاسربوري نزق سريع الغضب غيور

فقالت الفيرا : ولكنه ضعيف القوى الآن . . . لا يقوى على عمل وهو يحبني حباً يقدّرني على اقناعه بعكس ما يعتقد

فاجاب الماجن: قد خطر لنا ان ربما التقى بكِ الكونت هنا فتداركنا الامر

ــ ما الذي فعلته

ــ ارسلت اليه تلغرافاً اعلمه فيه . . . احفظي جيداً فحوى التلغراف . . . اعلمه فيه ان بالستريني وامرأته خطر لهما الذهاب الى الاوبرا واضطراكِ الى مرافقتهما فلم يسعك الاَّ الإيجاب فتنكرت في ثوب اسود لكي لا يستنكر من يراكِ وحدكِ بدونه وانكِ تطلبين منه ان يوافيكِ الى هنا

ـ لله درك ... فاذا التقيت بالكونت تظاهرتُ باني كنت بانتظاره

لما خرج المركيز بريمو دي سنتوني من لوج الفيرا مرّ بالقرب من المقعد الذي عليه الكونت فيلاسربوري وكان يمشي مسرعاً متستراً وراء من كانوا هناك من المتنكرين ولكن الكونت لحظه فنهض بعجزٍ وبطء فتظاهر المركيز بانه لم يرهُ وتابع سيره مسرعاً لكي لا يلحقه ... وادّى السير بالكونت الى امام مدخل اللوج الذي فيه الفيرا وكان يمشي امامه رجل في زيّ ماجن فلما وصل الى اللوج المذكور قرع بابهُ باصبعه ففتح الباب للحال وكان الكونت قد اصبح امامه فسمع اناساً يصيحون : انجليو ... الفيرا ... فيلاسربورى ... بالستريني

وحدث سكوت كما يعقب كل امر مدهش ثم تقدمت الفيرا الى عشيقها وقالت: قد جئت يا عزيزي انجليو . . . واتعبت نفسك اكراماً لي. آه ما اسعدني الآن بحضورك ...

فغالب الكونت احساساته واجاب متظاهراً باللطف : نعم يا عزيزتي تمكنت من المجيء الى هنا . . . واني سعيد بلقياك خصوصاً واني لم اهتدِ الى محل وجودك الا بعد تعب كلّي

ـ قد اخطأت ايها العزيز بطلبي منك ان توافيني الى هنا نعم اخطأتُ وها انت مصفر الوجه من التعب فلنعد الى البيت اذ لا سرور لي وانت بهذه الحالة

ونهض من في اللوج فقالت الفيرا تعرف الكونت بهم : هذا صديقنا بالستريني وهذه امرأته ... والبارون بازيلاو والامير روماليتو

وكان الكونت يحني رأسهُ عند ذكر كل اسم . . . ولم يفهم لاي

سبب عرفته بهم مع انه يعرفهم تمام المعرفة من قبل ذلك العهد وقالت الفيرا: ترى اني في زمرةٍ من كرام الناس وكان يتم سروري لو امكنك ان تكون معنا . . . بالقرب مني

ولم يجب الكونت فاحسّ الجميع انه مستاء من عمل الفيرا وانه لا بد له من تأنيبها متى عادا الى منزلهما ثم خرجت الفيرا من اللوج ولبست الوجه الاصطناعي وخرج بالستريني وامرأته وتبعا الكونت والفيرا وقال بالستريني : ارجو منك العفو ايها الكونت فاني وامرأتي قد حملنا الفيرا على المجيء الى هنا وهي لم ترضَ بالحضور الا بعد ان افادتك عن ذلك ولولا انا غريبان يشتاقان الى رؤية مرقص الاوبرا لما لبّت طلبنا

واشار الكونت الى بالستريني باشارة لم يفهم مغزاها ثم سارَ مستنداً على ذراع الفيرا وكان ينظر اليها فتنقبض أسرّته وتلمع عيناه من شدّة غضبه ولم يفت الفيرا ما هو عليه فتبادلت نظرات مبهمة المعنى هي وبالستريني وبعض اناس مروا بالقرب منهم وكلهم لابسون رباطات العنق بهيئة X . وبينهم رجل ماجن ثوبه ابيض

وكان قد بقي الامير روماليو والبارون بازيلو والماجن في اللوج فقفلوا الباب واخذوا يتحدثون فيما بينهم بحدة وقد ظهر عليهم الانزعاج والقلق . . وكان نوما تجاه اللوج فاشار اشارة خفية فخرج من كان في اللوج خاصته من المتنكرين والذين في الاثواب الرسمية .

مشى الكونت والفيرا في الممر يشقان الجموع بصعوبة كلية لشدة الازدحام وكان يسير بالقرب منهما الشخص الذي في زي بائعة اللبن ورفيقه الفلاح واثنان آخران في زي رجال المطافىء والاربعة من رجال

نوما وقد وكل اليهم حراسة الكونت ... وكان هذا يمشي ببطء وقد جهد نفسه على السكوت ولكنها جاشت بالغضب فقال لألفيرا بصوت متهدج :
اني لأستغرب يا ألفيرا ... وجودك هنا

ـ ولكني اعلمتك بذلك تلغرافياً يا عزيزي انجليو

ـ ربما كان ذلك . . . ولكني مع هذا متألم لوجودك في ذلك اللوج

ـ اني كنت مع صديقينا بالستريني وامرأته

ـ نعم ولكن كان معكم البارون بازيلو ايضاً

فارتعدت الفيرا واجابت : نعم كان البارون معنا

ـ وكان ايضاً الامير رومالينو

ـ قد جاء الامير الى اللوج للسلام على آل بالستريني

ـ قلت لك . . . كان معك البارون بازيلو والامير رومالينو

ـ واي ضررٍ من وجودهما

ـ ان الضرر عظيم يا الفيرا . . عظيم جداً . . . انك لم تكتفِ بالمجيء الى هنا على غرّةٍ مني بل اجتمعت بالبارون والامير وهما صديقا المركيز دي بريمو سنتوشي وشريكاه

ـ شريكاه . . . وفي اي شيء ولاي غاية . . . ان جميع من ذكرت هم من النبلاء

ـ ولكنك تعلمين حق العلم ان المركيز بريمو دي سنتوشي هو عدوي الالدّ وانه ساعٍ الى قتلي

فلم تجب الفيرا وقال الكونت : آه يا الفيرا . . . انتِ اعزّ ما عندي ... انت التي كنت اظنك اعظم الناس اخلاصاً لي . . . انتِ . . . كنت

السؤال الرابع عشر

هل تلتقي اوكتافي بعاشقها الاسباني ؟

سراً صديقة اعدائي...

وبينما كان الكونت يحادث الفيرا كان شخص في زيّ ماجن يشق الجمع بجيدٍ غير مبالٍ بما يسببهُ من السخط ويحاول الدنوّ من الكونت ورفيقته كانما هو يرغب استماع حديثهما... وراه بالستريني فحاول ابعاده ولكن الماجن كان شديداً جسوراً فلم يكترث به فدّ بالستريني يده كانما هو يتأفف من الرجل فلمست كتف الفيرا... ولاشك بانها فهمت معنى هذه الاشارة فالتفتت بسرعة فرأت الماجن المزاحم ولمحت اعينها من خلال الوجه الصناعي لمعان الغضب... وحدث اذ ذاك اندفاع شديد بين الحاضرين فان زمرة من الاشخاص المتنكرين قد علا صياحهم وضحكهم وتعاظم هرجهم وعلت جلبتهم فكانما هم سكارى او مجانين مرّوا راكضين بين الحاضرين فاوقعوا اكثرهم... وسمع في وسط تلك الجلبة العظيمة صيحة ألم شديدة فلما ابتعد اولئك المجّان اذا بالكونت دي فيلاسربوري ملقى الى الارض مضرج بدمه وفي صدره خنجر...

الفصل الخامس والاربعون

«موت الكونت دي فيلاسربوري»

لما رأى الحاضرون الكونت مطعوناً صاحوا صيحة الرعب... واكب الماجن الذي كان يحاول الدنو من الكونت ورفيقته على المطعون صائحاً: أنجليو... انجليو... أجبني... هل انت حي...

وكانت الفيرا تنظر الى القتيل والماجن بدون ان يظهر عليها شيء من الانفعال

وانتشر خبر الحادثة بسرعة غريبة فبادر رجال البوليس ولما رأتهم الفيرا اشارت الى الرجل الماجن وقالت : هذا هو قاتل زوجي الحبيب

فقبض الجنود على الرجل واساؤا معاملته اما هو فكان يصيح : اتركوني اتركوني ... هل جننتم ايها القوم اني صديق الكونت الحميم .. انا الشفاليه فونتيس ... دعوني إعتني بحبيبي انجليو ... ولكن الجنود لم يعبأوا بكلامه وحاولوا جرّه بالقوّه فتمزّق ثوبه ... ورفعت الفيرا الغطاء عن وجهها واشارت الى فونتيس مكررةً بصوت جهوري : هذا هو قاتل الكونت دي فيلاسر بوري ... وأثر كلامها على الحاضرين فصاحوا : ليقتل القاتل ... اما فونتيس فكان منظره يفتت الاكباد لما اصابه من الحزن ولما ظهر عليه من الغضب عند سماعه تهمة الفيرا فوكامور المنكرة فحاول التخلص من ايدي الجنود فلم يفلح ونظر الى تلك المرأة وصاح بها تكراراً : ويلك يا احطّ النساء يا أخسّ النساء

وجاء المعاون المختص بمراقبة الاوبرا ومعه رجاله فابعدوا المتفرجين ثم حضر نوما بعد ان خلع ثوب التنكر اذ لم يعد في حاجة الى استعماله وكنت بالقرب منه فقال : قضي الامر يا كورفيل وسبق مكر اعدائنا وعطلوا كل ما اتخذناه من التحوطات

ولما رأى فونتيس مارتين نوما كف عن معاندة الحراس وسار معهم واحاط بعض رجال البوليس بالفيرا وبالستريني وزوجته وساقوهم مع بعض الشهود الى احدى الغرف ثم حُمِل الكونت بعد ان اثبتوا في المحضر الهيئة والكيفية اللتين وجد فيهما

وعاد الجمع الى ما كان عليه من اللهو وتتابع الرقص والضحك ...

واخذ المعاون اسماء الشهود وصرفهم . وكان في غرفة اخرى بعض الاطباء يفحصون الكونت وكان نوما معهم وظهر من فحص الاطباء ان الطعنة وقعت في منتصف الصدر وان الخنجر قد ادير في الجرح على الطريقة الايطالية فاصبح الجرح مستديراً وحل الموت سريعاً ... وكان الضارب قد قام بعمله بمهارة فائقة فلم يمكن للأطباء ولا لنوما نفسه ان يقرروا هل كان الضارب على يمين القتيل او على شماله حين طعنه ... وكان لتقرير هذا الامر اهمية كبرى لانه يهدي الى القاتل بما ان الشهود اقروا انه لما صاح الكونت ووقع الى الارض كانت الفيرا على يمينه وفونتيس عن شماله فلو عرف من اي الجهات اتت الطعنة لعرف القاتل

ولم يخطر لأحد ممن كان يجهل سر هذه الرواية ان امرأة كالفيرا تأتي عملاً كهذا في مثل ذلك المكان وعليه فكانت الظواهر كلها تدل على ان فونتيس هو القاتل ... وكان الشفاليه جالساً على كرسي ينتحب وجلس مارتين نوما ازاء الشفاليه واخذ يفرك ذقنه وينظر الى ما يجري امامه بسكون ورصانة غير ان انقباض اسرّته كان ينبيء بما في صدره من الغضب لا بل من الألم فانه عدّ عدم تمكنه من تلافي مقتل الكونت انكساراً عظيماً ولكني تأكدت ان هذا الانكسار سيشحذ عزيمته فيثأر من اعدائه في اقرب الاوقات وينتصر عليهم انتصاراً باهراً

لما قرر الاطباء ان الكونت قد مات جاء المعاون وابتدأ في كتابة المحضر ريثما يحضر رجال الضبط والقضاء وخطر له ان يطلب من نوما ان يساعده في تحقيق هذا الحادث الخطير الصعب ولكن منعته غيرته من نوما وحبه للشهرة فاراد ان يظهر للجميع انه قادر على حل المشاكل بدون مساعدة

نوما الشهير ودفعه الى ذلك علمه ان الجرائد ستتناول هذا الحادث وتفيض فيه لما للذين لهم دخل فيه من المكانة و رفعة المقام في اعين الناس

واحس نوما بما يجول في خاطر المعاون فلزم جانب الحياد لكي لا يضايقه في عمله واقتصر على ان ارسل اليه احد رجاله يطلب له الأذن منه بالحضور لسماع قرار الشهود ليكون له المام بالمسألة اذا كلفه رئيس الضبط بتحقيقها ولم يسع المعاون الا الاجابة بالقبول فنهض نوما من كرسيه وقال لي ان اسير معه ولكنه قبل ان يخرج اقترب من الشفاليه فونتيس وقال له همساً : اياك ان تقول بانك كنت عالماً بوجودي هنا وانك رأيتني في المرقص وانا تواعدنا على المجيء الى الاوبرا انكر كل هذا مهما حدث لك ومهما اصابك وقل انك جئت من نفسك واذا شهدت الظواهر بصحة التهمة عليك فاسكت ولا تدافع عن نفسك دع الكل يعتقدون انك القاتل . . .

فاجابه فونتيس : سمعاً وطاعة

ولما وصلنا الى الغرفة التي فيها المعاون شكره نوما ثم جلس وراءه مختبئاً خلف السكرتيرية ووضع احد رجال البوليس الخنجر على الطاولة وغطاه بجريدة وطلب المعاون احضار الفيرا فوكامور دي فيلاسربوري فدخلت يسندها بالستريني وامرأته . . فيالهم من ثلاثة مشخصين ماهرين وتظاهرت الفيرا فوكامور بالحزن والانفعال وردّدت اسم انجليو بصوت أثر في الحاضرين الى حد ان نهض المعاون وقدم لها بنفسه كرسياً لتجلس عليه . . . فجلست واسندت رأسها الى ظهر الكرسي وكانت قد حلت عمداً شعرها الاسود الجميل فندلّى الى الارض وفتحت ازرارها فظهر عنقها البديع التركيب . . . وكان بالستريني وامرأته يفركان يديها ويعزيانها على مصابها

الأليم ... وسألها المعاون فلم تجب للحال بل اخذت في البكاء وتظاهرت بالاغماء ولما تكلمت كان صوتها ضعيفاً حزيناً فقالت : بما اجيب ... وما اقول اني لا اعلم شيئاً ويخيل لي اني احلم حلماً مخيفاً مؤلماً واود لو ينتهي هذا الحلم فتنتهي معه آلامي ... آه يا انجليو ...

وهنا عادت الى شبه الاغماء وعاد بالستريني وامرأته الى الاهتمام بها ... وجيء بخل عطري فنشقوها منه فانتعشت وقالت للمعاون : اني لا اذكر سوى اني قضيت قسماً من هذه الليلة في منزل آل بالستريني وهناك عنّ لنا المجيء الى الاوبرا فارسلت الى زوجي . . الى عزيزي انجليو التعس ارجو منه موافاتي الى المرقص فلبى دعوتي والتقينا هنا وبينما نحن عائدان الى منزلنا والسرور ملء قلبينا حصل اصطدام شديد . وكان رجل في زي ماجن يحاول الدنوّ منا منذ سرنا للخروج فلما حصل الاصطدام رأيته مال الى الكونت . . . وصرخ انجليو صرخة شديدة ووقع الى الارض ... هذا كل ما اعرفه ... نعم هذا كل ما امكنني ان أراه لان الامر حدث بسرعة البرق ... آه اني لا اكاد اصدق ان هذا الامر واقعي حقيقي

فقال المعاون : قد القي القبض على الرجل الذي في زيّ الماجن

ـ حمداً لله اذاً سيلقى القاتل جزاء عمله ...

ثم جيء بالشفاليه فونتيس وكان ساكن الجأش هادئاً وكان رجال نوما قد مسحوا وجهه مما كان عليه من الصباغ فظهرت هيئته بما فيها من النبل والشمم

ولما دخل لم ينظر الى الفيرا وتبادل مع نوما النظر بدون ان يفهم الحضور من ذلك شيئاً غير ان نوما ظهر عليه الارتياح عند تبادله النظرات

اما المعاون فدهش حين رأى الشفاليه اذ انه كان يعتقد ان تحت زيّ الماجن رجل من الرعاع والذي امامه تبدو على وجهه علامات النبل والشرف فسأله ما اسمك فاجاب : رفائيل شفاليه فونتيس

فدهش السائل وقال : أهذا اسمك حقيقةً ؟

ـ نعم هذا اسمي ولقبي ولي القاب اخرى لم اذكرها واقتصرت على الذي ذكرته لك فانا ادعى رفائيل شفاليه فونتيس

فوجه المعاون كلامه الى الفيرا قائلاً : هذا هو يا سيدتي الرجل الذي قبضنا عليه فهل انتِ واثقة انه هو قاتل الكونت

وكانت الفيرا فوكامور متظاهرة بعدم الشعور بما يجري وصديقاها ينشقانها المنعشات فقالت مدام بالستريني : اجيبي يا الفيرا على سؤال حضرة المعاون وقال هذا : ايتها السيدة اتعرفين هذا الرجل

فادارت رأسها ببطء الى الشفاليه وتفرّست في وجهه ثم قفزت كانها قد لحظت فجأة انه هو القاتل وتقدمت اليه وصاحت هو ... نعم هو

ثم تراجعت الى الوراء ووضعت احدى يديها على جبينها ومدت الاخرى لتمسكها بها مدام بالستريني وصاحت : آه قد صدقت ظنوني ... انه لا يزال يبغضني ... ولم يقصد بعمله هذا سوى تنغيص عيشي وقطع حبل هنائي

وكان الشفاليه ينظر اليها بسكون ولما شكته بتلك الصراحة ابتسم بازدراء وتمتم قائلاً : يا لكِ من مشخصة مراوغة

اما المعاون فقال لألفيرا : ارجو منكِ يا سيدتي ان تفصحي عما تعنيهِ بكلامك فانا في حاجة الى ادراك معناه بالتدقيق

ـ انك تطلب مني ان افتح جرحاً من جراحات قلبي وهو جرح يدميه

الامس الخفيف ... ان الشفاليه قد احبني ... او انه ادعى الحب ودام ذلك مدة سنة او سنتين ... آه ياليت بالامكان ان انسخ تلك الايام من سجل حياتي... ولكن اخلاقنا كانت متناقضة واضطررت الى تركه لفرط ما كان عليه من الغيرة والقساوة والفظاظة حتى بلغ منه انه ضربني بسوطه في احد الايام فهربت من بيته

وحنى الشفاليه رأسه وقال : قد صدقت في ما قالته

وتابعت الفيرا حديثها فقالت : ولما تركت الشفاليه وجدت الكونت دي فيلاسربوري فكان خير عون لي ...

وقد مضى على معرفتي اياه خمس سنين قضيتها بالتنقل معه من بلد الى آخر وكان يحبني وكنت احبه حتى العبادة ... ولكن الشفاليه كان يبغضني لتركي اياه ويعمل على نكايتي وهو فيما مضى صديق للكونت غير اني كنت واثقة من انه سيقتلني او يقتل الكونت يوماً ما لشدة حسده فقدّر ان حل غدره بحبيبي انجليو ... ثم هجمت على الشفاليه حتى اصبح وجهها بالقرب من وجهه وصاحت به : ايها النذل . . . لماذا لم تقتلني انا فاني وحدي كنت مبغضة منك .. لماذا لم تطعني بخنجرك كما ضربتني بسوطك لماذا انتقمت بقتل ذلك الرجل الكريم ايها الشقي الغادر . . . لماذا قتلت انجليو الذي كان يعدّك من اصدقائه

فاجاب الشفاليه وهو ينظر في عيني الفيرا : يا لك من مشخصة ماكرة

فنهض المعاون واجلس تلك المرأة ثم رفع الغطاء عن الخنجر وقال لفونتيس : اتعرف هذا الخنجر فتقدم الشفاليه الى الطاولة ونظر الى الخنجر وانتفض مذعوراً وصاح : أهذا هو السلاح الذي قتل به الكونت

فاجاب المعاون : نعم

واخذ فونتيس الخنجر بين يديه وفحصه ثم سأل ثانية بصوت مرتجف: هل انت متأكد ان هذا السلاح هو سلاح القاتل

ـ لا سبيل الى الشك فان هذا الخنجر وجد ملطخاً بالدم بالقرب من جثة الكونت

ولما سمع الشفاليه قول المعاون صاح صيحة مخيفة وقال : ان هذا الخنجر هو خنجري ...

ثم اخذ يصيح باعلى صوته مردداً . . . هذا خنجري . . . هذا خنجري ...

واشتد هياجه حتى خيل للحاضرين انه قد جنّ وصرخ اخيراً : هذا الخنجر هو لي . . . انجليو هذا دمك عليه فايمت قاتلك . . . ساغسل خنجري من دمك في دم قاتلك

ثم هجم على الفيرا رافعاً الخنجر ولكن نوما كان يراقب حركاته منذ أراه المعاون الخنجر وادرك ما سيعتري صديقه من الغضب فنهض من على كرسيه ووقف الى جهة الفيرا فلما هجم عليها الشفاليه بادر نوما برشاقته المعهودة نقبض على يده واخذ السلاح منه عنوةً ثم حمله الى الخارج بمساعدة اثنين من رجاله

وكانت الفيرا لما رأت غضب الشفاليه تحوّلت عما كانت تتظاهر به من الضعف والاغماء ولما هجم عليها ركضت الى وراء طاولة المعاون وركعت على الارض صائحة : انجدوني انجدوني

هذا كل ما رأيته وخرجت في اثر صديقي نوما فوجدته لم يزل قابضاً

على الشفاليه وهو يصيح

ــ دعوني انتقم من هذه المرأة الكاذبة الخادعة . . دعوني اقتلها كما قتلت صديقي التمس انجليو

الفصل السادس والاربعون

« سجن الشفاليه »

تناولت الجرائد خبر مقتل الكونت فافاضت في ذكره وتعليل اسباب القتل وتخريجها والتخمين فيما كان يحيط بذلك الحادث من الغموض . وجاء نوما الى منزلي في صباح اليوم الثاني وقال لي : ان محبي الحوادث المحزنة قرأوا في جرائد امس ما يفوق اعظم الرواية غرابةً وحزناً الا وهو خبر مقتل الكونت

ــ نعم ان الحادث شغل قسماً كبيراً من الجرائد وكان موضوعاً لافاضة المخبرين في روايتهم وقد ذكرت لقراء جريدة الجورنال تفصيل ما سمحت لي باذاعته متغاضياً عما امرتني بكتمه لئلا اسبب بذكره ما يعرقل مساعيك

ــ لا عمل لي الآن الى بضعة ايام والظواهر تدل على ان عمل البوليس قد انتهى في هذه الحادثة

ــ ولكن الحادث لم ينتهِ بعد

ــ صدقت وهو في دور البداية اي انه في بدايته فيما يتعلق بنا لا بالجمهور والبوليس الاعتيادي اذ يظن الناس أن مهمة البوليس فيما يختص بهذا الامر قد انتهت ولا غرابة فانه أُثبت في المحضر ان الكونت

دي فيلاسر بوري قتل بينا كان مع رفيقته وان قاتله رجل كان في زي ماجن وأن القاتل قال انه يدعى رفائيل شفاليه فونتيس . . . والمذكور في السجن الآن وعليه فستتبع القضية مجراها المعتاد . والامر كما شرحته الآن وكما بلغ للجمهور بسيط لا يخرج عن حد المعتاد وكثيراً ما يحدث مثله . . . حب وغيرة وانتقام لولا ان من لهم علاقة بهذا الحادث . . . ذوو مقام عالٍ ووجاهة . وقد اغتر المعاون نفسه بالظواهر وانتخر بانه جلا الحقيقة بدونَ ان يلجأ الى مساعدة مارتين نوما كما يفعل القضاة كلّما عرض لهم حادث خطير ولكني ضحكت من هزئه بي وسانتقم منه باظهاري له انه من الممكن تحقيق الحوادث بدون مساعدة مارتين نوما ولكن المذكور قادرٌ على ان يكتشف في الحوادث التي سبق تحقيقها أموراً لم تخطر ببال المحققين . . . واللبيب مثلك يا كورفيل تغنيه الاشارة

ـ لا شك ان دهشة المعاون ستكون عظيمة متى عرف حقيقة الامر

ـ ربما ابتدأت دهشته بعد حين ويزيد فيها تحققه من ان الحقيقة تفوق في غرابتها كل ما صوّرته له مخيلته

ـ وما الذى تعنيه

ـ ها اني اطلعك على ما اعني لعلمي انك تحفظ السرّ

ـ ثق بذلك

ـ ان المعاون قد أمر بسجن الشفاليه معتقداً انه هو القاتل ظاناً انهُ قد انتصر على نوما وحرمه الشهرة التي كانت تنتظره لو حلّ وحده تلك المشكلة ولكن الحقير نوما سيطلق الآن سراح الشفاليه الذي اثبت بحضرة الزميل جريمته .

ـ أصحيح ما تقوله

ـ نعم اذ ليس من العدل ان نترك ذاك الرجل الفاضل مسجوناً وهو بريء على حين يمرح المذنبون خارج السجن . وان يعلم أحد سوانا باطلاق سراح الشفاليه ما خلا القضاة الذين وقّعوا على الأمر بالافراج عنه وقد وعدني فونتيس ان يلبث مختبئاً بل سيسافر لكي لا يتمكن احد من رؤيته خارج السجن فان من شروط نجاحي في عملي ان يبقى اخصامنا على اعتقادهم بان فونتيس سجين وان التهمة لاصقة بهِ

ـ فهمت المقصود

ـ وخلاصة الحديث هي ان المعاون سيعاديني متى علم ان سجينه قد اطلق سراحه وانه لم يعتبر مذنباً الاّ مدة عدم تداخلي في امره حتى اذا برزت من وراء الستار واهتممت بالقضية ظهر فساد التهمة ...

ـ ولكن ما الذي اجريته

ـ ان ما جرى أمر بسيط واضح فاني حينما اعلمت القضاة بما يختفي من الامور تحت حادث الكونت ايقنوا ان فونتيس مظلوم ثم اخبرتهم انه لم يأتِ الى الاوبرا الاّ اجابةً لالحاحي عليه وانه لم يلبس ثوب الماجن الاّ ليساعدني في مراقبة الاشقياء الذين كنت اراقبهم وان اعضاء جمعية X . قوم ذوو سطوة عظيمة ومهارة فائقة ومكر ودهاء بالغين وجسارة لا حد لها واني لا اكاد اقدر على مقاومتهم بدليل انهم تمكنوا من اتيان عملهم المنكر في الاوبرا مع احتياطي لمنع ذلك العمل لاني كنت اتوقع حدوثه ...

ـ ولكن لم يكن بامكانك حماية الكونت مع ما قمت به من التحوطات لانه ذهب من تلقاء نفسه الى عرين الاسود وعرّض نفسه للقتل

فحنى نوما رأسه وقال : كان من الواجب عليَّ ان اقوى على حمايته ...
ولما سمع القضاة حديثي اجابوا طلبي فامروا باخلاء سبيل الشفاليه سراً ليبقى الجميع على اعتقادهم بانه مسجون

ونظراً لخطارة ما نحن بصدده وما في التوصل الى رد كيد الاعداء من الصعوبة وما يلزم من التحفظ في عملنا سيفيد قلم الاستعلامات الجمهور ومخبري الجرائد ان الشفاليه سجين ولا يسمح لاحد بمقابلته فاكتب انت ايضاً في هذا المعنى فان لكتاباتك وقعاً عظيماً لعلم الجميع انك تنقل اخبارك عني

- نعم الرأي رأيك

- واعلم ان في هذا الصباح سترى جماً غفيراً في محل التوقيف حيث لا يزال الشفاليه محفوظاً بناء على طلبي ...

- ولمَ ذلك

- لانه يلزم للمخادع مخادع اعظم منه وقد اطلقت توقيف فونتيس عمداً

- صرح يا عزيزي

- ان جينيتا مقيمة في بيت الشفاليه وجواسيس اعدائنا منبثين حول ذلك البيت وفي حدائق البيوت المجاورة فاذا لم يروا تلك الفتاة قد جاءت الى زيارة الشفاليه في سجنه تنبهوا الى هذا الامر وربما ادركوا حقيقة عملي وهم عالمون اننا مطلعون على حقيقة امرهم فلا يعتقدون ان اهل القضاء يبقون فونتيس سجيناً الاّ اذا صدقوا ما قالته الفيرا وبالستريني وامرأته

- فما الذي فعلته

- طلبت ان يبقى الشفاليه في محل التوقيف وفي هذا الصباح بينما انت نائم لشدة ما ألمّ بك من التعب والانفعال علمت جينيتا من قراءة الجرائد

خبر حادثة الاوبرا فأسرعت والحزن والرعب يكادان يقتلانها ومعها الخادم بيترو الشيخ الى السجن وهناك بكت واعولت وطلبت مقابلة الشفاليه لتشجيعهُ على احتمال مصابه وكنت قد حصلت لها الاذن بمقابلته فلما دخلت عليه قبلها وقبلته باكية ثم قالت :

ـ اني كنت اتوقع حصول مصاب ما بعد التقائنا بتلك المرأة . . . تلك اللعينة التي كانت سبب احزانك والتي كادت تقضي عليك لما سببته لك من الحزن سابقاً . وهي التي جلبت اليوم مصاب الرجل الذي كان يهواها ومصابك اذ كل من له علاقة بها هو عرضة للمصائب

فاجابها شكراً لك يا عزيزتي فانك بمجيئك اعدتِ اليَّ الامل الذي كاد يفارقني . . . فأنتِ النجم الذي يهديني في ليلي الحالك بالاحزان

ـ انا لست مصدقة بما ينسب اليك ... ان مثلك لا يرتكب هذا الجرم . ويداك لم تعتاد سوى حمل السيف الذي هو سلاح الاشراف الشجعان فلا يصدق انهما رضيتا باستعمال الخنجر وهو سلاح الغادرين فاصبر يا صديقي فانك ستخلص اليوم لا بل انا انتظرك لاعود بك الى منزلك الآن ... سأخبر القضاة والشعب عما اعلمه من حياتك واعمالك فيصدقونني ويفرجون عنك ... نعم سأشرح لهم ما لك عليَّ من الايادي البيضاء وما تبذله في سبيل اغاثة الفقراء وتعزية كل ذي مصاب فيرون خطأهم ويندمون على اعتقالهم رجلاً فاضلاً جديراً بكل اكرام . . .

وجاء الحاجب فاعلم جينيتا ان موعد المقابلة قد انتهى وان السجين لن يقابل احداً فيما بعد فاكب بيترو على قدمي سيده مؤكداً له انه مستعد لبذل حياته في سبيل خلاصه ثم صرف الشفاليه جينيتا وبترو وهو يشجعها

ويسألها الثقة بانصاف اهل القضاء الفرنساوي ولكن جينيتا لم تقتنع بكلامه فاضطررت الى اخراجها عنوةً من حضرة الشفاليه فحملتها الى العربة وحمل بيترو اثنان من رجالي فاجلساه بالقرب من جينتا وركب بروسبر معهما وهو في زي غير زيه وقد أشمنا انه محامي الشفاليه فسارت العربة بالثلاثة وكانت تتبعها عربة اخرى كان داخلها رجل ذو شارب اسود كثيف وآخر ذو شارب اشقر ورجل ثالث يزعم بروسبر انه نفس الامير روماليتو اما سائق تلك العربة فكان نفس الشاب الاسباني المغرم بالرقص مع الخادمة أوكتافي

ـ اذاً كان جميع اعضاء جمعية ... على قدم وساق

ـ نعم ... انهم اخذوا ثارهم مما اصابهم في بيت الشفاليه

ـ ما الذي تعنيه

ـ ان الشفاليه قتل احدهم فقتلوا رجلاً يعدّ من ذوينا والصقوا التهمة بالشفاليه

ـ هل تعني اننا متساوون الآن في العمل

ـ ربما كانوا اسبق منا

ـ انا لا اعتقد ذلك اذ لو اتبع الكونت نصائحك وارشادات صديقه فونتيس لما أُقتل فهو قد سهل العمل لاعدائه اما الشفاليه فقد قتل البارون بومباري عنوةً وانت كسرت ساعد رفيقه ... اما سجن الشفاليه فان يطول كما اعلمتني وعليه فانت الفائز حتى الآن

ـ صدقت فضلاً عن اني ساحملهم على الاعتقاد بان القضاة قد ضلوا عن القاتل وحكموا بجريمة فونتيس وهذا فوز آخر على اخصامي ولا بد لي

من ان يقتنعوا بضلال القضاة لان هذا ضروري لعملي وسأعلمك ما هو وجه الضرورة في ذلك

ـ وما جرى لألفيرا فوكامور

ـ انها بعد ذهابها الى منزلها تظاهرت بالحزن والبكاء حتى كان من يراها يبكي لشدة ما تبديه من الانفعال وانها والله قد اجادت في تمثيل هذا الدور كل الاجادة ... وهي تلعن الشفاليه وتشتمه مصرحة انه لم يرتكب ذلك الجرم الهائل الأغيرةً عليها

ـ هذا ما ادعته منذ البداية

ـ وهو أمر معقول سهل التصديق لان الشفاليه تعشقها فيما مضى

ـ اتصدق أن فونتيس ضربها يوماً ما بسوطه

ـ لاشك عندي في ذلك ولو ان جميع عشاق تلك المرأة عاملوها معاملة فونتيس لكفتهم شرها ولكان عدد من انتحروا في سبيل هواها اقل مما هو الآن ... اعلم ان الشفاليه لم ينجُ من فعل السم الذي دسته له الفيرا الاّ بفضل طبيب ماهر استدلّ من اعراض المرض على نوع السم الدقيق ولما طرد فونتيس تلك الداهية علِق بها كثيرون من الاغنياء وعندي قائمة باسماء بعضهم وقد لحظت انهم ماتوا جميعهم ميتة شنعاء ... بعد ان اوصوا لها بما يملكون ... ومنهم الكونت دي فيلاسر بوري فانه يوم خروجه من المستشفى كتب وصيته وجعل الفيرا وريثته الوحيدة

ـ يا للفظاعة

ـ ان هذه المرأة مثال القساوة وهي في عرفي من اعظم المجرمين

ـ ربما لا تقف عند هذا الحدّ من اعمالها الفظيعة

ـ هذا هو نفس اعتقادي فيها ولقد اشرت بتركها مطلقة التصرف لتظن انها اشد منا حولاً ولتعمل بما يوحي اليها به شيطانها فيكون وقوعها في ايدينا اسهل واقرب منالاً . . . ولكني موضوع الهزء والسخرية الآن يا كورفيل

ـ انت

ـ نعم انا فلا تحاماني ولا تواسيني فقد غلبني أخصامي وانتصارهم عليَّ واضح لايحتاج الى برهان . تتبع معي منذ البداية سير القضية التي نحن في صددها ترى صدق ما اقوله . جرت حادثة قتل في بيت كاستنيه فبادرت والتقطت هناك قطع اوراق ونتف من حذاء وصرّحت اننا قد قبضنا على القاتل من يديه ورجليه لانه ترك اثر يده وحذائه فما كانت نتيجة بحثي وتفتيشي؟ . . . لا شيء . . . والقاتل الذي اعلنت انه اصبح في قبضة يدي حرٌّ يمرح حيث يشاء ساخراً بي وقد شاركه في سخريته كثير من زملائي ومن مكاتبي الجرائد لاني لم احقق املهم بالقاء القبض على القاتل فقالوا اني لا استحق ما لي من الشهرة وارى انهم يميلون الى الانضمام الى اعدائي والهزء بما ينسب اليَّ من الذكاء وحسن الاستنتاجات والعلم .

ـ ان كل هذا وقتي ولك بسابق اعمالك الحق بان تمطى مهلة بضعة ايام تتحفز فيها الوثوب

ـ عبثاً تحاول اقناعي يا كورفيل فما من احد يعطي الفقير ولا يُقرَض سوى الغني

ـ سترد كيد الهازئين

ـ اذا دامت الحال على ما هي فلن اقوى على ذلك

ولم افهم ما اذا كان نوما مجداً في كلامه ام هازل بصورة الجد وسكت مدة مفكراً ثم نهض قائلاً : الاولى بنا الآن ان نذهب لتناول الغداء

وبعد ان اكلنا ركبنا عربة فحملتنا الى منزل الشفاليه وقال لي نوما : ان رقباءنا يتبعوننا منذ خرجنا من منزلك يا كورفيل ولكن لا باس في ذلك لاني اريد ان يعلم اخصامي الى اين نحن ذاهبون واود ان يروا ما يجري داخل بيت الشفاليه

ولما وصلنا الى بيت فونتيس اكب الخادم بيترو على يدي نوما يقبلهما سائلاً اياه ان ينقذ مولاه ثم ادخلنا غرفة المكتبة وتأثرنا لعدم وجود صاحب المنزل معنا كسابق عادته . . . وجاءت جينيتا فبكت بكاء مراً وقالت لنوما : اني يا سيدي منذ عدت الى هنا أصلي مع بيترو لخلاص عزيزي فونتيس ولا بد ان ينصره الله ولكن كيف يعمى اهل القضاء عن فضل الشفاليه . كيف لا يقبضون على تلك المرأة التي تجاب الخراب والشؤم على كل من عرفها او عاشرها وكيف تركوها حرة مطلقة مع انها كانت الى جانب الكونت حين قتل

فاجابها نوما : ثقي يا سيدتي بعدل القضاة

ــ ألا يسمح لي ان ازور الشفاليه اليوم ثانية . . . او غداً

ــ ان زيارته مرتين في يوم واحد امر مستحيل ولا اعلم اذا كان يسمح لك بزيارته غداً لان هذا ليس من متعلقاتي وهو خارج عن دائرة سلطتي . وقد جئتك الآن اسألك ان ترسلي للشفاليه ثياباً ليبدل التي عليه فضعي قسماً منها في صندوق لأحمله اليه

وخرجت جينيتا ثم عادت واعلنت انها هيأت كل ما يلزم من الثياب

ثم قالت : ان طلبك لثياب دليل اعتقادك ان سجن الشفاليه سيطول

ـ لا علم لي بما سيتم لصديقنا ولم اطلب الثياب الا من باب الاحتياط .

ـ بينما كان بيترو يضع الثياب في الصندوق كتبت الى الشفاليه كتاباً اعلمته فيه بزيارتك وانك تؤمل ان يفرج عنه قريباً واننا نصلي لاجل خلاصه ووضعت الكتاب في جيب ثوبه

ـ نعم ما فعلت

ـ ان هذا الكتاب سيعزيه ويسليه في سجنه . . .

ـ بارك الله فيك . . .

ثم خرجنا وبينما كان الحوذي يضع الصندوق على العربة تقدم نوما اليه متظاهراً باعطائه بعض التعليمات عن كيفية وضع الصندوق ولكنه كان ينظر الى الشارع والى نافذة البيت الذي امام منزل فونتيس وقال لي : قد تم ما اردته فانسر الآن . . .

وودعنا جينيتا التي رافقتنا مع بيترو الى باب الحديقة وكان بكاها متواصلاً

لما ابتعدنا عن بيت فونتيس سارت عربة الجواسيس تتأثرنا ورآها نوما من ثقب العربة وكان سائق عربتنا يلتفت من حين الى آخر ليتأكد ان اخصامنا باقون وراءنا واذا وصل الى منعطف او متشعب من الطرق يمهل في السير ليتمكنوا من اتباعنا ولا عجب اذا قام الحوذي بهذا العمل من غير ان يؤمر فانه كان من رجال نوما وقد رسم له هذا من قبل الخطة التي يجب السير عليها . ووصلنا الى محل التوقيف ودخلت بنا العربة اليه فجاء العمال هناك فقال لهم نوما بصوت جهوري : هذه ثياب للشفاليه فونتيس فلتعرض على كاتب المحكمة

وبعد ان فحصت الثياب أخذت الى صاحبها وعاد نوما فركبنا العربة وحملتنا الى شارع ريشليو وهناك ترجلنا ومشينا قليلاً فقال لي نوما كمن يختم حديثاً : وخلاصة ما يمكني اطلاعك عليه هي ان الشفاليه سيبقى سجيناً نظراً لوقوع شبهة القتل عليه ولن يسمح لاحد بمقابلته ليسهل على القضاء درس هذه القضية التي هي من الصعوبة بمكان مع ما يظهر من سهولة تحقيقها . . . هذا كل ما يمكني ان اقوله لك الآن

ولم ادرك بادىء بدء ما يقصده نوما بكلامه هذا اذ لم يسبق له ان حادثني بهذا الموضوع منذ اجتماعي به في الصباح . . . واستخلاصه الحديث بطلب مقدمة لم يذكرها لي . . . ولكنه صافحني وابتعد فرأيت رجلين يتأثرانه احدهما ذو شارب اسود والثاني اشقر ففطنت لحيلته وادركت انه قصد بالقائه اليّ خبر بقاء فونتيس في السجن ان يسمعه ذينك الرجلان

الفصل السابع والاربعون

« أنوما . . . ام غيره »

في اليوم الثاني جاءت جينيتا وبيترو آملين مقابلة الشفاليه فلم يسمح لهما بذلك ولكن نوما تظاهر انه ذاهب لطلب الأذن لهما بمقابلة السجين ثم عاد فقال لهما ان وكيل السجن لم يجبه الى طلبه وانه اعلم الشفاليه بمجيئهما وهو يشكرهما وانه تناول الرسالة التي ارسلتها جينيتا اليه . ولما رأت هذه انه لا سبيل الى دخول السجن سألت نوما ان يرافقها الى المنزل فلبى طلبها ولما خرج من بيت فونتيس سار في أثره رقيبه المعتاد فكانما هو ظل نوما لا يفارقه الا متى أوى الى فراشه . ولكن صديقي كان عالماً باقتفاء خصمه

أثره فلم يعبأ به وعاد الى بيته ولم يخرج منه الاّ ليلاً

وعادت جينيتا فجاءت الى السجن في اليوم الثاني وكانت قد كتبت الى النائب العمومي وقاضي التحقيق تتوسل اليهما ان يسمحا لها بمواجهة الشفاليه فرُفض طلبها وذهبت الى قنصل دولة ايطاليا تطلب منه ان يتوسط في الامر فاعلمها ان ذلك خارج عن دائرة نفوذه وان غاية ما يمكنه عمله هو الشهادة بما يعلمه عن الشفاليه من الفضل والصدق وشرف السجايا ولم تقتنع الفتاة بكلام القنصل كما انها لم تيأس مما كانت تلاقيه من الرفض فبقيت اربعة ايام متوالية تبكي وتتوسل طالبة ان يسمح لها بمحادثة فونتيس ولو دقيقة واحدة فلم تنل غير الخيبة وكانت تعود الى المنزل حزينة كاسفة البال وكان نوما يزورها في كل يوم تقريباً واصطحبني في احد الايام فقابلتني جينيتا شاكرةً اياي على زيارتي لها وسألتني ان لا انقطع عنها لتستأنس بي وبنوما في وحشتها فوعدتها بذلك وعرضت عليها ان ارافقها كلما ارادت الخروج لطلب مساعدة من كانت تعرفهم

وفي صباح احد الايام بينما انا البس ثيابي للذهاب وتنسم الاخبار كما تقتضيه وظيفتي اذا بنوما دخل عليَّ وفي فمه لفافته التي لم تكن تفارقه وقال لي بصوت أبحّ : هيا بنا نفطر ثم نذهب الى بيت الشفاليه فونتيس

فسألته هل انت مزكم فاجابني ان زكامه خفيف جداً ولكنني لحظت في حركاته تغيراً عن المعتاد ولا سبيل لوصف هذا التغيير اذ انه دقيق جداً وما كان ليلحظه الا من كان مثلي عشيره منذ سنين عديدة فقلت له: ما الذي بك اليوم مما لم اكن اعهده قبلاً

— ليس بي من شيء . . . . ما الذي تراه بي من الاشياء الغريبة ولِمَ

تنظر اليَّ محملقاً

ـ لا اعلم ما بك ... ولكنني ...

ـ هل انا خيال نوما ام نوما بعينه ... هل سقطت الى غرفتك من السقف ام نبتُّ من الارض ...

ـ لاهذا ولاذاك ... غير اني ...

ـ اذاً ماذا . هل لفافتي ليست فى في كما هي عادتي حتى يخيل اني لا اقدر ان اعيش بدونها

ـ لم اقل ذلك ...

ـ أليست هذه يديَّ الطويلتين ورجليَّ الضخمتين . هل طرأ عليهما تغيير فسبب دهشتك

ـ كلاَّ

ـ اليس هذا انفي البارز الذي يسبب خوف الاشقياء و بعض المتزيين بزي الاشراف متى رأوه ... الست مارتين نوما

ـ انت الآن شبه نوما الذي اعرفه ... انت نوما الثاني ... وقد تغير فيك شيء لا قوَّة لي على التعبير عنه

فاستغرق مارتين نوما في الضحك وقال : اتظن كل من سيراني يقول قولك انه قد طرأ عليَّ بعض التغير

ـ كلاَّ بل لن يلاحظ ما فيك من الانقلاب الدقيق الاَّ من يعرفك معرفتي

ـ اذاً هذا سحرٌ

ـ لست اقول انه سحر بل هو شيء خارق المادة .. او نظر عينيَّ

اليوم يختلف عن نظرهما من قبل

ـ ربما كان العيب لعينيك

ـ او ان صديقي نوما قد تغير بدون ان يدري ويشعر

فرمى نوما لفافته بطريقة مألوفة عنده ولكني لحظت ان حركته في الرمي وان تكن هي هي تختلف نوعاً عن المعتاد وقال : يجب ان يعتقد الجميع اني نوما الذي عرفوه وانه لا تغير فيَّ قط حتى ولو كان ذلك التغير ظاهراً لديك

فنظرت اليه وقد ازداد دهشي من هذا الكلام المبهم وتساءلت عن وجه الحكمة في تنكر نوما في زيّ نوما . . . فلم اتوصل الى حل هذا المعمى الغريب ثم عدت اتفحصه بتدقيق

فقال : اعرفتني حين دخولي وهل تعرفني اذا رأيتني ام لا

فاجبته اني عرفتك واعرفك مع اني اراك على غير ما كنت

فقبض على ساعدي وقادني الى امام النافذة قائلاً : انظر اليَّ بامعان فنظرت ثم تابع : ها أنا امشي امامك واتناول لفافةً من علبتي

ثم أخذ اللفافة واشعلها فكانت حركاته وسكناته كما عرفتها فيه من قبل وسألني : هل تعرفني الآن ام لا

فلبثت مدهوشاً وسألته : هل لك أخ توأم يا صديقي

فلم يجب على سؤالي بل وضع يده على كتفي وقال بصوت منخفض: ليس مارتين نوما بالمركيز دي سنتوشي . . . ان مارتين نوما ليس شخصين . . . ان مارتين نوما هو واحد فرد في العالم . . . اما انا فلست سوى فيليب . . .

فلبثت مذهولاً محملق العينين مرخي اليدين لشدة دهشتي فقال

مكامي : انا فيليب . . . فيليب المصوّر . . . فيليب احد انفار البوليس في فرقة مارتين نوما

فلم افهم ما يقوله وسألته: امارتين نوما هو فيليب ام فيليب هو مارتين نوما فاني لا اعلم حتى الآن أي الاثنين هو امامي

فاجابني : ان مارتين نوما هو فيليب . فاعلم يا عزيزي كورفيل انه من الضروري ان اكون مارتين نوما في عرف الناس وخصوصاً في اعين من تعلم . اما معك انت فانا فيليب

ـ انت نوما في اعين الجميع حتى انك مع قولك لي انك فيليب لست موقناً أأنت هو حقيقة ام انت نوما

ـ هذا كل ما اردت معرفته

ـ ولأي غاية

ـ ان الرئيس قال لي : اذهب قبل كل عمل الى كورفيل فهو اعلم الناس بي وباطواري فاذا ظنك مارتين نوما تأكدنا نجاح الحيلة فلن يعرفك الغير بل يعتقدون انك انا

ـ وانا اقول لك انك قد بلغت الكمال في التقليد ولن يمكن مارتين نوما نفسه ان يكون مارتين نوما اكثر منك الآن

ـ ان الرئيس امرني ان اخبرك بانه يكلفك القيام بمهمة خطيرة ليس بامكان غيرك ان يتولاها

ـ ما الذي يطلبه مني فاني مستعد لخدمته

ـ هو يرجو منك ان تعاملني معاملتك اياه

ـ سمعاً وطاعة ولست ارى في ذلك شيئاً من الصعوبة ولكن ما الذي

السؤال الخامس عشر

ما اسم القاتل ؟

جرى لنوما الحقيقي

ــ هو مسافر الآن على طريق ليون قاصداً مرسيليا ومنها الى مكان في ايطاليا . . .

ــ اذاً هو يقصد صقلية

ــ نعم

وهممت ان اسأله عن بعض الامور فبادرني بالقول : ليس بامكاني ان اخبرك باكثر مما قلته لك الآن ويجب ان نجري امتحاناً ثانياً فارجو منك ان تساعدني في اجرائه

ــ وما هو

ــ ان نذهب الى منزل الشفاليه فونتيس ونحادث بيترو ونستعلم عن صحة جينيتا التي اثرت فيها حادثة الشفاليه فلزمت البيت منذ يومين

ــ هل هي مريضة

ــ انها مصابة بحمى خفيفة ولكنها سترضى بمقابلتنا لأرى أتعتقدهي ايضاً اني نوما

ثم خرجنا وركبنا عربة فرأيت الرقيب المعتاد يركب عربة سارت في اثرنا فقال لي فيليب : ان اخصامنا على تمام الاستعداد والترتيب ولهم مهارة فائقة ورقباؤهم لا يغفلون عن نوما وعنك وهم يراقبون منزل نوما الذي في شارع لبيك وبيته السرّي ايضاً ولهم عربات كعرباتنا تقف في نفس الموقف الذي تقف فيه عرباتنا وتتبعها حين تسير بدون ان يشار اليها بذلك

ــ لقد صدق نوما بقوله ان الانتصار على هؤلاء القوم يعدّ فوزاً عظيماً

ولما وصلنا الى منزل الشفاليه فونتيس أدخلنا بيترو الى ردهة الاستقبال فرأينا جينيتا جالسة على كرسي وفي يدها كتاب الصلاة فلما رأتنا نهضت وحيتنا ببشاشة فقال لها فيليب

ـ عودي الى مكانك واستريحي فانما جئنا للاطمئنان عن صحتك

ـ لقد غلبني الحزن فانقطعت عن متابعة السعي ... ولكنه سعي مقرون بالخذلان فكل باب قرعت وجدته موصداً في وجهي وانت يا موسيو نوما أليس لديك خبر سارّ تنقله اليّ ... ان الطبيب قد اشار عليّ باستعمال بعض الادوية ولكني لم اتجرع منها شيئاً اذ لا دواء لي سوى الافراج عمن انتظره هنا ...

فاجابها فيليب : لا يمكنني ان انقل اليكِ الاّ ما علمته من السجان فان الشفاليه بصحة تامة صابر على اعتقاله رابط الجأش ينتظر امر القاضي بالسماح له بمقابلتك ومقابلة محبيه

ــ هل يتم هذا قريباً

ــ عسى ان يكون ذلك وغاية ما نمي اليّ هو انه سيتمّ بعض مضي ايام قليلة

ــ شكراً لك يا سيدي فان كلامك هذا قد بعث فيّ نشاطاً جديداً وكاد يذهب بالحمى التي انهكتني

ثم نادت بيترو وقالت له فرِحةً : أتعلم باي خبر جاءنا الموسيو نوما فاجابها الشيخ ان الموسيو نوما كان دائماً مجلي افراحنا وحارسنا فليس من الغريب ان يأتينا بالامل ويبشرنا بالهناء القريب

ــ قد قال لي يا بيترو ان الشائع في المحكمة انه سيسمح قريباً لسيدك

بمقابلة أياً شاء . . . فارى ذلك المفضل عليَّ

ثم انصرفنا فقال لي فيليب : قد تأكدت انه ليس بامكان احد ان يشك باني مارتين نوما

واجتمعت اياماً متوالية بفيليب في نفس المطعم والقهوة اللذين كنت اجتمع فيهما بنوما وكان دائماً يتأثرنا نفس الاشخاص الذين اعتادوا مراقبتنا من قبل ظناً منهم ان رفيقي هو نوما

وكتبت جينيتا مراراً الى الشفاليه ولكن لم يصلها ردّ منه فكانت تحزن لذلك ولا تدري كيف تؤوّل سكوت فونتيس وفي احد الايام قال لي فيليب : هيا بنا الى جينيتا فاني احمل اليها ما يسرها

ـ وما هو

ـ لايخفى عليك انها ارسلت الى صديقها السجين عدة رسائل

ـ نعم واني لأستغرب عدم وصولها اليه اذ لو وصلت لاجابها وهو الى الآن لم يفعل فما هو داعي سكوته ومن نلوم ... هل اتصل الاهمال بادارة البوسطة الى حدّ انها ابقت رسائل الفتاة في ادارتها الى الآن

ـ لاتلم ادارة البوسطة يا موسيو كورفيل فهي بريئة مما تنسبه اليها والذنب كل الذنب راجع الى الاحوال فان الرسائل المرسلة باسم الشفاليه لايمكن وصولها اليه لاممنونة بعنوان سجن التوقيف مع ان فونتيس بعيد عن باريس الآن يتمتع بصفاء جوّ ايطاليا

ـ ايطاليا

ـ نعم ان الشفاليه في صقلية

ـ ومارتين نوما اين هو

— هو معه يسافران سوية وساوضح لك ما تريد معرفته في حديث آخر اما الآن فهيا بنا الى جينيتا

ولما سلم فيليب رسالة الشفاليه الى جينيتا كادت تجن من شدة الفرح ثم سألته عن سبب تأخر الشفاليه في الرد فاجابها ان قوانين السجون والاصطلاحات التي يجرى عليها في ايصال الرسائل للمسجونين تسبب مثل هذا التأخير فلا يسلم كتاب الى صاحبه الا بعد ان يمر بايدي كثيرين من الرؤساء والكتبة وهكذا لا يتسنى للسجين المجاوبة الا بعد مضي شهر على الاغلب وان حصولها على جواب من فونتيس بعد ثمانية ايام من كتابتها اليه دليل على تلطف خاص من رئيس السجن

ثم خرجنا من منزل فونتيس فقال لي فيليب: هل تذهب معي الى منزلي اي الى منزل الرئيس فاني أريد ان اكتب اليه بما حصل وبذهابنا الى بيت نوما نظهر لرقبائنا ان نوما عاد الى منزله بعد زيارة جينيتا ولم يشعر بوجودهم حوله وهناك سأجيبك على السؤال الذي سألتنيه من قبل

ولما وصلنا الى منزل نوما عاد فيليب الى حالته الطبيعية اي انه اصبح فيليب ولم يعد فيه شيء من التشبه بنوما واظهر لي ما في فؤاده من التعلق برئيسه والإعجاب بمهارته وذكائه ثم اطلعني على سر تأخر رسائل الشفاليه فقال : ان نوما أمرنا بارسال رسائل الشفاليه مع أحد مفتشي القطارات ولا حاجة لإخبارك انه من رجالنا فسلمنا الرسائل اليه فسافر بها في القطار الذي يسير الى مرسيليا وهناك سلمها الى زميل لنا آخر اقمناه مستخدماً في البواخر التي تسير من مرسيليا الى كورسكا وايطاليا والجزائر فحمل الرسائل الى ايطاليا ودفعها الى الشفاليه فاجاب هذا عليها وعاد زميلنا بالرد الى مرسيليا

وهناك سلمه الى زميله مفتش القطارات وهذا اوصلها اليّ

ـ لا غرابة اذاً في تأخر الردّ .

ـ والآن قد اصبح لنا بريد مخصوص مؤتمن ينقل الى نوما اخبار باريس ويأتينا منه بالتعليمات اللازمة لاجراء الاعمال هنا ولنا طرق أخرى نستعملها متى قضت الحال بالسرعة... كما انه لدينا طريقة خصوصية للمخابرة التلغرافية وهي من اختراع نوما فلا يمكن احداً فهمها بدون ان نفهمه اياها ... وهاك الآن ما جرى بين الشفاليه ونوما فان الرئيس بعد ان اظهر براءة المتهم طلب اطلاق سراحه فاجيب طلبه ولما كان من الضروري ان لا يعلم اخصامنا بخروج الشفاليه من السجن اقنع نوما جينيتا ان لا سبيل الى مقابلة فونتيس ولم يكفها عن السعي بل تركها تسعى بما في وسعها علماً منه ان طلبها ان يجاب ورغبة في ان يطلع الاخصام على مساعيها فيتقرر في ذهنهم بقاء الشفاليه سجيناً وهذا كل ما يسعى اليه نوما الآن اي ان يبقى اولئك القوم على اعتقادهم باعتقال فونتيس وبان نوما يزوره في كل يوم . ولم يظهر لنا ما يدل على ان اخصامنا اطلعوا على سرّنا بل داوموا المراقبة حول السجن الذي كانوا يظنون الشفاليه باقياً فيه وحول بيته ولم يهملوا مراقبة جينيتا التي كانت تأتي يومياً لزيارة فونتيس كما انهم اقاموا جواسيسهم حول بيت الشفاليه ومنزل نوما ومنزلي أنا ايضاً ظناً منهم ان لا تبدو بادرة من احدنا الا وعلموا بها ولكن بينما هم يشددون المراقبة حولنا جميعاً كان نوما وفونتيس سائرين على طريق ايطاليا قاصدين صقلية ...

اما سفر الشفاليه فحدث كما يأتي : في احدى الليالي دخل نوما سجن

التوقيف في العربه التي تنقل المسجونين ولم يفعل ذلك الا مبالغة في التحوط وتناول العشاء مع الشفاليه وطالت مدة اجتماعهما وقد اعلم نوما الشفاليه انه سيغادر سجنه في الصباح فلما انتصف الليل دب النعاس الى عيني فونتيس واحس باحتياجه الى النوم فقال لنوما

— لقد افرطنا في الشرب والاكل فاني مع اعتيادي السهر الى بزوغ الصباح اراني الآن تعباً واكاد اقع من شدة النعاس

فاجابه نوما — ان السبب في ذلك هو ان شدة تاثرك وانفعالك وعدم اعتيادك السكون والانزواء في مثل هذا المكان الضيق فضلاً عما بك من الحزن حرمتك الشهوة للطعام اما وقد جئتك اليوم بخبر الافراج عنك غداً ونقلت اليك اخبار سرور جينيتا وتهاني كورفيل فلا غرابة اذا عاد اليك نشاطك وارتياحك فاكلت بقابلية . . . وانا ذاهب الآن لتتمكن من ان تنام وسآتيك في الصباح ومعي الامر بالافراج عنك فتعود الى منزلك حيث ينتظرك محبوك بفارغ الصبر

— ما اسعد تلك الساعة التي اعود فيها الى ما بين احبائي

— اسعد الله مساءك يا عزيزي فونتيس

وصافح الشفاليه نوما معتذراً له عن شدة نعاسه ثم عاد الى غرفته حيث نام نوماً عميقاً

اما نوما فانه لم يخرج من السجن بل اشعل لفافة ولبث ينتظر في غرفة محاذية لغرفة فونتيس فوافاه بروسبر اليها بعد برهة فقال نوما : قد ابتدأ فعل المشروب . . . وعن قليل يصبح فونتيس طوع اشارتنا فهل جئت بكل ما يلزم

فاشار بروسبر الى رزمة كبيرة كانت في احدى زوايا الغرفة وقال :
ان كل شيء معدّ

وتقدم نوما الى باب غرفة الشفاليه وانصت فسمع غطيطاً شديداً
وقال لبروسبر : قد فعل المنوّم فعله فهيا الى العمل

ففك بروسبر الرزمة واخرج منها ثياباً وقبعة صغيرة لها غطاء يسدل على الوجه وقفازاً والكل من النوع الذي يلبسه سائقو السيارات ثم دخل غرفة الشفاليه مع نوما فتقدم هذا من النائم وهزّه بشدة ثم قلّبه على فراشه فلم يبدو من الشفاليه ما يدلّ على انه شاعر بشيء فقال نوما : ان هذا المنوّم فعّال وسيبقى فونتيس كما تراه الآن مدة ثمانية ساعات على الاقل . . ومتى صحا يكون قد سبق السيف فلا يجديه غضبه ويضطر الى قبول ما قد دبّرناه بدون استشارته

وألبسا الشفاليه الثياب التي احضراها ولبسا ثياباً كثياب حراس السجون ثم وضعا فونتيس على محمل وخرجا به من السجن . وكان امام الباب رجلان في زي الفعلَة عرف بروسبر ان احدهما هو الجاسوس ذو الشارب الاسود ولما مرّ المحمل بالرجلين ظنّا ان من عليه مريض او جريح او ميت فرفعا قبعتيهما كما يفعل كل متأدب عند مرور جريح او ميت بجانبه . . .
ولولا ان لنوما و بروسبر من قوة الارادة ما يتغلب على اشد العوامل الطبيعية لاستلقيا من الضحك حين نظرا من وكلت اليهما مراقبتهما يحييان باحترام وسار نوما و بروسبر بالشفاليه محمولاً الى احد المستشفيات ودخلاه وبعد قليل خرج رجلان بزي حراس السجون يحملان المحمل وعادا به الى سجن التوقيف . . . وبعد ساعة خرجت عربة من المستشفى وسارت

السؤال السادس عشر

كم سن القاتل — في اي شهر ولد

في اي يوم من الشهر — في اي يوم من

الاسبوع ؟

الى باب سان منده وهناك كانت واقفة سيارة من الطرز البديع تستعمل للسفر في المسافات البعيدة فلما وصلت العربة التي خرجت من المستشفى وقفت بالقرب من السيارة فنزل من العربة نوما في ثياب سائق وكان يحمل سائقاً نائماً هو فونتيس بعينه . . . وكان يمكن تحويل مقاعد السيارة الى أسرّة فحولها نوما ووضع فونتيس على احدها واستلقى هو على الآخر ثم امر السائق ان يسير

وسارت السيارة بسرعة غريبة يقودها احد رجال نوما وكان بالقرب منه خادم حليق اللحية بارز الذقن مما يدل انه انكليزي الجنس . . . ومرت السيارة في منعطفات متعددة ثم في حرش فيلان واخيراً في حرش فونتنابلو وكان السائق يوقفها حيناً بعد آخر وينصت الى ما حوله واخيراً دفعها في الطريق الذي يؤدي الى اليون

وكان لنوما ثقة عظيمة باخلاص رجاله فنام ليستريح ويجدد القوى لمباشرة الاعمال التي كان ينوي عملها

الفصل الثامن والاربعون

« الاستيقاظ »

وعند الساعة التاسعة من صباح اليوم الثاني كانت السيارة تجري في طريق طويل المسافة على جانبيه سهول عظيمة وكان على احد جوانب الطريق بعض الاشجار فوقفت السيارة في ظلها فنزل السائق والرجل الذي كان جالساً بجانبه ودارا حول الاشجار بتحذر منصتان ثم تناول كل منهما نظارة واخذ يفحص بتدقيق السهل الذي كانوا فيه حتى الأفق ولما

انتهيا من فحصها احضرا من السيارة بعض الادوات واخذا يعدان الفطور
و بينما هما في عملهما نزل رجل ثالث في لباس سائق من داخل السيارة فلما
رآه الرجلان وقفا وسلما عليه باحترام وتحدث الثلاثة بضع دقائق ثم عاد
الرجل الى السيارة و بعد قليل خرج منها وتبعه رجل رابع في لباس سائق
ايضاً . وكان هذا الاخير يتكلم بحدَّة و يشير بيديه بعنف مما دلَّ على انه
في سورة غضب شديد ... وكان هذا هو الشفاليه فونتيس ... اما رفيقه
فهو مارتين نوماوصاح الشفاليه بغضب : قل لي ما الذي جاءَ بنا الى هنا...
ولِمَ هذا التحوط ولاي الاسبابْ سرنا نائمين في السيارة كما يفعل النوَر في
عرباتهم ثم نزلنا متلهم في هذا القفر

ولم يجب نوما بل اشعل لفافة واخذ ينظر الى الشفاليه بعدم اكتراث

وتابع فونتيس صراخه ولكنهُ لما رأى ان نوما لا يجيبهُ سكن غضبهُ
تدريجاً فقال نوما بتلطف : انك لم تاكل منذ مساء البارحة يا عزيزي فانت
في حاجة الى الاكل الآن فصاح الشفاليه باعلى صوته : لست جائعاً . . .
لن اكل شيئاً . . . اذهب الى حيث القت. انت وما اعددته من المأكول

ـ لن اذهب الى حيث يا عزيزي . . . بل الى بقعة من الفردوس
الارضي تدعى صقلية . . .

ولماسمع الشفاليه ذكر وطنه سكن غضبه تماماًوسأل مدهوشاً : صقلية ؟ .

ثم تقدم الى منتصف الطريق ووقف يجيل نظره في كل الانحاء
لعله يتصل الى معرفة البقعة التي كان فيها فنظر الى السماء والى الاشجار
والسهل فلم يزدهُ فحصه معرفة بمحل وجوده فصاح

ـ بربك يا نوما اين نحن الآن وكم مضى من الايام وانا بين يديك

كجثة لا حياة فيها تنقلها انى شئت . . . هل نحن الآن في ايطاليا . . . اجب . . . قل اين نحن الآن

ـ لم نزل في فرنسا . . . ولم تتم الأ عشر ساعات فقط فاذاً نحن على مسافة عشر ساعات من باريس تقريباً والآن قد وصلنا في الوقت الذي حددتهُ الى هذا المكان الذي عينتهُ لاول محطة نقف فيها واني اهنئ سائقي عربتنا وهما من رجالي فانهما سارا بنا بسرعة غريبة وبدون ان يوقفنا عائق في الطريق او ان ينتبه الينا احد وأوصلانا في الساعة المعينة الى هذا المكان الذي كنا اتفقنا على الاستراحة فيه ... فاجلس الآن ولنا كل هنيئاً فان امامنا سفراً طويلاً . . .

ووضع البوليس الذي كان في زيّ خادم انكليزي الاكل وكان قد زال غضب الشفاليه من تلاعب نوما به فمد يده الى صديقه قائلاً : سامحني على ما اظهرته من الحدّة وانت تعلم انه لا قوة لي على كظم غضبي وعذري عما بدا مني هو ما حصل لي منذ تلك الليلة المشومة مما أثر على جهازي العصبي فأحدث فيه ما تراه من التهيج فلا تكن حانقاً عليّ

ـ اني لم استاء مما قلته فاني كنت اتوقع صدور مثل هذا الكلام منك ومثل هذا الغضب ولهذا امرت السائق ان يقف بالسيارة في مكان قفر ليتيسر لك الصياح بدون ان يسمعك او ينتبه الينا أحد

ـ قد احسنت التدبير

ـ ثم ان لنزولنا في هذه البقعة مزية ثانية وهي تمكننا من مراقبة كل ما يبدو حولنا على مسافات بعيدة وقد احتطنا تمام الاحتياط للقيام بهذا السفر

ـ اذاً قد اصبحتُ حراً الآن

ـ نعم انما يجب كتم هذا الامر عن كل حيّ ليسهل علينا عملنا ولكي يبقى أمر خروجك مجهولاً . واذ كان لا مندوحة لي عن المرور بك امام الجواسيس المنبثين حول السجن الذى كنت فيه وحول منزلك ومنزلي ومنزل الصديق كورفيل تحتم عليّ ايجاد طريقة لاختطافك بسرعة على رؤية من الجميع .... وبدون ان يعلموا او ينتبهوا الى ما أجريه

ـ وهل نجحت ... هل توصلت الى استنباط هذه الطريقة التي يعجز عنها ابليس نفسه

ـ اظنني نجحت اذ ان اخصامنا لا يزالون يترصدون السجن وضواحيه فلا يمكن احداً الخروج منه بدون علمهم . . . قه قه قه وهم مشددون المراقبة ايضاً حول منزلك وفي شارع لبيك حيث اقيم . وملازمون صديقي كورفيل ومارتين نوما الذي في باريس ملازمة الظل لصاحبه ... كل هذا يجري هناك والشفاليه على طريق ليون ومارتين نوما معه ...

ثم اطلع نوما الشفاليه على الطريقة التي استعملها لاخراجه من السجن فسرّ دونتيس بالحيلة وضحك قائلاً اني اسلمك زمامي منذ الآن واطيعك في كل ما ترتئيه

ـ انت تطيعني منذ الآن ... ولكني لو قلت لك البارحة اننا محاطون بالرقباء فلا يمكننا الخروج من السجن الاّ اذا تنكرنا ...

فانتصب الشفاليه بسرعة وقطع كلام نوما قائلاً : لما كنت رضيت بذلك ... فاني لا اتنكر ابداً واعد هذا العمل مهيناً لشرفي ... فقد كفاني ما فعلته مرة في حياتي ... قد تنكرت في زي ماجن وصبغت وجهي بالالوان وانا اعد عملي هذا عاراً . . . واراني ذليلاً في عيني نفسي وضميري يواخذني

على هذا الانحطاط فلن اعود الى مثلها قط وسأعمل حسب ما يوحيه الي ضميري اي اني اعمل ما يعنّ لي جهاراً فاكون دائماً وفي اعين جميع الناس الشفاليه فونتيس لا اتغير مهما كانت الحال . . . ولربما لم يحدث ما حدث لو كنت غير متنكر في تلك الليلة الهائلة ورآني صديقي انجليو وعرفني . . . ربما تمكنت من صد الضربة التي قضت على الكونت دي فيلاسر بوري

ـ لم يكن ذلك بامكانك

ـ وما برهانك

ـ كنت قد اخذت كل التحوطات و بثثت رجالي حول الكونت ليمنعوا عنهُ كل اذىً

ـ انا عالم ذلك

ـ وكنت انوي ان اوقع في شباكي جميع اولئك الاشقياء من امير ومركيز وكونت واسوقهم الى امام القضاء ومع ما بذلتهُ لم اتمكن من ردّ يد الفيرا فوكامور لان الكونت كان ممسكاً بتلك اليد

ـ ولكن لو عرفني انجليو ... لو رأتني الفيرا لما تجاسرت

ـ انها قد رأتك وعرفتك ولم يجد ذلك ولم يمنع وقوع المصاب ... فلا تندم على تنكرك في ذلك اليوم فاني فعلت فعلك اذ لم يكن بامكاننا الدنوّ من الكونت بدون ان ينتبه الينا اولئك الاشقياء الا بتلك الطريقة واعلم ان التنكر غير معيب اذا استعملهُ الانسان وسار الى موقف الخطر بل يعد التنكر في مثل هذه الحال بمثابة عدة السلاح يسير بها المقاتل الى لقاء اعدائه ويفتخر بها لانها تساعدهُ على القيام بالواجب

ـ صدقت ... صدقت وساحتفظ بقطع الثوب الذي كنت البسه

لانه تلطخ بدم صديقي وكان يمكن ان يتلطخ بدمي ... ولكن هل اعلمت جينيتا و بيترو باطلاق سراحي

ـ ابلغتهما انك ستترك السجن بعض بضعة ايام

ـ ألم تعلمهما صريحاً اني خرجت من السجن

ـ لو فعلت ذلك لما احتجت الى اختطافك على الرغم منك

ـ ما تعني

ـ ان اخصامنا ساهرون حول سجنك فكان من اللازم لي ان يظنوك باقياً فيه ليبقوا على اعتقادهم ان القضاة قد ضلوا في تحقيقهم والصقوا بك تهمة القتل فيداوموا السير على خطتهم في مراقبة سجنك ولحملهم على التشبث في هذا الاعتقاد يلزم ان تأتي جينيتا و بيترو لزيارتك في كل يوم اذ لو انقطعا يوماً واحداً لأدرك اخصامنا الحيلة واحتاطوا لانفسهم

ـ ان عملك هذا لفظيع يا نوما... كيف ترضى بتعذيب جينيتا و بيترو

ـ اني مثلك آسف على ما اسببه لهما من العذاب ولكن للضرورة احكام فان جينيتا و بيترو ببكائهما وحزنهما يساعداننا على تضليل اعدائنا

ـ اني اقر بسداد رأيك في كل حال يا عزيزي نوما

الفصل التاسع والاربعون

« الآنسة ارابلاّ نِكبار كر »

اجتازت سيارة نوما بمن فيها طرقات عديدة وكانوا يتجنبون التي تكثر فيها المارّة وكثيراً ما عادوا على اعقابهم بعد سير طويل فكان الشفاليه يستغرب عمل نوما وسأله : الى اين نحن سائرون

الى صقلية كما تعلم

ـ ولكنا نسلك الطريق المعاكس لوجهتنا

ـ نحن الآن سياح ليس الاّ

ـ انما نحن سياح يخبطون خبط عشواء لا يعلمون الى اين يفضي بهم المسير وتراني رغماً عن جمال المناظر التي نصادفها اتذكر ان في باريس شيخاً ينتظر عودتي وفتاة تبكي بعدي عنها

ـ اني ذاكر ما تذكره يا عزيزي فونتيس ولكني اتأخر في الطريق عمداً

ـ ولأي سبب يا ترى

ـ حتى اذا كان اخصامنا قد دروا بسفرنا واسرعوا الى انتظارنا في مرسيليا ليتأكدوا انا تركنا فرنسا ينفد صبرهم في الانتظار ويغالطون انفسهم فيبتعدون عن مرسيليا ظناً منهم ان تأخرنا عن المجيء اليها يدل على انا لم نقصدها اذ لو كان ذلك لوصلناها حالاً ... ثم اني لا أريد ان اسافر قبل ان تطول لحيتي ليسهل علينا عملنا

ـ أتنوي حقيقةً اطلاق لحيتك

ـ نعم وستفعل مثلي انت ايضاً ... انا لا نقصد من سفرنا مغازلة الجميلات بل شيئاً اهم واشرف من ذلك فلا بأس من ان تطول لحيتك ومتى تم عملنا تحلقها اذا شئت

ـ ولكن هذا يعد تنكراً وانا لا ارضى به مطلقاً بل أريد ان ابقى كما انا وكما يعرفني الناس

ـ ولكني أريد ان لا يعرفك أحد من الناس

وكانوا كلما مرّوا بدكان مزيّن ينظر الشفاليه اليها بتشوق ويقول

لنوما : والله لولا ما نسعى اليهِ لما اطعتك قط فيما تطلبهُ مني

وبعد ان قضى نوما وجماعته عدة ايام في التجول على طرقات مقاطعة البروفانس دخلوا مدينة مرسيليا ونزلوا في احد فنادقها

وبعد ما مضى يومان على وجود نوما ورفاقه في الفندق دخل الخادم على الشفاليه وقال له ان سيدة تطلب مقابلة الشفاليه فونتيس فدهش الشفاليه من كلام الخادم وقال : سيدة تطلب الشفاليه فونتيس هل سمعت جيداً ما قالتهُ . . . هل قالت لك الشفاليه فونتيس

ـ نعم يا حضرة الشفاليه

ـ ولكن كيف عرفت تلك السيدة ان الشفاليه يقيم هنا . . . كيف عرفت اسمي وانا كتبت في سجل اللوكندة اني ادعى البارون دلاّ روكا

ـ كل ما يمكنني ان اقوله هو ان السيدة سألت هل يسمح لها بمقابلة الشفاليه فونتيس وهي التي عيّنت لي اسم حضرتكم وجئتكم من قبلها اسألكم اذا كنتم ترضون بمقابلتها فهل انت الشفاليه فونتيس

ووقف الشفاليه مرتبكاً وتمنى لو كان بامكانه عرض هذا الامر على نوما قبل القبول او الرفض ولكن الخادم اعلمه ان صديقه غادر الفندق في الصباح وكلفه تبليغ الشفاليه انه ربما يتأخر فلا يعود الاّ في المساء فلا حاجة لان ينتظره على العشاء ولا ان يقلق اذا طال غيابه . ونزل الشفاليه الى ردهة الاستقبال فوجد هناك سيدة قد وخطها الشيب لابسة نظارات وهي تقرأ مجلة انكليزية وظن فونتيس لاول وهلة ان تلك السيدة هي رسولة اعدائه جاءت لتتأكد وجوده مع نوما في مرسيليا فتقدم من السيدة ونظرت اليه ثم سألته بالافرنسية بلهجة انكليزية واضحة في كلامها : هل

انت الشفاليه فونتيس

ــ ولكن من حضرتك

ــ انا الآنسة أرابلاّ نكباركر المصوّرة وانا من لوندره ... واذا شئت قدّمت لك شهادات لتحقيق شخصيتي من قناصل دولتي في جميع انحاء المعمور ... وانا مولعة بالاسفار وفي عزمي السياحة في صقلية

ــ نعم ما تفعلين ولا شك بانك تسرّين من سفرك انما اسمحي لي ان اسألك كيف علمت بوجودي هنا ومن اعلمك باسمي

فاجابته مبتسمة : ان قناصل دولة بريطانيا يعلمون كل ما يجري في العالم . . . وقد قال لي القنصل ان الشفاليه فونتيس هو من نخبة نبلاء صقلية وان له فيها مكاناً لا يمكن احداً زيارته بدون اذن خاص منه ... وبما اني اريد تصوير ذلك المكان جئت الى الشفاليه فونتيس اسأله ان يأذن لي بزيارة ذلك المسكن

ــ ولكنك لم تقولي لي كيف علمت بوجودي في هذا الفندق

ــ قد قلت لك يا سيدي ان القنصل ...

ــ ليس هذا بالجواب المطلوب اذ من اين علم القنصل بوجودي

ــ ان دولة انكلترا هي مالكة جميع اسلاك التلغراف المنتشرة في العالم فهي تدري بكل ما يحدث في الدنيا كما انها تعرف من له علاقة بتلك الحوادث

وتضجّر فونتيس من مراوغة السيدة في الحديث فقال : يستحيل ان دولة انكلترا تهتم لتنكر الشفاليه فونتيس ولا بد من باعث غير هذا

ــ نعم وهو رغبتي الشديدة في معرفتك وتصوير قصرك الشهير ثم ابتسمت عن اسنان كبيرة متفرقة واستأنفت الحديث قائلة : وانت تعلم

السؤال الثامن عشر

كم محيط صدر القاتل ؟

ان الله يريد ما تريده المرأة وان الشيطان يعطيها ما تطلبه

فزاد استغراب الشفاليه وناجى نفسه قائلاً : ليت نوما هنا فيكشف لنا هذا السر لاني عجزت عن ادراكه وقالت الانكليزية : انت رجل شريف يا حضرة الشفاليه ولا اظنك ترفض طلب سيدة ... وساقدم لك صورة بالزيت علامة على امتناني لك

ـ شكراً لك يا سيدتي

ـ اذاً ترضى بالسماح لي ...

ـ اني لا ارى مانعاً يمنعني عن ذلك

فشكرت السيده نوما بكلام بعضه انكليزي والبعض الآخر افرنسي وايطالي وعلى الكل مسحة اللهجة الانكليزية

وقال الشفاليه في سرّه : ان نوما لا يعود الاَّ بعد الظهر وأرى ان من الضروري ابقاء هاته السيدة هنا ليراها اذ ان معرفة وجودنا هنا ستدعونا الى تغيير خطتنا . ثم سأل محدثته ان تتناول غداء الظهر معه ليتسنّى له اطلاعها على ما يستحق الفرجة في صقلية ويكتب تحريراً تدفعه لخدمه فيصدعون بما تأمرهم به فاجابت طلبه وسرّ الشفاليه بقبولها دعوته آملاً ان يعود نوما قبل ذهاب السيدة فيراها ويستجلي حقيقة أمرها ...

ولما جلسا الى المائدة قدم الشفاليه اجناساً مختلفة من الخمر لمدعوته لعلها تؤثر عليها فيسهل على نوما معرفة ما تكنّه ولكن فات فونتيس ان لبعض النساء الانكليزيات قوة غريبة على شرب الخمرة ... وهكذا أفرغت زجاجات عديدة شربت السيدة اكثرها بدون ان يظهر عليها تأثير الخمرة ...

فطلب فونتيس بعض زجاجات من الشمبانيا فلم يكن لها فعل اشد

من باقي الخمور فيئس من التوصل الى غايته وامر الخادم بالانصراف ملحاً عليه بادخال صديقه المتغيّب متى عاد. ولما هم الخادم بالخروج رآه فونتيس ينظر الى السيدة مبتسماً فناجى نفسه وهو يبسم : ان هذا الخادم يعتقد اني صرفته لتسهل عليّ مغازلة هذه السيدة فيالله ما أحمقه . . .

ولاحظت السيدة ابتسام الخادم ثم رأت الشفاليه يبسم ايضاً فقالت لفونتيس : اني لأستغرب اطوار الفرنساويين ... فانهم اذا رأى احدهم سيدة تأكل مع رجل لا يعتقد ابداً انهما اجتمعا لاجل تناول الطعام فقط ...

فلم يجب الشفاليه وقالت الانكليزية : لا بأس من ان تشعل سيجارك

— ألا يضايقك الدخان

— كلاّ بل احب رائحة التبغ ... وانا اشرب دائماً لفافات مخصوصة ...ثم مدت السيدة يدها الى كيس معلق في حزامها واخذت منهُ علبة لفائف فنظر الشفاليه الى العلبة واذا به قد انتصب وصاح : انت مارتين نوما ...... ثم استغرق في الضحك

الفصل الخمسون

« في غرفة مخصوصة »

وانتظر مارتين نوما ريثما انتهى الشفاليه من الضحك ثم قال : قصدت يا عزيزي التأكد انه ليس بامكان احد ان يعرفني ولهذا جئتك في زي سيدة انكليزية وانت تعرف من انا واني موجود في مرسيليا وعالم ان في عزمي تغيير زيّي وعليهِ انت متنبّه الذهن اكثر من سواك الى ما يتعلق

بي وبالتالي تسهل معرفتك اياي

ـ انا معترف باني لم اعرفك ... بل كنت أنتظر حضورك لأريك السيدة الانكليزية التي رابني امرها

ـ اعلم يا عزيزي انه لم يبق من اسمه مارتين نوما واني اصبحت منذ الآن الآنسة ارابلا نكباركر وسنسافر الى صقلية على باخرة واحدة ولكن يجب عليك ان تتجاهلني

ـ هل تخشى ان يكون معنا رقباء على الباخرة

ـ لا اظن ذلك ولكني لا أنفيه بتاتاً ... لاني رأيت اليوم رجلاً يترصد حول هذا الفندق وقد ارسلت سائق السيارة للاستكشاف وانا منتظر عودته لأعلم من هو الرجل ... انما نحن هنا في مأمن ولم اختر النزول في هذا الفندق عبثاً ... بل فضلتهُ على غيره لوجود اثنين من رجالي فيه بوظيفة خادمين ... فغداً تخرج من هنا سيارتنا وبجانب السائق رجل حليق الذقن في زيّ طومي الذي جاء معنا وفي داخلها رجلان يمثلاننا فمتى رأى من يراقبنا ان السيارة سارت تحمل مسافرين يشبهاننا لا يدرك اننا وطومي بقينا هنا ... وتظهر انت بمظهرٍ آخر اذ تدعى البازون دلاّروكا وهو احد القابلات الشرعية اما انا فساكون انسة انكليزية ... وستجد في غرفتك تذكرة السفر ونمرة الغرفة التي استأجرتها في الباخرة ويكون في خدمتك مدة السفر احد رجالي وهو غير مجهول عندك لانه احد ممرضي الكونت دي فيلاسربوري ... وهذا الخادم يحسن لغة اهل صقلية ويعرف البلاد معرفة تامة وسيكون الوسيط لنقل الاخبار بيننا

وفي اليوم التالي اقامت الباخرة التي كان فيها الشفاليه ونوما قاصدة

صقلية وكان الخادم باولو قائماً بخدمة ذونتيس حق القيام ولما ابتعدت الباخرة عن الشاطىء صعد الشفاليه الى ظهرها آملاً ان يرى السيدة الانكليزية او خادمها طومي ولكنه لم يعثر باحدهما فتبادر الى ذهنه ان نوما لبث مع خادمه في مرسيليا ... ولكن لما رست الباخرة رأى السيدة الانكليزية في جملة النازلين وقد علقت في عنقها نظارة وعلبة للتصوير وفي يدها دليل السفر ....

وسار الخادم باولو بالشفاليه الى احد فنادق ترابانى وهناك اجاب على سؤال صاحب الفندق عن اسمه انه يدعى البارون دلاّ روكا فأقام الشفاليه هناك لا يخرج من غرفته الاّ نادراً فيذهب الى زيارة مكتبةٍ او متحف ... ويجتاب الخروج الى النزهة خارج البلد او الجلوس على القهوات ودخول المراسح . اما نوما فكان بعكس ذلك يخرج في كل صباح حاملاً عدة التصوير يتبعهُ خادمه . وكان الخادمان باولو وطومي ينقلان الحديث بين سيديهما بطريقة لطيفة

الفصل الواحد والخمسون

« كبش من الورق المقوى »

التقى الخادم باولو بطومي اتفاقاً في احدى الحانات وتبادلا الكاسات وتصادقا وصاحب الحانة يستغرب ذلك لانهما ما كانا يتفاهمان الاّ بصعوبة كلية لان احدهما كان انكليزياً يجهل اللغة الايطالية والثاني ايطالياً لا علم له بالانكليزية وكانا يكثران من الشرب فاصبح من يتردد الى تلك الحانة يعدهما سكّيرين ... وكانا عند الانتهاء من الشرب يعودان سويةً

يتمايلان من السكر متوكئاً كل منهما على الآخر ولكن كثيراً ما كانا يقعان .. ثم ينهضان فيركضان في الشوارع ويناجيان القمر باعلى صوتهما ... ثم ينصرف كل الى مسكن سيده ويعودان في اليوم الثاني فيلتقيان في نفس الحانة. هذه الطريقة التي استعملها باولو وطومي للاستعلام وتبليغ اوامر مارتين نوما لباولو وبهذه الصورة كانت المواصلة غير منقطعة بين الشفالية او البارون دلاّ روكا ونوما

وكان نوما يخرج في كل صباح الى خارج المدينة ويصوّر بعض الضواحي وانما كان يفتش عن العربة التي فيها ابن المغنية لامارجلينا .. لانه لم يأت الى صقلية الاّ للتفتيش عن ذلك الولد ... واستأجر لهذه الغاية عربة ذات عجلتين من نوع الدوكار يجرها جواد قوي وكان السائق صقلي الاصل وله هناك أقارب كثيرون وهو معروف من جميع السكان وله خطيبة في احدى القرى المجاورة ... والسائق ليس سوى احد رجال نوما ارسله رئيسه الى صقلية بعدما وجد في غرفة المغنية الكارت المصورة التي عليها علامة X

لما وعد نوما المغنية لامارجلينا ان يعيد اليها ولدها باشر للحال في اعداد ما يلزم للقيام بتلك المهمة فلما وصل الى صقلية كان كل شيء معداً ليساعده على الوصول الى غايته في اقرب ما يمكن وهكذا كان الجوذي واسمه بيبو عالماً بما يطلب منه يدري من سياقي في كل محل يسير اليه فكان يقود العربة الى الامكنة التي تستحق التصوير لجمال منظرها فيصوّر نوما بعض تلك المناظر ثم يعود الى الفندق ويختلي في غرفته فيظنه الناس فعل ذلك طلباً للراحة وحقيقة الامر انه كان ينفرد ليدبر الخطة التي يسير بموجبها في الغد . وفي الصباح كان يأتي بيبو بعربته ومتى حضر رئيسه

للركوب يصيح باعلى صوته ليسمع الموجودين : ايتها السيدة اني سأذهب بك اليوم الى مكان يفوق جمالاً كل ما رأيت من المناظر الى الآن

وكانت السيدة تشكره سلفاً ثم تستخدم كرسياً للصعود الى العربة لانها كانت مرتفعة يسهل على من فيها النظر الى بعدٍ شاسع وكان يركب معها طومي الخادم فيسير الحوذي وهو يغني

مضت ايام ونوما متبع خطته في الذهاب الى محلات مختلفة وتصوير بعض البقع فلما تأكد انه لم يتبعه احد لتجسس أعماله أمر بيبو ان يسير به الى العزبة التي كان اخبره ان فيها ولد يشابه الطفل المصور على الكارت التي وجدت عند لامارجلينا المغنية .

ولم يتوصل بيبو الى محل وجود ذلك الولد الا بعد صعوبات عديدة لانه ما كان يعرف للطفل علامة مخصوصة تدل عليه ولكن بيبو كان حكيماً صبوراً فلم يقعده فشله في بادىء الامر بل ثابر على التفتيش وكان نوما قد تنبّه الى وجود كبش في الصورة التي ارسلت الى المغنية فنقلها بالفوتوغرافية واعطى نسخةً منهـا لبيبو قائلاً له ان هذا الكبش الكرتوني يساعدك في بحثك لانه يندر وجود مثل هذه اللعبة في صقلية وهي مرسلة من الوالدة الى ولدها يوم كانت في اميركا

واتفق ان بيبو رأى في سوق بعض الفلاحين ومعهم ولداً يجر كبشاً من الكرتون مربوطاً بخيط وتأمل الكبش فوجده مشابهاً الذي في الكارت فتأثر بيبو الفلاحين وهم يدخلون قرية منفردة في الجبل ولكنها بعيدة عن البلدة التي كان اسمها وارداً في اختام البوسطة الموجودة على الكارت . . .

واعلم بيبو رئيسه بنتيجة بحثه فاتفق وصول الخبر اليه في يوم مقتل الكونت

دي فيلاسر بوري فبادر الى الحضور مع الشفاليه كما تقدم

وكانت العزبة كبيرة يحرثها جماعة من الفلاحين وهم شيخ هرم وامرأته وولدهما وزوجته ولهذان عدة اولاد منهم الولد صاحب الكبش . وتوصل بيبو بدهائه الى التعرف بابن الفلاح واسمه طومازو في احدى الحانات وتحدثا بامور كثيرة تتعلق بالزراعة والحصاد والخيل مما كان يسر الفلاح التحدث بها واصبح الاثنان صديقين . ففي احد الايام جاء بيبو الى العزبة بحجة انه يريد مشترى جوادٍ لعربته من عند طومازو فاشتراه منه بعد جدال طويل عن الثمن كما هي عادة الصقليين ثم عاد الى زيارة طومازو فعرف منه ان بين اولاده ولداً كلّف تربيته وهو ابن مغنية سافرت للتفتيش عن زوجها الذي هجرها ولم يذكر طومازو اسم الوالد مدعياً أنه أُمِر بكتمه وتُهدّد باخذ الولد منه اذا ذكر ذلك الاسم وفي اخذ الولد غبن عليه لان والدته كانت تدفع مبلغاً كبيراً اجرة تربيته

فتاكد بيبو من حديث طومازو ان الولد هو ابن المغنية لامارجلينا واعلم نوما بذلك

وكان نوما كما علم القراء ثابت الجأش صبوراً بعيداً عن الانفعالات لا يؤثر في نفسه منظر مخيف محزن او مفرح غير ان قلبه كان ينبض بسرعة بينما هو سائر في العربة الى المذبة التي فيها ابن لامارجلينا وما ذلك الا لتعلله بان وجود الولد يسهل عليه معرفة سرّ العصابة المعهودة التي لم يقوَ على قهرها مع ما هو عليه من فرط الذكاء والدهاء

ولما انتهت العربة الى امام العزبة اوقفها الحوذي بجانب الحاجز الخشبي القائم عند المدخل ونادى احد الفلاحين الذين كانوا ينقبون

الارض فجاءه طومازو وقال له بيبو : قد مضى زمن لم ارك فيه ايها الصديق فاغتنمت اليوم فرصة وجود سائحة انكليزية معي مولعة بالتصوير قلت لها انها تجد هنا مناظر بديعة وانما جئت بها لاراك واشرب كاساً معك

- اني فرح برؤيتك يا عزيزي بيبو

ثم دفع طومازو الحاجز وتقدم الى السيدة الانكليزية ورفع قبعتهُ قائلاً : قد احسن صديقي بيبو باحضارك الى هنا ايتها السيدة فاهلاً بك وسهلاً

فقال بيبو ان السيدة تجهل لغتنا وقد تعلمت بعض كلمات انكليزية اتوصل بها وبمساعدة الاشارة الى التفاهم مع هذه السائحة

واشار بيبو الى صديقه وقال للسيدة : هذا صديقي طومازو ثم مد يده متابعاً الاشارة قائلاً وكل هذه الارض هي ملك والده

فاجابت السائحة بالانكليزية : « يس يس جود ڤري ول »

فقال بيبو : انها مسرورة وتشكرك على حسن استقبالك لها

فاعجب طومازو بصديقهِ لمعرفتهِ الانكليزيه وهنأهُ بذلك ... ثم امسك عنان الجواد وقاد العربة الى امام البيت ولما سمع من فيهِ صوت الاجراس المعلقة في عنق الجواد طفروا الى الخارج ليروامن هو الزائر .. وهم والدة طومازو وامرأته وزمرة من الاولاد وحيّت السيدتان السائحة وجاءت احداهما بكرسي استعانت به على النزول من العربة فشكرتهما وترجم بيبو فحوى كلامها ثم سارت المرأتان والسائحة الى الحقل يتبعهما الخادم طومي حاملاً ادوات لعمل الشاي كانت سيدته قد امرته ان يأتي

بها وكرسي للجلوس وادوات التصوير ... ونظرت السائحة من خلال الاشجار فرأت قسماً من المنزل تتسلق جداره شجرة من الورد الابيض مزهرة فمدت يديها مظهرة اعجابها بذلك المنظر البديع ثم امرت خادمها فوضع الكرسي والشمسية وطاولة التصوير في الحقل وجلست وبدأت في تصوير الوردة . واحاط بها الصغار ينظرون اليها مدهوشين فنظرت اليهم لاول مرة منذ حضورها واشارت بيدها مسلمة عليهم ليستأنسوا بها لكنهم ذعروا من اشارتها وابتعدوا عنها قليلاً يتأملون بما تفعله ولا يدركون مغزاه ...

ولما حان وقت الظهر اعدّ طومي غداء سيدته ثم جاء الى اصحاب العزبة بزجاجة من الوسكي هدية من سيدته وترجم بيبو ما قاله الخادم الى الايطالية بسهولة غريبة...

ولما انتهى الاولاد من الاكل مع ذويهم عادوا الى حيث كانت السائحة فاعطتهم شيئاً من الحلوى فارتاحوا اليها واقتربوا منها اما هي فكانت مكبة على عملها لا تنظر اليهم حتى جاء المساء فنهضت وطلبت من بيبو ان يسأل اصحاب العزبة السماح لها بالمجيء في اليوم الثاني لاتمام الصورة

فاجاب طوماز ومعرباً عن ارتياحه هو ووالديه الى مجيئها ثانية وطلب منها ان تبقي ادوات التصوير عنده تحت عهدته

وجاءت السائحة في اليوم الثاني تحمل لعباً وحلوى للاولاد وشيئاً من المشروب لاجل ذويهم فسرّ الجميع بهديتها واصبح الاولاد يداعبونها ويقفون بالقرب منها مبتهجين برؤية صورة البيت على القماش . وفي مساء اليوم الثاني عاد نوما فرحاً بالنتيجة التي توصل اليها معتقداً انه خطا خطوة كبيرة

في السبيل الذي كان يسلكه . فلما وصل الى غرفته لحظ ان شيئاً من ترتيبها قد تغير عما يعهده فنادى طومي وسأله هل هو احدث ذلك التغيير فانكر الخادم فاستاء نوما لذلك الحادث الطفيف واخذ يفحص ما في الغرفة بتدقيقه المعتاد ثم استعمل مكبرته التي كانت دائماً معه فنظر الى قفل الباب وفحصه جيداً فلم يرَ فيه ما يدلّ على ان الباب فتح عنوةً فاستنتج ان شخصاً دخل الغرفة مستعملاً لفتح الباب مفتاحاً كمفتاحه وعاد ونظر الى صندوقه وكان مقفلاً بقفل سرّي فرأى انه قد أزيح من مكانه ولكنه لم يُفتح فقال نوما : ربما فعل هذا خدم الفندق . . . ولكن ان لم يكونوا هم الفاعلين ... اذاً يكون اخصامي قد علموا بوجودي هنا ...

وغير نوما ترتيب غرفته ونقل سريره الى مكان يمكنه منه الوثوب على من يحاول الدخول ليلاً ولكن مضى الليل ولم يطرأ أحد غرفة صاحبنا . فعزم على التظاهر بالذهاب الى العزبة كعادته والعودة فجأة لرؤية من في الفندق من خدم وغيرهم

ولم يخشَ نوما عاقبة التفتيش في ثيابه اذ لم يكن فيها ما ينم عليه لانها كانت كلها ثياب نسائية مصنوعة في نفس لوندرة ولكنهُ اراد التثبت من دخول بعض الخدم غرفته او غيرهم فوضع فيهـا قبل ذهابه علامات اذا جاء الغرفة شخص ما نمّت على دخوله

وفي الصباح ركب نوما وطومي عربة بيبو فسارت بهما متجهة الى عزبة سان تيتو . واخبر نوما رفيقيه انه قلق مما حدث في غرفته خوفاً من ان يكون الذي زارها احد اعضاء جمعية ⌛ . فقال بيبو انه لا يعتقد بدخول احد من تلك العصابة الى غرفة الرئيس بل يرجح ان الفضول دفع

السؤال التاسع عشر

كم قياس القاتل في العرض

أي ممدود الذراعين ؟

احد خدم الفندق الى البحث في ثيابه للفرجة على ما تلبسه الانكليزيات . فسأل نوما بيبو هل هو مداوم السهر حول الفندق فأجابه انه لم يغفل عن ذلك وانه يعرف كل من في الفندق وانه لم يدخله شخص لا يعرفه منذ حضور رئيسه

وما كان نوما ممن يطمئنون لمجرد الكلام فقال انه سينظر في الامر ويرجو ان يتغلب على هذا الحادث الجديد ثم تابعت العربة سيرها و بيبو يغني كعادته اما نوما فكان يتألم كثيراً لاضطراره الى ترك التدخين مع انه من ضروريات حياته فكان يلاهي نفسه باكل الملبس . . . ولما وصلا الى عزبة سان تيتو اسرع الصغار الى السائحة فاعطتهم ماجاءتهم به من الحلويات ثم ابتدأت في التصوير . . .

ولم يتوصل نوما الى معرفة ابن لامارجلينا من بين الاولاد الذين كانوا حوله اذ لم يكن ما يدل عليه سوى لعبة الكبش ولكن ربما احد رفاقه اخذه منه . . . ولم يعيّن طوماز و الولد حينما دار عليه الحديث ورأى نوما ان مجيئه في كل يوم الى تلك العزبة ليس في شيء من الحكمة لئلا تخامر الظنون أهل ذلك المكان وان لا بد له من قضاء مهمته بالسريع العاجل فلما جاء المساء قال لرفيقيه : قد انتهيت من تصوير البيت باليد و بقي عليّ ان اصوّر السكان بالتصوير الشمسي فاصورهم جماعةً ثم اصور كلاً منهم على حدة فربما توصلت الى معرفه ابن المغنية في عرض كلام طوماز و وذويه

ولما عاد نوما الى غرفته تفحصها جيداً ليتأكد هل دخلها احد في غيابه فلاحظ ان نفس الاشياء التي أزيحت من مكانها البارحة قد أزيحت ثانية بنفس الهيئة فادرك ان ذلك العمل كان مقصوداً لغاية ما فازداد قلقه .

ووضع نوما سريره كالبارحة في مكان يسهل منه الهجوم على الداخل الى الغرفة وكان قد جاء بغصن قطعه بهيئة زاوية واسند به أسفل الباب من الداخل بنوع انه لا يمكن فتحه الاَّ بدفعة شديدة . . . على ان اسناد الباب بالغصن ما كان ليكفي لاتقاء العدو ولكن نوما كان كالذئب المقول فيه ان صح ما قيل :

ينام باحدى مقلتيه ويتقي   باخرى المنايا فهو يقظان نائم

فالحركة التي يضطر الداخل الى احداثها عند فتح الباب كانت كافية لايقاظه وتهيؤه للدفاع واتقاء مهاجمة العدوّ ثم انه كان امر طومي ان يشتري له لعبة فيها صفارة مصنوعة بنوع انه اذا ضغط عليها خرج منها صوت اشبه بصوت الكلاب

فاخذ الصفّارة وسمَّرها ما بين درفة الباب والاطار وهكذا كان اذا ضغط على الباب خرج صوت الصفارة كما كان يحدث حين ضغطها باليد ثم اتخذ غير ذلك من التحوطات ونام

الفصل الثاني والخمسون

« ان كنت ريحاً فقد لاقيت إعصارا »

بينما كان نوما نائماً اذا بهِ يسمع صوتاً ضعيفاً لا يكاد يسمعه من كان أقل منه تيقظاً وانتباهاً وحدَّة سمع . . . وانصت نوما بدون ان يبدي حراكاً حتى انه لم يفتح عينيه بل ظل متظاهراً بالنوم العميق

ثم احسَّ ان الباب يعالج . وأدرك ان العامل ماهر في عمله . . . وسمع صوت الصفارة مرتين تناسبان دفع الباب دفعتين ثم انقطع صوت

الصفارة فقال نوما يحدث نفسه : ان طريقتي ليست وافية بالمطلوب ولعل الحاجز الذي وراء الباب يقوم مقام الصفارة ... ولكن فتح الباب قليلاً ولم يمنعه الغصن الموضوع في أسفله فدهش نوما لذلك ولم يدرِ كيف يفسر هذا الامر الغريب

جرى ذلك في الظلام ... وما يجري كان مرعباً مخيفاً ... رجل يدخل غرفتك في وسط الليل وتسمع وتشعر انه يعمل ما لا تراه ولا تدركه ... تحسّ انه قريب منك ولا تراه ... انها لساعة يهلع لها قلب الشجاع

لم يبدِ نوما حراكاً وأدرك ان الداخلين مهرة لم تخفَ عليهم الطرق التي استعملها للتحوط وتيقن انهم داخلون عليه .....

ثم احسّ نوما ان شخصاً يدنو منهُ ... ونظر الرجل مع اشتداد الظلام ففتح ذراعيه وباسرع من البرق قفز عليه من سريره وصرعه ... ولم يأتِ الرجل بادنى ممانعة بل تمدَّد على الارض ووضع يديه وراء ظهره لئلا يقبض نوما على احديها فيحطمها بطريقته المألوفة التي تعادل طرق اعظم المصارعين اليابانيين وقد رأيناه استعملها في منزل الشفاليه يوم كسر ساعد احد الرجلين اللذين دخلا بيت فونتيس ليلاً ... والظاهر ان الرجل كان عالماً بمهارة نوما وقوته فانه لبث بين يديه لا يمانع مكتفياً بوقاية يديه وراء ظهره فهزَّه نوما وقلَّبهُ فكان الرجل كانما هو من المطاط ينطوي كيفما شاء نوما فاستغرب هذا الامر فوضع احدى يديه القويتين على عنق الرجل وقبض بالثانية على ذراعيه ثم وضع رجله على معدته والاخرى على الذراع الثانية ... ومرت بضع ثوانٍ كانت تسمع فيها دقات قلبي الرجلين ....

ثم ضحك الرجل الصريع وقال بالانكليزية مشوبة باللهجة الايطالية :
اطمأني ايتها الآنسة أرابلاَّ اني لا أريد بكِ شراً وانا احترم السيدات ...
ولكني ارجو منكِ ان تخففي ضغط يدك على عنقي ... ارفعي رجلك التي
على بطني ... لاني متألم

فدهش نوما لضحك الرجل وكلامه وخفف الضغط ليقوى خصمه
على التنفس لانه شعر انه كاد يختنق وقال له : من انت ... ولم جئت
الى هنا

فاجاب الرجل : جئت لازورك واني ارجو منك المعذرة لدخولي
عليك بدون استئذان

فزاد استغراب نوما من مزاح الرجل ورباطة جأشه واجابه : انما
جئت لتسرق الانسة ارابلاَّ

فاستغرق الرجل في الضحك وقال : كلا يا موسيو مارتين نوما ...
اني جئت لاراك لا لأرى الانسة ارابلاَّ ... وما كنت لادخل ليلاً
وبدون استئذان غرفة سيدة ... اما الآن وقد اظهرت لك اني لست
من عصابة . بل من عارفيك المعجبين بك وقصدي بالمجيء ان
اعرض عليك خدماتي فدعني . اتركني تماماً لأتنفس ولنتحدث ...
اسمح لي ان اضع احدى يدي على حزامي وابقَ قابضاً عليها لئلاَّ تظن
اني اقصد اخذ سلاح من حزامي ... اذا سمحت لي بذلك عرفت
من انا

فعمل نوما بما طلبه منه الرجل فمس هذا زراً في حزامه فلمع نور على
صدره وضحك نوما لذلك

ونظر الرجلان كلٌّ الى رفيقه على ذلك النور الضئيل ثم ترك نوما خصمه وجلس على الارض بالقرب منهُ وفعل ذلك مثله وقال نوما : من انت ايها الرجل فمد الرجل يديه بشوق الى نوما وقال : كيف حالك يا رئيسي

فنظر نوما اليه يتساءل من عساه ان يكون ولكنه لم يعرفه فقال الرجل : انا ماتاي مفتش الضابطة في صقلية وقد اسعدني الحظ وخدمت تحت أمرتك في باريس ودرست عليك صناعتي . . . فهل عرفتني

فمد نوما يديه الى محدّثه واجاب : قد عرفتك الآن

ـ لنتحدث اذاً فانا في حاجة الى المحادثة الجدية. . . سامحني يا رئيسي على دخولي عليك بالشكل الذي رأيته مني ولكن لم يكن بامكاني ان اجيئك الا بهذه الطريقة ولولا ضرورة مقابلتي لك لما فعلت ما فعلته . . . وبما اني تلميذك اطلب منك اطرائي لاني دخلت على استاذي مع انه يحوط كل التحوُّط لمنعي عن الدخول

ـ صدقت واحسنت

ـ دخلت عليك ولولا رغبتي في ان تقبض عليّ لما استطعتُ ذلك . . فضلاً عن انيَ نبهتك مرتين الى انه سيأتيك زائر

ـ وانا كنت بانتظارك فاحمد الله لاني لم استقبلك استقبالاَ خشناً

ـ تفضل يا رئيسي وعد الى فراشك فان رطوبة ليالي صقلية مؤذية اجلس في سريرك وانا اقعد على كرسي بالقرب منك فيمكننا التكلم بصوت منخفض

فاستصوب نوما رأي ماتاي وقام الى فراشه ولم يشعل مصباحه لئلا ينتبه من في الفندق الى ذلك فيرتابوا من تغيير عوائد الآنسة ارابلاّ . .

ولما جلس نوما في سريره أخذ ماتاي كرسياً ووضعه بالقرب من السرير وقعد ثم قال : يا رئيسي ... اسمح لي ان القبك بهذا اللقب لأني اعده شرفاً لي واعتبر نفسي تلميذك الى الآن

ـ نعمَ التلميذ انت واني اهنئك على براعتك في دخولك غرفتي

ثم سأل ماتاي نوما عن زملائه بروسبر وفيليب واخبره ان الباعث له على زيارته هو انه من البوليس السري الايطالي وانه مكلف مع بعض زملائه القاء القبض على اعضاء جمعية سرية شعارها ..... وسأله نوما كيف عرفه مع تنكره فاجابه انه يتأثره منذ سفره من باريس وانه عرف بيبو وطومي فسهلت عليه معرفة نوما تحت ثياب السائحة الانكليزية فكرر نوما مديحه واثنى على ذكاء ماتاي فقال هذا :

ـ اني جئتك ايها الرئيس لاعلمك انك تضيع وقتك الثمين عبثاً وانك تسير في غير الطريق الذي يلزم ان تسلكه للوصول الى ما تفتش عنه

ـ وماذا تعني يا ماتاي

ـ لن تجد اين لامارجلينا المغنية في عزبة سان تيتو ... قد كان فيها وهناك اخذت صورته التي رأيتها على الكارت وبجانبها صورة كبش من ورق ... غير ان اعضاء جمعية . ادركوا ان نوما سيهتدي بذكائه الى محل وجود الصبي فيختطفه من بين ايديهم ويعيده الى والدته فتبوح له بالسر الذي تكتمه خوفاً على حياة ولدها ... ولهذا تداركوا الأمر فحملوا الصبي الى مكان حصين واقاموا مكانه ولداً آخر اذا رأته لامارجلينا انكرته فاذا خطفت هذا الصبي تعود خائباً ويسخر بك اخصامك كما فعلوا من قبل . هذا ما جئتك لاطلاعك عليه واعلم ايضاً ان طومازو وجميع

من في قرية سان تيتو هم من عصابة ٠ .

ثم قال ماتاي بسرعة : وليسوا وحدهم من هذه الجمعية بل بين اعضائها من يعادلونك انت وجميع انفارك دهاء وشجاعة وقوة ... وفي جملتهم تلميذك القديم ماتاي ... وهاك البرهان ...

ووقف ماتاي بخفة غريبة وطعن نوما بخنجره ....

لم ينل الخنجر من نوما لانه تنبه منذ بداية الحديث فكان قابضاً على المخدة الصغيرة مستعداً للدفاع لانه ما كان يأمن الى احد فلما نهض ماتاي وطعنه مدّ يديه بسرعة وفيهما المخدة فدخل الخنجر فيها واطبق نوما يديه على ذراع الغادر ... وسمع صوت عظام تسحق ... ثم لفّ نوما فخذه على عنق ماتاي وترك يده وشدّ بكل قواه على العنق فوقع هو وخصمه الى الارض ... وكان وجه ماتاي الى الارض فقبض نوما باحدى يديه على عنقه وبالاخرى قبض على رأسه ثم وضع ركبته على ظهره وشدّ بكل قواه على جسد خصمه فكسر سلسلته الفقرية فكان موته فجائياً ولم يفه بكلمة ..

ولبث نوما فوقه حتى تأكد انه قد قضي عليه فترك الجثة ونهض قائلاً :

ـ ان الصقليين دهاة اقوياء . ولكن نوما أشدّ منهم دهاء وقوة ..

واضاء نوما مصباحه وانحنى فوق جثة ماتاي واخذ يفتش في جيوبه فوجد فيها اوراقاً اخذها ووضعها على سريره مع خنجر ماتاي ومسدسه والمصباح الكهربائي الذي كان في حزامه ثم فتش داخل الثياب فرأى على صدر الميت درعاً من زرد غير غليظة ولكنها كافية لاتقاء طعنة الخنجر. وتناول اليد اليسرى ، وضع الكسر فيها فلما نظر اليها ارتعش وصاح صيحة الدهش ثم قال : ها هو السر الذي طالما بحثت عنه ..... هذا تفسير

السؤال العشرون

ما هو لون شعر القاتل ؟

الامر الغامض الذي كلفني مشقة عظيمة حتى الآن .... هذا برهان ما كنت أظنه ... كشفت سر الحذاء اللماع ولكن حيرتني طبعة اليد .. حيرني أثر الابهام الذي وجدته في مفكرة كاستنيه ... وفي أوراق لامارجلينا .. وفي منزل فونتيس .. ان الثلاثة كانت متشابهة فكانها أثر يدٍ واحدة .. يد رجل واحد .. ولكنها في الحقيقة أثار ايدٍ مختلفة كانت الخطوط فيها مستطيلة كخطوط أيدي النبلاء ولكنها خشنة كما في أيدي الفعلة ومن يأتون الاعمال الشاقة ... وها قد انجلى لي سر هذه الآثار .. قد عرفت سر الابهام الذي طالما حرمني النوم ... ان الاشقياء كانوا يستعملون قفازاً من الكاوتشوك يلبسونه في أيديهم وهكذا يتركون في أماكن مختلفة أثاراً متماثلة كانما هي أثر يد شخص معين ...

ثم قرع نوما حائط الغرفة المحاذية فجاء الخادم طومي فقال له نوما: مشيراً الى ماتاي: انظر... هذا أحد أعضاء جمعية ☓. كان في عزمه أن يبقي هنا أثر يده مخطوطاً بدمي... ولكنه قد مات وقد اكتشفت أمر تنكري فلا حاجة بنا الى التنكر واضاعة الوقت وسنعمل صريحاً على رؤوس الاشهاد فيسر بذلك الشفاليه فونتيس... نحن الفائزون لاني اكتشف سر اليد ...

وفي الصباح لبس نوما ثياب السائحة الانكليزية وسار مع طومي في عربة بيبو قاصداً عزبة سان تيتو وقد تأكد ان ما قاله له ماتاي من ان طومازو وذويه من جمعية ☓. كذب محض. وكان في العربة طرد ثقيل فلما وصلت الى هاوية كانت على طريق العزبة أمر نوما بايقافها واخذ بطاقة باسمه ورسم عليها اشارة ☓. ثم خاطها بالطرد فحمله طومي وبيبو والقياه

في الهاوية ...

ما الذي فعله نوما بعد ذلك ... كيف توصل الى ما كان يسعى اليه في صقلية . . . ان هذا الامر لم يزل مكتوماً وغاية ما نعرفه هو انه في اليوم الثاني اقلع مركب من صقلية وكان فيه مارتين نوما والشفاليه فونتيس غير متنكرين ومعهما بيبو وطومي .. وكان نوما يحمل صبياً في يده كبش من ورق

. . . .

لما رست السفينة في ميناء مرسيليا نزلت اليها من البرّ امرأتان يصحبهما شيخ هرم وبعض الرجال وهم من انفار نوما جاؤا لحراسة المرأتين . اما الشيخ فهو بيترو خادم الشفاليه واحدى المرأتين هي جينيتا والثانية لامارجلينا . . وكان سرور الشفاليه وجينيتا باللقاء عظيماً ومثلهما بيترو والشيخ ولا سبيل الى وصف فرح المغنية لامارجلينا باجتماعها بابنها وتأكدها انه اصبح بعيداً عن كل خطر . . . وكان نوما ينظر الى ذلك المشهد وقد بدا التأثر والانفعال على وجهه واصابني مثل ما اصابه فاني كنت حاضراً ايضاً لان صديقي ارسل اليّ تلغرافاً يدعوني به الى ملاقاته

ولما رأت لامارجلينا انها وولدها في مأمن من شرّ اعدائها حملت ولدها بين ذراعيها وقالت : ان الذي احبه .... ان والد هذا الصبي هو المركيز بريمودي كرمين سنتوشي الوحيد ... الحقيقي ... فاني لما كنت في اميركا افتش عن حبيبي بلغني انه في فرنسا وانه عازم على الزواج وانه قد تخلى عني إكراماً لحب فتاة افرنسية فاسرعت الى فرنسا لمقابلة المركيز وتذكيره بسابق عهوده وتعنيفه على خيانته فلما طلبت مقابلته سمح لي بذلك ولكني حين رأيته لم اعرفه . . ومن تراه يعرفه اكثر مني انا . . .

فصاح نوما : المركيز اذن شخص مزدوج ... بربك ما معنى هذا الكلام

ـ ان والد المركيز تعشق فتاة فولدت له ولدين شقيين قاسي القلب ولم يكن لهما غاية من الحياة سوى ان يقتلا ابن آل سنتوتي الشرعي ليستأثرا بالارث ويلقبا باسم آل سنتوشي الكرام ... هذا هو سبب وجود مركيزين من آل سنتوشي احدهما الشرعي والثاني ابن الزنى ... افهمتم الآن مامعنى كلمة مزدوج ان المركيز الحقيقي هو مثال الشرف والشجاعة وكرم الاخلاق وهو حبيبي ... واما الثاني فهو الدخيل الذي يقيم في باريس ويلقب نفسه باسم المركيز دي سنتوشي واما شقيقته فهي اكثر منه سفالة واعظم شراً ... وهي التي تسمونها الفيرا فوكامور ... !

الفصل الثالث والخمسون

« مارتين نوما ملك الكشافين »

وترك نوما الشفاليه و بيترو والمرأتين في مرسيليا تحت حراسة رجاله اما هو فعاد مع طومي و بيبو الى باريس لاتمام عمله فانه اطلع على كل ما كان تهمه معرفته فاصبح قادراً على العمل بسرعة و بدون ان يقع في الخطأ ولما وصل صديقي الى باريس وجد تلغرافاً باسمه هذا فحواه : بلغني ان شخصاً يدعي انه المركيز دي سنتوشي خطب ابنة الصيرفي كاستنيه . ارجو تأخير الزواج الى حين مقابلتي انا المركيز الحقيقي بذاك الدعي

بريمو دي كرمين سنتوشي

وكان التلغراف صادراً من أميركا فلما اطلع عليه مارتين نوماً وضعه في

جيبه وسار الى منزل مدام كاستنيه وطلب مواجهتها للحال فاجابت طلبه وادخله الخادم الى قاعة الاستقبال حيث كانت ارملة كاستنيه وابنتها حنة والضابط بودا وكان الجدال محتدماً بين الضابط ومدام كاستنيه ومحوره قرب اقتران الآنسة حنة بالمركيز دي سنتوشي الذي كان خطيب شقيقتها وكانت الوالدة فرحة بهذا القران فقال لها بودا بحريته المعهودة :

ان ما تنوينه اثم فظيع ... فاني لا أثق بهذا المركيز ... فيجب عليك التحري عن حقيقة أمره قبل أن تزفي اليه ابنتك وان تتأكدي صحة ما يدعيه من الالقاب ثم أن هناك أمراً آخر يجب الانتباه اليه وهو ان ابنتك حنة لا تحبه ولا يمكنها ان تحبه ... فصاحت مدام كاستنيه بحنق : كيف عرفت ذلك وبأي حق تقول لي مثل هذا الكلام

— اني عالم ان حنة وصديقي الضابط ألري يتبادلان الحب علمت ذلك بدون ان يطلعني أحدهما على ما يكنه فؤاده فاعلمي ان من واجباتك ان تسعي الى التكفير عن الماضي ... ولا حاجة بنا الى ذكره الآن ... نعم يجب عليك ان تزفي حنة الى روبرت ...

وكان بودا يصيح بملء صوته غير مبال بما كانت تبديه حنة من الاشارات ليسكت ولا بوجود مارتين نوما وتابع كلامه قائلاً : انك سترضين بزواج حنة لروبرت لسبب مزدوج كما ان مركيزك افاك مزدوج أما السبب الاول فهو حب حنة وروبرت المتبادل ... واما الثاني فهو أني انا أحب انطوانيت وبما انه قدر لي أن لا آتي عملاً الاّ بعد ان يسبقني الى مثله صديقي روبرت أرى من الواجب ان تزوجي حنة لروبرت لاتمكن أنا من الاقتران بانطوانيت ... وهذا عندي أقوى الأسباب ... »

وهمت مدام كاستنيه بطرد ذلك الوقح من بيتها ولكنها سمعت نوما يقول لها: عفواً يا سيدتي اذا أزلت اوهامك وحرمتك لذيذ أحلامك ... ولكن ما قاله لك الضابط بودا هو تقريباً نفس ما أنا مكلف نقله اليك .. ان في جيبي تلغرافاً يشعرني بقرب وصول المركيز دى سنتوتي الحقيقي الى فرنسا . . . أما المركيز الذي يتردد على منزلك فهو ابن غير شرعي للمركيز دى سنتوشي القديم وشقيّ اختلس لقب أخيه المركيز الحقيقي بعد أن حاول قتله ...

وقبل ان ينتهي نوما من حديثه رُفع سجف أحد أبواب الردهة ودخل منه رجل بهيئة مجنون وفي يده مسدس وصاح : كذبت .. كذبت .. انا هو المركيز بريمو دي كرمين سنتوشي الحقيقي وانت خداع منافق .. ليس في العالم سوى مركيز واحد من آل سنتوشي وهو أنا .. وكل من ينكر عليّ ذلك ويمس شرفي بأباطيل كلامه يكون هذا جزاءه

ثم صوب الرجل مسدسه الى صدر نوما . . . ولكن المسدس لم يطلق فان نوما بادر الرجل بضربة شديدة في صدره فأفلت المسدس ووقع حامله على الارض مغشياً عليه

. . . .

ولما عاد نوما الى منزله وجد كورفيل والموسيو موريسون بانتظاره وذلك ان موريسون ذهب الى ادارة الجورنال وسأل كورفيل ان يصحبه الى زيارة نوما ليطلعه على خبر سار فلما مثل أمامه صاح فرحاً : لديّ خبر سار يا موسيو نوما فان ابنتي بلانش وضعت ابنة وكلتاهما في صحة تامة .. وقد كتب اليّ شارل انهما عائدان الى فرنسا برفقة صديقهما المركيز بريمو

دي كرمين سنتوشي الذي عرفه هناك وذكر لي شارل انه وصديقه المركيز اطلعا في آن واحد على خبر موت والده وعقد خطبة ايرما شقيقته على الرجل الذي يدعي كذباً انه من آل سنتوشي وهو ليس الا منافقاً مجرماً

فابتسم نوما وقال : نعم انه من اعظم المجرمين ولكن يده قد غلّت فلم يعد بامكانه ان يأتي عملاً ما مضراً

في نفس ذلك اليوم اراني نوما قالباً من الفولاذ بشكل قائمة مكتب كاستنيه وعليه نفس الحفر الذي على تلك واعلمني ان المركيز استعان بذلك القالب لقشر الحذاء الذي استخدمه لتضليل نوما

. . . .

كان احد اصدقاء الشفاليه قد قدم له بيتاً خارج مرسيليا مطلاً على البحر ليقيم فيه مع جينيتا والمرجلينا ففي ثاني يوم وجوده في ذلك المنزل اخبره الخادم ان سيدة تطلب مقابلته وهي بانتظاره في قاعة الاستقبال فبادر الشفاليه الى هناك فوجد سيدة في ثياب سود على وجهها نقاب اسود طويل ورفعت النقاب عن وجهها فاذا بها الفيرا فوكامور فاقتربت منه وقالت : يا رافائيل قد هلكنا جميعاً ورجال البوليس في اثري ... وقد قبض نوما على المركيز وعلى كثير من رفاقي ومن بقي منهم حراً لا تجاوز حريته بضع ساعات اذ لا سبيل الى الافلات من يد الداهية نوما ... فحياتي الآن بين يديك ... قد احببتك حباً لا يعادله حب امرأة لرجل في العالم ... احببتك بهوس ... احببتك الى حدّ الجنون ... احببتك الى حد اني استسهلت ارتكاب كل جرم في سبيل هواك ... والآن جئتك متوسلة ان تنقذني يا رافائيل . . . انت اكرم الناس واعظمهم مروءة فانقذني بربك .

فنظر الشفاليه الى تلك المرأة المرتمدة امامه واجاب برصانة : ايتها السيدة . كان لي صديق احبه كأخ فقتلته .. طردتك من بيتي ضرباً بالسوط لانك حاولت قتلي .. ايتها السيدة .. قد حاولت الايقاع بجينيتا البريئة فانت لا تعلمين ما هو الحب ولا بغية لك سوى اهراق الدماء .. اني آسف لمجيئك الي في هذا المنزل الذي لا يخصني اذ لاحق لي بان افعل فيه ما تتوق اليه نفسي .. اي ان اسحقك كما تسحق الأفعى ... ولا يمكنني في هذا المنزل الان اطردك واقول لك « انصرفي ... وليحرسك الله »

ثم سار بها الى الباب وقال : انصرفي ولا تطلعي احداً على حضورك الى هنا

فانتصبت الفيرا وكشرت عن اسنانها متحفزة وقالت : انك تجهل عظم حبي لك ... ولا تعلم مقدار بغضي لك ... انا احبك حتى العبادة ولكن بغضي لك هو اعظم من حبي ...

ولم يمكن الفيرا متابعة حديثها فانها رأت من النافذة رجلين يمشيان في حديقة البيت فادركت انهما من رجال نوما فصاحت صيحة الغيظ والرعب وقالت : لن اسلم نفسي حية ... كلا لن تقف الفيرا فوكامور موقف المجرمين ... قد عشت عزيزة الجانب فلا أرضى لنفسي بالهوان

ثم ركضت الى باب الردهة الذي يطل على البحر فوقفت على البلكون ممسكة بالحاجز والتفتت الى الشفاليه وقالت : لن تحبك امرأة قط كما احببتك يا رفائيل ... اذ لن تنتحر امرأة لاجلك كما افعل انا الآن

ثم وثبت من فوق حاجز البلكون فسقطت في البحر (غير مأسوف عليها)

. . . .

أمام قصر الامير روماليتو عدة عربات واقفة .

استصدر نوما من القضاة امراً بالقاء القبض على كل من لهم علاقة بقتل كاستنيه والكونت دي فيلاسربوري ومحاولة الايقاع بالشفاليه فرنتيس بجاء برجاله ودخل حديقة قصر الامير روماليبنو وكان القصر محاطاً بالشرطة وفي داخله حركة غير اعتيادية وضوضاء عظيمة سببها نقل الجاسوسين الاسمر والاشقر الى اعضاء عصابتهم خبر هجوم المركيز بريوردي كروين سنتوشي على نوما في منزل مدام كاستنيه وصرع نوما له والقوه القبض عليه فتراكض جميع اعضاء عصابة . ✻ . الى قصر زعيمهم الامير روماليبنو فكان هناك بالستريني وامرأته والرجل الاسباني وجميع من علمنا بوجودهم في مرقص الاوبرا أموا دار الامير ليسيروا حسب ما يأمرهم او لينقذهم اذا كان قد فات الوقت فانهم احسوا ان الخطر محيط بهم وان نوما قد فاز عليهم

فلما قرع نوما جرس الباب الخارجي اصاب الرعب قلوب الجميع فاغمي على مدام بالستريني . ولما لم يجب احد على قرع نوما كسر الباب فاسرع من داخل القصر الى الالتجاء من ابوابه المتعددة الى العربات التي كانوا قد اعدوها امام القصر للهرب وكان جمهور من المتفرجين أمام قصر الامير وفيهم اوكتافي الخادمة فلما رأت الجاسوس الاسمر صاحت هذا هو الاسباني الذي اعطاني الحذاء فيا له من كاذب . وركب الهاربون العربات وصاحوا بالحوذيين : اسرعوا في المسير . . . اسرعوا اسرعوا . . .

فسارت الخيل تنهب الارض نهباً فلما ابتعدت العربات قليلاً امر من في داخلها الحوذيين ان يسيروا بهم الى محطة ليون ولكن الحوذيين لم يطيعوا بل ساروا بعرباتهم تحرسها عربات أخرى ودخلوا بها سجن التوقيف

✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻ ✻

وذلك انه لم يفت نوما ربّ الدهاء ان اخصامه سيلجأون الى المربات الاجرب فالقى القبض على من في خدمة العصابة من الحوذيين واوقف عربات ادارة البوليس بدلاً منها أمام قصر الامير روماليني فنجحت حيلته وساق اخصامه الى السجن باهون الاسباب وهكذا انتصر نوما على اخصامه فاستحق لقب امير الكشافين واصبح في امكانه تعيين القاتل واثبات جرمه باظهاره انه هو ايضاً عالم بسرّ اليد . . .

هنا أوقف المؤلف روايته تاركاً للقراء تعيين القاتل وهذه هي احكام حذاق القراء معوّلاً فيها على جانب الارجحية

السؤال	الجواب
(١) أذكراً تلد بلانش موريسون ام انثى	انثى
(٢) اي الحذائين مقشور الأيمن ام الأيسر	الأيسر
(٣) أمنخفض صوت ياسّت امجهوري	جهوري
(٤) هل يقتل الكونت دي فيلاسربوري	نعم
(٥) من اي مقاطعة هو مارتين نوما	
(٦) هل تتخذ [illegible]	

السؤال	الجواب
(١٥) ما اسم القاتل :	المركيز ريمودي كرمين ستنوثي
(١٦) كم سن القاتل . وفي اي شهر ولد . وفي اي يوم من الشهر . واي يوم من الاسبوع	٣٢ سنة ولد في ١٣ من شهر مايو يوم الجمعة
(١٧) كم طول قامة القاتل :	متراً وثمانية وستون سنتيمتراً
(١٨) كم محيط صدر القاتل :	اربعة وستون سنتيمتراً
(١٩) كم قياس القاتل في العرض اي ممدود الذراعين	متراً وثمانية وستون سنتيمتراً
(٢٠) ما هو لون شعر القاتل :	أسود

فاستحق الجائزة الاولى اثنا عشر نفساً وزعت عليهم مجموع الاثني عشرة جائزة الاولى اي اضيف الى مابة الف فرنك الجائزة الاولى قيمة الجائزة الثانية وهو عشرة الاف فرنك وثمن العشر جوائز التالية التي هي سيارة ورياش غرفة وبيانو الخ فبيعت كلها واضيف ثمنها الى الجائزتين الاوليين ووزعت على الاثني عشر فائزاً فاصاب كلاً ...

من داخل القصر الى الالتجاء من ابوابه ... ... بات . وفي قد اعدوها امام القصر للهرب وكان جمهور من المتفرجين امام قصر ... وفيهم اوكتافي الخادمة فلما رأت الجاسوس الاسمر صاحت هذا هو الاسباني الذي اعطاني الحذاء فيا له من كاذب . وركب الهاربون العربات وصاحوا بالحوذيين : اسرعوا في المسير ... اسرعوا اسرعوا ...

فسارت الخيل تنهب الارض نهباً فلما ابتعدت العربات قليلاً امر من في داخلها الحوذيين ان يسيروا بهم الى محطة ليون ولكن الحوذيين لم يطيعوا بل ساروا بعرباتهم تحرسها عربات أخرى ودخلوا بها سجن التوقيف

* * * * * * * * * * * * *